بهجة النفوس والأسرار

في

تاريخ دار هجرة النبي المختار ﷺ

تأليف

الشيخ أبي محمد عفيف الدين
عبد الله بن عبد الملك المرجاني
المتوفى ٧٧٠ هـ

تحقيق

أبي عبد الرحمن عادل بن سعد



Title: **BahJat al-nufūs wal-ʾasrār fī tārīḫ dār hijrat al-Nabiyy al-Muḫtār**
(History of Medina)
classification: *History and Prophetic biography*
Author: ʿAfīfuddīn al-Murjāni
Editor: ʿĀdil ben Saʿd
Publisher: Dar Al-Kotob Al-ilmiyah
Pages: 448
Year: 2008
Printed in: Lebanon
Edition: 1st

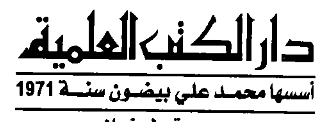
الكتاب: بهجة النفوس والأسرار
في تاريخ دار هجرة النبي المختار
التصنيف: تاريخ وسيرة نبوية
المؤلف: الشيخ عفيف الدين المرجاني
المحقق: عادل بن سعد
الناشر: دار الكتب العلميـــة - بيروت
عدد الصفحات: 448
سنة الطباعة: 2008
بلد الطباعة: لبنان
الطبعة: الأولى







الطبعة الأولى
٢٠٠٨م - ١٤٢٩ هـ



Mohamad Ali Baydoun Publications Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah

Aramoun, al-Quebbah,
Dar Al-Kotob Al-ilmiyah Bldg.
Tel : +961 5 804 810/11/12
Fax:+961 5 804813
P.o.Box:11-9424 Beirut-lebanon
Riyad al-Soloh Beirut 1107 2290

عرمـون ، القبـة
مبنى دار الكتب العلميـة
هاتف: ٨١٠/١١/١٢ ٨٠٤ ٥ ٩٦١+
فـاكس: ٨١٣ ٨٠٤ ٥ ٩٦١+
ص.ب: ٩٤٢٤-١١ بيروت - لبنان
رياض الصلح -بيروت ٢٢٩٠ ١١٠٧

http://www.al-ilmiyah.com
sales @al-ilmiyah.com
info@al-ilmiyah.com
baydoun@al-ilmiyah.com

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ

مقدمة

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونؤمن به، ونتوكل عليه، ونشكره ولا نكفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو حي لا يموت بيده الخير وهو على كل شيء قدير. وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، اللهم اجزه عنا خير ما جازيت نبيا عن أمته، ورسولاً عن دعوته ورسالته، اللهم صل عليه وعلى آله وصحبه وسلم، وارض اللهم عن خلفائه الراشدين وعن صحابته أجمعين، وعمن سار على نهجه وهديه واقتفى أثره وسنته إلى يوم الدين.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ [النساء: ١].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلاً سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَـٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أما بعد:

فقد عانت الكتابات التاريخية من دخول بعض المنتفعين أو المتساهلين وربما المندسين داخل صفوف الأمة كي يهدموها، ويزعزعوا وحدتها، ويوهنوا عزائمها، ويثبطوا هممها.

ونجد أيضاً أن التاريخ قد أصيب بالركاكة في العرض؛ لالتزام المؤرخ بأقوال شيوخه حتى لا يتعرض للنقد والهجوم، ونجده أصيب أيضا بالموت البطيء والذي أصيب به قارئ التاريخ لما يصيبه من ملل.

ونجد من العلماء من حاول صيانة التاريخ من الغرق في بحار النسيان والمحاولة في التعقيب على الإسناد كـ "ابن كثير" و"ابن عساكر"، أو ترتيب الحوادث تبعاً للموضوع وليس السنين كـ "المسعودي" في كتابه "التنبيه والإشراف"، أو تقديم موعظة من الحوادث السابقة كـ "ابن مسكويه" في كتابه "تجارب الأمم" وغيرهم.

ومما انتشر أيضاً كتابة تاريخ المدن مثل أخبار مكة للأزرقي ، وتاريخ المدينة لابن زبالة، وتاريخ بغداد للخطيب البغدادي وتاريخ دمشق لابن عساكر ، وأخبار أصبهان، وبهجة

النفوس والأسرار في تاريخ دار هجرة النبي المختار لعفيف الدين عبد الله بن عبد الملك المرجاني وهو كتابنا هذا ولقد قال المصنف إنه يرغب في وضع كتاب في تاريخ المدينة حاوياً كل الدرر وأنه أخذ ذلك من مصنفات تزيد على المائتين فاجتهد وشمر ليجمع هذه الدرر من بطون الكتب ومن خلال التتبع فقد استقصى واستوعب ما كتب وما دون من أخبار المدينة حتى عصره والناظر في مصادر الرجل يقف على هذا.

ولقد اعتمدنا في تحقيق الكتاب على :

١- مخطوطة الحرم المكي (٧٩) تاريخ.

٢- مخطوطة مركز إحياء التراث بتركيا وتقع ٢٣٥ ورقة

فأسأل الله أن يجعل عملنا هذا خالصا لوجهه الكريم، كما نسأله سبحانه وتعالى أن يتغمده برحمته، ويسكنه فسيح جناته، ويجزيه عنا خير الجزاء. كما نسأله سبحانه وتعالى أن ينفع به إنه ولي ذلك والقادر عليه.

أبو عبد الرحمن عادل بن سعد

التعريف بالمؤلف

هو أبو محمد عبد الله بن عبد الملك القرشي التونسي المعروف بالمرجاني.

ولد بالإسكندرية وينتمي إلى أسرة معروفة بالعلم والتقى والصلاح فوالده عبد الملك بن عبد الله بن محمد بن محمد البكري التونسي الأصل نزيل مكة، صحب الشيخ نجم الدين الأصبهاني وروى عنه، وجده هو عبد الله بن محمد القرشي البكري الإمام المفسر أحد الأعلام كان رأساً في التفسير وعالمًا بالحديث نزل مصر واشتهر بها ومات بتونس.

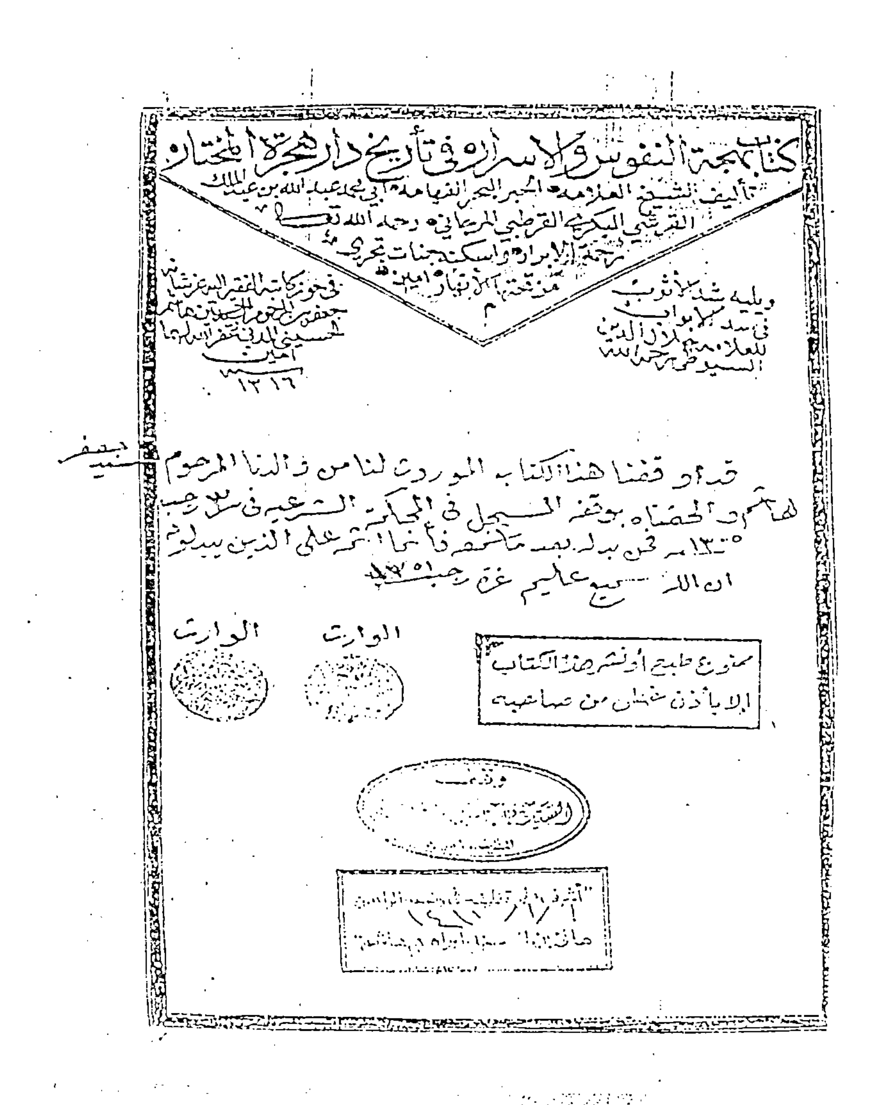
ولقد تتلمذ المؤلف على الإمام محمد بن محمد بن يحيى بن سيد الناس الأندلسي المصري.

وتوفي رحمه الله بعد عام ٧٧٠هـ، كما أشار إلى هذا الفاسي في العقد الثمين والسخاوي في التحفة اللطيفة، ولم يحدد وقت وفاته.(١)

---

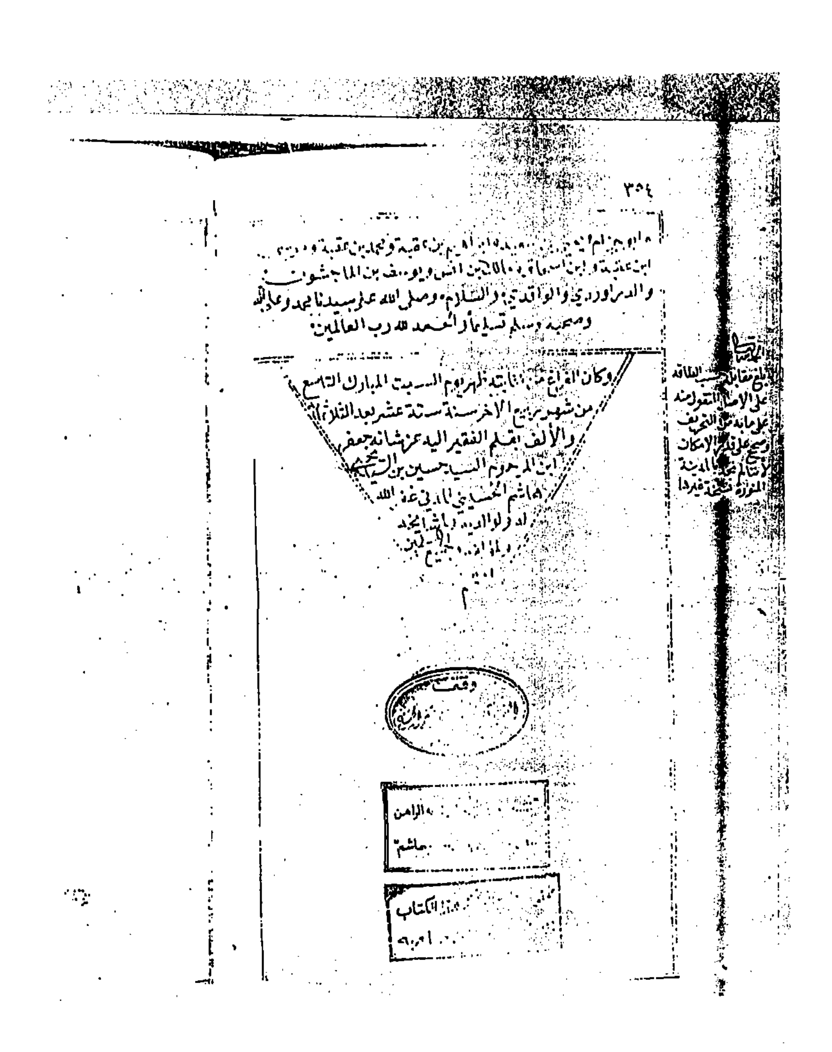
(١) انظر: إنباء الغمر (٣٢٤/١)، العقد الثمين (٢٠٤/٢)، شذرات الذهب (٢٧٢/٦).

نماذج من صور المخطوط



كتاب بهجة النفوس والأسرار في تاريخ دار هجرة المختار
تأليف الشيخ العلامة الحبر البحر الفهامة أبي محمد عبد الله بن عبد الملك
القرشي البكري القرطبي المرجاني رحمه الله تعالى

الورقة الأولى من نسخة الحرم

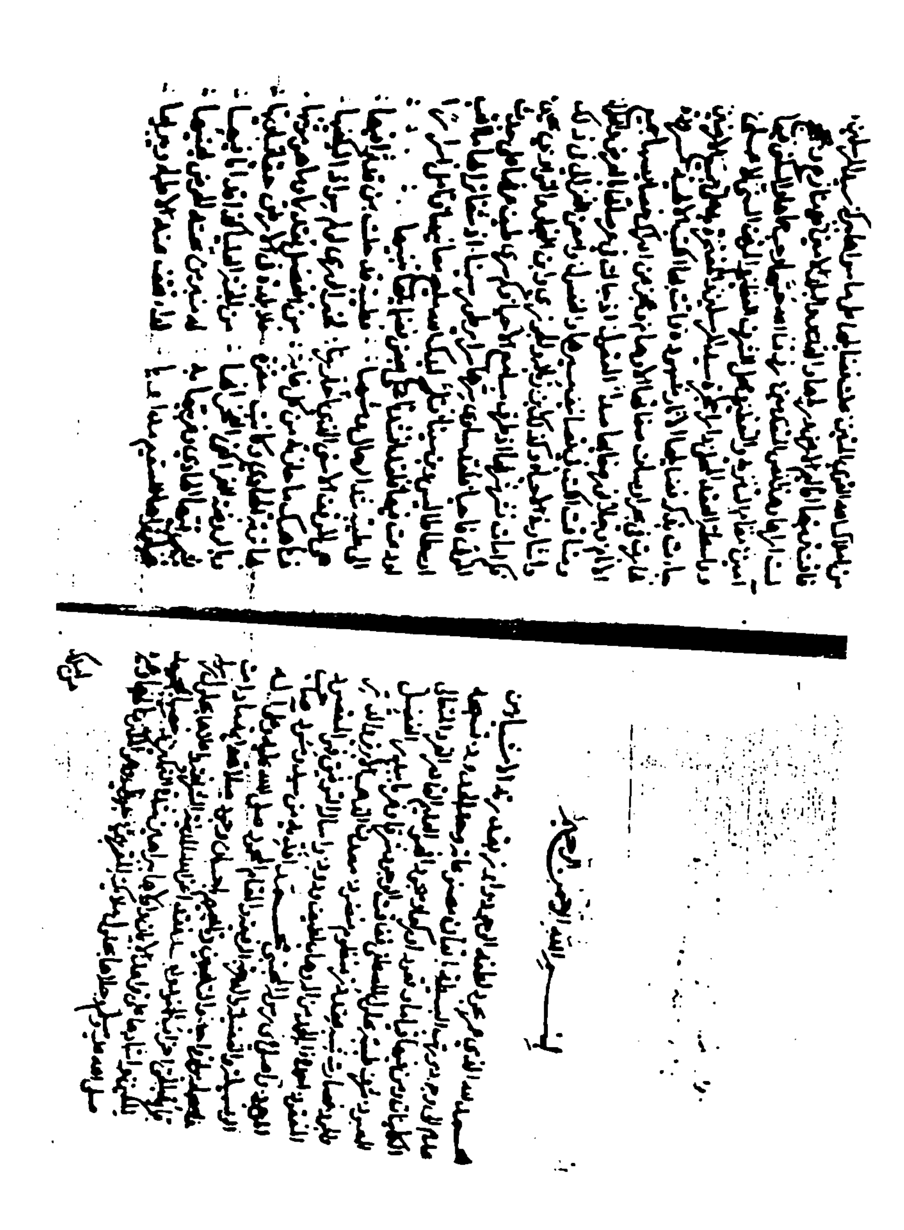


٣٥٤

ابن عيينة وابن إسحاق ومالك بن أنس ويوسف بن الماجشون
والدراوردي والواقدي. والسلام. وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله
وصحبه وسلم تسليماً والحمد لله رب العالمين.

وكان الفراغ من كتابته ظهر يوم السبت المبارك التاسع
من شهر ربيع الآخر سنة ستة عشر بعد الثلاثمائة
والألف بقلم الفقير إليه عز شأنه جعفر
ابن المرحوم السيد حسين بن
هاشم الحسيني المدني عفا الله

الورقة الأخيرة من نسخة الحرم



صورة نسخة تركيا

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين

الحمد لله الذي عم بجود لطفه الوجود، وأبرز بقدرته من شاء من عدم إلى الوجود، ورتب البسيطة بإتقان مصنوعاته، وحد الحدود تسبحه الكائنات ومن فيها قياماً وقعوداً وركعاً وسجوداً فهو العليم القادر الفرد المتعال المعبود، شرف طيبة بحلول المصطفى ففاقت الوجود شرقاً وغرباً ببذل الفضل والجود، فصارت شبه عقد در منظوم منضود معدن الذهب الإبريز، والدر المنقود أحمده فله الحمد من إله وهاب لطيف ودود، وأسأله التوفيق فهو المقصود والموجود وأصلي على رسوله المجتبى محمد ﷺ.

أفديه من سيد ومسود صاحب الوسيلة والفضيلة والدرجة الرفيعة والمقام المحمود ﷺ وعلى آله وأصحابه وأزواجه والتابعين وتابعيهم بإحسان وجود، صلاة دائمة ما دامت قائمة بالحقِ أحزاب الجنود وبعد:

فقد أعز الله المدينة الشريفة وأعلاها فأعلاها بحلول رسوله المكين وأشادها على قواعد الإيمان وأولاها ببراهين شدة التمكين، وخصها بمحمد ﷺ وجلاها بحلول ملائكته المقربين، جبريل وهو المكثر مأتاها وغيره من أملاك الله القوي المتين، علت فضائلها على ما سواها ببركة سيد المرسلين، وفاقت تربتها أقاليم الأرض ورباها والقدس والبلد الأمين بلا منازع وبحجج لست أراها وهذا نص المتقدمين، رزقنا الله حبها وحب حماها والسكنى فيها آمين مقام التنزيه والتعظيم ومحل الشرف العظيم والموقف الأسنى الأعلى وواسطة العقد المحلى دار الهجرة لسيد المرسلين، والمفتخرة به على جميع الأرضين، جاءت بذكر فضائلها الآثار مشهودة، وأتت بها الكتب الإلهية مسرودة فحارت في بحار أوصاف صفاتها الأوهام، وعجز عن إدراك خصائصها جميع الأنام.

وجلى نور ضيائها صدأ العقول، إذ جالت في عرصاتها بالعرض والطول وضاقت الكتب [في تصانيف][(١)] مسيرها والفصول وأمعن الغزالي في ذاك وأشار في الأحياء وكذلك ابن زبالة وابن الجوزي [وابن النجار][(٢)] والنووي يحيى فكم أماق نشر شرفها إذ طرق مسامع الأحياء وكم سرى طيف عرفها على جدث الموتى فأحياه فلقد ساوى سرها سرائر طور سيناء، إذ شفي ترابها ما أتعب أرسطاطاليس وابن سينا، فتلمح -أيدك الله- مليح معانيها، وتأمل أسرار أودعت فيها فلقد أنشدنا فيها على بعض فضائلها تنبيهاً.

---

(١) سقط الأصل، والإضافة من نسخة تركيا.

(٢) سقط الأصل، والإضافة من نسخة تركيا.

إلى طيبة شد الرحال ومشيها فطيبة قد جلت بمن قد ثوى فيها
هي الموقف الأسنى الذي اختار ربنا لخير الورى لو لم سوى ذا ليكفيها
فناهيك ما حازته من كل غاية من الفضل تقديماً وما هو موتيها
بها تربة الهادي وكانت مقره فلا بلدة في الأرض حقّا تساويها
بالروضة الغراء كفى الفخر أنها من الجنة العليا كذا قد أتى فيها
فشرقيها الهادي وغربيها به المنبر من تحته الحوض يهنيها
غبار ثراها للسقيم مداويا لداء تقف عنه الأطباء ويبريها
كذلك يوقي السم والسحر تمرها ويكفيك هذا الفخر يا صاح توجيها
فكم من عنايات وكم من فضائل بطيبة لا تقوى عليها فتحصيها
وكم من موقف فيها وكم من مأثر بها مثبتات وسطها وحواليها
وكم من معظمات قد حوت ومكارم وكم مكرمات لم نطق وصف دانيها
وأيضاً [بقيع الغرقد انظر][1] فضائلا به وأحاديثاً [أتت فيه نرويها][2]
به الآل والأزوج والصحب ثم من لهم رفعة في الدين يسمو [تجليها][3]
كذا الشهداء فانظر بطاح بسيطهم فيا ليت جسمي قد ثوى معهم فيها
وقد ذكرت في كتب موسى تقدماً وطهرها رب الخلائق تنزيها
فقارنت السعد السعيد وقابلت جليلاً بسيماه عن الشر يزويها
وأشرق نور الحق فيها وأظهرت وأبدت عروس الحسن مكنون ما فيها
فها نورها ينبي على نور أحمد وريح شذاها فاق المسك تنبيها
فلله ما أحلى رباها وأرضها وتربتها فيما حوت وأساميها
كريم له كف العناية أبرزت جواهر بحر موجه كاد يخفيها
تردت برود الحسن معلمة وحازت بما حازت تجل في تدانيها

---

(١) سقط من الأصل، والإضافة من نسخة تركيا.
(٢) سقط من الأصل، والإضافة من نسخة تركيا.
(٣) سقط من الأصل، والإضافة من نسخة تركيا.

فتاهت [به الألباب حبًّا][1] وأذهلت قلوب الورى فاستعذبت وصل واديها
فمنها بدا الإيمان [والجود رفعة][2] ومنها بدا الإقبال سبحان منشيها
بجاه رسول الله جلت وقد علت ومن فضله جاءت فضائل ما فيها
فصلى عليه الله ما لاح بارق وما دامت الدنيا دواما بمن فيها

لما تبدت في ديباج حلتها، رفعت حجابا عن مليح هيلتها، فسطا ساطع نور طلعتها على صفاء صفح بسيط بسطتها، فقابل نورانية نور مرآة أشعتها فهامت بها الألباب من محبتها فانظر لعظيم شرفها وحرمتها، وعظم سفح موقفها وتربتها واستجل بصفاء نور جوهر تربتها، واستجلى إيجاد جلباب جبلتها.

وأنشد ما أنشدناه في زيارتها:

هي بلدة خصت بأكرم مرسل فشدت بطيبه الهواء كالمبدول
تزهو كزهور في الربا شرفاً على كل البلاد بأجل من فن المنزل

وقال مفسرًا في الرحلة إليها وشوقا فيما فيها:

ترحل وفز من أرض طيبة بالسكنى فطيبة قد جلت بمن حوى الحسنا
تراها تباهي الأرض طرًّا بمرسل فها قد صارت هي الموقف الأسنى

ميز لعظيم فضلها العميم اللائق بمقام التنزيه والتعظيم، وانظر لسابق خطبها الجسيم المنزه عن حصر التقسيم لما اختلف في تفضيل الحرمين الشريفين، ووقع الخلاف بين المسجدين الكريمين قطع بتفضيل التربة المكرمة على ما سواها من الأماكن المحترمة فقيل في ذلك.

جزم الجميع بأن خير الأرض ما قد حاط ذات المصطفى وحواها
ونعم لقد صدقوا بساكنها علت كالنفس حين زكت زكى مأواها

وفي هذا المعنى الحالي ينشد لسان حالي:

لطيبة فخر فاق كل بلاد سقاها إلهي من صبيب غواد
بها جملة الخيرات فانظر نتاجها ترى في الحمى منها لهن بواد

---

(١) سقط من الأصل، والإضافة من نسخة تركيا.
(٢) سقط من الأصل، والإضافة من نسخة تركيا.

بهـا الموقـف الأسنى بها النور والمنى بهـا العـز والغـنى بهـا تـربة الهاد
فكـم تـيمت معزاً وكم هتكت هوى وكـم فـتكت حـباً بـسيف عـناد
نفـى حـبها طـيف المـنام وأبدلت جفـوني مـدى دهـري بطيف سهاد
وصـرت بـوجدي مـن هواها متيماً كـأني أنـا المـضنى بحـب سـعاد
فلـو حـبها لاقـى الـبحار تفجرت ولم يـبق مـنها مـاء لقـصد مـراد
ولـو صـادف الـصم الجـبال لدكها وصـارت كـرمل وسـط قـيعة واد
ولـو عـشر معـشار المحبة قد سرى علـى الخلـق مـنه لم يـناد مـناد
فـلا مـاء إلا بعـض فـيض مدامعي ولا نـار إلا مـن هـيب فـؤاد
أشـير لأهـل الـركب من كل مقدم مـريداً لمـاء أو لقـدح زنـاد
مـتى شـئتم للمـزن عوجوا لأدمعي ونـار أخـدودها مـن هـيب فـؤاد
بلـيت بـوجدي حـبها وبعادهـا ومـن ذا يطـق حـباً وصـبر بعـاد
يلومـوني العـذال فـيمن تـصورت كـبدر بـدا في ظلمـة وسـواد
فجلـي بـنور إذا تجلـى سـواد ما نـرى كـم بـدى كلـون مـداد
جـوابي لهـم زيـدوا وإلا فأقـصروا فحـبي فـيها غـدتي لمعـادي
وعـذلكم فـيما عذلـتم جمـيعه يـزيد بـه حـبي لهـا ووداد
شـفى الـسقم مـني إن تحـن مطيتي علـى بابهـا مـن خـارق وأنـاد
فـشوقي سـيري والهـوى لي مركب وحـبي قـصدي والمحـبة زادي

ارتاحت قلوب المحبين بحبها، وهامت حين ارتفاع ستر حجبها وأسكرت من كاسات رحيق [قربها لما بدى النور][١] السني غربها فلله ما أحلى ذكرها وأهنى، وما أعلى ذلك المقام [أسنى وما ألذ][٢] وصال ذلك المغني، ولقد أنشد بعضهم في هذا المعنى:

---

(١) سقط من الأصل والإضافة من نسخة تركيا.
(٢) سقط من الأصل والإضافة من نسخة تركيا.

إذا لم تطب في طيبة عند طيب به طيبة طابت فأين تطيب؟

فهي النورانية ذات النور، والمدنية بين الثغور، عجزت البلغاء عن إثبات تصوير صور سماتها، وكل كل ذي فهم عن افتهام أوصاف صفاتها ووقف المهندسون عند تحديد حدود أقطار ست جهاتها، وتناهت في فضائلها أرباب العقول بتفكراتها، فلم نحصر فضائلها بعد ولم تتناهى لحد.

لما رأيتها دار سكنى خير البشر، أردت وضع مختصر في تاريخها حاويا كل الدرر رجاء ثواب الله العميم وتوسلا لشفاعة رسوله الكريم، وسألته التيسير على ما أملته وحسن التيسير فيما أمليته وسميته:

بهجة النفوس والأسرار في تأريخ دار هجرة النبي المختار ﷺ

وشرف وكرم، وقد انتخبت فيه ما اخترته، وحذفت إسناد ما ذكرته، وذلك من جملة مصنفات كتب تنيف على المائتين تغني معرفتها لمقتنيها من كتابي هذا عن تسميتها ومن الله تعالى أطلب التوفيق إنه الكريم الوهاب، وقد حصرت الكلام في عشرة أبواب:

الباب الأول:

في ذكر حد قطر المدينة الشريفة من حدود أقطار الأقاليم السبعة وذكر أسمائها وأول ساكنيها وفيه سبعة فصول.

الباب الثاني:

في ذكر فتح المدينة الشريفة وهجرة النبي ﷺ وأصحابه إليها وفيه فصلان.

الباب الثالث:

في إثبات حرمة المدينة الشريفة وذكر فضائلها وتحريمها وتحديد حدود حرمها وحكم الصيد فيها، وفيه اثنا عشر فصلا.

الباب الرابع:

في ذكر أودية المدينة الشريفة وآبارها المنسوبة إلى النبي ﷺ وفضل جبل أحد وفضل الشهداء عنده وفيه خمسة فصول.

الباب الخامس:

في ذكر إجلاء بني النضير من المدينة الشريفة وحفر الخندق وقتل بني قريظة بالمدينة، وفيه ثلاثة فصول.

الباب السادس:

في ذكر مسجد رسول الله ﷺ وفضله وذكر ما زيد فيه ونقص منه إلى هذا التاريخ

وفيه سبعة وعشرون فصلا.

الباب السابع:

في ذكر المساجد التي صلى النبي ﷺ فيها المعروفة بالمدينة الشريفة وغيرها، وفيه خمسة فصول.

الباب الثامن:

في ذكر مولد النبي ﷺ وابتداء منشأه وذكر أسمائه ونسبه ووفاته ووفاة صاحبيه أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، وذكر نبذة من فضائلهما وفيه اثنا عشر فصلا.

الباب التاسع:

في حكم زيارة النبي ﷺ وفضلها وكيفيتها وحكم الصلاة والسلام عليه ﷺ وفضيلة ذلك وكيفيته وفيه عشرة فصول.

الباب العاشر:

في ذكر البقيع وفضله وكيفية زيارته والحض على زيارة القبور مطلقا وذكر من يعرف به من أهل البيت والصحابة رضوان الله عليهم أجمعين وفيه خمسة فصول.

الباب الأول/ في ذكر حد قطر المدينة الشريفة من حدود أقطار الأقاليم السبعة وذكر أسمائها وأول ساكنيها

وفيه سبعة فصول

الفصل الأول
في ذكر حد قطر المدينة الشريفة من حدود أقطار الأقاليم السبعة

اعلم أن الله تعالى خلق العالم في ستة أيام، ابتداؤها يوم الأحد والاثنين لقوله تعالى: ﴿ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ ﴾ [فصلت: ٩] وخلق الجبال يوم الثلاثاء والماء والشجر يوم الأربعاء، والسماء يوم الخميس، والشمس والقمر والنجوم والملائكة وآدم يوم الجمعة ولذلك سمي الجمعة لأنه جمع فيه خلق كل شيء قاله الشعبي وحكاه الشهرستاني في أعلام النبوة له.

وقال محمد بن عبد الله الكسائي في «بدء الدنيا»: أول ما خلق الله تعالى اللوح ثم القلم ثم الماء قال: وكل شيء لا يفتر عن تسبيحه في وقت عن وقت إلا الماء وتسبيحه: اضطرابه.

وقيل: بداء الخلق السموات قبل الأرض يوم الأحد والاثنين لقوله تعالى: ﴿ فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ ﴾ [فصلت: ١٢].

وقيل: خلق الله السماء دخانا قبل الأرض، وفتقها سبعا بعد الأرض لقوله تعالى: ﴿ ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴾ [فصلت: ١١].

قيل: إن ظهور الطاعة منها قام مقام قولها.

[الثاني][1]: أنه تعالى خلق فيهما كلاما نطق بذلك فنطق من الأرض موضع الكعبة ونطق من السماء ما بحيالها، فوضع الله تعالى فيها حرمته، قاله أبو نصر السكسكي.

وفي هذه إشارة لاتصال حرمة البيت المعمور علويا ولاتصال حرمة البيت الحرام سفليا، وأساس البيت الحرام متصلا إلى الأرض السابعة.

قيل: والبيت المعمور في السماء السابعة، وقيل: في سماء الدنيا.

وعن علي رضي الله عنه أنه في السماء السادسة مسجد يقال له الفراح يدخله كل يوم سبعون ألف ملك، لا يعودون إليه أبدا قيل: هؤلاء السبعون ألفا من الملائكة وقيل: من أولاد إبليس حكاه أسفنديار البوشنجي في تفسيره.

---

(١) سقط من الأصل والإضافة من نسخة تركيا.

والبيت المعمور هو الذي كان في الأرض لآدم عليه السلام قال عطاء: وكانوا يرون أن العرش على الحرم.

وقيل: خلق الله تعالى الأشياء من يوم الأحد إلى يوم الخميس، وخلق في يوم الخميس ثلاثة أشياء: السموات والملائكة والجنة إلى ثلاث ساعات بقيت من يوم الجمعة فخلق في الساعة الأولى: الأوقات وفي الثانية: الأرزاق وفي الثالثة: آدم عليه السلام.

قال الثعلبي في كتابيه العرائس والنسب حين ذكر بدء الأرض: إن الله تعالى خلق جوهرة خضراء ثم نظر إليها بالهيبة فصارت ماء فخلق الأرض من زبده والسماء من بخاره فأول ما ظهر على وجه الأرض مكة، ثم دحا الأرض منها طبقا واحدا ثم فتقها بعد ذلك وكذلك السماء لقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا﴾، ثم حمل الأرض على عاتق ملك، والملك واقف على ياقوتة خضراء والياقوتة عل سنام الثور، واسمه: يونان -حكاه الكسائي- والثور على صخرة خضراء وهي المذكورة في سورة لقمان التي ذكرها في آخر حكمته والصخرة [على النون وهو الحوت][1] واسمه لوثيا وقيل: بهموت ولقبه ينموت، والحوت على البحر، والبحر [على الريح والريح][2] على القدرة وهذا الحوت الذي يأكل أهل الجنة كبده، وهو المذكور في سورة [نون والقلم وقيل:][3] المراد به الدواة.

وطالع الدنيا السرطان، وهو برج منقلب وأوتاده [متقلبه وفيه دليل على ما حكاه][4] المجريطي في الرسائل، وهذا بدء الدنيا وسيأتي ذكر انتهائها في [الباب العاشر.

وأول من سكن الأرض بعد الجن][5] آدم عليه السلام وذريته إلى [زمن نوح عليه السلام ثم قسم نوح،][6] الأرض بين أولاده سام وحام ويافث.

عن أبي الجلد: أن الأرض [أربعة وعشرون][7] ألف فرسخ، اثنا عشر ألفا للسودان وثمانية آلاف للروم، وثلاثة [آلاف لفارس وألف][8] للعرب[9].

وقيل: الدنيا درهم خمسة أسداسه للروم، وحام أبو السودان، ويافث أبو الروم والترك [10] [والصقالبة] ويأجوج وسام أبو العرب وقيل: سام أبو العرب وفارس والروم

---

(١) سقط من الأصل، والإضافة من نسخة تركيا. (٢) سقط من الأصل، والإضافة من نسخة تركيا.
(٣) سقط من الأصل، والإضافة من نسخة تركيا. (٤) سقط من الأصل، والإضافة من نسخة تركيا.
(٥) سقط من الأصل، والإضافة من نسخة تركيا. (٦) سقط من الأصل، والإضافة من نسخة تركيا.
(٧) سقط من الأصل، والإضافة من نسخة تركيا. (٨) سقط من الأصل، والإضافة من نسخة تركيا.
(٩) ذكره ابن الجوزي في المنتظم (١/٢٩).
(١٠) الإضافة للضرورة من الطبقات لابن سعد (١/٤٢).

تنسب إلى جدهم روم بن عيص وهم بنو الأصفر وقيل: بنو الأصفر ملوك الروم.

والأصفر اسم لبالوس بن روم أول ملوك الروم وربما سمت العرب الأسود أصفر قال برناش بن باعل: ملك الروم ملوك يقال لهم: بنو صوفر، والإسرائيليون يقولون: إن صوفر هو الأصفر بن يعراء بن عيص بن إسحاق والروم تنكر ذلك وتزعم أن أول من ملك منهم بولس وملك منهم ثلاثون ملكا في مدة ثلاثمائة واثنتين وثمانين سنة، وقيل: الأصفر رجل أسود ملك الروم فولد له ابن في غاية الحسن فنسبت إليه الروم.

وقال وهب بن منبه في كتاب التيجان: إن إسحاق ولد له يعقوب وعيص فيعقوب هو إسرائيل أبو الأسباط وهو بالعربي: صفوة الله، وعيص هو الأصفر، سمي به لأن النيروز كان عندهم عيدا فحلته جدته سارة بالذهب في ذلك اليوم، وأدخلته على إخوته فقيل له: الأصفر لصفرة الذهب وقيل: إنه كان أسمر إلى الصفرة موجود في ذريته إلى اليوم.

وفي زمن يعقوب بعث أيوب بن موسى، وكان صهر يعقوب لأن زوجة يعقوب بنت ليا بنت أيوب عليه السلام، وهي التي ضربها بالضغث، وكان أيوب ممن آمن بالخليل يوم أحرق.

وكانت نبوة يعقوب ومن بعده من ولده مقصورة على أنفسهم حين دعا موسى إلى نبوته بني إسرائيل، وأما العرب، فمن ولد إسماعيل وسموا عربا؛ لأن ولد إسماعيل نشؤوا من عربة وعربة من تهامة فنسبوا إليها.

وقال قتادة: الأرض عشرون ألف فرسخ اثنا عشر ألف عمران والباقي خراب، وقيل: المعمور منها أربعة وعشرون ألف فرسخ، اثنا عشر ألفا للسند والهند، وثمانية آلاف ليأجوج ومأجوج وثلاثة آلاف للروم والعجم، وألف للعرب، ومعمور الأرض وهو جزء من استواء الشمس على وسط كرة الأرض إلى البحر المحيط بالأرض من ناحية المكسوف والشرق والغرب، وهو المسكون الذي قسمه نوح عليه السلام على بنيه فقسم سام: وسط الأرض منها بيت المقدس، والنيل والفرات ودجلة وسيحون وجيجون. وذلك ما بين قيسون إلى شرقي النيل، وما بين منخر الريح الجنوبي إلى منخر الريح الشمالي، ولحام قسمه: النيل وما وراءه إلى منخر الريح الدبور، وليافث: من قاسيون وما وراءه إلى منخر الصبا.

وقيل: إن العجم من وراء البحر مسيرة اثنتي عشر سنة وبلاد الروم مسيرة خمس سنين وبلاد مسك عن يمين الدنيا مسيرة خمس عشر سنة وبلاد يأجوج ومأجوج مسيرة مائة سنة.

وقيل: للأرض ستة أجزاء خمسة منها ليأجوج ومأجوج وجزء للخلق حكاه

القرطبي.

وقال المنجمون: الأرض أربع وعشرون قيراطا العامر منها أربعة قراريط وكسر، وقيل: ما العامل في الخراب إلا كفسطاط في فلاة من الأرض، حكاه ابن الجوزي في ترياق الذنوب وقال في كتابه المدهش أقاليم الأرض سبعة الإقليم الأول: إقليم الهند والثاني: إقليم الحجاز، والثالث: إقليم مصر، والرابع: إقليم بابل، والخامس: إقليم الشام والروم، والسادس: إقليم بلاد الترك والسابع: إقليم بلاد الصين كل إقليم مائة فرسخ، وأوسطها إقليم بابل [وفيه جزيرة العرب][1] وفيه العراق الذي هو سرة الدنيا والحجاز: هو مكة والمدينة واليمن واليمامة ومخاليفها وقراها، وسمي حجازا لأنه حجز بين السراة ونجد وقيل: لأنه حجز بين الشام والبادية، وقيل: لأنه حجز بين نجد والغور.

وقال الأصمعي: لأنه احتجز الحرار الخمس حكاه أبو عبيد القسم بن سلام في مشكل غريب الحديث.

صورة المثال المحجوز على الربع المسكون من عملياتي على ما قسمه الرازي في السر المكتوم وذكر نحوه الحاسبي في أصول الحركات السماوية له أما (...)[2].

واعلم أن عرض المدينة الشريفة خمس وعشرون درجة زائدة عن مكة بأربع درجات إلا أربعين دقيقة، ومعنى العرض هنا الاتساع ليس هو ضد الطول تقول العرب: بلاد عريضة ومنه قوله تعالى: ﴿ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ ﴾ أي سعتها ولم يرد العرض الذي هو ضد الطول.

وأما صفة طول كل مدينة وعرضها: فاعلم أن طول كل مدينة هو بعدها من أول الربع المسكون مما يلي المشرق والمغرب وهو بمقدار ما بين دائرة نصف نهار المدينة وبين دائرة نصف نهار أول الربع المسكون من دور معدل النهار، وأما العرض فهو تباعد المدينة عن دائرة الاستواء وهو ارتفاع القطب عن الأفق، والله أعلم.

الفصل الثاني
ما جاء في أسماء المدينة الشريفة

اعلم أنها قد أتت لها أسماء جليلة في الكتب المتقدمة وعلامات عظيمة بالتشريف [معلمة][3] وقد ضربت على بعض أسمائها ألغازا في كثير [من الآثار][4].

---

(١) سقط من الأصل، والإضافة من نسخة تركيا.

(٢) بياض بالأصل.

(٣) سقط من الأصل، والإضافة من نسخة تركيا.

(٤) سقط من الأصل، والإضافة من نسخة تركيا.

وأما ذكرها في الكتاب العزيز [باسم الأرض][(١)] الغرض على معنى الاستقرار فسماها الله تعالى بأرضه وأضاف ضميرها إلى نفسه، فقال جل وعلا في ملكه: ﴿ أَلَمۡ تَكُنۡ أَرۡضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٗ فَتُهَاجِرُواْ فِيهَا ﴾ [النساء: ٩٧] المراد بالأرض هنا أرض المدينة حكاه ابن الجوزي في كتابه المدهش والمنتخب، ومقاتل في «**الوجوه والنظائر**» والثعلبي في «التفسير والعرائس» فصار اسما من أسمائها المحصورة، ولم يسبق إلى وضعه في التاريخ، وكثرة الأسماء تدل على شرف المسمى.

والأرض في القرآن على سبعة عشر وجها:

الأول: ما ذكرناه.

الثاني: تذكر ويراد بها أردن ﴿ وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ ﴾ [البقرة: ٦٠].

الثالث: تذكر ويراد بها القبر ﴿ لَوۡ تُسَوَّىٰ بِهِمُ ٱلۡأَرۡضُ ﴾ [النساء: ٤٢].

الرابع: تذكر ويراد بها [مكة][(٢)] ﴿ كُنَّا مُسۡتَضۡعَفِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾ [النساء: ٩٧] .

الخامس: أرض الإسلام ﴿ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًا ﴾ [المائدة: ٣٣]

السادس: أرض التيه ﴿ يَتِيهُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾ [المائدة: ٢٦].

السابع: أرض الشام ﴿ مَشَٰرِقَ ٱلۡأَرۡضِ وَمَغَٰرِبَهَا ﴾ [الأعراف: ١٣٧].

الثامن: الأرضون السبع ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾ [الأنعام: ٣٨].

التاسع: أرض المغرب ﴿ مُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾ [الكهف: ٩٤].

العاشر: الجنة ﴿ أَنَّ ٱلۡأَرۡضَ يَرِثُهَا ﴾ [الأنبياء: ١٠٥].

الحادي عشر: مصر ﴿ ٱجۡعَلۡنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلۡأَرۡضِ ﴾ [يوسف: ٥٥].

الثاني عشر: أرض الحجر ﴿ فَذَرُوهَا تَأۡكُلۡ فِيٓ أَرۡضِ ٱللَّهِ ﴾ [الأعراف: ٧٣].

الثالث عشر: القلب ﴿ فَيَمۡكُثُ فِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾ [الرعد: ١٧].

الرابع عشر: أرض الروم ﴿ الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ ﴾ [الروم: ١-٣].

الخامس عشر: أرض بني قريظة ﴿ وَأَوۡرَثَكُمۡ أَرۡضَهُمۡ ﴾ [الأحزاب: ٢٧].

السادس عشر: أرض فارس: ﴿ وَأَرۡضٗا لَّمۡ تَطَـُٔوهَا ﴾ [الأحزاب: ٢٧].

السابع عشر: [أرض][(٣)] القيامة ﴿ وَأَشۡرَقَتِ ٱلۡأَرۡضُ بِنُورِ رَبِّهَا ﴾ [الزمر: ٦٩].

---

(١) سقط من الأصل، والإضافة من نسخة تركيا.

(٢) سقط من الأصل، والإضافة من نسخة تركيا.

(٣) سقط من الأصل، والإضافة من نسخة تركيا.

قال المطري في تاريخه المسمى بالتعريف بما آنست الهجرة من معالم دار الهجرة عن إبراهيم بن أبي يحيى قال: للمدينة في التوراة أحد عشر اسما: المدينة وطيبة وطابة والمسكينة وجابرة والمجبورة والمرحومة والهذراء والمحبة والمحبوبة والقاصمة.

قلت: وقد جمعتها في خمسة أبيات وهي:

لطيبة أحد عشر اسماً بهم تسمى ... وكثرتها تنبي على شرف المسمى

مدينة خير الخلق طابة فاستمع ... وطيبة أيضاً ثم مسكينة أسمى

وجابرة مجبورة ومحبة محبوبة ... هذراء وقاصمة واسما

ومرحومة فانظر إلى سر وصفها ... وكيف أتت تسمى مهذبة الأسما

وذلك في توراة موسى تخصصاً ... لقدر علاها من على صاحب الأسما

وذكر عن ابن زبالة عن عبد العزيز بن محمد عن موسى بن عقبة عن عطاء بن أبي مروان عن كعب قال: نجد في كتاب الله تعالى الذي نزل على موسى عليه الصلاة والسلام أن الله تعالى قال [(١)][للمدينة]: «يا طابة يا طيبة يا مسكينة، لا تقبلي الكنوز أرفع أجاجيرك على أجاجير القرى».

قال عبد العزيز بن محمد: وبلغني أن لها في التوراة أربعين اسما وعن جابر بن سمرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن الله سمى المدينة طابة**»[(٢)] وعن أبي حميد قال: أقبلنا مع النبي ﷺ من تبوك حتى أشرفنا على المدينة فقال: «**هذه طابة**»[(٣)].

وروينا في الصحيحين أن النبي ﷺ قال: «**هي المدينة يثرب**»[(٤)].

تنبيه على سر معاني أسمائها:

قال الشيخ جمال الدين المطري: أنكر العلماء تسميتها يثرب لقوله ﷺ «**يقولون يثرب وهي المدينة**»[(٥)] ولما رواه أحمد في مسنده عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال:

---

(١) سقط من الأصل، والإضافة من نسخة تركيا.

(٢) أخرجه مسلم (٤٩١)، وأحمد (٥/٩٤، ٩٧) عن جابر بن سمرة رضي الله عنه.

(٣) أخرجه البخاري (٣/٥١)، ومسلم (٥٠٣) ٢/١٠١١، وأحمد (٥/٤٢٥) عن أبي حميد الساعدي رضي الله عنه.

(٤) أخرجه البخاري (١٨٧١) كتاب فضائل المدينة باب فضل المدينة، ومسلم (٤٨٨) ٢/١٠٠٦، وأحمد (٢/٢٣٧) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٥) أخرجه مسلم (٤٨٨) ٢/١٠٠٦ عن أبي هريرة رضي الله عنه.

قال رسول الله ﷺ: «من سمى المدينة يثرب فليستغفر الله هي طابة هي طابة»(١) وتسميتها في القرآن يثرب حكاية عن قول من قالها من المنافقين: ﴿ وَٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ ﴾ [الأنفال: ٤٩] وقال عيسى بن دينار: من سمى المدينة يثرب كتبت عليه خطيئة وهو مأخوذ من الثرب وهو الفساد أو التثريب وهو المؤاخذة بالذنب.

وقال ابن الفارس اللغوي: يثرب اسم مأخوذ من التثريب وهو اللوم ويفتح الفعل في عين فاعله قال الله تعالى: ﴿ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ ﴾ [يوسف: ٩٢].

وروى محمد بن السائب عن ابن عباس ﷺ أن يثرب هو: يثرب بن نابتة بن مهلائيل بن رام بن عوص بن [إرم بن سام بن نوح،](٢) وبه سميت المدينة يثرب.

وقال أبو عبيدة معمر بن المثنى: يثرب اسم أرض ومدينة النبي ﷺ في ناحية منها.

قال الشيخ جمال الدين: وهي اليوم معروفة بهذا الاسم وفيها نخيل كثير ملك لأهل المدينة وأوقاف للفقراء وغيرهم، وهي غربي مشهد سيدنا حمزة بن عبد المطلب وشرقي الموضع المعروف بالبركة مصرف عين الأزرق ينزلها الركب الشامي في وروده وصدوره ويسميها الحجاج عيون حمزة وكانت بين منازل بني حارثة بن الحارث بطن ضخم من الأوس، ونقل محمد بن الحسن بن زبالة: أن يثرب كانت في قديم الزمان وقبل نزول الأوس والخزرج أم قرى المدينة، وهي ما بين طرف قناة إلى طرف الجرف وما بين المال الذي يقال له البرني إلى زبالة وبها كان معظم اليهود الغالبين على المدينة بعد العماليق قيل: كان بها ثلاثمائة صائغ من اليهود.

وأما تسميتها بالمدينة، فقال ابن الجوزي في كتابه «مثير العزم الساكن إلى أشرف المساكن»: وأما الاسم العام فهو المدينة وهذا الاسم وإن وقع على كل بلد فقد صار بإطلاقه مختصا بمدينة الرسول ﷺ.

قلت: وقد سماها الله تعالى بالمدينة، فقال عز من قائل: ﴿ مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُواْ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ ﴾ [التوبة: ١٢٠] وقال تعالى: ﴿ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ مَرَدُواْ عَلَى ٱلنِّفَاقِ ﴾ [التوبة: ١٠١] والمدينة على فعيلة والجمع مدن، وقال قطرب: هي من دان؛ أي: أطاع.

وقال ابن فارس: قوم يقولون المدينة من الدين، والدين الطاعة فسميت مدينة لأن فيها طاعة وإليها وقال آخرون: سميت مدينة من دين أهلها أي ملك، ويقال: دان فلان

---

(١) أخرجه أحمد (٢٨٥/٤) عن البراء بن عازب ﷺ.

(٢) سقط من الأصل، والإضافة من نسخة تركيا.

بني فلان أي ملكهم، وفلان في دين فلان أي في طاعته، ويقال: دين فلان أمره أي ملكه، ويقال للأمة مدينة لأنها مملوكة مذللة.

وأما تسميتها بطابة وطيبة فذلك أن رسول الله ﷺ كان يحب الاسم الحسن، فلذلك سماها طيبة وطابة، لما في اسم طيبة من الطيب.

وقال ابن فارس: طيبة وطابة من الطيب وذلك أنها طهرت من الشرك وكل طاهر طيب، ولذلك سمي الاستنجاء الاستطابة وهو من [الطيب يقال طيب جسده مما عليه من الخبث](1) وقيل: طابة بمعنى: طيبة؛ يعني: تنفي الخبث والخبيث. حكاه أبو بكر بن العربي.

وقيل: الطيب الشرف، يقال: بيت طيب أي: شريف، وقيل: معناه نقي من الآفات والمكاره، يقال: عيش طيب إذا كان خاليا عن ذلك، ومنه طوبي. قيل: شجرة في الجنة وقيل: الجنة لأنها جمعت الشرف والتنزه واللذة.

وقال ﷺ لعمار: «مرحبا بالطيب المطيب»(2) يعني: الطاهر، وقيل: الطيب اللذيذ ومنه الأطيبان: الطعام والنكاح، وحقيقة الطيب السلامة، ورائحة الطيب موجود في المدينة.

قال الشيخ جمال الدين: ذكروا أنه يوجد أبدا في رائحة هوائها أو تربتها أو سائر أمورها وقيل: لموافقتها من قول الله تعالى ﴿ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ ﴾ [يونس: ٢٢] وقيل: لطهارتها من الكفر، كما تقدم من قول تعالى: ﴿ وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِ ﴾ [النور: ٢٦] والطيب والطاب لغتان بمعنى واحد يقال: طيب وطاب كما يقال: ديم ودائم قاله أبو عبيد.

قلت: وذلك موجود في هوائها وتربتها، وإنما يتحقق حقيقته الواردون لا أهل البقعة لمجاورتهم إياه، ومن دقة لطافته مع لطف سريان هبوبه لم يدر ما هو فيخصص إنما هو كنفحات الأزهار.

وفي معنى ذلك قلت:

تأمـــل تجـــد طيـــباً يفوق على الندى	بـــأرض بهـــا المـــولى محمـــد المهدى
فكالمـــسك يـــبدو في ارتـــياح نسيمها	إذا هـــب أو كالزهـــر والورد في الرند

وقال بعضهم: في أثناء مديحه يأتي ذكرها في الباب التاسع إن شاء الله تعالى:

---

(١) سقط من الأصل والإضافة من نسخة تركيا.

(٢) أخرجه الترمذي (٣٧٩٨)، وابن ماجه (١٤٦) والحاكم في المستدرك (٣/٣٨٨) عن علي ﷺ.

لا تحسب المسك الذكي كتربها ... هيهات أين المسك من رباها
طابت فإن تبغ التطيب يا فتى ... فأدم على الساعات لثم ثراها
وأبشر ففي الخبر الصحيح مقررا ... إن الإله بطابة سماها
واختصها بالطيبين لطيبها ... واختارها ودعا إلى سكناها

وأما تسميتها بالمسكينة: فإشارة إلى جبرها بهجرة النبي ﷺ إليها ووفاته بها ومنه تسميتها بالمجبورة والمرحومة.

وأما تسميتها بجابرة: فلجبرها قلوب عباد الله تعالى بإظهار بركتها عليهم وتضاعف الأجور بها.

وأما تسميتها بالمحبة: فإشارة إلى تأليف قلوب ساكنيها بها وإيناس جبلتهم فيها.

[وأما تسميتها بالمحبوبة: فلأنه قل من سكنها أو ورد إليها وأراد النقلة منها إلا شق عليه ذلك.

وأما تسميتها بالهذراء: فإشارة إلى تفرد ذاتها.][1]

وأما تسميتها بالقاصمة: فلقصمها عظام الجبابرة وكما ورد فيمن أرادها بسوء والقصم ضد الفصم لأن الانفصام ضد الشيء من غير كسر ومنه قوله تعالى: ﴿ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ﴾ [البقرة: ٢٥٦] والقصم قطع الشيء وكسره.

قال الشيخ أبو عبد الله محمد بن أبي أحمد بن مسدي المهبلي: وقد اعتنيت بجمع أسمائها، فحصلت منها على عشرين اسما وهي: مدينة النبي ﷺ والمدينة ودار الهجرة ودار الإيمان، والدار بالألف واللام وقبة الإسلام والهذراء والمجبورة والمسكينة، والمحبة، والمحبوبة، والمرحومة، والقاصمة والمعصومة ويندد، والقاصمة وهي طابة طيبة على لسان النبي ﷺ ويثرب كان اسمها في الجاهلية.

وأرض الله هو الاسم الحادي والعشرون الذي استخرجته والبلد الاسم الثاني والعشرون على خلاف فيه قال الله تعالى: ﴿ لَآ أُقۡسِمُ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ﴾ [البلد: ١] [قال مكي: يعني مكة، وقال الواسطي: أي نحلف لك بهذا البلد][2] الذي شرفته بمكانك فيه حيا وببركتك ميتا؛ يعني: المدينة، والأول أصح لأن السورة مكية وما بعده يصححه.

قال ابن مسدي: ومن أغرب ما سمعت أن أسماءها إذا كتبت في ورقة أو قطعة أديم،

---

(١) سقط من الأصل، والإضافة من نسخة تركيا.

(٢) سقط من الأصل، والإضافة من نسخة تركيا.

ثم علقت في عنق المحموم، أقلعت عنه الحمى، ولهذا أصل من بركة النبي ﷺ ودعائه لها بالبركة وإجلاء الحمى عنها إلى الجحفة.

قلت: وقد وضعت لأسمائها وفقا يليق بها أعني لأسمائها الإحدى والعشرين بعد حساب جملتها بالجمل الكبير فكانت سبعة آلاف وثلاثمائة وخمسة أعداد فركبتها في تركيب عددي معشر مستوى الأضلاع معتدل الست الجهات على النظام الطبيعي وهذا مثاله:

١٨١	٧٧٩	٦٨٥	٧٧٨	٦٨٦	٧٧٤	٦٨٩	٧٠٣	٧٧٥	٦٩٥
٧٧٧	٧٥٥	٧٦٥	٧٥٣		٧٥٤	٧٦		٧٥٧	٦٨٤
٦٩١	٧٦٢	٧١٣	٧٤٧	٧١٧	٧٤٦	٧٤٢	٧١٨	٦٩٩	٧٦٩
٧٦١	٧٥٨		٧٢٣	٧٣٧	٧٣٦	٧٢٦	٧١٦		٦٩٤
٦٩٣		٧٢٥	٧٣٤	٧٢٨	٧٢٩	٧٣١	٧٤	٧١٥	٤٦٨
٧٦٦	٧٥٩	٧٤٥	٧٣٥	٧٣٢	٧٣٣	٧٢٧	٧٢١		
٦٩٦	٧٤٩	٧٢٢	٧٣٨	٧٢٨	٧٢٤	٧٣٨	٧٣	٧١٢	٧٦
٧٦٤	٧١١	٧٤٣	٧١٤	٧٤٤	٧١٨	٧١٩	٧٤٨	٧٨٥	٦٩٧
٦٨٩	٧٨٤	٧٥١	٧٨٧	٧٥٢	٧٨٧	٧٥٨	٧٥٦	٤٦١	٧٦٣
٧٧١	٦٨٦	٧٧٦	٦٨٣	٧٧٥	٦٨٧	٧٧٢	٦٨٨	٦٩١	٧٨٥

جرب للحمى فنفع ولغيرها من الأمراض، فنفع نفعا تامًا.

الفصل الثالث
في ذكر أول ما نزل المدينة الشريفة

قال أهل السير: أول من نزل المدينة بعد الطوفان قوم يقال لهم: صعل، وفالج، فغزاهم داود عليه السلام، فأخذ منهم مائة ألف عذراء، ثم سلط الله تعالى عليهم الدود في أعناقهم فهلكوا فقبورهم هذه التي في السهل والجبل.

داود عليه السلام هو: من ولد يهوذا، بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام بينه وبين يهوذا عشرة آباء، عاش مائة سنة، وقيل: مائة وأربعون وقيل: سبعون، وكان يدعو إلى شريعة موسى عليه السلام، لأن الزبور لم يكن فيه أحكام، وكان خمسون ومائة سورة، في خمسين منها: ذكر ما يلقون من بخت نصر وأهل بابل، وفي خمسين: ذكر ما يلقون من أهل يرون وخمسين: مواعظ وحكم، وكان يقرؤوه بسبعين لحنا.

وكل كتاب يكتب يكون غليظ الكتابة يقال له: زبور وقيل: الزبور كل كتاب يصعب [الوقوف عليه من الكتب الإلهية وقيل: الزبور الكتاب المقصور على الحكمة

العقلية دون الأحكام الشرعية ونزل عليه الزبور بالعبرانية][1] وكانت مدة ملكه أربعين [2] سنة كان يبيع الدرع بأربعة آلاف وهو أول من عمل الدروع قال الله تعالى: ﴿ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ ﴾ [سبأ: ١٠] ابتدأ في عمارة بيت المقدس الأولى لإحدى عشرة سنة مضت من ملكه، وفي الثالث والعشرون من حزيران خر داود عليه السلام حكاه عبد الملك بن حبيب.

قال أهل السير: وكانت سكنى العماليق غزة وعسقلان وساحل بحر الروم وما بين مصر وفلسطين، ثم سكنوا مكة والمدينة والحجاز كله وعتوا عتوا كبيرا فبعث إليهم موسى عليه السلام جندا من بني إسرائيل فقتلوهم.

عن زيد بن أسلم قال: بلغني أن ضبعا رؤيت هي وأولادها رابضة في حجاج عين رجل من العماليق، قال: ولقد كان يمضي في ذلك الزمان أربعمائة سنة وما يسمع بجنازة، وكان جالوت من العماليق والضبع الأنثى خاصة والضبعان الذكر منها، وكان عوج وأمه عناق من العماليق الذين كانوا بأريحا.

عن ابن عمر رضي الله عنه قال: كان طول عوج ثلاثة وعشرون ألف ذراع وثلاثمائة وثلاثين ذراعا وثلث بذراع الملك، وعاش ثلاثة آلاف سنة، أمه إحدى بنات آدم عليه السلام لصلبه، وهي أول من بغى على وجه الأرض فهلكت، كان كل أصبع من أصابعها ثلاثة أذرع في ذراعين، ولدت حواء على أثرها قابي ثم هابيل.

قال ابن قتيبة في «تأويل مختلف الحديث»: ومن العجب أن عوجا كان في زمن موسى عليه السلام، وله هذا الطول العجيب، وفرعون في زمنه وهو ضده في القصر على ما ذكره الحسن قال: ما كان من طول فرعون إلا ذراعا، وكانت لحيته ذراعا، وقيل: كان طوله ذراعان.

والفراعنة أربعة الأول: سنان الأشل بن علوان بن عبيد بن عويج بن عملاق بن لاوذ بن سام بن نوح عليه السلام، وهو فرعون الخليل عليه السلام فرعون مصر الأول وقيل: فرعون الخليل عمرو بن بابليون حكاه وهب.

الثاني: الريان بن الوليد فرعون يوسف عليه السلام، فرعون مصر الثاني.

الثالث: الوليد بن مصعب بن الريان، فرعون موسى عليه السلام.

فرعون مصر الثالث، مات غريقا في بحر القلزم يوم عاشوراء.

---

(١) سقط من الأصل والزيادة من نسخة تركيا.

(٢) في الأصل (أبعون) والصواب ما أثبتناه.

الرابع: أبو جهل فرعون النبي ﷺ فرعون هذه الأمة، وأبو جهل، لقب به لكثرة جهله، وإنما هو عمرو بن هشام.

وفرعون اسم أعجمي فهو لا ينصرف وهو معرفة [وقال المسعودي في كتاب «مروج الذهب»: ملك مصر اثنان وثلاثون فرعونا فيكون كل من ملكها سمي فرعون.][(١)]

وعن عبد الواحد بن نافع قال: ولأني خالد بن عبد الله القسري حفر المبارك فجاءني العمال بضرس فوزنته فإذا فيه تسعة أرطال.

وقال العائشي: أول الفراعنة: سنان بن علوان يكنى أبا مالك وهو الأشل الذي شلت يده حين مدها إلى سارة، فوهب لها هاجر بنت ثويب أم إسماعيل.

والثاني: فرعون يوسف عليه السلام، الريان بن الوليد بن ثروان بن راشد بن قاران بن عمرو بن عملاق وهو خير الفراعنة يقال: إنه أسلم على يد يوسف عليه السلام.

الثالث: فرعون موسى عليه السلام وهو أخبث الفراعنة الوليد بن مصعب بن معاوية بن قاران بن عمرو بن عمليق.

الرابع: توفيل قتله بخت نصر حين غزا مصر.

الخامس: أليس بن استاذان كان طوله ألفي ذراع وكان قحيران حسرا نيل مصر، دهرا طويلا، وكان لفرعون من فسطاط مصر إلى أرض الحبشة جبال فيها معادن الذهب والفضة والزبرجد والياقوت، طمس الله عليها فصارت حجارة لقول موسى: ﴿ رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ ﴾ [يونس: ٨٨] الآية.

اتبع فرعون موسى عليه السلام في ألفي ألف وستمائة ألف وكان بنو إسرائيل ستمائة ألف وعشرون ألفا، وقيل: كان على مقدمة فرعون هامان في ألف ألف وسبعمائة ألف، وقوم فرعون ألف ألف وخمسمائة ألف ملك مسود مع كل ملك ألف، وفرعون أول من خضب بالسواد.

ومن المتناسب ذكر الأوائل:

أول من طبخ الآجر: هامان، أول شجرة في الأرض: العوسجة، أول شجرة أكل منها آدم عليه السلام بعد هبوطه: النبق، أول ما خلق من آدم: رأسه، أول الأيام: الأحد، أول من قاس إبليس فقال: ﴿ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴾ [ص: ٧٦]، أول من

---

(١) سقط من الأصل، والزيادة من نسخة تركيا.

تجبر: نمروذ، أول من اكتحل بالإثمد: اليمامة بنت زرقا، أول من غير دين إسماعيل: عمرو بن لحي، أول ما رؤيت الحصباء والجدري: بأرض العرب عام الفيل، أول ما رؤي بأرض العرب من الشجر: الحرمل، والحنظل، والعشرق.

أول من استعمل النورة والصابون: سليمان، أول من سمي يحيى: يحيى بن زكريا، أول ما اتخذ آدم من الحديد: السندان والكلبتين، أول صلاة: صلى آدم صلاة الظهر وكذلك نبينا ﷺ، أول من صلى العصر: يونس بن متى، أول من صلى المغرب: عيسى، أول من صلى العشاء الأخيرة: موسى، أول بقلة زرعها آدم: الهندباء، أول شجرة زرعها آدم: الحناء، أول من أسقطت: حواء، أسقطت توأمين ذكرا وأنثى في الشهر الثامن، ثم أسقطت توأمين آخرين.

أول من خط بالقلم: إدريس، وقيل: أنوش، أول من لبس الخاتم: آدم، أول من قال: ﴿ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾ [البقرة: ١٥٦]: شيث، أول من تقلد بالسيف: شيث، أول حرب بين بني آدم: قتال شيث مع قابيل حتى أخذه أسيرا، أول أسير على وجه الأرض: قابيل.

أول من شرب الخمر: درميل بن عويد بن لامك بن حنح بن قابيل، وهو الملك الذي كان على الزمان لامك بن نوح عليه السلام وهو أول من اتخذ القمار وهو أول من قعد على الأسرة، وهو أول من أمر بصنعة الحديد والنحاس والرصاص، وهو أول من اتخذ الثياب المنسوجة بالذهب، وكان يعبد الأصنام، وهو من قوم إدريس عليه السلام، وكان لهم ألف وسبعمائة صنم، أول امرأة آمنت بنوح: امرأة يقال لها: عمذرة أم سام وحام ويافث، وثلاث بنات: خصومة وسورة ومحبورة ثم آمنت به. امرأة يقال لها: ولعث ابنة سحرابيل وهي أم كنعان الذي قال: ﴿ سَـَٔاوِىٓ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِى مِنَ ٱلْمَآءِ ﴾ [هود: ٤٣]. أول أمة تدخل النار: قوم نوح، أول أولاد عاد: شداد، أول نسوة ركبن بعضهن على بعض: نساء أصحاب الرس والرس: البئر أول من بنى قواعد مدينة أصحاب الرس، أول من مات من ركاب السفينة: الهدهد، أول ملوك الروم: بالوس.

أول حرف كتبه القلم: حرف الراء، أول حرف في صحيفة آدم: ب، وكذلك في صحيفة نوح، وكذلك أول الوحي، أول مخلوق في الحروف: الألف أول أفلاك فلك العقل، أول الأعداد: اثنان، أول الأشكال: المثلث، أول من استخرج علم الموسيقى: فيثاغورث، أول منازل الآخرة: القبر، أول من حفر: الغراب، أول من دفن: هابيل، وهو أول شهيد على وجه الأرض، أول أعجمي متوج: نمروذ بن ماشي، أول من عمل الحديد: الهالك بن عمرو بن أسد بن خزيمة، أول أموال عبد المطلب: كسبهم من أهل

الفيل، أول جبل وضع في الأرض: أبو قبيس بمكة، أول ما وضع في الأرض للناس: الحجر الأسود، أول الأنبياء: آدم، أول الرسل: نوح أول من سن القتل: قابيل أول أولاد آدم: قابيل وتوأمته إقليميا وآخرهم أبو المغيث وتوأمته أم المغيث، أول من غزل: حواء، أول من نسج الصوف: آدم.

أول من توضأ: آدم، أول ما خلق الله: القلم، أول من صلى الفجر: آدم ثم شيث ثم أنوش ثم نوح، أول من غرس النخل: أنوش، أول ما عبدت الأصنام: في زمن أنوش، أول من عبد النار: قابيل، أول من زنا: عناق، أول ما يخلق من الإنسان عجب الذنب ويقال: عجم بالميم، أول ما يهلك من الأمم: الجراد، أول ما بعث الله تعالى الأنبياء: في الجان، وهم أول من قتل نبيه، أول كلمة تكلم بها آدم: الحمد لله، أول من علم بهبوط آدم: النسر، أول قرية بنيت: مكة، بناها آدم، أول من أقر بالتوحيد يوم أخذ الميثاق: محمد ﷺ، أول من خرج من أهل الشمال في المسحة الثانية: قابيل وذريته، أول مسجد: المسجد الحرام، أول من اقتنى المال: تولين بن لمك بن متوشلج، أول من بنى الكعبة: الملائكة، أول من نصب أنصاب الحرم: إبراهيم، أول من سن الرحلتين: هاشم بن عبد مناف، أول من كسا البيت الحرام: أسعد الحميري تبع، أول من صنع المنجنيق، إبليس في زمن إبراهيم، أول أنبياء بني إسرائيل: موسى وآخرهم عيسى وبينهما مائة ألف نبي حكاه الماوردي.

أول من صنع الفلك: نوح، أول من عمل الدروع: داود، أول عربية كست البيت الحرير والديباج: نتيلة بنت جناب أم العباس بن عبد المطلب، أول ما وضعت البحار: من زمن الطوفان، أول من قص شاربه واستحد واختتن وقلم أظفاره واستاك وتمضمض واستنشق واستنجى وأضاف الضيف وثرد الثريد: إبراهيم، أول يوم انتصف فيه العرب من العجم: يوم ذي قار، أول من خبز الرقاق: نمروذ بن كنعان، أول من كتب في القرطاس: الحجاج بن يوسف، أول من عمل السويق: ذو القرنين، أول من عمل القراطيس: يوسف بن يعقوب، أول من لبس الخفاف: الحجاج.

أول من لبس الخز وقود الطرازي: عبد الله بن عامر، أول من تكلم بالعربية بعد إبراهيم: يعرب بن قحطان بن الهميسع، أول من خد الأخدود: يوسف ذو نواس، أول من كتب من العرب بالعربية: حرب بن أمية بن عبد شمس، أول ما أوتي داود: فصل الخطاب وهي كلمة: أما بعد، أول من تهود: خفادة بن الأصم، وأربعين رجلا من بني عمه، أول من اغترس الأموال وابتنى الآطام بالمدينة: اليهود، أول من أرق الشعر: مهلهل، أول من سبى دخل المدينة من العراق: يسار جد ابن إسحاق، أول من صلى جماعة بمكة يوم

الفتح: هلب والد قبيصة، أول من مات من النقباء من الأوس: البراء بن معرور، وهو أول من تكلم ليلة العقبة، أول حجة حجها بنو العباس: سنة اثنتين وثلاثين ومائة، أول من بنى مذهبه على الظاهر: داود الظاهري، أول من اتخذ الخدم والقباب من الفضة والأبنوس والصندل: زبيدة وهي أول من اتخذ الخفاف المرصعة بالجوهر، أول من رمى بسهم في سبيل الله: سعد بن أبي وقاص، أول من ضرب الدنانير والدراهم في الإسلام: عبد الملك بن مروان أول من سمي في الإسلام محمد: محمد بن حاطب الجمحي، أول من اشتغل بأحكام النجوم من الملوك في الإسلام: المأمون، أول شهيدة في الإسلام: سمية أم عمار، أول ما رأت العرب خبز الحوار: حين افتتحت المدائن، أول ما اتهم بعمل قوم لوط: في زمن عمر بن الخطاب، أول من جلس في الخطبة يوم الجمعة: معاوية، أول من صنف في الذكر والخلاف: أبو علي الحسن بن القاسم الطبري صاحب المحرر في الخلاف كان مدرس بغداد ومفتيها، أول من صلى ركعتين قبل القتل: خبيب بن عدي[(١)]، أول من أسس العربية: ظالم بن عمرو، أول من دعي قاضي القضاة يعقوب بن إبراهيم أبو يوسف القاضي[(٢)]، أول من جاهد ووضع الأوزان، ولبس الثياب وكتب: إدريس، أول من صَلب في الإسلام: عمر بن الخطاب وهو أول من سمي أمير المؤمنين، أول من أحدث السردقات والمحراب: عمر بن عبد العزيز، أول من رأى المشيب: إبراهيم، أول من بنى المدارس نظام الملك، أول مدفون بالبقيع: أسعد بن زرارة، وقيل: عثمان بن مظعون، أول من كتب الوحي بالمدينة: أبي بن كعب، وهو أول من كتب في آخر الكتاب: و«كتب فلان»، أول من ولد من الأنصار بالمدينة: النعمان بن بشير، أول من تسمى أحمد بعد النبي ﷺ: أبو الخليل أحمد، أول من أنشأ العروض: الخليل بن أحمد، أول مولود ولد في الهجرة عبد الله بن الزبير، أول من بايع بيعة الرضوان: أبو السنان بن الحارث، أول لواء عقد في الإسلام: لواء عبد الله بن جحش.

أول من وضع العشور: عمر بن الخطاب، وهو أول من أرخ التاريخ، أول مغنم قسم في الإسلام: مغنم عبد الله بن جحش، أول من رد شهادة العبيد: عمر بن الخطاب، أول من أخرج المنبر إلى الجبانة وأذن في العيدين: مروان بن الحكم، أول من نقص التكبير في الصلاة: معاوية، أول من جعل النعش على سرير المرأة: أسماء بنت عميس، أول من

---

(١) وذلك عندما أسر يوم الرجيع وقتل بمكة ﷺ انظر الاستيعاب (٢/ ٤٤٠).

(٢) في الأصل يحيى بن أيوب المقابري وهو خطأ والمثبت من نسخة تركيا، وانظر أخبار القضاة لوكيع (٢/٢٥٤- ٢٦٤).

وضع العودين على المنبر: عبيد الله بن زياد، أول من حفظ آية من كتاب الله عز وجل: عبد الله بن مسعود، أول من بنى المقصورة بالبصرة: زياد وهو أول من جعل الأذانين يوم الجمعة، وهو أول من جلس الناس بين يديه على الكراسي، وهو أول من رقع الثياب، أول قتيل في الإسلام: الحارث بن أبي هالة، أول من وضع النحو من الكوفيين: أبو جعفر الرؤاسي، أول من ضرب الدراهم المدورة: عبد الله بن الزبير، أول من جمع المغازي والسير وألفها محمد بن إسحاق أول من خوطب في الإسلام بشاه شاه: عضد الدولة ابن بويه بن تمام، أول من عرقب فرسا في سبيل الله: جعفر بن أبي طالب، أول من لبس الطيلسان في الإسلام بالمدينة: جبير بن مطعم، انتهى ذلك.

الفصل الرابع
في ذكر سكنى اليهود الحجاز بعد العماليق

اعلم: أن موسى عليه السلام لما هلك فرعون وطئ الشام وأهلك من بها، وبعث بعثا من اليهود إلى الحجاز، وأمرهم أن لا يستبقوا من العماليق أحدا بلغ الحلم، فقدموا فقتلوهم وقتلوا ملكهم وكان يقال له: الأرقم وأسروا ابنا له شابا، وقدموا به، فقبض موسى عليه السلام قبل قدومهم فتلقتهم بنو إسرائيل فوجدوا الغلام معهم، فقالوا لهم: إن هذا لمعصية منكم لما خالفتم من أمر نبيكم وحالوا بينهم وبين الشام فرجعوا فسكنوا الحجاز وكان إذ ذاك أشجر بلاد الله وأطهره وأكثره ماء وكانوا جميعهم بزهرة بين الحرة والسافلة مما يلي القف، وكانت لهم الأموال بالسافلة ونزل جمهورهم بيثرب بمجتمع السيول: سيل بطحان وسيل العقيق وسيل قناة مما يلي زغابة.

وخرجت قريظة وإخوتهم بنو هدل، وهدل هو عمرو بن الخزرج بن الصريح بن القوم بن السبيط بن أليسع بن سعد بن لاوي [بن جسر بن النحام][1] بن ينحوم بن عاذر بن عزار بن هارون بن عمران أخو موسى عليهما السلام.

والنضير هو ابن النحام بن الخزرج بن الصريح، وقيل: قريظة والنضير أخوان وهما ابنا الخزرج بن الصريح بن القومان بن السبط بن سعد بن لاوي بن جسر بن النحام بن يعقوب فخرجوا بعد هؤلاء فتتبعوا آثارهم فنزلوا بالعالية على واديين يقال لهما: مذينب ومهزوز وبنو النضير على مذينب وبنو قريظة وهدل على مهزوز وكانوا أول من احتفر بها الأبيار، واغترس الأموال وابتنى الآطام والمنازل فكان جميع ما ابتنى اليهود بالمدينة من الآطام تسعا وخمسين أطما.

---

(١) سقط من الأصل، والزيادة من نسخة تركيا.

الآطام: الحصون واحدها: أطم قال أبو سليمان الخطابي: هو بناء من الحجارة ومثله الآجام والصياصي.

الفصل الخامس
في ذكر نزول أحياء من العرب على يهود

وذلك أن قرى وأسواق كانوا من يهود بني إسرائيل وكان قد نزلها عليهم أحياء من العرب وابتنوا معهم الآطام والمنازل قبل نزول الأوس والخزرج وهم: بنو أنيف حي من بلي ويقال: إنهم من بقية العماليق، وبنو مرثد حي من بلي وبنو معاوية بن الحارث بن بهثة وبنو الجذماء حي من اليمن وكان جميع ما ابتنى العرب من الآطام بالمدينة ثلاثة عشر أطما.

الفصل السادس
في ذكر نزول الأوس والخزرج المدينة

اعلم أن اليهود لم تزل الغالبة على المدينة حتى جاء سيل العرم، وذلك أن أهل مأرب وهي أرض سبأ وسبأ اسم أرض، وقيل: رجل حكاه العزيزي وقيل: القبيلة من أولاد سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان، وقيل: بل هو رجل له عشرة أولاد باليمن منهم ستة وبالشام أربعة، فاليمانيون: مذحج وكندة والأزد والأشعريون وأنمار، وحمير وأما الشاميون: فلخم وجذام وعاملة وغسان.

ثم إن أهل مأرب كان من كثرة أمنهم تخرج المرأة من منزلها لا تتزود شيئا تبيت في قرية وتقيل في أخرى إلى الشام، ولم يكن في أرضها حية ولا عقرب، ولا ما يؤذي فبعث الله إليهم ثلاثة عشر نبيا فكذبوهم وقالوا: ﴿ رَبَّنَا بَـٰعِدۡ بَيۡنَ أَسۡفَارِنَا ﴾ [سبأ: ١٩] فأرسل الله عليهم سيل العرم.

والعرم: السيل الشديد الذي لا يطاق، وقيل: العرم اسم الوادي وقيل: اسم المياه، حكاه ابن الجوزي في «الترياق».

وذلك أن الله بعث عليهم جرذا يسمى: الخلد والخلد الفأر الأعمى فنقب السد من أسفله، فغرق أرضهم وخربها وقيل: أرسل عليهم ماء أحمر فخرب السد، وتمزق من سلم منهم في البلاد، وكان السد فرسخا في فرسخ بناه لقمان الأكبر العادي للدهر على زعمه، وكان يجتمع إليه مياه اليمن من مسيرة شهر، وكانت طريفة بنت ربيعة الكاهنة عند تخريب السد رأت رؤيا، فحدثت زوجها ثعلبة بن امرؤ القيس بن ثعلبة وخرجوا حتى دخلوا العرم لينظروا ما قد حدث، فإذا بجرذ يحفر في أصله ويقلب بيديه ورجليه الصخرة ما يقلبها خمسون رجلا فكتموا أمرهم ورجعوا وقال زوجها لابن أخيه وداعة بن عمرو:

إني سأشتمك في المجلس فقم فالطمني ففعل ذلك، فقال عمرو: والله لا أسكن بلدا لطمت فيها فلما أراد الظعن قالت طريفة: من كان يريد خمرا وخميرا وشعيرا وذهبا وحريرا فلينزل بصرى وسديرا ومن أراد الراسيات في الرحل المطعمات في المحل، فليلحق يثرب ذات النحل، ومن كان ذا جمل فرس، وهو راض مدن فليلحق بأرض شن فلحقت فرقة منهم بالشام وهم: غسان ولحق عمران بن عامر وهم الأزد بأرض عمان وبها يومئذ شن، ولحقت خزاعة بتهامة ولحقت بنو عمرو بن ثعلبة بن عمرو بن عامر يثرب وهي المدينة، وكان ممن بقي من اليهود حين نزلت عليهم الأوس والخزرج: بنو قريظة وبنو النضير ومحمم وزعوراء، وماسكة والقمعة وزيد اللات وهم رهط عبد الله بن سلام وقينقاع وثعلبة وأهل زهرة وأهل زبالة وأهل يثرب وبنو القضيض، وناغصة وعكوة ومرائة، فوجدت الأوس والخزرج الآطام والأموال والقوة لليهود، فعاهدوهم زمانا فصار لهم مالا وعدد فخافت منهم قريظة والنضير، وكان بينهم حلفا فقطعوه اليهود، فخافت الأوس والخزرج، ولم يزالوا كذلك، حتى نجم مالك بن العجلان أخو بني سالم بن عوف بن الخزرج.

الفصل السابع

في قتل اليهود واستيلاء الأوس والخزرج على المدينة

قالوا: ولما نجم مالك بن العجلان سودة الحيان عليهما فبعث هو وجماعة قومه إلى من وقع بالشام من قومهم يخبرونهم حالهم ويشكون إليهم غلبة اليهود، وكان رسولهم الرِمْق بن زيد، فقدم على ملك من ملوك غسان الذين ساروا من يثرب يقال له: أبو جبيلة فشكى إليهم حالهم فقدم أبو جبيلة لنصرة الأوس والخزرج فلما قدم المدينة وهي يومئذ يثرب صنع طعاما وأرس إلى رؤساء اليهود، وكان قد بنى جسرًا وجعل فيه قوما وأمرهم بقتل من دخل عليهم حتى أتى على وجوههم ورؤسائهم فاتخذ الأوس والخزرج الديار والأموال والآطام، وكان ما ابتنوا من الآطام مائة وسبعا وعشرين أطما ثم دخلت بين الأوس والخزرج حروب عظيمة إلى أن بعث الله تعالى رسوله ﷺ فأكرمهم باتباعه.

الأوس والخزرج: حيان ينتسبان إلى قحطان، لأن قحطان افترقت سبع وعشرون قبيلة منهم الأوس والخزرج وهما الأنصار.

والأنصار: جمع نصير مثل شريف وأشراف وسموا أنصارا حين آووا رسول الله ﷺ ونصروه.

قال ابن إسحاق: الأنصار هم أولاد حارثة بن ثعلبة، وهو: العنقاء بن عمرو وسمي عنقاء لطول عنقه ابن عامر هو: مزيقاء وأبوه عامر وهو المعروف بماء السماء وهو

عامر بن الغطريف وهو اسمه حارثة والأوس][1] والخزرج هما ابنا حارثة هذا، وقيلة هي أم الأوس والخزرج [وهي قيلة بنت كاهل من بني عِذرة من قضاعة.

وعنه ﷺ **«أسلمت الملائكة طوعا والأوس والخزرج طوعا وجميع العرب كرها»**[2]

قيل: كل الأوس والخزرج غسانيين إلا قبائل قليلة في الشام وقال أبو عمرو: الأنصار كلهم من الأوس والخزرج وقيل: هم من بني عمرو بن عامر بن الأزد والأزد جرثومة من جرائيم قحطان والجرائيم كل شيء مجتمع واحدتها جرثومة، وجاء في الحديث «الأزد أسد الله»[3] أراد بهم جنده يعني أزد شنوءة وأزد عمان وفيهم تقول العرب:

وكنت كذي رجلين رجل صحيحة ... ورجل بها ريب من الحدثان

فأما التي صحت فأزد شنوءة ... وأما التي شلت فأزد عمان

وأزد شنوءة من أولاد الأزد واسمه أعني: الأزد ذرا بن الغوث بن نبت بن مالك بن أد بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان وإليه تنسب الأنصار ويقال فيه: الأسد بالسين وأزد الحجرة شنوءة والحجر من أولاد الأزد من العرب، واسم شنوءة الحارث وقيل: عبد الله بن مالك بن النضير بن الأزد، والحجر هو: حجر بن عمران بن عمرو بن عامر بن ماء السماء بن حارثة بن امرئ القيس بن ثعلبة بن مازن بن الأزد.

فائدة:

في قوله تعالى: ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ﴾ [التوبة: ١٠٠] قيل لأنس بن مالك: أرأيت قول الله تعالى لكم: الأنصار اسم سماكم الله به أم كنتم تدعون به في الجاهلية؟ قال: بل اسم سمانا الله به في القرآن.

والسابقون الأولون: هم الذين صلوا إلى القبلتين في قول سعيد بن المسيب وطائفة.

وفي قول أصحاب الشافعي: هم الذين شهدوا بيعة الرضوان يعني بيعة الحديبية قاله الشعبي.

وعن محمد بن كعب، وعطاء بن يسار: هم أهل بدر، واتفقوا على أن من هاجر

---

(١) سقط من الأصل، والزيادة من نسخة تركيا.

(٢) ذكره الهيثمي في المجمع (١٠/٣١)، وعزاه للطبراني عن شيخه علي بن سعيد، وفيه لين، وبقية رجاله ثقات.

(٣) أخرجه الترمذي (٣٩٣٧) عن أنس ﷺ.

قبل تحويل القبلة فهو من الأولين.

وأما أفضلهم فقال منصور البغدادي التميمي: أصحابنا مجمعون على من أفضلهم الخلفاء الأربعة، ثم الستة الباقون تمام العشرة، ثم البدريون، ثم أصحاب أحد، ثم أهل بيعة الرضوان، وسموا المهاجرين مهاجرين لأنهم هجروا بلادهم أي تركوها وصاروا إلى رسول الله ﷺ.

واعلم أن الخزرجيين، والأوسيين، والنجاريين، والحارثيين، والساعدين والسلميين كلهم أنصاريون فهؤلاء شعب من قبيلة.

قال ابن الكلبي: الشعوب أكبر من القبائل واحدها شعب بفتح الشين، ثم القبائل، ثم العمائر، واحدها عمارة بفتح العين ثم البطون ثم الأفخاذ ثم الفصائل ثم العشائر.

وقيل: العشائر قبل الفصائل، وقيل: الشعوب الجماهير والجراثيم التي تفرقت منها العرب، ثم تفرقت القبائل من الشعوب، ثم تفرقت العمائر من القبائل، ثم البطون من العمائر، ثم الأفخاذ من البطون، ثم الفصائل من الأفخاذ وليس دون الفصائل شيء.

قيل: الشعوب للعجم والقبائل للعرب، قال الله تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ ﴾ [الحجرات: ١٣] والقبائل في بني إسماعيل، والأسباط في بني إسحاق حكاه القرطبي.

وقال أبو عبيدة: العشيرة رهط الرجل، والفصيلة أهل بيت الرجل.

وعن محمد بن السائب: إنما سميت العرب شعوبا لأنهم قيل لهم ذلك حين تفرقوا من ولد إسماعيل، ومن ولد قحطان ثم القبائل حين تقابلوا ونظر بعضهم إلى بعض في حلة واحدة، ثم العمائر حين سكنوا الأرض وعمروها، ثم البطون حين استبطنوا الأودية وبنوا بها البيوت الشعر، ثم الأفخاذ والفخذ أصغر من البطن، ثم الفصائل وهم الأحياء، ثم العشائر حين انضم كل بني أب إلى أبيهم دون عمهم، وليس بعد العشيرة شيء ينسب إليه.

والشعب مثل: ربيعة ومضر وإياد وأنمار وحمير والقبائل مثل كنانة وأسد وهذيل وتميم وضبة والرباب ومزينة والبطون مثل فهر بن مالك قريش وبني بكر بن عبد مناة بن كنانة، وبني الحارث بن عبد مناة وبني عامر بن عبد مناة، وبني مدلج بن مرة بن عبد مناة كلهم من كنانة، والأفخاذ مثل: لؤي بن غالب وتميم الأدرم بن غالب ومحارب والحارث ابنا فهر، والفصائل مثل: قصي بن كلاب وزهرة بن كلاب، وبني مخزوم وبني تميم وجمح وسهم، وعدي بن كعب، والعشائر مثل عبد مناف وعلى عبد مناف [اقتصر رسول الله ﷺ][1].

---

(١) سقط من الأصل، والزيادة من نسخة تركيا.

وقيل: ولم يسلم من جميع قبائل العرب ألف إنسان في وقت واحد إلا من بني سليم وذلك أن إنسانا منهم أتى بضب إلى رسول الله ﷺ [وقال: «والله لا أسلم حتى يسلم هذا الضب» فكلم رسول الله ﷺ](١) الضب فأجابه، فأسلم الرجل ورجع إلى قومه، فأتى منهم ألف، فأمرهم رسول الله ﷺ أن يكونوا تحت راية خالد بن الوليد، حكاه الشهرستاني الضب: دابة لا ترد الماء أبدا انتهى(٢).

(١) سقط من الأصل، والزيادة من نسخة تركيا.

(٢) أخرجه البيهقي في دلائل النبوة (٦/٣٦) عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

الباب الثاني/في ذكر المدينة الشريفة وهجرة النبي ﷺ وأصحابه إليها

وفيه فصلان

الفصل الأول

ما جاء في فتحها

عن عائشة رضي الله عنها قالت: كل البلاد افتتحت بالسيف، وافتتحت المدينة بالقرآن[١].

واختلف في فتح مكة، فذهب مالك وأبو حنيفة وجماعة من المتقدمين والمتأخرين أنها افتتحت عنوة وقال الشافعي وحده: افتتحت صلحا حكاه القاضي عبد الوهاب في «عيون المجالس».

قال الحافظ محب الدين بن النجار في تاريخه: فالمدينة الشريفة لم تفتح بقتال إنما كان رسول الله ﷺ يعرض نفسه في كل موسم على قبائل العرب ويقول: «**ألا رجل يحملني إلى قومه فإن قريشا قد منعوني أن أبلغ كلام ربي**»[٢] فيأتونه فيقولون له: قوم الرجل أعلم به حتى التقى في بعض السنين نفرا عند العقبة الأولى من الأوس والخزرج قدموا إلى المنافرة التي كانت بينهم فجلسوا مع النبي ﷺ فدعاهم إلى الله عز وجل وتلا عليهم القرآن وكانوا أصحاب أوثان، وكان إذا وقع بينهم وبين اليهود واقع قالت اليهود لهم: إن النبي المبعوث الآن قد أظل زمانه، فنتبعه ونقتلكم معه قتل عاد وإرم، فقال النفر بعضهم لبعض: تعلمون والله إنه النبي الذي توعدكم به يهود فلا نسبقنكم إليه، فاغتنموا فأجابوه وصدقوه ثم انصرفوا راجعين إلى المدينة وكانوا ستة.

الأول: أسعد بن زرارة أبو أمامة من بني مالك بن النجار الأنصاري الخزرجي بايع في العقبة الأولى والثانية، فهو أحد النقباء الستة ليلة العقبة الأولى وأحد النقباء في العقبة الثانية، وكانوا اثنا عشر رجلا كما سيأتي وهو أول من بايع النبي ﷺ من أصحابه وأول من قدم المدينة بالإسلام، وأول من دفن بالبقيع من الأنصار، توفي قبل بدر في شوال على رأس تسعة أشهر من الهجرة وكانت بدر في رمضان سنة اثنتين.

وأول من مات من النقباء المذكورين: البراء بن معرور وهو أول من تكلم ليلة العقبة.

قال أبو عبد الله الحاكم في «علوم الحديث» وجدت بخط أبي العباس محمد بن يعقوب عن محمد بن عبد الوهاب، قال قلت لعلي بن عثام بالثاء المثلثة: لم سموا نقباء؟

---

(١) أخرجه ابن عدي في الكامل (٦/٢١٨٠) من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٢) أخرجه ابن ماجه (١/٧٣).

قال: النقيب ضمين، ضمنوا لرسول الله ﷺ إسلام قومهم فسموا بذلك نقباء.

الثاني من الستة: عوف ابن عفراء وعفراء أمه وأبوه الحارث بن رفاعة.

الثالث: رافع بن مالك بن العجلان.

الرابع: قطبة بن عامر بن حديدة.

الخامس: عقبة بن عامر بن نابي.

السادس: جابر بن عبد الله بن رئاب وهؤلاء هم النقباء الستة.

فلما قدموا المدينة عند رسول الله ﷺ ذكروا لقومهم رسول الله ﷺ ودعوهم إلى الإسلام ففشى ذلك حتى لم يبق دار من دور الأنصار إلا ولرسول الله ﷺ فيها ذكر.

ووافى الموسم في العام القابل منهم اثنا عشر رجلا: أسعد بن زرارة وسعد بن عبادة وسعد بن الربيع، وسعد بن خيثمة والمنذر بن عمرو، وعبد الله بن رواحة، والبراء بن معرور، وأبو الهيثم بن التيهان، وأسيد بن حضير، وعبد الله بن عمرو بن حرام أبو جابر، وعبادة بن الصامت، ورافع بن مالك، فبايعوا رسول الله ﷺ بالعقبة الأولى، فلما انصرفوا بعث رسول الله ﷺ معهم مصعب بن عمير إلى المدينة وأمره أن يقرئهم القرآن ويعلمهم الإسلام فقدموا المدينة وكان منزله على أسعد بن زرارة.

ولقيه ﷺ في الموسم الثالث سبعون رجلا من الأنصار ومعهم امرأتان فبايعوه.

وفي هذه البيعة نزل قول الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ ﴾ [التوبة: ١١١] الآية وكان أصغرهم سنا: عقبة بن عمرو وهذه بيعة العقبة الكبرى، وأرسل رسول الله ﷺ أصحابه إلى المدينة، ثم خرج إلى غار ثور بعد ذلك.

الفصل الثاني

في ذكر هجرة النبي ﷺ وأصحابه إلى المدينة المشرفة

اعلم أن هجرة النبي ﷺ إلى المدينة هي من بعض معرفة دلائل صفات نعوته في الكتب الإلهية، وقد نطقت الأخبار بأن المدينة دار هجرة نبي يخرج في آخر الزمان.

ذكر صاحب «الدر المنظوم» والشهرستاني في كتابه «أعلام النبوة» في قصة مختصرها: أن سيف بن ذي يزن الحميري لما ظفر بالحبشة وذلك بعد مولد رسول الله ﷺ قصدته وفود العرب بالتهنئة وخرج إلينا وفد قريش وفيهم عبد المطلب إلى صنعاء، وهو في قصره المعروف، بغمدان فلما دخلوا عليه، واتفق ما اتفق قال سيف لعبد المطلب: إني وجدت في الكتاب المكنون والعلم المخزون الذي اخترناه لأنفسنا دون غيره، خبرا جسيما، وخطرا عظيما فيه شرف الحياة وفضيلة الوفاة وهو للناس عامة ولرهطك كافة، ولك خاصة، ثم قال له: إذا ولد بتهامة غلام به علامة كانت له الإمامة، ولكم به الزعامة

إلى يوم القيامة ولولا أن الموت يجتاحني قبل مبعثه لسرت بخيلي ورجلي، حتى أصير بيثرب دار مملكته، فإني أجد في الكتاب الناطق، والعلم السابق، أن يثرب استحكام ملكه وأهل نصرته، وموضع قبره فيها، ولولا أني أقيه الآفات، وأحذر عليه العاهات لأوطأته العرب ولكني صارف إليك ذلك، عن غير يقين بمن معك، ثم أمر لكل واحد من قومه بجائزة.

وأجاز عبد المطلب بأضعافها ثم قال له: ائتني بخبره وما يكون من أمره على رأس الحول، فمات سيف قبل أن يحول عليه الحول.

وقد جاء في بعض الأحاديث: أخبرنا رسول الله ﷺ عن صفته في التوراة: «عبدي أحمد المختار مولده مكة ومهاجره بالمدينة أو قال: طيبة أمته الحمادون لله على كل حال»[1].

وقيل: في معنى قوله تعالى: ﴿ وَوَجَدَكَ ضَآلاً فَهَدَىٰ ﴾ [الضحى: ٧] أي: وجدك ضالا عن الهجرة فهداك إليها، وقيل: وجدك ضالا بين مكة والمدينة فهداك إلى المدينة.

وقيل في قوله تعالى: ﴿ ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلْعَٰبِدُونَ ٱلْحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ﴾ [التوبة: ١١٢] أن السائحين: المهاجرون.

وقيل: لم يهاجر النبي ﷺ حتى طلب الهجرة لقوله تعالى حكاية عنه: ﴿ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهْلُهَا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا ﴾ [النساء: ٧٥] فالداعي: محمد ﷺ والقرية: مكة، والولي والنصير: الأنصار.

وعن علي رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: **«أتاني جبريل عليه السلام فقلت له: يا جبريل من يهاجر معي؟ قال أبو بكر وهو يلي أمتك من بعدك وهو أفضل أمتك»**[2].

وروى البخاري في صحيحه من حديث الهجرة أن النبي ﷺ قال للمسلمين: **«إني رأيت دار هجرتكم ذات نخل بين لابتين وهما الحرتان»**[3].

وروينا في الصحيحين: من حديث أبي موسى الأشعري، رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: **«رأيت في المنام أني أهاجر من مكة إلى أرض بها نخل فذهب وهلي إلى أنها اليمامة أو هجر فإذا هي المدينة: يثرب»**[4] فلما ذكر النبي ﷺ هذا المقام لأصحابه

---

(١) ذكره القاضي عياض في الشفا (١/١٥).

(٢) أخرجه البخاري (٥٨٠٧)، من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٣) أخرجه البخاري (٢٢٩٧) من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٤) أخرجه البخاري (٣٦٢٢)، ومسلم (٢٠) ١٧٧٩/٤ من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه.

هاجر من هاجر منهم قبل المدينة ورجع عامة من كان هاجر بأرض الحبشة إلى المدينة.

وكان أول من هاجر إلى أرض الحبشة، حاطب بن عمرو، وقيل: عبد الله بن عبد الأسد بن هلال، وأول مولود ولد في الإسلام بأرض الحبشة عبد الله بن جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه.

وتجهز أبو بكر رضي الله عنه قبل المدينة، فقال له رسول الله ﷺ: «**على رسلك فإني أرجو أن يؤذن لي**»، [فقال له أبو بكر: وهل ترجو ذلك بأبي أنت وأمي؟ قال: «**نعم**» فحبس أبو بكر نفسه على رسول الله ﷺ ليصحبه] وعلف راحلتين كانتا عنده الخبط أربعة أشهر[(١)].

قالت عائشة رضي الله عنها: فبينما نحن يوما جلوس في بيت أبي بكر في نحر الظهيرة قال قائل لأبي بكر: هذا رسول الله ﷺ متقنعا في ساعة لم يكن يأتينا فيها، فقال أبو بكر: فداء له أبي وأمي والله ما جاء في هذه الساعة إلا لأمر، فجاء رسول الله ﷺ فاستأذن فأذن له، فدخل، قال: «**فإني قد أذن لي في الخروج**» فقال أبو بكر: الصحبة بأبي أنت وأمي يا رسول الله، قال رسول الله ﷺ «**نعم**» فقال أبو بكر: فخذ بأبي أنت يا رسول الله إحدى راحلتي هاتين قال رسول الله ﷺ «**بالثمن**»[(٢)].

قالت عائشة: فجهزناهما أحث الجهاز، وصنعت لهما سفرة في جراب، السفرة: طعام يتخذه المسافر، وكان أكثر ما يحمل في جلد مستدير، فنقل اسم الطعام إلى الجلد كالرواية اسم البعير ونقلت إلى المزادة قاله الخليل.

قالت عائشة فقطعت أسماء ابنة أبي بكر قطعة من نطاقها، فربطت به على فم الجراب، فلذلك سميت ذات النطاقين.

النطاق أن تأخذ المرأة الثوب فتشتمل به ثم تشد وسطها بخيط ثم ترسل الأعلى على الأسفل.

أسماء ابنة أبي بكر رضي الله عنها تزوجها الزبير بن العوام، فولدت له عبد الله وعروة والمنذر وعاصم والمهاجر وخديجة وأم الحسن توفيت سنة ثلاث وسبعين بمكة، جميع ما روت ثمانية وخمسون حديثا.

قالت عائشة: رضي الله عنها: ثم لحق رسول الله ﷺ وأبو بكر بغار في جبل ثور فكمنا فيه

---

(١) أخرجه البغوي في شرح السنة (٣٥٧/١٣) من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٢) أخرجه البخاري (٣٩٠٥) كتاب مناقب الأنصار باب هجرة النبي وأصحابه إلى المدينة، والبيهقي في دلائل النبوة ٤٧٣/٢ عن عائشة رضي الله عنها.

ثلاث ليال.

عن أنس بن مالك، وزيد بن أرقم والمغيرة بن شعبة أن ليلة الغار أمر الله تعالى شجرة فنبتت تجاه النبي ﷺ فسترته وأمر حمامتين فوقفتا بفم الغار(١).

وفي حديث آخر: أن العنكبوت نسجت على باب الغار.

قلت: وهذا الغار معروف إلى اليوم، وسمي الجبل: ثورا، وإنما اسمه: أطحل وسمي بثور بن عبد مناة بن طابخة لأنه كان ينزله(٢).

فائدة:

ذكر بعض التعاليق أنه عرف رجلا كان له بنون جماعة وأموال كثيرة وأنه أصيب في ذلك كله، فلم يحزن على شيء من ذلك لقوة صبره قال فسألته عن ذلك فقال: إنه روي أنه من دخل غار ثور الذي آوى إليه رسول الله ﷺ، وأبو بكر الصديق رضي الله عنه وسأل الله تعالى يذهب عنه الحزن، لم يحزن بعدها على شيء من مصائب الدنيا وقد فعلت ذلك فما ترى منه.

قلت: والخاصية في ذلك من قوله تعالى: ﴿ثَانِيَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: ٤٠].

ورأيت بهذا الجبل حيوانا يسمى الحلقوم له ألف كراع، في مائتي رجل ورأيته بأرض الطائف ونخلة وبالقدس من أرض فلسطين، وأنشدت بالجبل حين غروب الشمس لمعنى رأيته في سنة أربع وخمسين وسبعمائة.

وأنا ناظر إلى البحر منه:

واصفر لون محيا الشمس إذ شهدت ... من قدرة الله في الأكوان كم عجب

وامتد بالشط من أنوار بهجتها ... والنور جسر يحاكي صفرة الذهب

قالت عائشة: ﵂: فكمنا فيه ثلاث ليال، يبيت عندهما عبد الله بن أبي بكر وهو غلام شاب لقن، فيدلج من عندهما بسحر ويصبح مع قريش بمكة كبائت، فلا يسمع أمرا يكتادان به إلا وعاه حتى يأتيهما بخبر ذلك حين يختلط الظلام.

وفي حديث مرسل أن النبي ﷺ قال: «**مكثت في الغار مع صاحبي بضعة عشر يوما ما لنا طعام إلا ثمر البرير**»(٣) يعني: ثمر الأراك، الحديث المرسل هو الذي يرويه التابعي

---

(١) أخرجه البيهقي في دلائل النبوة (٢/٤٨١، ٤٨٢) عن أنس بن مالك والمغيرة بن شعبة ﵄.

(٢) أخرجه البيهقي في الدلائل ٢/٤٨٢، عن أنس بن مالك ﵁.

(٣) ذكره ابن عبد البر في الاستيعاب (٣/٩٦٥).

عن النبي ﷺ من غير واسطة.

قالت عائشة رضي الله عنها: ويرعى عليهما عامر بن فهيرة مولى أبي بكر منحة من غنم فيريحها عليهما حين تذهب ساعة من العشاء، فيبيتان في رسل حتى ينعق بهما عامر بغلس يفعل ذلك في كل ليلة، عامر بن فهيرة أحد كتاب النبي ﷺ.

وكتابه ﷺ ثلاثة عشر:

الأربعة الخلفاء، الخامس: عامر المذكور قتل يوم بئر معونة.

السادس: عبد الله بن الأرقم بن عبد يغوث، كتب للنبي ﷺ ولأبي بكر ولعمر، توفي سنة سبع وثلاثين.

السابع: أبي بن كعب، وهو أول من كتب الوحي لرسول الله ﷺ عند مقدمه إلى المدينة، توفي سنة ثلاثين، وقيل: اثنتين وثلاثين جميع ما روى مائة حديث وأربعة وستون حديثا.

الثامن: ثابت بن قيس بن شماس الخزرجي قتل يوم اليمامة سنة إحدى عشر وهو الذي أجيزت وصيته بعد موته وذلك أنه كان عليه درع نفيس فما قتل أخذه بعض المسلمين، فبينما رجل نائم إذ أتاه ثابت وقال له: إني قتلت أمس وأخذ درعي رجل منزله في أقصى الناس، وقد كفأ على الدرع برمة وفوق البرمة رحل، فمر خالدا -يعني: خالد بن الوليد- فيأخذ درعي فإذا قدمت المدينة على خليفة رسول الله ﷺ -يعني: أبا بكر الصديق رضي الله عنه- فقل له: إن علي من الدين كذا وكذا، وفلان من رقيقي عتيق فلان، فأخذوا الدرع، وفعلوا ما أمر به، فلا يعلم من أحد أجيزت وصيته بعد موته غير ثابت[1].

التاسع: خالد بن سعيد بن العاص.

العاشر: حنظلة بن الربيع الأسدي.

الحادي عشر: زيد بن ثابت بن الضحاك كان يقرأ الكتب التي ترد على النبي ﷺ بالخط السرياني توفي سنة اثنتين أو ثلاث أو خمس وأربعين وخلف من الذهب مائة ألف دينار، ومن الفضة ما كان يكسر بالفؤوس جميع ما روى اثنان وتسعون حديثا.

الثاني عشر: معاوية بن أبي سفيان، كان أميرا عشرين سنة وخليفة عشرين سنة، وقال: أنا أول الملوك، ولاه عمر الشام عند موت أخيه يزيد وقال فيه عمر لما دخل الشام ورآه: هذا كسرى العرب، توفي سنة ستين بدمشق جميع ما رواه مائة حديث وثلاثة

---

(١) ذكره ابن عبد البر في الاستيعاب (٢/٢٠٢).

وستون حديثا.

الثالث عشر: شرحبيل ابن حسنة بن عبد الله بن المطاع، توفي في طاعون عمواس سنة ثماني عشرة.

وقال ابن الجوزي في «المنتخب»: كتاب الوحي أحد عشر فنقص من المذكورين عامر بن فهيرة وعبد الله بن الأرقم وثابت بن قيس وشرحبيل ابن حسنة، وزاد أبان بن سعيد والعلاء بن الحضرمي، وقد وافق على القول الأول محب الدين أبو جعفر أحمد بن عبد الله بن محمد بن أبي بكر الطبري في مختصر السيرة له.

رجعنا إلى القصة: قالت عائشة ﵂: واستأجر رسول الله ﷺ وأبو بكر رجلا من بني الدئل، وهو من بني عبد بن عدي هاديًا ماهرا بالهداية وهو على دين كفار قريش فأمناه ودفعا إليه راحلتيهما وواعداه غار ثور بعد ثلاث، وانطلق معهما عامر بن فهيرة والدليل فأخذ بهم طريق السواحل.

وكان اسم دليلهم: عبد الله بن الأريقط الليثي، ولم يعرف له إسلام بعد ذلك.

وكانت هجرته ﷺ يوم الاثنين لثمان خلون من ربيع الأول، وقيل: كانت آخر ليلة من صفر، وعمره إذ ذاك ثلاثا وخمسين سنة، بعد المعراج بسنة وشهرين ويوم واحد، فكان بين المبعث والهجرة اثنتا عشرة سنة وتسعة أشهر وعشرين يوما وقيل: كانت إقامته بمكة بعد النبوة ثلاثة عشرة سنة.

وقيل: كان دليل رسول الله ﷺ إلى المدينة سعد العرجي وهو سعد بن الحارث بن كعب بن هوازن[1]، وإنما قيل له العرجي لأنه اجتمع مع رسول الله ﷺ بالعرج وهو يريد المدينة فأسلم وكان دليلهم[2].

ومروا على خيمتي أم معبد الخزاعية فوجدوا عندها شاة قد خلفها الجهد فاستأذنها في أن يحلبها فأذنت له فمسح رسول الله ﷺ ضرعها بيده الشريفة، وسمى الله تعالى ودعا لها في شاتها فتفاجت عليه ودرت، فتفاجت: أي فتحت ما بين رجليها فحلب وسقى أصحابه وسقى أم معبد وشرب ثم حلب إناء وغادره عندها، ثم بايعها ﷺ على الإسلام وارتحل عنها[3]، وأصبح صوت بمكة عال يسمعون الصوت ولا يدرون من صاحبه وهو ينشد:

---

(١) ذكره ابن عبد البر في الاستيعاب (٦١٢/٢).

(٢) انظر سابقه.

(٣) ذكره ابن عبد البر في الاستيعاب (١٩٥٩/٤)، والبيهقي في دلائل النبوة (٤٩٣/٢).

جزى الله رب الناس خير جزائه ... رفيقين حلا خيمتي أم معبد
هما نزلاها بالهدى فاهتدت به ... فقد فاز من أمس رفيق محمد
فيا آل قصي ما زوى الله عنكم ... به من فعال لا يجازى وسؤدد
ليهن بني كعب مكان فتاتهم ... ومقعدها للمؤمنين بمرصد
سلوا أختكم عن شاتها وإنائها ... فإنكم إن تسألوا الشاة تشهد
دعاها بشاة حائل فتحلبت له ... بصريح ضرة الشاة مزبد

الصريح: الخالص، والضرة: لحم الضرع.

قال أهل السير:

ولقي رسول الله ﷺ الزبير في ركب من المسلمين كانوا تجارا قافلين من الشام فكسى الزبير رسول الله ﷺ وأبا بكر ثياب بياض(١)، وسمعوا أهل المدينة بقدوم رسول الله ﷺ فكان المسلمون في كل يوم يخرجون من الصبح إلى ثنية الوداع ينتظرون قدوم رسول الله ﷺ فحين قدم قال قائلهم:

طلع البدر علينا ... من ثنيات الوداع
وجب الشكر علينا ... ما دعى لله داع
أنت مرسل حقّا ... جئت من أمر مطاع
جئتنا تمشي رويداً ... نحونا يا خير ساع (٢)

قال صاحب رفع الغواشي: أضيفت الثنية إلى الوداع لأنها موضع التوديع وهو اسم قديم جاهلي وهذه الثنية خارج المدينة الشريفة.

وأقبل رسول الله ﷺ إلى المدينة وكان مردفا لأبي بكر، وأبو بكر شيخ يعرف والنبي ﷺ شاب لا يعرف فيلقى الرجل أبا بكر فيقول: يا أبا بكر من هذا الرجل الذي بين يديك؟ فيقول: هذا الرجل الذي يهديني السبيل، فيحسب الحاسب أنه يعني الطريق، وإنما يعني سبيل الخير.

وقدم ﷺ المدينة حين اشتد الضحى من يوم الاثنين وتلقى المسلمون رسول الله ﷺ

---

(١) أخرجه البخاري (٤/٣١٠)، والبيهقي في الدلائل (٢/٤٩٨) عن عروة بن الزبير رضي الله عنهما.
(٢) أخرجه البيهقي في دلائل النبوة (٢/٥٠٦) عن عائشة رضي الله عنها.

بظهر الحرة فعدل بهم ذات اليمين، حتى نزل بهم في بني عمرو بن عوف كما سيأتي فقام أبو بكر للناس وجلس رسول الله ﷺ صامتا وطفق من جاء من الأنصار، ممن لم ير رسول الله ﷺ يحيي أبا بكر، حتى أصابت الشمس رسول الله ﷺ فأقبل أبو بكر حتى ظلل عليه بردائه فعرف الناس رسول الله ﷺ عند ذلك[(١)].

إشارة إلى ميل النفس إلى الوطن فيما ظهر منها أو بطن:

يروى أن النبي ﷺ لما سار إلى المدينة تذكر مكة في طريقه فاشتاق إليها فأتاه جبريل عليه السلام فقال: أتشتاق إلى بلدك ومولدك؟ قال: نعم قال: فإن الله تعالى يقول: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ ﴾ [القصص: ٨٥] أي مرجع: قيل معناه لرادك إلى معاد مكة، وقيل معاده الجنة حكاه العزيزي في تفسيره.

قال ابن الجوزي في «المدهش» فهذا دليل على أن النبي ﷺ خرج من مكة وهو مشتاق فيها، وكذلك كل شخص فارق وطنه ومما يؤكد دليل حب الوطن قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ ٱقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ أَوِ ٱخْرُجُواْ مِن دِيَـٰرِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ ﴾ [النساء: ٦٦] فساوى بين القتل والخروج من الأوطان.

وقد أوصى الإسكندر عند موته إذا مات أن يحمل إلى بلده حبا لوطنه.

واعتل أسفنديار في بعض غزواته فقيل له: ما تشتهي؟ فقال: شمة من تربة بلخ وشربة من ماء واديها.

واعتل سابور ذو الأكتاف بالروم، وكان مأسورا بها وكانت بنت ملكهم قد عشقته فقالت له: ما تشتهي؟ فقال: شربة من ماء دجلة وشميما من تراب اصطخر، فغربت عنه أياما، ثم أتت بماء من الفرات وقبضة من شاطئه وقالت: هذا من دجلة وهذا من تربة أرضك فشرب بالوهم واشتم من تلك التربة فنقته من علته.

وكانت العرب إذا سافرت حملت معها من تربة بلدها فتستشفي به عند مرض يعرض لها.

ذو الأكتاف كان من أطرف ملوك فارس ولاية وكان أول[(٢)] ملوك فارس دارا، ملك نحوا من مائتي سنة ثم ملك بعده (خمسة عشر ملكا)[(٣)] منهم امرأتان وكان آخر القوم: يزدجرد هلك في زمان عثمان رضي الله عنه وكان ملكهم خمسمائة سنة وكسور.

---

(١) أخرجه البخاري (٣١١/٤) من حديث عروة ﷺ.

(٢) كذا بالأصل والصواب: آخر، كما في مصادر التاريخ.

(٣) كذا بالأصل والصواب: ثلاثون ملكا. انظر البدء والتاريخ (١٥٢/٢).

ولا يعرف من ملك وهو في بطن أمه غير سابور، فإن أباه مات ولا ولد له، وإنما كان هذا حملا، فقال المنجمون: هذا الحمل يملك الأرض، فوضع التاج على بطن أمه، وكتب منه إلى الآفاق وهو جنين.

وقال وهب في كتابه «التيجان» في ذكر آل النعمان: وهو المعافر بن يعفر الملك المتوج ملك أيضا وهو في بطن أمه.

وأما سابور فإنما لقب بذي الأكتاف: لأنه حين ملك كان ينزع أكتاف مخالفيه كما لقب فرعون بذي الأوتاد، وذلك لأنه كان يضرب أوتادا في الأرض يربط بها من أراد عذابه.

وسابور: هو الذي بنى الإيوان وسجستان والسوس وما زال الملك ينتقل فيهم إلى أن ملك أنو شروان وهو آخرهم وكان له اثنا عشر ألف امرأة وجارية، وخمسون ألف دابة، وألف فيل إلا واحدا وفي زمانه ولد نبينا محمد ﷺ ومات لثمان سنين مضت من المولد الكريم، ولما دخل الناس المدائن أحرقوا ستر باب الإيوان، فأخرجوا ألف ألف مثقال ذهب.

قالوا: ولما هلك من ملوك الفرس أردشير بن شيرويه، ملك بعده رجل ليس من أهل بيت المملكة، فأحالت عليه امرأة من أهل بيت الملك، يقال لها بوران بنت كسرى، فقتلته وكان ملكه اثنين وعشرين يوما وقيل شهرين ثم ملك بعده رجل من ولد هرمز يقال له: كسرى بن قباذ فوثب عليه ملك خراسان فقتله وكان ملكه ثلاثة أشهر ثم ملكت بوران المذكورة سنة وستة أشهر فلم تجبي الخراج، وفرقت الأموال بين الجنود والأشراف، فبلغ ذلك النبي ﷺ فقال: «**لا يفلح قوم أسندوا أو ملكوا أمرهم إلى امرأة**»[١].

واعلم أن الملوك الذين كانوا قبل ملوك الطوائف أعني ملوك العجم كان بعضهم ينزل بلخ، وبعضهم بابل، وبعضهم فارس، فممن نزل فارس جم وكان ملكه تسعمائة وستين سنة، وهو عندهم سليمان النبي عليه السلام، ومنهم طهمورث ملك ألف سنة ومنهم بيوراست ملك ألف سنة ومنهم الضحاك الحميري ملك تسعون سنة.

وممن نزل بخراسان: الشناشق ملك تسعون سنة، وهو الذي أتاه زرادشت بكتاب المجوس، ومنهم بهمن بن أسفنديار وهو الذي بعث على عهد موسى عليه السلام، ولم يزل أمرهم مستقيما حتى ملك دارا بن دارا وكان ينزل ببابل فاغتصبه الإسكندر الرومي، وقتله وخرب أرض فارس وخلف على كل ناحية ملك ممن كان أسر من أشراف أهل فارس،

---

(١) أخرجه البخاري (١٨)، والترمذي (٧٥)، وأحمد (٥/٤٣، ٤٧) عن أبي بكرة ﷺ.

فهم ملوك الطوائف، ولم يزل الأمر كذلك أربعمائة سنة وخمسا وستين سنة.

[بدء ملك آل ساسان][1]

وكان أردشير بن بابك بن ساسان أحد ملوك الطوائف على اصطخر، وهو الذي فتح الحضر، وهي بإزاء مسكن وكان ملك السواد متحصنا فيها والعرب تسميه الساطرون، وكانت ابنته هويت أردشير فدلته على عورة حصن المدينة، ثم قتلها وبنى مدينة جور بفارس ومدينة رام أردشير بفارس وبهمن أردشير وهي فرات البصرة، وأستار أبان وهي كرخ ميسان وهي بين كور دجلة ومدينة سوق الأهواز ومدينة الأبلة وغير ذلك، ومدة ملكه أربع عشرة سنة وستة أشهر.

ثم ملك بعده ابنه سابور بن أردشير متوج فملك ثلاثين سنة وشهرا، واستخلف ابنه هرمز بن سابور المتوج ويقال له هرمز البطل وملكه سنة وعشرة أشهر، فملك بعده ابنه بهرام بن هرمز متوج ثلاث سنين وثلاثة أشهر، ثم ملك بعده ابنه بهرام بن بهرام وملكه سبعة عشر سنة، وملك بعده ابنه بهرام بن بهرام بن بهرام متوج وهو الذي يقال له: شاه شاه، فملك أربعة أشهر، ثم ملك بعده ابنه نرسي بن بهرام متوج تسع سنين، وملك بعده ابنه هرمز بن نرسي متوج سبع سنين وخمسة أشهر، وملك بعده سابور بن هرمز ذو الأكتاف متوج وكان فطنا دخل بلاد الروم مختفيا أول أمره لينظر شدتهم فأولم قيصر وليمة، وجمع المساكين، فحضر جمعهم متنكرا فأتى قيصر بإناء من أواني سابور منقوش فيه بمثال، فجعلوا يشربون به، فوصل الإناء إلى شيخ ذي فراسة، نظر في التمثال، وكان قد رأى وجه سابور، فمسك الإناء وقال: إني أرى في هذه الجماعة صاحب هذه الصورة، وأومأ إلى سابور، فمسك سابور وسئل فأخبر أنه سابور فأوثقه قيصر، وسار إلى بلاده فأخبرها فما كان الليل غفل الموكلون بحراسة سابور، فهرب إلى بلده وشد ورجع إلى الروم فقتلهم وأخذ قيصر [أسيرا وقال له: إني مستحييك كما أحييتني وأخذك بصلاح ما أفسدت فبنى قيصر][2] ما كان خرب، وغرس مكان كل نخلة زيتونة ولم يكن بفارس زيتونة وأطلق قيصر وبنى بالسوس مدينة سماها: فيروز سابور وبنى بنيسابور مدينة السند، وأخرى بسجستان وملك اثنتين وسبعين سنة.

ثم ملك بعده أخوه أردشير بن هرمز متوجا وكان سابور بن سابور صغيرا فكان ملك أردشير أربع سنين.

---

(١) سقط من الأصل، والزيادة من نسخة تركيا.

(٢) سقط من الأصل، والزيادة من نسخة تركيا.

ثم ملك سابور بن سابور متوجا خمس سنين وأربعة أشهر.

ثم ملك بعده بهرام بن سابور متوجا، وكان يدعى كرمان شاه بنى مدينة كرمان وملكه إحدى عشرة سنة، وملك بعده يزدجرد بن بهرام متوجا إحدى وعشرين سنة وخمسة أشهر وثمانية عشر يوما.

وملك بعده بهرام جوز بن يزدجرد متوجا ثلاثا وعشرين سنة وكان يمسك الفيل الهائج فيقتله.

ثم ولي بعده ابنه يزدجرد بن بهرام متوجا ثماني عشرة سنة وخمسة أشهر غير أيام.

فولي الأمر بعده فيروز بن يزدجرد متوجا سبعا وعشرين سنة.

وولي الأمر بعده بلاش بن فيروز متوجا أربع سنين.

وملك بعده قباذ بن فيروز أخو بلاش متوجا ثلاثا وأربعين سنة.

وملك بعده كسرى أنوشروان بن قباذ متوجا سبعا وأربعين سنة وسبعة أشهر.

وملك بعده هرمز بن كسرى متوجا، وهو الذي قتل خاقان ملك الترك، ثم قتل، وكان ملكه إحدى عشرة سنة وسبعة أشهر.

فملك بعده ابنه أبرويز متوجا، وهو يعرف بكسرى شان وثلاثين سنة خلع من الملك.

وملك شيرويه ابنه متوجا، وهو ابن ابنة قيصر، ملكه خمس سنين وأشهر من الهجرة ملك سبعة أشهر.

ثم ملك بعده أردشير بن شيرويه وهو ابن سبع سنين وقيل: كان ملكه خمسة أشهر.

ثم ملك جرهان فقتله بوران وملكه اثنان وعشرون يوما.

ثم ملك بعده كسرى بن قباذ متوجا، وهو من ولد هرمز ثلاثة أشهر قتله ملك خراسان.

ثم ملكت بوران بنت كسرى كما تقدم.

رجعنا إلى ما كنا بسببه:

قال ابن الجوزي: وكذلك القلوب تشتاق مكة وعرفات بسبب يوم ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ﴾ [الأعراف: ١٧٢] وهو موطنهم الأول لأنهم خرجوا كالذر في وادي نعمان فصار ذلك المكان وطنا لهم ونعمان وادي عرفة، ثم قال: فهذا يدل على أن ذلك المكان أول وطن، والنفس أبدا تنازع الوطن، وليس لقائل أن يقول: هذا شيء لا تتخايله النفس فكيف تشتاق إليه؟ لأن النفس كانت في أحوال وتقلب فنسيت، كما أن الإنسان قد يميل إلى شخص فلا يدري لم ذلك، ثم يظهر بينهما تشاكل أوجب ذلك أو مناسبة، ثم ليس

نسيان النفس لذلك المعهد بأعجب من نسيانها للعهد، والأوطان أبدا محبوبة.

وقيل لتلك المحبة ثلاثة أسباب:

الأول: ما ذكرناه.

الثاني: دعاء الخليل عليه السلام بقوله: ﴿ **فَٱجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ** ﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما تحن إليهم، قال: وأراد حب سكان مكة، ولو قال: فاجعل أفئدة الناس لحجه اليهود والنصارى[١].

الثالث: جاء في الحديث: «**إن الله تعالى ينظر إلى الكعبة ليلة النصف من شعبان فتحن القلوب إليها**»[٢] وقد روي عن النبي ﷺ أنه قال: «**ليلة النصف من شعبان تنسخ فيها الآجال ويكتب فيها الحاج**»[٣] ذكره محب الدين الطبري في «التشويق إلى البيت العتيق».

قيل: إن الله تعالى لما أخذ الميثاق على عباده بالإقرار كتبه في رق أبيض وألقمه الحجر الأسود، وكان إذ ذاك له لسان وشفتان وعينان وجعله في موضعه وقال: «**أشهد لمن وافاك بالوفاء إلى يوم القيامة**» حكاه أبو سعيد المفضل في «فضائل مكة المشرفة».

سمعت بعض الفضلاء يقول: سمعت الشيخ أبا الطيب وقد سئل ما سبب محبة قلوب الخلائق لمكة وأهلها؟ وما سبب محبة قلوب أهل المدينة للواردين عليهم؟ فقال: الأول لدعاء إبراهيم عليه السلام ﴿ **فَٱجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ** ﴾ وقال تعالى في أهل المدينة: ﴿ **يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ** ﴾ فبلطيف سر هذا الموضع سرى الطف والمحبة من المحب للحبيب وسرى سر الموقع الثاني بلطيف المحبة من الحبيب للمحب انتهى.

قال أهل السير: وقدم رسول الله ﷺ المدينة الشريفة حتى اشتد الضحى من يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة خلت من ربيع الأول وقيل لليلتين خلتا منه[٤]، وقيل: لهلال ربيع الأول[٥]، والأول أصح وقيل كانت الهجرة مستهل ربيع الأول، ووصل المدينة يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة خلت من الشهر المذكور، وذلك لعشرين يوما خلت من أيلول سنة ثلاث وثلاثين وتسعمائة الإسكندر.

---

(١) أخرجه القرطبي في الجامع (٩/٣٧٣، ٣٧٤) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) لم أجده.

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٨/١٠٩)، والسيوطي في الدر المنثور (٧/٤٠١).

(٤) أخرجه البيهقي في دلائل النبوة (٢/٣٠٥).

(٥) أخرجه البيهقي في دلائل النبوة (٢/٤٩٩) عن عروة بن الزبير رضي الله عنه.

ونزل على كلثوم بن الهدم بعد أن تلقاه المسلمون بظهر الحرة وفي هذه الحرة قطعة تسمى أحجار الزيت، سميت به لسواد أحجارها كأنها طليت بالزيت، وهو موضع كان يستسقي فيه رسول الله ﷺ ويقال لها: أحجار البيت وأحجار الليث وكله خطأ.

قال البراء بن عازب: أول من قدم علينا المدينة من أصحاب رسول الله ﷺ مصعب بن عمير وابن أم مكتوم، وكانا يقرئان الناس القرآن ثم عمار بن ياسر وبلال ثم عمر بن الخطاب في عشرين راكبا من أصحاب رسول الله ﷺ ثم قدم النبي ﷺ فما رأيت أهل المدينة فرحوا بشيء قط فرحهم برسول الله ﷺ حتى جعل الإماء يقلن: قدم رسول الله ﷺ، فما قدم حتى قرأت ﴿ سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ﴾ [١] وسورا من المفصل. ومصعب بن عمير أول مهاجر إلى المدينة.

وقالت عائشة ﵂: لما قدم رسول الله ﷺ المدينة وعك أبو بكر وبلال ﵄ فكان أبو بكر إذ أخذته الحمى يقول: [٢]

كل امرئ مصبح في أهله ... والموت أدنى من شراك نعله

ذكر أبو عبيد الله المرزباني: أن هذا البيت لحكيم بن الحارث بن نهيك النهشي، وكان جاهليا، قتل يوم الوقيظ وهو يوم كان لبني قيس بن ثعلبة على ابن تميم، وكان حكيم ينشده في ذلك اليوم وهو يقاتل بني تميم من ولد إسماعيل وهم أولاد تميم بن إلياس بن مضر بن نزار وكذلك عكل وبنو عدي.

والتميمي: منسوب إلى تميم بن مر بن أد بن طابخة بن إلياس، وكان لتميم ثلاثة أولاد: زيد مناة وعمرو والحارث.

والقيسيون: بطن من تميم، وهم رهط قيس بن عاصم المنقري، حكاه الحاكم[٣].

قالت عائشة ﵂: وكان بلال إذا أقلع عنه يرفع عقيرته فيقول:

ألا ليت شعري هل أبيتن ليلة ... بواد وحولي إذخر وجليل

وهل أردن يوما مياه مجنة ... وهل يبدو لي شامة وطفيل

اللهم العن شيبة بن ربيعة، وعتبة بن ربيعة، وأمية بن خلف كما أخرجونا من أرضنا إلى أرض الوباء[٤]، ثم قال رسول الله ﷺ «**اللهم حبب إلينا المدينة كحبنا مكة، أو أشد**

---

(١) أخرجه البخاري (٣٩٢٦، ٤٩٤١) عن البراء بن عازب ﵁.

(٢) أخرجه البخاري (٣١٨/٤)، ومسلم (١٠٠٣/٢) عن عائشة ﵂.

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرك (٦١١/٣).

(٤) أخرجه البخاري (١٨٨٩) عن عائشة ﵂.

اللهم بارك لنا في صاعنا وفي مدنا وصححها لنا، وانقل حماها إلى الجحفة» فكان كذلك[١].

وفي رواية: «وانقل وباءها إلى خم»، أو قال: «الجحفة»[٢].

قولها: عقيرته تعني صوته والإذخر والجليل نبات معروف بمكة وشامة وطفيل جبلان بها أيضا وقيل: عينان.

قالت ﵂ وكان عامر بن فهيرة يقول:

لقد رأيت الموت قبل ذوقه إن الجبان حتفه من فوقه

قالت ﵂: وقدمنا المدينة وهي أوبأ أرض الله فكان بطحان يجري نجلا تعني ماء آجنا.

بطحان: بضم الباء الموحدة، وإسكان الطاء المهملة واد بالمدينة معروف.

قال ابن الجوزي في المثير: دعا النبي ﷺ للمدينة ونقل حماها إلى الجحفة فكان المولود يولد بالجحفة فما يبلغ حتى تصرعه الحمى يأتي ذكر الجحفة في الباب السابع.

بلال بن حمامة، مولى أبي بكر ﵄ اسم أبيه رباح.

وفي الصحابة جماعة يعرفون بأمهاتهم:

كمحمد ابن الحنفية، وخفاف ابن ندبة واسم أبيه عمير وبشير ابن الخصاصية واسم أبيه معبد، ومعاذ ومعوذ ابنا عفراء، أبوهما الحارث، ومالك ابن نميلة واسم أبيه شرحبيل، وشرحبيل ابن حسنة، أبوه عبدالله، وعبد الله وجبير ابنا بحينة وأبوهما مالك.

وكذلك ممن بعد الصحابة من العلماء: كإسماعيل ابن علية أبوه إبراهيم ومنصور ابن صفية أبوه عبد الرحمن، ومحمد ابن عائشة وأبوه حفص وإبراهيم ابن هراسة أبوه سلمة ومحمد ابن عثمة أبوه خالد.

ولم ينسب من الأنبياء لأمه إلا: يونس وعيسى عليهما السلام.

مر أبو بكر رضي الله عنه وبلال مدفون في الحجارة يعذب في الله فاشتراه بخمس أواقي ذهبا وقيل: بسبع وقيل: بتسع فقالوا لأبي بكر: لو أبيت إلا وقية لبعناك فقال: لو أبيتم إلا مائة لاشتريته ثم أعتقه فقيل في ذلك:

أبو بكر حبًا في الله مالا وأعتق من ذخائره بلالا

---

(١) أخرجه البخاري (٥٦٥٤)، ومسلم (٤٨٠) ١٠٠٣/٢ عن عائشة ﵂.

(٢) أخرج هذه الرواية البيهقي في دلائل النبوة (٥٦٦/٢).

لو أن البحر عائذه بسوء ... لما أبقى الإله له بلالا

وقد آسى النبي بكل خير ... وأعطاه ما تكسبه بلالا

وبلال هو الذي قتل أمية بن خلف يوم بدر، وكان ممن يعذب في الله تعالى فقال فيه أبو بكر رضي الله عنه أبياتا منها:

هنيئاً زادك الرحمن خيراً ... فقد أدركت ثأرك يا بلال

شهد المشاهد كلها وأذن بلال في حياة رسول الله ﷺ ولأبي بكر ولعمر حين دخل الشام.

توفي بدمشق وهو ابن بضع وستين سنة، ودفن عند الباب الصغير سنة عشرين، أو إحدى وعشرين، وقيل: ثمان عشرة، وقيل: توفي بحلب ودفن بباب الأربعين.

جميع مروياته أربعة وأربعون حديثا وفي الصحابة بلال آخر وهو: بلال بن الحارث المزني.

وبلال أحد حراس النبي ﷺ في غزواته.

وجميع من كان يحرسه ﷺ في غزواته ثمانية:

الأول: بلال حرسه بوادي القرى.

الثاني: سعد بن معاذ حرس النبي ﷺ يوم بدر حين نام بالعريش.

الثالث: ذكوان بن عبد قيس.

الرابع: محمد بن مسلمة الأنصاري حرس النبي ﷺ بأحد، جميع ما روى ستة عشر حديثا.

الخامس: الزبير بن العوام، حرس النبي ﷺ يوم الخندق، يأتي ذكره في الباب الرابع.

السادس: عباد بن بشر.

السابع: سعد بن أبي وقاص، يأتي ذكره في العشرة المبشرون بالجنة رضي الله عنهم.

الثامن: أبو لبابة، حرس النبي ﷺ بخيبر ليلة بنى بصفية رضي الله عنها يأتي ذكره في الباب السادس ولما أنزل الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ﴾ [المائدة: ٦٧] ترك الحرس عند ذلك ﷺ.

وبلال رضي الله عنه ممن خدم النبي ﷺ من الأحرار.

وجميع من خدم النبي ﷺ من الأحرار أحد عشر:

الأول: بلال.

الثاني: أنس بن مالك بن النضر، وسيأتي ذكره في الباب الرابع.

الثالث: والرابع: هند وأسماء ابنتا حارثة الأسلميان.

الخامس: ربيعة بن كعب بن مالك الأسلمي.

السادس: عبد الله بن مسعود، مروياته ثمانية وسبعون حديثا، قال الشعبية: القضاة أربعة عمر وعلي وابن مسعود وزيد بن ثابت، والدهاة أربعة: معاوية وعمرو بن العاص والمغيرة بن شعبة وزياد.

السابع: عقبة بن عامر الجهني.

الثامن: ذو مخمر ابن أخي النجاشي، وقيل ابن أخته ومخمر: بالخاء المعجمة والراء ويقال: بالباء الموحدة والراء المهملة حدث عنه أبو حي المؤذن.

التاسع: بكر بن شداخ الليثي.

العاشر: سعد مولى أبي بكر، رضي الله عنه.

الحادي عشر: أبو ذر الغفاري واسمه جندب بن جنادة الغفاري منسوب إلى غفار قبيلة من كنانة، روى [مائتي حديث وإحدى وثمانين][1] حديثا، أخرج له منها في الصحيحين ثلاثة وثلاثون، المتفق عليه منها اثنا عشر، وانفرد البخاري بحديثين ومسلم بتسعة عشر.

وبلال رضي الله عنه أحد رفقاء النبي ﷺ النجباء.

ورفقاؤه النجباء ثلاثة عشر:

الخلفاء الأربعة.

الخامس: بلال المذكور.

السادس: حمزة رضي الله عنه.

السابع: جعفر رضي الله عنه.

الثامن: أبو ذر الغفاري.

التاسع: المقداد بن الأسود، نسب إلى الأسود بن عبد يغوث، وإنما هو المقداد بن عمرو، قيل: مات بالجرف ودفن بالمدينة وقيل: قتل بصفين وهو الأصح.

عن بريدة قال: قال النبي ﷺ «**إن لله عز وجل أمرني بحب أربعة وأخبرني أنه يحبهم**» فقيل يا رسول الله من هم؟ قال: «**علي وسلمان والمقداد وأبو ذر**»[2].

جميع ما روى اثنان وأربعون حديثا.

---

(١) سقط من الأصل والزيادة من نسخة تركيا.

(٢) أخرجه الترمذي (٣٧١٨)، وابن ماجه (١٤٩)، والحاكم في المستدرك (٣/١٣٠) عن بريدة ﷺ.

العاشر: سلمان الفارسي، وسيأتي ذكره في الباب الثامن.

الحادي عشر: حذيفة بن اليمان حليف لبني عبد الأشهل، كان فتح همذان والري والدينور على يديه وذلك في سنة اثنتين وعشرين وتوفي في سنة ستة وثلاثين.

الثاني عشر: عبد الله بن مسعود.

الثالث عشر: عمار بن ياسر، ومن قال: إنهم اثنا عشر لم يذكر بلالا.

وقد رأيت بمكة خارج باب اليمن المكان المعروف بكدي برفع الكاف وتشديد الياء قبرا عليه حجر مكتوب فيه: هذا قبر مشيع بن يعيش بن سليمان مولى أبي بكر الصديق رضي الله عنه قريب من البركة المعروفة ببركة الماجن.

رجعنا إلى المقصود:

قال أهل السير: وأقام علي رضي الله عنه بمكة بعدما هاجر النبي ﷺ ثلاث ليال وأيامها حتى أدى عن رسول الله ﷺ الودائع التي كانت عنده للناس حتى إذا فرغ لحق برسول الله ﷺ فنزل معه على كلثوم بن الهدم ولم يبق بمكة من المهاجرين إلا من حبسه أهله أو فتنوه.

عن زيد بن أسلم، عن أبيه في قول الله عز وجل: ﴿ **وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلْطَانًا نَّصِيرًا** ﴾ [الإسراء: ٨٠] قال: جعل الله مدخل صدق: المدينة، ومخرج صدق: مكة وسلطانا نصيرا: الأنصار [نزلت](١) حين أمر النبي ﷺ بالهجرة.

وقيل: أدخلني، يعني: غار ثور، مدخل صدق، وأخرجني؛ يعني: منه إلى المدينة، مخرج صدق وقيل: غير ذلك.

قال الكلبي: سلطانه النصير: عتاب بن أسيد بن أمية، وهو الذي استعمله رسول الله ﷺ على مكة.

قال الحاكم: قد صح عن النبي ﷺ أنه قال: «**لا هجرة بعد الفتح إنما هو جهاد ونية**»(٢).

فائدة:

اعلم أن من الهجرة وضعت العرب تأريخ سنيها، وأول من أرخه عمر رضي الله عنه.

---

(١) سقط من الأصل، والإضافة من طبعة تركيا.

(٢) أخرجه البخاري (٣٠٧٧)، ومسلم (٨٥) ١٤٨٧/٣، والترمذي (١٥٩٠)، وأحمد (٢٦٦/١) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

قال الأجذابي: أرخ عمر التاريخ لما مضت من خلافته خمس سنين في السنة السابعة عشرة من الهجرة وقدموا التاريخ للمحرم لأن النبي ﷺ إنما هاجر آخر صفر كما تقدم وإنما كانت العرب تؤرخ بالخريف لأنه كان أول جذاذهم وقطافهم فتاريخهم: من أول يوم من السنة التي هاجر فيها رسول الله ﷺ من مكة إلى المدينة، وكان أول المحرم منها يوم الخميس.

وتاريخ الفرس: من أول السنة التي ملك فيها يزدجرد بن شهريار وقيل: يزدجرد بن بهرام جور وكان أولها يوم الثلاثاء.

وتاريخ الروم والسريان: من أول ملك الإسكندر وكان أول أكتوبر يوم الاثنين ولهم تاريخ أيضًا بمولد المسيح.

وتاريخ القبط في كتاب المجسطي: من أول السنة التي ملك فيها بخت رش وهو بخت نصر وأولها يوم الأربعاء وفي تاريخ بطليموس أن تاريخ القبط: من أول سني فيلقوس، وكان أولها يوم الأحد.

والذي بين بخت نصر ويزدجرد من التاريخ ألف وثلاثمائة وتسعة وسبعون سنة فارسية وثلاثة أشهر، والذي بين تاريخ فيلقوس وتاريخ يزدجرد تسعمائة وخمسة وخمسون سنة وثلاثة أشهر، والذي بين تاريخ الإسكندر وبين تاريخ يزدجرد [تسعمائة واثنتان وأربعون سنة من سني الروم ومائتان وتسعة وخمسون يوما، والذي بين تاريخ يزدجرد وتاريخ الهجرة][1] من الأيام ثلاثة آلاف وستمائة وأربعة وعشرون يوما.

فأول التواريخ: تاريخ بخت نصر، ثم تاريخ فيلقوس، ثم تاريخ الإسكندر، ثم تاريخ الهجرة، ثم تاريخ يزدجرد ثم تاريخ العرب، لأن يزدجرد هو الذي قتله عبد الله به عامر بن كريز القرشي، ولاه عثمان رضي الله عنه البصرة فافتتح بلادا كثيرة من خراسان، وقتل يزدجرد وأحرم من نيسابور، شكرا لله تعالى وحمل السقايات بعرفة وهو الذي شق نهر البصرة، توفي سنة تسع وخمسين.

(١) سقط من الأصل، والإضافة من نسخة تركيا.

الباب الثالث/في إثبات حرمة المدينة الشريفة وذكر فضائلها

وتحريمها وتحديد حدود حرمها وحكم الصيد فيها

وفيه اثنا عشر فصلا

الفصل الأول

في إثبات حرمتها

روينا في الشفا للقاضي عياض رحمه الله تعالى: أن مالك بن أنس رحمه الله كان لا يركب في المدينة دابة وكان يقول: أستحي من الله أن أطأ تربة فيها رسول الله ﷺ بحافر دابتي.

وروي أنه وهب للشافعي رحمه الله كراعا كثيرا كان عنده فقال له الشافعي: أمسك منها دابة فأجابه بمثل هذا الجواب.

وقد أفتى مالك رحمه الله فيمن قال: تربة المدينة ردية يضرب ثلاثين درة وأمر بحبسه، وكان له قدر، وقال: ما أحوجه إلى ضرب عنقه تربة دفن فيها النبي ﷺ يزعم أنها غير طيبة.

وعن عبد الرحمن بن القاسم أن أسلم مولى عمر بن الخطاب رضي الله عنه أخبره أنه زار عبد الله بن عياش المخزومي فرأى عنده نبيذا وهو بطريق مكة، فقال له أسلم: إن هذا الشراب يحبه عمر بن الخطاب، فحمل عبد الله بن عياش المخزومي قدحا عظيما فجاء به إلى عمر بن الخطاب فوضعه في يديه فقربه عمر إلى فيه، ثم رفع رأسه فقال عمر: إن هذا الشراب طيب، فشرب منه ثم ناوله رجلاً عن يمينه فلما أدبر عبد الله ناداه عمر بن الخطاب فقال: أأنت القائل لمكة خير من المدينة؟ فقال عبد الله: فقلت: هي حرم الله وأمنه وفيها بيته فقال عمر: لا أقول في بيت الله ولا في حرمه شيئا ثم قال عمر: أأنت القائل: لمكة خير من المدينة؟ قال: فقلت هي حرم الله وأمنه وفيها بيته، فقال عمر: لا أقول في حرم الله ولا في بيته شيئا ثم انصرف. رواه مالك[1].

تنبيهان:

التنبيه الأول: انظر لسر زيارة البيت الحرام للنبي ﷺ ودخول الكعبة المشرفة مدينة الرسول ﷺ روى أبو سعيد المفضل في باب رفع الكعبة المشرفة إلى البيت المقدس، [عن الزهري أنه قال: إذا كان يوم القيامة رفع الله تعالى الكعبة البيت الحرام إلى البيت

---

(١) أخرجه مالك في الموطأ (٢/٨٩٤).

المقدس][1] فتمر بقبر النبي ﷺ بالمدينة فتقول: السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته فيقول عليه السلام: وعليك السلام يا كعبة الله ما حال أمتي؟ فتقول: يا محمد أما من وفد إلي من أمتك فأنا القائمة بشأنه وأما من لم يفد إلي من أمتك فأنت القائم بشأنه وكفاه بهذا الشرف تعظيما.

التنبيه الثاني: لما جرى سابق شرفها في القدم، أخذ من تربتها حين خلق آدم، فأوجد الموجد وجودها من بعد العدم.

قال أهل السير: إن الله تعالى لما خمر طينة آدم عليه السلام حين أراد خلقه أمر جبريل عليه السلام أن يأته بالقبضة البيضاء التي هي قلب الأرض وبهاءها ونورها ليخلق منها محمدا ﷺ فهبط جبريل في ملائكة الفراديس المقربين [وملائكة][2] الصفح الأعلى فقبض قبضة من موضع قبر رسول الله ﷺ وهي يومئذ بيضاء نقية فعجنت بماء التسنيم ورعرعت حتى صارت كالدرة البيضاء ثم غمست في أنهار الجنة كلها، وطيف بها في السموات والأرض والبحار، فعرفت الملائكة حينئذ محمدا ﷺ وفضله قبل أن تعرف آدم وفضله، ثم عجنت بطينة آدم بعد ذلك، ولا يخلق ذلك الجسد إلا من أفضل بقاع الأرض حكاه الثعلبي.

تحقيق الحرمة: حكى أبو عبيد الجرهمي وكان كبير السن عالما بأخبار الأمم أن تبع الأصغر وهو تبع بن حسان بن تبع سار إلى يثرب فنزل في سفح جبل أحد وذهب إلى اليهود وقتل منهم ثلاثمائة وخمسين رجلا حبرا وأراد خرابها فقام إليه حبر من اليهود، فقال له: أيها الملك مثلك لا يقبل على الغضب، ولا يقبل قول الزور، أمرك أعظم من أن يطير بك برق أو تصرع بك لجاج فإنك لا تستطيع أن تخرب هذه القرية، قال: ولم؟ قال: لأنها مهاجر نبي من ولد إسماعيل عليه السلام يخرج من هذه البنية؛ يعني: البيت الحرام، فكف تبع ومضى إلى مكة، ومعه هذا اليهودي ورجل آخر عالم من اليهود فكسى البيت الحرام كسوة ونحر عنده ستة آلاف جزور، وأطعم الناس، وقال:

قد كسونا البيت الذي حرم الله ... ملاء معضدا وبرودا

ولم يزل بعد ذلك يحوط المدينة الشريفة ويعظمها.

قيل: إن تبع هذا ملك ثلاثمائة وعشرين سنة، وكان اسم الحبرين اللذين أتيا معه من المدينة: سحيت ومنبه، الأول بالسين والحاء المهملتين والياء المثناة من أسفل وتاء

---

(١) إضافة من طبعة تركيا.

(٢) الإضافة من طبعة تركيا.

عكسها، والآخر: بالميم والنون والباء الموحدة هكذا ذكره في الدلائل.

وذكر ابن إسحاق في غير رواية ابن هشام في السيرة أن اسم أحدهما نقيامين.

ويروى أن سليمان عليه السلام لما حملته الريح من اصطخر على ممره بوادي النمل، سار إلى اليمن، فتوغل في البادية فسلك مدينة الرسول ﷺ فقال سليمان عليه السلام: هذه دار هجرة نبي في آخر الزمان، طوبى لمن آمن به واتبعه، فقال له قومه: كم بيننا وبين خروجه قال زهاء ألف عام، وادي النمل: هو وادي السديرة بأرض الطائف من أرض الحجاز -قاله كعب- وقيل: هو بالشام.

وسليمان اسم عبراني كان عسكره مائة فرسخ خمسة وعشرون للإنس ومثلها للجن، ومثلها للوحش، ومثلها للطير، وكان له ألف بيت من قوارير على الخشب فيها ثلاثمائة صريحة، وسبعمائة سرية تحملها الريح، وكان في ظهره مياه مائة رجل.

ويحكى أنه كان يتعشى كل يوم عشرين بيضة، وفي كل بيضة نصف درهم فلفل وزنجبيل ودارصيني، وبذر الجرجير، وبذر الفجل مسحوقة مخلوطة، وكان يجامع كل ليلة أربعين امرأة، وكان ارتفاعه في كل سنة ستة وثلاثين ألف ألف ألف وثلاثة وثلاثين ألف ألف وثلاثمائة ألف مثقال -حكاه الشهرستاني- ملك أربعين سنة، وذهب الخاتم بعد عشرين سنة من ملكه، ووجده بعسقلان، فمشى منها إلى بيت المقدس تواضعا لله تعالى، وكان ذهاب ملكه أربعين يوما وكان عمره اثنتين وخمسين سنة وحكم في الحرث وهو ابن إحدى عشرة سنة، ولما توفي حملته الجن على سريره إلى غار بشط بحر القلزم فوضعوه فيه وخاتمه في إصبعه من يده اليسار، قيل: إنه ملك جميع الأرض.

وملك بعده ابنه رحبعم فنبأه الله تعالى فكان نبيا ولم يكن رسولا فملك سبعة عشر سنة.

ثم ملك بعده ابنه أبيا ثلاث سنين، ثم ملك بعده ابنه أساو بن إبيا فغزاه زرج الهندي فغرق زرج قبل وصوله.

ثم لم يزل الله تعالى حافظا لهم، حتى عصوا فسلط عليهم بخت نصر، وهو ابن ولد سنحاريب الملك، وسنجاريب جده وكان سنجاريب ملك بابل، فلما مات استخلف بخت نصر، قيل: كان بخت نصر بن ريان مؤمنًا، وقيل: كان كافرًا.

قال الثعلبي: من قال إن بخت نصر إنما غزا بني إسرائيل عند قتلهم يحيى بن زكريا فهو غلط إنما غزاهم بعد قتلهم نبيهم شعيبا عليه السلام في عهد أرميا وهي الوقعة الأولى، ومن عهد أرميا وتخريب بخت نصر بيت المقدس إلى مولد يحيى عليه السلام أربعمائة وإحدى وستون سنة وذلك أنهم يعدون من لدن تخريب بيت المقدس على يد بخت نصر

إلى حين عمرانه في زمن كيرش بن أخشويرش أصبهبذ بابل من قبل [أردشير][١] بهمن بن أسفنديار بن شاسب سبعون سنة، ثم من بعد عمرانه إلى ظهور الإسكندر ثمانية وثمانون سنة، ثم من بعد مملكة الإسكندر إلى مولد يحيى ثلاثمائة سنة وثلاث سنين.

وذكر ابن إسحاق أن آخرمن بعث فيهم من الأنبياء زكريا، ويحيى وعيسى عليهم السلام.

ومن خراب بيت المقدس على يد بخت نصر إلى نبينا ﷺ سبعمائة سنة.

ولما ملك بخت نصر الأقاليم السبعة داخلته العزة فمسخه الله تعالى وحشا سبع سنين، ثم رده إلى حالته فكان دانيال من خاصته ثم إنه أراد قتل دانيال، فأهلك الله بخت نصر بالطبرزين، ضربه بعض حرسه ليلا وهو لم يدر.

وقيل: إنه هلك بالبعوضة وكان عمره بأيام مسخه ألفان وخمسمائة عام وخمسين يوما فلما مات استخلف الله تعالى بلطا ابنه ولم يلبث إلا يسيرا وهلك وبقي دانيال بأرض بابل إلى أن مات بالسوس.

رجعنا إلى التاريخ:

روى ابن النجار والمطري في تاريخهما عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**إن الإيمان ليأرز إلى المدينة كما تأرز الحية إلى جحرها**»[٢] أي: يأوي قال ابن النجار: أي ينقبض إليها، وقيل: ينضم إليها ويجتمع بعضه إلى بعض.

وعن أنس رضي الله عنه «أن النبي ﷺ كان إذا قدم من سفر نظر إلى جدران المدينة أوضع راحلته، وإن كان على دابة حركها من حبها»[٣].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: يوشك أن يضرب الناس أكباد الإبل يطلبون العلم فلا يجدون أحدا أعلم من عالم المدينة، قال الترمذي: حديث حسن[٤].

روي عن سفيان بن عيينة أنه قال: هو مالك بن أنس رحمه الله وكذلك قال عبد الرزاق.

---

(١) إضافة ليست بالمخطوطة.

(٢) أخرجه البخاري (١٨٧٦)، ومسلم (٢٣٣) ١/٣١، وابن ماجه (٣١١١)، وأحمد (٢/٢٨٦) عن أبي هريرة ﷺ.

(٣) أخرجه البخاري (١٨٨٦) ، والترمذي (٣٤٤١)، وأحمد (٣/١٥٩) من حديث أنس ﷺ، وقال الترمذي: حسن صحيح غريب.

(٤) أخرجه الترمذي (٢٦٨٢)، وأحمد (٢/ ٢٩٩)، والحاكم في المستدرك (١/٩١) من حديث أبي هريرة ﷺ.

وروي عن ابن عيينة أيضا أنه قال: هو العمري الزاهد واسمه: عبد الله بن عبد العزيز[١].

وقد أشار سيدي وجدي أبو محمد عبد الله المرجاني فيما نقل عنه من الفتوحات الربانية في بعض كلام تقدمه شيء من عظيم شرف سيدنا رسول الله ﷺ قال رحمه الله: فمن ألهم الهداية واتحف بجميل العناية اهتدى بهداه وتتبع أوامره ووقف عند زواجره واستن بسنته، وهاجر إلى مدينته وشهد آثار شريف حجرته ليستمد من مناهل بركته، فإذا تحقق ذلك فليس مقصود الكل سوى سلوك نهج سنته فليس المقصود إلا ذلك قرب مستوطن أبعد من بعيد لعدم ملاحظته كما وقعت الإشارة به مما يقتضي المهاجرة إلى حرمه المنيف وحرم ربه الشريف بقوله ﷺ **«إن الإيمان ليأزر فيما بين الحرمين»**[٢] يعني: مكة، إذ هي مشرق طلعته ومهبط الوحي، وموطن الإنس.

وحرم المدينة وهي بقعة مغرب روحه الطاهرة فهذا دليل على خصوصية البقعة لذاتها قبل الجواب عن ذلك، وذلك أن الإشارة الشريفة ظهرت معجزاتها وعمت الخافقين بركتها وذلك أن سر الشريعة التي هي المقصد الأسنى في الإشارة ظهرت في مكة، شرفها الله تعالى على يد الإمام الشافعي رضي الله عنه فكانت مشرفة بها نور مذهبه، ومالك رضوان الله عليه، إمام دار الهجرة ظهرت إشارته المباركة في انتحاله ومذهبه فتمت عليه بركات مغرب روحه فأخذ كل من الإمامين مراده صلوات الله عليه وسلامه بحظ وافر، فاختص أهل المشرق بمن كسى محاسن المشارق، واختص أهل المغرب بمن حل بملابس المغارب فتعلم من ذلك أن الإشارة قد وقعت بأن الإيمان ظهر فيما بين هذين الحرمين الشريفين وبالله التوفيق.

إشارة:

قال صاحب المقدمات: أجمع أهل العلم على فضلها على غيرها، وعند مالك والقاضي عبد الوهاب وجماعة من المالكية: المدينة أفضل من مكة بخلاف الشافعي وأبي حنيفة [وقد قال في آخر التلقين: وبلدة الرسول ﷺ أفضل من البقاع كلها][٣].

قال القاضي عياض بعد ذكره الخلاف: ولا خلاف أن موضع قبر النبي ﷺ أنه أفضل بقاع الأرض كما سيأتي.

---

(١) انظر سابقه.

(٢) أخرجه مسلم (٢٣٣) ١/٣١، والبيهقي في دلائل النبوة (٢/٥٢٠) عن ابن عمر رضي الله عنهما.

(٣) الإضافة من طبعة تركيا.

سمعت والدي رحمه الله غير ما مرة يقول: العقوبة معجلة بالمدينة لمن فعل بها ما يستحق العقوبة، جرى لفلان واتفق لفلان عددا جما.

وسمعته أيضا يقول: كنت ذات يوم جالسا في البستان فإذا بمقدار ثلاثين أو أربعين فارسا لابسين بياض معممين ملثمين جميعهم قاصدين المدينة فأتبعتهم في أثرهم فلم أجد لهم خبرا فسألت عنهم فلم أجد من يخبرني عنهم بخبر ولم أجد لهم أثرا، فعلمت أنهم من الملائكة أو من مؤمني الجن، أو من صالحي الإنس، أتوا لزيارة النبي ﷺ والبستان اليوم باق معروف بالمرجانية بالقرب من المصلى.

وسمعته رحمة الله عليه يقول: من بركة أرض المدينة أني زرعت بالبستان بطيخا أخضر فلما استوى أتاني بعض الفقراء من أصحابي فأشاروا إلى بطيخة قد انتهت وقالوا: هذه لا تتصرف فيها فهي لنا إلى اليوم الفلاني فلما خرجوا أتى من قطعها ولم أعلم فتشوشت من ذلك ونظرت فإذا بنوارة قد طلعت مكان تلك البطيخة وعقدت بطيخة، فلم يأت يوم وعد الفقراء إلا وهي أكبر من الأولى فأتوا وأكلوها ولم يشكوا أنها الأولى.

الفصل الثاني
في ذكر ما جاء في غبار المدينة الشريفة

عن محمد بن إبراهيم بن إسماعيل بن ثابت بن قيس بن شماس عن أبيه رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ **«غبار المدينة شفاء من الجذام»**(١) [رواه الحافظ محب الدين](٢).

قال الفيلسوف أبو الحسن سعيد بن هبة الله في كتابه المغني: هذا المرض هو المسمى بداء السبغ وهو نوعان منه ما يحدث من الخلط السوداوي ومنه ما يحدث عن احتراق المرة الصفراء رواه أبو القاسم بن الطيلسان.

عن علي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ **«شموا النرجس ولو في اليوم مرة واحدة ولو في الشهر مرة، ولو في السنة مرة، ولو في الدهر مرة فإن في القلب حبة من الجنون والجذام والبرص لا يقطعها إلا النرجس»**(٣).

ونهوا عن قطع رأس الرمانة بالفم، وذكروا أن فيها دودة إذا وصلت إلى فم الإنسان تجذم حكاه القرطبي.

---

(١) ذكره المتقي في كنز العمال (٣٤٨٢٨).

(٢) الإضافة من نسخة تركيا.

(٣) ذكره ابن الجوزي في الموضوعات (٣/٦١) عن علي بن أبي طالب ﷺ.

وعن ابن عمر أن رسول الله ﷺ لما دنى من المدينة منصرفه من تبوك [خرج إليه][1] يتلقاه أهل المدينة من المشايخ [والغلمان][2] ثار من آثارهم غبرة فخمر بعض من كان مع رسول الله ﷺ أنفه من الغبار فمد رسول الله ﷺ يده فأماطه عن وجهه وقال: «**أما علمتم أن عجوة المدينة شفاء من السقم، وغبارها شفاء من الجذام**»[3].

وعن [إبراهيم][4] بن الجهم أن رسول الله ﷺ أتى بني الحارث فإذا هم روبى فقال: «**ما لكم يا بني الحارث روبى؟**» قالوا: [نعم يا رسول الله][5] أصابتنا هذه الحمى، قال: «**فأين أنتم من صعيب؟**» قالوا: يا رسول الله ما نصنع به؟ قال: «**تأخذون من ترابه، فتجعلونه في ماء ثم يتفل عليه أحدكم ويقول: بسم الله تراب أرضنا، بريق بعضنا شفاء لمريضنا بإذن ربنا**» ففعلوا فتركتهم الحمى[6]، التفل: نفخ معه شيء من الريق والنفث عكسه.

وأما صعيب فقال أبو القاسم طاهر بن يحيى العلوي: هو وادي بطحان دون الماجشونية وفيه حفرة يأخذ الناس منها، وهو اليوم إذا وبأ إنسان أخذ منه.

وقال الشيخ جمال الدين: صعيب مع ركن الماجشونية الشرقي الشمالي.

وقال أبو عبيد القاسم بن سلام: بطحان بضم الباء الموحدة، وسكون الطاء المهملة سمي بذلك لسعته وانبساطه من البطح وهو البسط.

قال الشيخ الحافظ محب الدين النجار: قد رأيت هذه الحفرة والناس يأخذون منها، وذكروا أنهم قد جربوه فوجدوه صحيحا، ثم قال: وأخذت أنا منها أيضا.

وعن محمد بن إبراهيم بن الحارث عن أبي سلمة أن رجلا أتى رسول الله ﷺ وبرجله قرحة، فرفع رسول الله ﷺ طرف الحصير، ثم وضع إصبعيه التي تلي الإبهام على التراب بعد ما مسها بريقه فقال: «**باسم الله بريق بعضنا بتربة أرضنا يشفى سقيمنا بإذن ربنا**»، ثم وضع إصبعه على القرحة فكأنما حل من عقال[7].

---

(١) الإضافة من نسخة تركيا.

(٢) الإضافة من نسخة تركيا.

(٣) ذكره المتقي في كنز العمال كما تقدم قريبًا، وفي تنــزيه الشريعة (٢/١٠٢).

(٤) الإضافة من نسخة تركيا.

(٥) الإضافة من نسخة تركيا.

(٦) أخرجه البخاري (٥٧٤٥)، وأحمد (٦/٩٣) عن عائشة ﵂.

(٧) أخرجه البخاري (٥٧٤٥، ٥٧٤٦)، والبيهقي في دلائل النبوة (٦/١٧٠) عن عائشة ﵂.

الفصل الثالث
في ذكر ما جاء في تمر المدينة الشريفة وثمارها

أول من غرس النخل في الأرض، أنوش بن شيث وأول من غرسه بالمدينة بنو قريظة وبنو النضير.

حدث العوفي عن الكلبي في تاريخ ملوك الأرض: أن شرية الخثعمي عمر ثلاثمائة سنة وأدرك زمان عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال وهو بالمدينة: لقد رأيت هذا الوادي الذي أنتم فيه، وما به نخلة ولا شجرة مما ترون، ولقد سمعت أخريات قومي يشهدون بمثل شهادتكم هذه؛ يعني: لا إله إلا الله.

وممن عمر مثل هذا جماعة منهم: سلمان الفارسي والمستوعز بن ربيعة وبابارتن: وهو الذي رويت عنه حديث المعمر المشهور عن والدي، عن نجم الدين الأصبهاني عن ابن بابارتن عن أبيه بابارتن، عن النبي ﷺ حسبما هو في البرنامج.

روينا في صحيح مسلم، من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**من أكل سبع تمرات مما بين لابتيها حين يصبح لم يضره سم حتى يمسي**»[(١)]

اللابة: الحرة، والحرة: حجارة سود من الجبلين، وجمع اللابة: لابات ما بين الثلاثة إلى العشرة، فإذا كثرت فهي اللاب، واللوب: لغتان بمعنى واحد، والحرة جمعها حرور وحرات وحرار فقوله: ما بين لابتيها؛ يعني: ما بين حرتيها قاله ابن وهب، وهو قول مالك.

وروينا في الصحيحين من حديث سعد أيضا رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «**من تصبح كل يوم بسبع تمرات عجوة، لم يضره في ذلك اليوم سم ولا سحر**»[(٢)].

العجوة: ضرب من أجود التمر بالمدينة يسمى نخلها اللينة.

فائدة:

ذكر الغزالي في الإحياء: أن من أكل كل يوم سبع تمرات عجوة قتلت كل دابة في بطنه ومن أكل كل يوم إحدى وعشرين زبيبة حمراء لم ير في جسمه شيئا يكرهه.

وروي عن علي رضي الله عنه أنه قال: من ابتدأ غداءه بالملح أذهب الله تعالى عنه سبعين نوعا من البلاء.

قوله: سم ولا سحر السم: كل ما هو مخالف لبدن الإنسان [مخالفة جاوزت مزاج

---

(١) أخرجه مسلم (١٥٤)، وهو عند البخاري (٥٧٦٨) كلاهما عن سعد بن أبي وقاص ﷺ.

(٢) أخرجه البخاري (٥٧٦٩)، ومسلم (١٥٥) عن سعد بن أبي وقاص ﷺ.

الإنسان][1] بحيث يهلكه بجوهره ويفسده عند ملاقات البدن، قال أبو الحسن سعيد بن هبة الله الفيلسوف: والفرق بين السم والدواء القتال أن السم لا يكون إلا من حيوان وما يقتل من غيره يسمى دواء قتالا.

وقد وضع أبو بكر بن وحشية في ذلك تصنيفا غريبا، وذكر منها ما يقتل بالشم، ومنها ما يقتل بالشرب، ومنها ما يقتل بالنظر، ومنها ما يقتل بالسمع وأطلق على جميعها اسم السم ومنها ما هو من حيوان، ومنها ما هو من دواء مركب.

فقوله عليه الصلاة والسلام: «لم يضره سم ولا سحر» يدخل تحته جميع أجناس السموم،ويدخل فيها أيضا ما يناسبها من لدغ الحيات والعقارب وشبهها والله أعلم.

وقد قيل: إن بعض العلماء وهو الشيخ جمال الدين محمد بن مكرم كان يحمل بندقة وعفصة فالبندقة تدفع لدغ العقارب، والعفصة: تمنع طلوع الدمامل، وجاء أن من نظر إلى السها وهو النجم الخفي المقارن لإحدى بنات نعش لم تلسعه في تلك الليلة حية ولا عقرب، وقيل: من عليه الغاريقون لم تلسعه عقرب.

وأما السحر: فقيل: إنه تخيل لا حقيقة له ولا تقبله عينا ولا يحيل طبيعة ذكره علي بن أحمد بن سعيد بن حزم في كتاب الدرة.

سمعت والدي رحمه الله تعالى يقول: سحرت امرأة من أهل اليمن زوجها وغيرت صورته واتفق لهم حكاية طويلة، ثم تشفع فيه بعض الناس،فقالت امرأته: لا بد أن أترك فيه علامة فأطلقته ولكن بعد أن نبت له ذنب شبه ذنب الحمار، فحج وهو على تلك الحالة، فشكى ذلك إلى أبي عبد الله محمد بن يحيى الغرناطي، فقيه كان بمكة، فأمره بالسفر إلى المدينة، فسافر في طريق المشيان إليها، قال: فعند وصوله إلى قباء سقط منه ذلك الذنب بإذن الله تعالى.

والسحر معدود في الكبائر، وهو أول ذنب عصي الله تعالى به.

وأصح ما قيل في الكبائر أنها عشرون: اثنان في اليد السحر والقتل، واثنان في الفرج: الزنا واللواط، وثمان في الفم: الغيبة والنميمة وقذف المحصنات المؤمنات وشهادة الزور ويمين الغموس وشرب الخمر وأكل الربا، وأكل مال اليتيم بالباطل، وأربع في القلب: الرياء والحسد والعجب والكبر، وأربع في جميع البدن: ترك الصلاة وعقوق الوالدين والتولي يوم الزحف وإفساد أموال المسلمين.

وقيل: إذا افتتحت سورة النساء فكل شيء نهي عنه إلى ثلاث وثلاثين آية فهو

---

(١) الإضافة من نسخة تركيا.

كبيرة، وقال ابن جبير: كل ذنب عصي الله به فهو كبيرة.

واختلف في هاروت وماروت فقيل: ملكين على الحقيقة وأنكر ذلك خالد بن أبي عمران، وقال غيره: إنهما مأذون لهما في تعليمه بشرط أن يبينا أنه كفر، وقال مكي: هما جبريل وميكائيل ادعى اليهود عليهما المجيء به [كما ادعوا على سليمان][1] فكذبهم الله في ذلك، وقال: ﴿ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ ﴾ [البقرة: ١٠٢] وقيل: هما رجلان تعلماه، وقال الحسن: هاروت وماروت هما علجان من أهل بابل، وقيل: كانا ملكين من بني إسرائيل فمسخهما الله تعالى حكاه السمرقندي.

وقالوا أيضا في إبليس: إنه لم يكن من الملائكة، وإنما هو أبو الجن كما أن آدم أبو البشر.

وقيل: إن هاروت كان اسمه هدي، وماروت عزايا، وإبليس عزازيل والزهرة هو اسمها بالعربية وبالفارسية ناهيد وبالقبطية بيدخت وهي من الممسوخين وكانت امرأة بغية، ومن الممسوخين سهيل والضب والوزعة والعضاة والقردة والخنازير والفيل والدعموص والجدي والدب والعقرب والقنفد والعنكبوت والخفاش والثعلب والسرطان والخنفساء والسلحفاة والزنبور والعقاب والعقعق والفاختة والبغبغاء والقنبرة والعصفورة والفأرة والبوم والهامة والذئب والأرنب، واعلم أن الخفاش هو الطير الذي صوره عيسى عليه السلام من الطين وهو يلد ولا يبيض، قالوا: وسببه أن ما كان من الحيوان له أذنان ظاهرتان فهو يحيض ويلد، وما كان له أذنان باطنتان فهو يبيض.

رجعنا إلى المقصود:

وفي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان الناس إذا رأوا أول الثمر، جاؤوا به إلى الرسول ﷺ فإذا أخذه رسول الله ﷺ قال: «**اللهم بارك لنا في ثمرنا وبارك لنا في مدينتنا وبارك لنا في صاعنا وبارك لنا في مدنا، اللهم إن إبراهيم عليه السلام عبدك وخليلك ونبيك وإني عبدك ونبيك وإنه دعاك لمكة، وإني أدعوك للمدينة بمثل ما دعاك لمكة ومثله معه، ثم يدعو أصغر وليد له فيعطيه ذلك الثمر**»[2].

الثمر: بفتح الثاء المثلثة جمع ثمرة من ثمار المأكول، وبضمها وضم الميم: المال حكاه العزيزي.

---

(١) إضافة للسياق.

(٢) أخرجه مسلم (٤٧٣) ٢/١٠٠٠، ومالك في الموطأ (٢/٨٨٥) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان يؤتى بأول الثمر فيقول: «**اللهم بارك لنا في مدينتنا وفي ثمارنا وفي مدنا وفي صاعنا بركة مع بركة**»(١) ثم يعطيه أصغر من يحضره من الولدان وفي رواية الترمذي أصغر وليد يراه(٢).

وفي رواية ابن السني: عن أبي هريرة رضي الله عنه رأيت رسول الله ﷺ إذا أتي بباكورة الرطبة وضعها على عينيه [ثم على شفتيه وقال: «**اللهم كما أريتنا أوله فأرنا أخره ثم يعطيه من يكون عنده من الصبيان**»(٣).

وعنه أيضا قال: كان رسول الله ﷺ إذا أتي بباكورة الرطب وضعها على عينيه ثم](٤) دفعها إلى أصغر القوم سنا(٥) ذكره بقي بن مخلد في مسنده ورواه النووي في الأذكار.

الفصل الرابع

ما جاء في دعاء النبي ﷺ لها بالبركة

عن علي رضي الله عنه قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ حتى إذا كنا بالسقيا التي كانت لسعد بن أبي وقاص فقال رسول الله ﷺ «**ائتوني بوضوء**» فلما توضأ قام فاستقبل القبلة، ثم كبر ثم قال: «**اللهم إن إبراهيم كان عبدك وخليلك، ودعاك لأهل مكة بالبركة، وأنا محمد عبدك ورسولك أدعوك لأهل المدينة، أن تبارك لهم في مدهم وصاعهم مثل ما باركت لأهل مكة ومع البركة بركتين**»(٦).

وعن ابن شهاب قال: أخبرني أنس بن مالك أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «**اللهم اجعل بالمدينة ضعفي ما جعلت بمكة من البركة**»(٧) أخرجاه في الصحيحين.

وعن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال: «**اللهم بارك لهم في مكيالهم وبارك لهم في صاعهم وفي مدهم**»(٨) يعني: أهل المدينة.

فائدة:

مد النبي ﷺ رطل وثلث بالعراقي، والصاع منه أربعة أمداد وذلك خمسة أرطال

---

(١) أخرجه مسلم (٤٧٤) ٢/١٠٠٠، ومالك في الموطأ (٢/٨٨٥) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه الترمذي (٣٤٥٤)، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) أخرجه ابن السني في عمل اليوم والليلة (ص ١١٣) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) إضافة من نسخة تركيا.

(٥) أخرجه ابن السني في عمل اليوم والليلة (ص ١١٣)، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٦) أخرجه الترمذي (٣٩١٤) عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

(٧) أخرجه البخاري (١٨٨٥)، ومسلم (٤٦٦) ٢/٩٩٤ عن أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٨) أخرجه البخاري (٢١٣٠)، ومسلم (٤٦٥) ٢/٩٩٤، عن أنس بن مالك رضي الله عنه.

وثلث، وإلى هذا رجع أبو يوسف القاضي حين ناظره مالك بين يدي الرشيد، وكان يقول: إن الصاع ثمانية أرطال على أن في المد رطلين.

قال أبو محمد عبد الله بن أبي زيد: قد عبر المد في غير ما بلد وغير ما زمان فاختلف على حسب اختلاف الموازين ولم أجد لها عيارا، أقول: ولا أصح من أن الصاع أربع حفنات بكف الرجل المتوسط الكفين.

والأمداد الشرعية ثلاثة مد النبي للزكوات والكفارات ومد مروان بن الحكم للنفقات خاصة وفيه مد وثلث بمد النبي ﷺ وقيل: مد وربع ومد هشام لكفارات الظهار خاصة،وفيه مدان إلا ثلثا بمد النبي ﷺ قاله ابن القاسم في المدونة، وذكر البغداديون عن معن بن عيسي: أنه مدان بمد النبي، ﷺ وقال ابن حبيب: هو مد وثلث كالقول الأول.

بيان الرطل العراقي: هو اثنا عشر أوقية والأوقية عشرة دراهم وثلثان من درهم الكيل، فيكون الرطل مائة وثمانية وعشرون درهما ودرهم الكيل هو الذي تحققت به المكاييل والأوزان زنته من حب الشعير خمسون حبة وخمسا حبة، والحب متوسط مقطوع منها ما خرج عن خلقتها، وفي هذا الدرهم ستة دوانق كل دانق سدس، والدانق من حب الشعير ثمان حبات وخمسا حبة.

والأوقية: جمعها أواقي بتشديد الياء فيهما وأواق بتخفيفها في الجمع حكاه اللحياني.

وقية: بفتح الواو وجمعها وقايا، وقال: هي لغة قليلة وقال أبو عبيدة: يقال: أوقية وأواقي غير مصروفة لأنه بزنة جمع الجمع ولك أن تخفف الياء، ولك أيضا في جمعها أواق بلا ياء.

الفصل الخامس
ما جاء في فضل الصبر على لأواء المدينة وشدتها

روى مسلم في صحيحه من حديث سعد بن أبي وقاص عن النبي ﷺ أنه قال: «**لا يثبت أحد على لأوائها وجهدها إلا كنت له شهيدا أو شفيعا يوم القيامة**»[١] اللأواء: الجوع. وفي أفراد مسلم من حديث عمرو مثله.

وعن أبي سعيد مولى المهري أنه جاء إلى أبي سعيد الخدري ليالي الحرة واستشاره في الجلاء من المدينة، وشكى إليه أسعارها وكثرة عياله وأخبره أنه لا صبر له على جهد المدينة فقال: ويحك لا آمرك بذلك لأني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**لا يصبر أحد على جهد المدينة ولأوائها فيموت إلا كنت له شفيعا أو شهيدا يوم القيامة إذا كان**

---

(١) أخرجه مسلم (٤٥٩) ٩٩٢/٢، وأحمد (١٨١/١) عن سعد رضي الله عنه.

مسلما»(١).

وعن جابر بن عبد الله عن رسول الله ﷺ قال: «**ليعودن هذا الأمر إلى المدينة كما بدأ منها حتى لا يكون إيمان إلا بها ولا يترك المدينة رجل رغبة عنها إلا أبدلها الله بمن هو خير منه، وليسمعن أقوام بريف وعيش فيأتونه والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون لا يصبر على لأوائها أحد إلا كان له أجر مجاهد**»(٢).

وعن قطن بن وهب بن عويمر بن الأجدع، أن يحنس مولى الزبير بن العوام أخبره، أنه كان جالسا عند عبدالله بن عمر في الفتنة، فأتته مولاة له تسلم عليه فقالت: إني أردت الخروج يا أبا عبد الرحمن، اشتد علينا الزمان فقال لها عبد الله بن عمر: اقعدي لكاع، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**لا يصبر على لأوائها وشدتها أحد إلا كنت له شهيدا أو شفيعا يوم القيامة**»(٣).

اللكاع: بفتح اللام وبعدها كاف وكسر العين كذا وقع في رواية ابن بكير وغيره، وهو الدنية، ووقع في رواية يحيى: لكع بفتح الكاف وضم العين والصواب الأول، وقيل: اللكع بغير ألف العبد أو اللئيم وقيل: العبد والسفلة، ويقال: للأمة لكاع، كان عمر إذا رأى أمة متقنعة ضربها بالدرة وقال: يا لكاع لا تتشبهي بالحرائر أكشفي رأسك ولكاع بفتح اللام ولكع بضمها، وكذلك يقال للرجل: يا خبث ويا خباث للأنثى.

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من صبر على لأوائها كنت له شفيعا أو شهيدا يوم القيامة**»(٤).

جملة ما روى ابن عمر ألفا حديثا وستمائة وثلاثون حديثا أخرج له منها في الصحيحين: مائتا حديث وثمانون، المتفق عليه منها: مائة وثمانية وستون، انفرد البخاري بأحد وثمانين، ومسلم بأحد وثلاثين، قيل سمه الحجاج في زج رمح، فتوفي بالسم سنة ثلاث وسبعين وقيل: أربع وسبعين ودفن بذي طوى، وقيل: بفخ بمقبرة المهاجرين سميت به لأنه يدفن بها من هاجر إلى المدينة ثم رجع إلى مكة، قلت: والآن بمكة قبر على الجبل المقابل للمعلاة على يمين الخارج من باب مكة المشرفة أشار بعض الصالحين أنه قبر ابن عمر رضي الله عنهما والله أعلم.

---

(١) أخرجه مسلم (٤٧٥، ٤٨٢، ٤٨٣) ٣/١٠٠٠، ١٠٠٤، وأحمد (٢/١١٣) عن أبي سعيد رضي الله عنه.

(٢) أخـــرجه الحاكم في المستدرك (٤/ ٤٥٤)، عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه، وقال: صحيح على شرط مسلم.

(٣) أخرجه مسلم (٤٨٢) ٢/١٠٠٤، وأحمد (٢/١٣٣) عن ابن عمر رضي الله عنهما.

(٤) أخرجه مسلم (٤٨١) ٢/١٠٠٤ عن ابن عمر رضي الله عنهما، وأحمد (٣/٢٩) عن أبي سعيد رضي الله عنه.

الفصل السادس

ما جاء في ذم من رغب عنها

خرج مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: **«يأتي على الناس زمان يدعو الرجل لابن عمه أو قريبه هلم إلى الرخاء، هلم إلى الرخاء، والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون والذي نفسي بيده لا يخرج منهم أحد رغبة عنها إلا أخلف الله فيها خيرا منه، إلا أن المدينة كالكير تخرج الخبث، لا تقوم الساعة حتى تنفي المدينة شرارها كما ينفي الكير خبث الحديد»**(١).

وعن أبي هريرة أيضا رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«أمرت بقرية تأكل القرى، يقولون: يثرب وهي المدينة تنفي الناس كما ينفي الكير خبث الحديد»**(٢).

وعن مالك أنه بلغه أن عمر بن عبد العزيز حين خرج من المدينة التفت إليها فبكى ثم قال لمن معه: أنخشى أن نكون ممن نفت المدينة.

قال مالك بن دينار: قرأت في التوراة أن عمر بن عبد العزيز صديقًا، وعن خالد الربعي قال: قرأت في التوراة إن السماء والأرض تبكي على موت عمر بن عبد العزيز أربعين سنة.

وعن جابر بن عبد الله أن أعرابيا بايع رسول الله ﷺ على الإسلام فأصاب الأعرابي وعك بالمدينة، فأتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله أقلني بيعتي فأبى فخرج الأعرابي، فقال النبي ﷺ **« المدينة كالكير تنفي خبثها وينصع طيبها »**(٣) ينصع؛ أي: يبقى ويظهر.

وعن سفيان بن أبي زهير، عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«تفتح اليمن فيأتي قوم يبسون فيتحملون بأهلهم ومن أطاعهم والمدينة خير لهم لو كانوا يعمون وتفتح الشام فيأتي قوم يبسون فيتحملون بأهلهم ومن أطاعهم والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون وتفتح العراق، فيأتي قوم يبسون فيتحملون بأهلهم ومن أطاعهم والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون»**(٤).

يبسون: بضم الياء المثناة وكسر الباء الموحدة من بس يبس قيل: معناه يزينون لهم البلد الذي جاؤوا منها ويحببونه إليهم ويدعون إلى الرحيل إليه.

---

(١) أخرجه مسلم (٤٨٧) ٢/١٠٠٥.

(٢) أخرجه البخاري (١٨٧١) ٢/٢٧٠، ومسلم (٤٨٨) ٢/١٠٠٦ عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) أخرجه البخاري (١٨٨٣) عن جابر رضي الله عنه، ومسلم (٤٨٩) ٢/١٠٠٦ عن ابن عمر رضي الله عنهما.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه (١٨٧٥)، ومسلم (٤٩٧) ٢/١٠٠٩ عن سفيان بن أبي زهير رضي الله عنه.

وروى ابن بكير: يبسون بفتح الياء المثناة وفسره بيسيرون من قوله تعالى: ﴿ وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا ﴾ [الواقعة: ٥] أي سارت، وقيل: بفتح الياء وكسر الباء وفتحها أيضا معناه يسيرون، وقيل: يدعون إلى المسير دليله قوله فيتحملون وقيل: معناه يزجرون دوابهم بس بس وهو صوت الزجر إذا سقتها وفي لغة اليمن: بسست وأبسست فيكون يبسون ويبسون.

الفصل السابع

ما جاء في ذم من أخاف المدينة الشريفة وأهلها

روى البخاري بإسناده إلى سالم بن عبد الله قال: سمعت أبي يقول سمعت عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول: اشتد الجهد بالمدينة وغلا السعر فقال النبي ﷺ: «**اصبروا يا أهل المدينة وأبشروا فإني قد باركت على صاعكم ومدكم كلوا جميعا ولا تفرقوا فإن طعام الرجل يكفي الاثنين فمن صبر على لأوائها وشدتها كنت له شفيعا وكنت له شهيدا يوم القيامة، ومن خرج عنها رغبة عما فيها أبدل الله عز وجل فيها من هو خير منها ومن بغاها أو كادها بسوء أذابه الله تعالى كما يذوب الملح في الماء**»(١).

وخرج البخاري في صحيحه من حديث سعد بن أبي وقاص عن النبي ﷺ أنه قال: «**لا يكيد أهل المدينة أحد إلا إنماع كما ينماع الملح في الماء**»(٢).

وعن محمد بن جابر بن عبد الله عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: «**من أخاف أهل المدينة أخافه الله**»(٣).

وعن معقل بن يسار قال: قال رسول الله ﷺ «**المدينة مهاجري فيها مضجعي، وفيها مبعثي، حق على أمتي حفظ جيراني ما اجتنبوا الكبائر ومن حفظهم كنت له شهيدا، أو شفيعا يوم القيامة ومن لم يحفظهم سقي من طينة الخبال**»(٤) قيل للمزني ما طينة الخبال؟ قال: عصارة أهل النار، يعني: الدم والقيح.

وعن أبي عبد الله القراظ قال: أشهد أن أبا هريرة رضي الله عنه قال أبو القاسم ﷺ: «**من أراد أهل هذه البلدة بسوء -يعني: المدينة- أذابه الله كما يذوب الملح في**

---

(١) ذكـره الهيثمي في المجمع (٣/٣٠٥)، وعزاه لابن ماجه والبزار، وأخرجه البزار في كشف الأستار (٢/٥٢)، وقال الهيثمي: قال البزار لا نعلمه عن عمر إلا من هذا الوجه.

(٢) أخرجه البخاري (١٨٧٧) عن سعد ﷺ.

(٣) أخرجه أحمد (٣/٣٩٣) عن جابر ﷺ.

(٤) أخرجه ابن عدي في الكامل (٥/١٧٦٢) عن عائشة ﷺ.

الماء»(١).

وعن جابر بن عبد الله أن رسول الله ﷺ قال: «**من أخاف أهل المدينة فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا ومن أخاف أهلها فقد أخاف ما بين هذين ووضع يديه على جنبيه تحت ثدييه**»(٢).

وعن السائب بن خلاد أن رسول الله ﷺ قال: «**من أخاف أهل المدينة ظلما أخافه الله وعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل الله من صرفا ولا عدلا**»(٣).

اللعن في اللغة: أصله الطرد، ولعن الله إبليس؛ أي: طرده حين قال له: ﴿ ٱخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَّدْحُورًا ﴾ [الأعراف: ١٨].

سمعت والدي رحمه الله تعالى يقول: لعنة الله من الأرض على أرض السويس، قلت ما سبب ذلك؟ قال: إن الخطيب سراج الدين عمر بن أحمد بن الخضر الأنصاري كان قاضي المدينة الشريفة وإمامها وخطيبها قريبا من أربعين سنة، أراد السفر إلى مصر، فرأى النبي ﷺ في النوم فقال له: أريد السفر إلى مصر، فقال له النبي ﷺ «**لا تسافر**» فقال: بل أسافر يا رسول الله فقال: كرر السؤال ثلاث مرات، والنبي ﷺ يقول له: «**لا تسافر**» فبعد ثالث مرة قال له ﷺ: «سافر إلى لعنة الله» فتجهز وسافر فمات بالسويس قبل قدومه مصر، وذلك في أوائل سنة خمس وعشرون وسبعمائة.

قوله: صرفا ولا عدلا الصرف: التوبة والعدل: الفدية، وقيل الصرف: الحيلة، قال الله تعالى: ﴿ فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا ﴾ [الفرقان: ١٩] وقال: ﴿ وَإِن تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لَّا يُؤْخَذْ مِنْهَآ ﴾ [الأنعام: ٧٠].

الفصل الثامن

ما جاء في منع الطاعون والدجال من دخول المدينة الشريفة

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**على أنقاب المدينة ملائكة يحرسونها لا يدخلها الطاعون ولا الدجال**»(٤) النقب: الطريق.

(١) أخرجه مسلم (٤٩٢، ٤٩٣) عن عبد الله بن القراط ﷺ، وأحمد (٨٤/١) عن سعد وأبي هريرة ﷺ.

(٢) أخرجه أحمد (٣٥٤/٣) عن جابر ﷺ.

(٣) أخرجه أحمد (٥٥/٤) عن السائب بن خلاد ﷺ.

(٤) أخرجه البخاري (١٨٨٠) ومسلم (٤٨٥) ١٠٠٥/٢ عن أبي هريرة ﷺ.

وعنه أيضا قال: قال رسول الله ﷺ: **«المدينة ومكة محفوفتان بالملائكة على كل نقب منها ملك لا يدخلها الطاعون ولا الدجال»**[١].

الطاعون: رجس أرسله الله تعالى على بعض الأمم السالفة، قيل: هو الموت الذريع من الوباء العام، ومعنى الذريع؛ أي: الكثير، ويسمى الموت الكثير طوفانا كما يسمى السيل العظيم قاله الفربري.

وقيل: هو داء [يصيب][٢] الإنسان من غلبة الدم وشدة الحرارة وهو قريب من الجذام، وإذا غلب على مؤمن لا يسلم، منه إلا القليل وحكمه الشهادة وقيل: الثواب وليس هو يختصه بصفة واحدة، ولكن كل مرض يعم عامة الناس ويهلكون به يسمى طاعونا وبه أهلك الله تعالى قوم حزقيل النبي عليه السلام في قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ ﴾ الآية. وذلك أن قرية داوردان وهي قبلي واسط نزل بها طاعون، فخرجت منها طائفة فسلمت فوقع بها من قابل، فخرج عامة أهلها فهلكوا، وكانوا أربعة آلاف وقيل: سبعون ألفا، ثم أحياهم الله تعالى وتناسلوا.

عن ابن عباس رضي الله عنهما أن نسل تلك الطائفة ليوجد اليوم في ذلك السبط من اليهود حكاه الثعلبي.

تحذير:

عن عبد الرحمن بن عوف، عن رسول الله ﷺ قال: **«إذا سمعتم بهذا الوباء بالبلد فلا تقدموا عليه، وإذا وقع وأنتم فيه فلا تخرجوا فرارا منه»**[٣].

وعن عبد الله بن عامر بن ربيعة أن عمر بن الخطاب، خرج إلى الشام، فلما جاء سرغ، بلغه أن الوباء قد وقع بالشام، فأخبره عبد الرحمن بن عوف الحديث الذي قدمناه عنه فرجع عمر من سرغ[٤].

سرغ: بفتح السين المهملة، وإسكان الراء، ويقال أيضا: بفتح الراء، بعدها غين معجمة، قال ابن وضاح: من المدينة إلى سرغ ثلاث عشرة مرحلة.

وعن مالك أنه بلغه أن عمر بن الخطاب قال: لبيت بركبة أحب إلي من عشرة

---

(١) أخرجه أحمد (٢/٤٨٣)، والبخاري في تاريخه الكبير (٦/١٨٠) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) الإضافة من نسخة تركيا.

(٣) أخرجه البخاري (٥٧٢٩)، ومسلم (٩٨) ٣/١٧٤٠، ومالك في الموطأ (٢/٨٩٤) عن ابن عوف رضي الله عنه.

(٤) أخرجه مسلم (٩٨) ٤/١٧٤٠ مطولاً عن ابن عباس رضي الله عنهما.

أبيات بالشام قال مالك: يريد لطول الأعمار والبقاء ولشدة الوباء بالشام[١]، وركبة: ما بين الطائف ومكة، وقيل: في ناحية اليمن تقال: بفتح الكاف وسكونها.

وروت عمرة أنها دخلت مع أمها على عائشة، فسألتها: ما سمعت من رسول الله ﷺ يقول في الفرار من الطاعون؟ قالت: سمعته يقول: «**كالفرار من الزحف**»[٢].

عمرة هذه هي: عمرة بنت قيس العدوية، وقد يروي نساء أو رجال عن شخص واحد تتساوى أسماؤهم فإن عمرة المذكورة وعمرة بنت عبد الرحمن الأنصارية، وعمرة بنت أرطاة وعمرة الطاحنية جميعهم يروي عن عائشة.

ومثله: الأغر واسمه سلمان والأغر الثاني أبو مسلم وكلاهما يروي عن أبي هريرة.

وعطاء بن أبي رباح وعطاء الخراساني وعطاء بن ميناء وعطاء بن يسار، وعطاء مولى أم صبية، وجميعهم يروي عن أبي هريرة.

وفي الصحابة جماعة ليس لأسمائهم مثل منهم:

الأغر وأبي اللحم وأحمد بن عجبان وأسمر، وأيفع وهو ذوو الكلاح وجندرة وجوذان وحممة وحطاب، [وصحار][٣] وصدى وصنابح وعكاف وفيروز، وكناز، ومحيصة، والمقداد، ونبيشة ونعيمان والنواس ووائلة، ووابصة وهداج والمهلب وبرد.

وقال ابن الجوزي: في المحدثين خلق كثير إلا أن أعجبهم مسدد البصري لاسمه أمثال غير أن ليس لأسماء آبائه مثال، لأنه مسدد بن مسرهد بن مسرهد [بن مغربل بن مرعبل بن أرثدل بن سرندل بن غرندل بن ماشك بن المستورد بن أسد بن شريك][٤] بن مالك بن عمرو بن مالك بن فهم بن غنم بن دوس البصري روى عنه البخاري وقال: مات سنة [ثمان و][٥] عشرين ومائتين.

وقال أبو الحسن المدائني: كانت الطواعين المشهورة في الإسلام خمسة.

طاعون شيرويه -بكسر الشين المعجمة وسكون الياء المثناة من أسفل ورفع الراء وفتح الياء والهاء- بالمدائن سنة ست من الهجرة.

ثم طاعون عمواس في زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه بالشام مات فيه خمسة وعشرون ألفا.

---

(١) أخرجه مالك في الموطأ (٢/٨٩٧) عن عمر رضي الله عنهما.
(٢) أخرجه ابن سعد في الطبقات (٨/٤٩٠) .
(٣) سقط من الأصل، والإضافة من نسخة تركيا.
(٤) سقط من الأصل، والإضافة من نسخة تركيا.
(٥) سقط من الأصل، والإضافة من نسخة تركيا.

ثم طاعون في شوال سنة ستة وتسعين، مات في ثلاثة أيام في كل يوم سبعون ألفا، ومات فيه لأنس بن مالك ثلاثة وثمانون ابنا، وقيل: ثلاثة وسبعون ومات لعبد الرحمن بن أبي بكرة أربعون ابنا.

ثم طاعون الفتيات في شوال سنة سبع وثمانين.

ثم طاعون سنة إحدى وثلاثين ومائة، كان يحصى في سكة المدينة كل يوم ألف جنازة، ابتدأ في رجب وخف في شوال.

وكان بالكوفة طاعون سنة خمسين، وفيه توفي المغيرة بن شعبة.

وذكر ابن قتيبة في كتاب المعارف عن الأصمعي نحوا من ذلك قال: وسمي طاعون الفتيات لأنه بدأ في العذارى قال: ويقال له طاعون الأشراف كان بنواحي البصرة والكوفة وواسط والشام قال: ولم يقع بالمدينة ولا مكة طاعون قط.

وذكر ابن الجوزي في المدهش أن طاعون [عمواس كان في سنة الرمادة وعمواس -بفتح العين والميم- قرية بين الرملة وبيت المقدس وسمي عام الرمادة لأنه][1] كان عام قحط وكانت الريح تسفي غبارا كالرماد وكان هذا الطاعون بالأردن وفلسطين.

قال: وفي سنة أربع وستين: وقع طاعون بالبصرة، فماتت أم أميرهم فما وجدوا من يدفنها، وطاعون سنة تسعة وستين، كان يسمى الجارف وكان يموت فيه أهل الدار فيطين الباب عليهم، وقيل للهيثم بن عدي: لم كره الناس البناء فيه؟ قال: مات فيه -في طاعون الجارف- بضعة عشرة ألف عروس فتطير الناس منه.

وفي سنة إحدى وثلاثين ومائة: وقع الطاعون، مات فيه أول يوم سبعون ألفا وفي اليوم الثاني جماعة.

وفي سنة تسع عشرة وثلاث مائة: كثر الموت، فكان يدفن في القبر الواحد جماعة.

وفي سنة ست وأربعين وثلاث مائة: [عم المرض فكان يموت أهل الدار كلهم.

وفي سنة ثمان وأربعين وأربعمائة:][2] أصاب أهل البصرة حر، فكانوا يتساقطون موتا في الطرقات.

وفي سنة تسع وأربعين وأربعمائة: وقع الوباء فكان يحفر زبية لعشرين وثلاثين.

وفي سنة ست وخمسين وأربعمائة، وقع الوباء وبلغ الرطل من التمر هندي أربعة دنانير.

---

(١) سقط من الأصل وإضافة من ط تركيا.

(٢) سقط من الأصل وإضافة من ط تركيا.

وفي سنة اثنتين وستين وأربعمائة: اشتد الجوع والوباء بمصر وبيع اللوز والسكر وزنا بوزن الدراهم، والبيضة بعشرة قراريط وخرج وزير صاحب مصر ونزل عن بغلته فأخذها ثلاثة نفر فأكلوها فصلبوا فأصبح الناس لا يرون إلا عظامهم وقد أكلوا.

وفي سنة أربع وستين وأربعمائة: وقع الموت في الدواب، حتى أن راعيا قام وقت الصباح إلى الغنم يسوقها، فوجدها موتى كلها.

قلت: وفي سنة تسع وأربعين وسبعمائة: شاهدنا الطاعون الجارف على الحقيقة، واستمر إلى نصف سنة خمسين، طاف جميع الأرض، وابتدأ من أدنى أقطار بلاد المشرق ومر إلى أن انتهى أقصى أقطار بلاد المغرب من جهة الجنوب، ثم سار في الشمال إلى أن انتهى أقصى المشرق، وبالجملة أنه طاف جميع الأرض، وكان يموت بمصر أياما كل يوم نيف وسبعون ألفا ومات في أيام مسيره بالمغرب ما ينيف على ثلاثمائة ألف، ومات فيه سبع ملوك للنصارى منهم ألفنس وأخلى قرى كثيرة وديارا ولما كان قبل ذلك في سنة ست وثلاثين وسبعمائة كنا بالإسكندرية فأرسل إلى والدي: عمي محمد بن عبد الله المرجاني كتابا من أرض تونس وفيه: يا أخي إن في سنة خمسين يكون أمر عظيم لا أدري ما هو، فارتحل إلى مكة فكان ممن توفي بذلك الفناء.

واعلم أن التختم بسائر أصناف الياقوت يدفع الطاعون، لا سيما الأزرق منه.

رجعنا إلى ما كنا بسببه:

وأما منع دخول الدجال المدينة الشريفة: فروي عن أنس رضي الله عنه أنه قال: ليس من بلد إلا سيطأها الدجال، إلا مكة والمدينة ليس نقبا من أنقابها إلا عليه ملائكة صافين يحرسونها، فينزل السبخة ثم ترجف المدينة بأهلها ثلاث رجفات فيخرج إليه كل كافر ومنافق[1].

وخرج البخاري في صحيحه من حديث أبي بكرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**لا يدخل المدينة رعب المسيح الدجال، لها يومئذ سبعة أبواب على كل باب ملكان**»[2].

قال أبو جعفر الطحاوي: ولا يدخل الدجال مسجد الطور طحا قرية بصعيد مصر.

وقيل: يمنع أيضا من دخول بيت المقدس، ذكره أبو عبيد القاسم بن سلام.

---

(١) أخرجه البخاري (١٨٨١)، ومسلم (١٢٣) ٢/٢٢٦٥ عن أنس بن مالك ﷺ.

(٢) أخرجه البخاري (١٨٧٩)، وأحمد (٥/٤٣)، والحاكم في المستدرك (٤/٥٤٢) عن أبي بكرة ﷺ، ومسلم (٨٩، ٩١) ٤/٢٢٦٥ عن أنس ﷺ.

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: حدثنا رسول الله ﷺ حديثا طويلا عن الدجال فكان مما حدثنا به أن قال: **«يأتي الدجال وهو محرم عليه أن يدخل أنقاب المدينة فينزل بعض السباخ التي بالمدينة، فيخرج إليه يومئذ رجل هو خير الناس أو من خير الناس فيقول: أشهد أنك الدجال الذي حدثنا عنك رسول الله ﷺ حديثه فيقول الدجال: أرأيتم إن قتلت هذا ثم أحييته هل تشكون في الأمر؟ فيقولون: لا فيقتله ثم يحييه فيقول حين يحييه: والله ما كنت قط أشد بصيرة مني اليوم فيقول الدجال اقتلوه فلا يسلط عليه»**[(١)]، قيل: إن هذا الرجل هو الخضر عليه السلام، حكاه القرطبي في التذكرة.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: إن رسول الله ﷺ قال: **«يأتي المسيح من قبل المشرق، وهمته المدينة حتى ينزل دبر أحد ثم تصرف الملائكة وجهه قبل الشام وهنالك يهلك»**[(٢)].

وعنه ﷺ: **«يخرج الدجال في أمتي فيمكث أربعين»**[(٣)] لا أدري أربعين يوما أو أربعين شهرا أو أربعين عاما.

قال القرطبي: ويمكث الناس بعد أن يقتله عيسى عليه السلام سبع سنين ليس بين اثنين عداوة ثم يرسل الله تعالى ريحا من قبل الشام فلا تبقي من في قلبه مثقال ذرة من خير أو إيمان إلا قبضته ثم يأمر إبليس بعبادة الأوثان، ثم ينفخ في الصدور.

وعنه ﷺ قال: **«عمران بيت المقدس خراب يثرب، وخراب يثرب خروج الملحمة، وخروج الملحمة فتح القسطنطينية [وفتح القسطنطينية خروج الدجال ابن صياد في سبعة أشهر»**[(٤)].

وقال: بين الملحمة][(٥)] وفتح القسطنطينية ست سنين ويخرج الدجال في السابعة يخرج من أرض يقال لها خراسان وقيل: من ناحية أصبهان من قرية يقال لها: العقودية وهو ممخرق يدعي الإلهية، ويخرج عيسى عليه السلام من قبل المغرب فيقتله بباب لد

---

(١) أخرجه البخاري (١٨٨٢) عن أبي سعيد رضي الله عنه.

(٢) أخرجه مسلم (٤٨٦) ٢/١٠٠٥، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) أخرجه مسلم (١١٦) ٤/٢٢٥٨، وأحمد (٢/١٦٦)، والحاكم في المستدرك (٤/٥٥٠) عن ابن عمر رضي الله عنهما.

(٤) أخرج مسلم حديث ابن صياد (٨٥- ٩٩).

(٥) سقط من الأصل والزيادة من نسخة تركيا.

الشرقي[١] حكاه القرطبي.

وعنه ﷺ «**ما بين خلق آدم إلى أن تقوم الساعة خلق أكبر من الدجال**»[٢] أوصاف ابن الصياد اسمه عبد الله بن صياد وقيل: ابن صائد من يهود المدينة وقيل: دخيل فيهم مكث أبواه ثلاثين سنة لم يولد لهما، ثم ولد لهما غلاما أعور أضرس الأضرس: العظيم الأضراس اختلف الصحابة ومن بعدهم في أمره فقيل: هو الدجال فقد يوم الحرة وكانت الحرة في آخر ذي الحجة من سنة ثلاث وستين.

وحلف جابر وعمر بن الخطاب ﷺ بحضرة رسول الله ﷺ أنه هو الدجال فلم ينكر ذلك عليهما[٣].

وقيل: إن هذا الولد أسلم وولد له وحج ومات بالمدينة، وصلى عليه المسلمون أو كشفوا عن وجهه حتى رآه جمع كثير من المسلمين.

قال الشعبي: وكنية الدجال أبو يوسف وسمي دجالا لضربه في الأرض وقطعه أكثر نواحيها.

وقيل: سمي بذلك لتمويهه على الناس، وقيل: الدجال الكذاب ودجله كذبه وسحره قاله الخليل وقيل: سمي به لأنه مطموس العين اليمنى وسمي مسيحا لأنه يمسح الإيمان وقيل: لأنه ممسوح العين، وقيل: اسمه المسيخ بالخاء المعجمة وقيل: المسيح بكسر الميم وتشديد السين حكاه الثعلبي، ومن قرأ سورة الكهف يوم الجمعة عصم من الدجال.

الفصل التاسع

في تضعيف الأعمال بالمدينة الشريفة وفضيلة الموت بها وما يؤول إليه أمرها

ما جاء في تضعيف الأعمال بالمدينة الشريفة:

عن ابن عمر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ «**صلاة الجمعة بالمدينة كألف صلاة فيما سواها**»[٤].

وعنه أيضا قال: قال رسول الله ﷺ «**صيام شهر رمضان في المدينة كصيام ألف**

---

(١) أخـــرجه أبو داود (٤٢٩٤)، وابن ماجه (٤٠٩٢)، وأحمد (٥/٢٣٢)، والحاكم (٤/٤٢٠) عن معاذ بن جبل ﷺ.

(٢) أخـــرجه مـــسلم (١٢٦) ٤/٢٢٦٧، وأحمـــد (٤/١٩)، والحاكم في المستدرك (٤/٥٢٨) عن هشام بن عامر ﷺ.

(٣) أخرجه مسلم (٩٤) ٤/٢٢٤٣.

(٤) ذكره ابن الجوزي في العلل المتناهية (٢/٨٧)، وقال: حديث لا يصح.

شهر فيما سواها»[١].

فريضة رمضان أنزلت في شهر شعبان من السنة الثانية من الهجرة، وأمر رسول الله ﷺ فيها بزكاة الفطر.

ما جاء في فضيلة الموت بها:

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ **«من استطاع أن يموت بالمدينة فليمت فإن من مات بالمدينة شفعت له يوم القيامة»**[٢].

وعنه أيضا أن رسول الله ﷺ قال: **«من زارني في المدينة فمات بها كنت له شهيدا أو شفيعا يوم القيامة»**[٣].

ويروى عنه ﷺ: **«من مات في أحد الحرمين حاجا أو معتمرا بعثه الله يوم القيامة لا حساب عليه ولا عذاب»**[٤] وفي طريق آخر: **«بعث من الآمنين يوم القيامة»**[٥].

وروى البخاري في صحيحه عن أم المؤمنين حفصة بنت عمر رضي الله عنهما قالت: قال عمر: اللهم ارزقني شهادة في سبيلك واجعل موتي في بلد رسول الله ﷺ فقلت أن يكون هذا؟ فقال يأت الله به إذا شاء فكان كذلك وهذا مما يؤيد استحباب دعاء الإنسان بأن يكون موته في البلد الشريف[٦] قاله النووي.

ذكر ما يؤول إليه أمر المدينة الشريفة:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«لتتركن المدينة على خير ما كانت، مذللة ثمارها، لا يغشاها إلا العوافي** -يريد عوافي الطير والسباع- **وآخر من يحشر منها راعيان من مزينة يريدان المدينة ينعقان بغنمهما فيجدانها وحشا، حتى إذا بلغا ثنية الوداع خرا على وجوههما»**[٧] أخرجه البخاري في صحيحه.

وعنه أيضا أن رسول الله ﷺ قال: **«لتتركن المدينة على أحسن ما كانت حتى يدخل الكلب** -أو الذئب- **فيغذى على بعض سواري المسجد - أو على المنبر -»**

---

(١) انظر سابقه.

(٢) أخرجه الترمذي (٣٩١٧)، وابن ماجه (٣١١٢)، وأحمد (٢/٧٤) عن ابن عمر رضي الله عنهما.

(٣) ذكره السيوطي في الدر المنثور (١/٢٣٧)، بلفظ: «من زارني في المدينة محتسبًا كنت له شهيدًا».

(٤) أخرجه ابن عدي في الكامل (٤/١٤٥٥) عن جابر رضي الله عنه.

(٥) ذكره ابن عبد البر في الاستيعاب (١/٣١٥).

(٦) أخرجه البخاري (٢٧٨٨، ٢٧٨٩)، ومالك في الموطأ (١/٤٦١) عن حفصة رضي الله عنها.

(٧) أخرجه البخاري (١٨٧٤)، ومسلم (٤٩٩) ١/١٠١٠ عن أبي هريرة رضي الله عنه.

فقالوا: يا رسول الله فلمن تكون الثمار ذلك الزمان؟ فقال: «**للعوافي**» الطير والسباع[(١)] رواه مالك في الموطأ.

وقد جاء في الحديث: «**أن سواد المدينة يزيد بزيادة أهلها وزيادة عمارتها حتى تتصل مساكنهم إلى إهاب**»[(٢)].

إهاب: بكسر الهمزة ويهاب: بكسر الياء، اسمان لموضع بقرب المدينة وروي نهاب بالنون، ولعله تصحيف، وهذا الموضع بعيد من المدينة بأميال.

قال الشيخ شهاب الدين فضل الله: نهاب بالنون المكسورة وقال الشيخ سراج الدين داود: قيل هما موضعان قريبان من خيبر.

الفصل العاشر

ما جاء في تحريم النبي ﷺ المدينة الشريفة

عن رافع بن خديج أنه سمع رسول الله ﷺ يقول وذكر مكة فقال: «**إن إبراهيم حرم مكة وإني أحرم ما بين لابتيها**»[(٣)] يريد المدينة.

وعن عبد الله بن زيد بن عاصم، عن النبي ﷺ أنه قال: «**إن إبراهيم حرم مكة ودعا لأهلها، وإني حرمت المدينة كما حرم إبراهيم مكة، وإني دعوت في صاعها ومدها بمثلي ما دعا به إبراهيم لأهل مكة**»[(٤)].

وعن نافع بن جبير، أن مروان بن الحكم خطب الناس فذكر مكة وأهلها وحرمتها ولم يذكر المدينة وأهلها وحرمتها فناداه رافع بن خديج فقال: ما لي أسمعك ذكرت مكة وأهلها وحرمتها، ولم تذكر المدينة وأهلها وحرمتها وقد حرم رسول الله ﷺ ما بين لابتيها وذلك عندنا في أديم خولاني إن شئت أقرأتكه: قال: فسكت مروان، ثم قال: قد سمعت بعض ذلك[(٥)].

وعن عثمان بن حكيم، حدثني عامر بن سعد، عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ «**إني أحرم ما بين لابتي المدينة أن يقطع عضاهها أو يقتل صيدها وقال: المدينة خير لهم لو كانوا يعلمون لا يدعها أحد رغبة عنها إلا أبدل الله فيها من هو خير منه، ولا**

---

(١) الموطأ (٢/٨٨٨)، وهو عند مسلم (٤٩٩) ٢/١٠١٠ عن أبي هريرة ﷺ.

(٢) أخرجه مسلم (٤٣) ٤/٢٢٢٨ عن أبي هريرة ﷺ.

(٣) أخرجه مسلم (٤٥٦) ٢/٩٩٢، وأحمد (٤/١٤١) عن رافع بن خديج ﷺ.

(٤) أخرجه البخاري (٢١٢٩)، ومسلم (٤٥٤) ٢/٩٩١ عن عبد الله بن زيد ﷺ.

(٥) أخرجه مسلم (٤٥٧) ٢/٩٩١ عن نافع بن جبير ﷺ.

يثبت أحد على لأوائها وجهدها إلا كنت له شفيعا أو شهيدا يوم القيامة»[١].

وعن عامر بن سعد بن أبي وقاص مثل هذا الحديث وزاد فيه: «**ولا يريد أحد أهل المدينة بسوء إلا أذابه الله في النار ذوب الرصاص أو ذوب الملح في الماء**»[٢].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**حرم ما بين لابتي المدينة على لساني**»[٣].

وعن علي بن أبي مسهر [عن الشيباني عن يسير بن عمرو، عن سهل بن حنيف][٤] رضي الله عنه قال: أهوى رسول الله ﷺ بيده إلى المدينة وقال: «**إنها حرم آمن**»[٥].

وفي السنن لأبي داود أن سعد بن أبي وقاص أخذ رجلا يصيد في حرم المدينة الذي حرم رسول الله ﷺ فسلبه ثيابه فجاء مواليه فكلموه فيه فقال: إن رسول الله ﷺ حرم هذا الحرم وقال: «**من وجد أحدا يصيد فيه فليسلبه ثيابه**» فلا أرد عليكم طعمة أطعمنيها رسول الله ﷺ ولكن إن شئتم دفعت إليكم ثمنه[٦].

وعن جابر بن عبد الله أنه قال: لا يخبط شجرها ولا يعضد حمى رسول الله ﷺ ولكن يهش هشا رفيقا[٧].

الفصل الحادي عشر
في تحديد حدود حرم المدينة الشريفة

روى أبو داود في سننه من حديث علي رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**المدينة حرام ما بين عير إلى ثور فمن أحدث فيها حدثا أو آوى محدثا فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل منه صرف ولا عدل، ولا يختلى خلاها ولا ينفر صيدها ولا تلتقط لقطتها إلا لمن أشاد بها ولا يصح لرجل أن يحمل فيها السلاح لقتال، ولا يصلح أن يقطع منها شجرة إلا أن يعلف رجل بعيره**»[٨].

وروينا في الصحيحين، من حديثه أيضا، عن النبي ﷺ أنه قال: «**المدينة حرم ما بين**

---

(١) أخرجه مسلم (٤٥٩)٢/٩٩٢ عن عامر بن سعد رضي الله عنه.
(٢) أخرجه مسلم (٤٦٠)٢/٩٩٣ عن عامر بن سعد رضي الله عنه.
(٣) أخرجه البخاري (١٨٦٩)، وأحمد (٢/٢٨٦) عن أبي هريرة رضي الله عنه.
(٤) سقط من الأصل، والزيادة من نسخة تركيا.
(٥) أخرجه مسلم (٤٧٩) ٢/١٠٠٣
(٦) أخرجه أبو داود (٢٠٣٧) عن سعد رضي الله عنه.
(٧) أخرجه أبو داود (٢٠٣٨) عن جابر رضي الله عنه.
(٨) أخرجه أبو داود (٢٠٣٤، ٢٠٣٥) عن علي رضي الله عنه.

عير إلى ثور فمن أحدث فيها حدثا أو آوى محدثا فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل الله منه يوم القيامة صرفا ولا عدلاً»[(١)].

وعن عبد الله بن سلام أن رسول الله ﷺ **«حرم ما بين أحد وعير»**[(٢)].

وعن إبراهيم التيمي عن أبيه قال: خطبنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقال: من زعم أن عندنا شيئا نقرؤه إلا كتاب الله وهذه الصحيفة قال وصحيفة معلقة في قراب سيفه فقد كذب، فيها أسنان الإبل وشيئا من الجراحات وفيها قال النبي ﷺ **«المدينة حرم ما بين عير إلى ثور فمن أحدث فيها حدثا أو آوى محدثا فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل الله منه يوم القيامة صرفا ولا عدلاً وذمة المسلمين واحدة يسعى بها أدناهم، ومن ادعى إلى غير أبيه أو انتمى إلى غير مواليه فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل الله منه يوم القيامة صرفا ولا عدلاً»**[(٣)].

قيل: إن ما بين عير مكة المشرفة إلى ثور ما من المدينة مثله حرام.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه حرم المدينة اثنا عشر ميلا حواليها[(٤)]، وهذا قدر ما روي عن أبي بكر بن النعمان كما سيأتي وعنه أيضا: جعل اثنا عشر ميلا حول المدينة حمى[(٥)].

قال الماذري: نقل بعض أهل العلم أن ذكر ثور هنا وهم من الراوي لأن ثورا بمكة، والصحيح ما بين عير إلى أحد.

وقال أبو عبيدة القاسم بن سلام: عير وثور جبلان بالمدينة وهو قول أبي سليمان الخطابي، وأهل المدينة لا يعرفون بها جبلا يقال له ثور، إنما ثور بمكة فنرى أن الحديث أصله ما بين عير إلى أحد.

قالوا: أو يكون رسول الله ﷺ سما ثورا تشبيها بثور مكة لوقوعه في مقابلة جبل يسمى عيرا.

وقيل: أراد بهما مأزمي المدينة، لما ورد في حديث أبي سعيد **«حرمت المدينة ما بين مأزميها»**، وهما شعبتان يكتنفانها فشبههما بعير عدو وثور المحل.

والمحل اسم الجبل.

---

(١) أخرجه البخاري (١٨٧٠)، ومسلم (٤٦٧) ٢/٩٩٤، وأبو داود (٢٠٣٤) عن علي رضي الله عنه.

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (١٤/١٩٨) عن علي رضي الله عنه.

(٣) أخرجه البخاري (١٨٧٠)، ومسلم (٤٦٧) ٢/٩٩٥ عن علي رضي الله عنه.

(٤) أخرجه مسلم مطولا (٤٧٢) ٢/١٠٠٠، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٥) انظر سابقه.

وإنما غلب عليه اسم ثور: لأن ثور بن مناة بن أد بن طابخة كان ينزله فعرف به، فقيل: جبل ثور وغلب عليه ذلك حتى قيل للجبل: ثور ثم أضيف إلى المحل لاختلاف الاسمين.

وقيل: أراد به لابتيها وقيل: أراد به الحرتين شبه أحد الحرتين بعير لنتوء وسطه ونشوزه، والآخر بثور لامتناعه تشبيها بثور الوحش أو لاجتماعه.

وإنما قيل هذه التأويلات لما لم يعرف بالمدينة جبل يسمى ثورا حكى ذلك أبو عبيد في مشكل غريب الحديث.

قال المطري وأبو القاسم السروري وغيرهما قد ثبت بالمدينة الشريفة عن أهلها القدماء الساكنين بالعمرية والغابة: أنهم يعرفون عن آبائهم وأجدادهم أن وراء جبل أحد جبلا يقال له ثور معروف.

قال المطري والسروري: قد شاهدنا الجبل ولم يختلف في ذلك أحد وعسى أن يكون أشكل على من تقدم لقلة سكناهم المدينة.

قال المطري: وهو خلف جبل أحد من شماليه وهو جبل صغير مدور، وعير شرقيه قال: وهما حد الحرم كما نقل ثم قال رحمه الله: ولعل هذا الاسم لم يبلغ أبا عبيد ولا الماذري وحسبك.

وعن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ طلع له أحد فقال: «**هذا جبل يحبنا ونحبه اللهم إن إبراهيم حرم مكة وإني أحرم ما بين لابتيها**»(١).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه كان يقول: لو رأيت الظباء ترتع بالمدينة ما زعرتها قال رسول الله ﷺ «**ما بين لابتيها حرام**»(٢).

وعن عطاء بن يسار، عن أبي أيوب الأنصاري، أنه وجد غلمانا قد ألجؤوا ثعلبا إلى زاوية فطردهم عنه قال مالك: لا أعلم إلا أنه قال: أفي حرم رسول الله ﷺ يفعل هذا؟(٣).

وعن مالك عن رجل قال: دخل علي زيد بن ثابت وأنا بالأسواف قد اصطدت نهسا فأخذه من يدي فأرسله الرجل هو شرحبيل بن سعد الأنصاري ولم يسمه مالك لأن في حديثه بعض الضعف وشرحبيل اسم أعجمي وكذلك شراحيل قال عيسى بن عمرو: أحسبهما منسوبين إلى إيل مثل جبرائيل وميكائيل وإيل هو الله عز وجل.

وعن أبي بكر بن النعمان بن عبد الله بن كعب بن مالك، عن أبيه عن جده

---

(١) أخرجه البخاري (٣٣٦٧)، ومسلم مطولا (٤٦٢) ٢/٩٩٣ عن أنس رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (١٨٧٣)، ومسلم (٤٧١) ٢/١٠٠٠، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) أخرجه مالك في الموطأ (٢/ ٨٩٠) عن عطاء عن أبي أيوب رضي الله عنه.

كعب بن مالك قال: حرم رسول الله ﷺ الشجر بالمدينة بريدا في بريد وأرسلني فأعلمت على الحرم على شرف ذات الجيش وعلى مشيرب وعلى أشراف المجتهر وعلى تيم.

وفي السنن لأبي داود من حديث عدي بن زيد قال: «حمى رسول الله ﷺ كل ناحية من المدينة بريدا في بريد، لا يخبط شجرها ولا يعضد إلا ما يساق به الجمل»(١).

وعن النعمان بن عبد الله عن أبيه عن جده كعب بن مالك رضي الله عنه قال: بعثني رسول الله ﷺ أعلم على أشراف الحرم حرم المدينة فأعلمت على شرف ذات الجيش وعلى مشيرب وعلى أشراف مخيض، وعلى الحفياء، وعلى ذي العشيرة وعلى تيم.

وعن إبراهيم التيمي عن أبيه عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: ما عندنا شيء إلا كتاب الله وهذه الصحيفة عن النبي ﷺ قال: «**المدينة حرام ما بين عير إلى كذا من أحدث فيها حدثا أو آوى فيها محدثا فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا**»(٢).

ويروى أن النبي ﷺ أتى بني حارثة فقال: «**أراكم يا بني حارثة قد خرجتم من الحرم**» ثم التفت فقال: «**بل أنتم فيه**» وقد قدمت منازل بني حارثة(٣).

وعن حزام بن عثمان، عن ابني جابر، عن أبيهما ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ «**كل دافقة دفقت علينا من هذه الشعاب فهي حرام أن تعضد أو تتخبط أو تقطع إلا لعصفور قتب أو مسد محالة أو عصا حديدة**»(٤).

وعن خارجة بن عبد الله بن كعب بن مالك، عن أبيه عن جده ﷺ عن رسول الله ﷺ أنه حمى الشجر ما بين لابتي المدينة إلى وعيرة وإلى ثنية المحدث، وإلى أشراف مخيض، وإلى ثنية الحفيا، وإلى مضرب القبة، وإلى ذات الجيش، من الشجر أن يقطع وأذن لهم في متاع الناضح أن يقطع من حمى المدينة(٥).

وعن عبد الله بن سليمان بن الحكم الديناري، عن أبيه أن رسول الله ﷺ نزل بمضرب القبة وقال: «**ما بيني وبين المدينة حمى لا يعضد شجره فقالوا: إلا المسد فأذن لهم في المسد**»(٦).

---

(١) أخرجه أبو داود (٢٠٣٦)، عن عدي بن زيد ﷺ.

(٢) أخرجه البخاري (١٨٧٠)، ومسلم (٤٦٧) ٢/ ٩٩٥ عن علي ﷺ.

(٣) أخرجه البخاري مطولاً (١٨٦٩) عن أبي هريرة ﷺ.

(٤) أخرجه ابن عدي في الكامل (٢/ ٨٥١) عن جابر ﷺ.

(٥) ذكره الهيثمي في المجمع (٣/٣٠٤)، وعزاه للطبراني عن كعب ﷺ.

(٦) ذكره المطري في التعريف (ص ٦٩) عن عبد الله بن سليمان عن أبيه.

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: بعثتني عمتي إلى رسول الله ﷺ تستأذنه في مسد فقال رسول الله ﷺ «**أقرئ عمتك السلام وقل لها: لو أذنت لكم في مسد لطلبتم ميزابا، ولو أذنت لكم في ميزاب لطلبتم خشبة، ثم قال: حماي من حيث اتسقت بنو فزارة لقاحي**»[١].

قال الشيخ جمال الدين: وكانت لقاحه ترعى بالغابة وما حولها فأغار عليها عيينة بن حصن الفزاري يوم ذي قرد كما ورد في الصحاح واتفق لسلمة بن الأكوع ما اتفق من استنقاذه اللقاح، ولحقهم رسول الله ﷺ بالناس بعدما استنقذوا اللقاح، وقتوا من قتلوا، وسميت غزوة ذي قرد، بالموضع الذي كان فيه القتال[٢].

بنو فزارة: منسوبون إلى فزارة بن ذبيان بن بغيض بن ريث بن غطفان، وهم بطن كبير من بني غطفان، وفزارة من الأسماء المنقولة عن الأجناس والأنواع إلى العلمية.

تفسير ما غمض في هذه الأحاديث:

أما ذات الجيش: فنقب ثنية الحفيرة من طريق مكة والمدينة، وهي قبل عير وسط البيداء، وبين ذات الجيش والعقيق عشرة أميال قاله ابن القاسم وذكر أبو بكر الأثرم، عن القعنبي أن بينهما اثني عشر ميلا وذكر علي بن عبد العزيز، عن القعنبي أنه قال: ذات الجيش على بريد من المدينة، والبريد أربعة فراسخ، وقال محمد بن وضاح: بينهما سبعة أميال، وروي عن ابن وهب: ستة أميال.

وأما مشيرب: فهو ما بين جبال في شامي ذات الجيش بينهما وبين خلائق الضبوعة.

وأما أشراف مخيض: فجبال مخيض من طريق الشام.

وأما الحفياء: فهو شمالي الغابة من شامي المدينة، والحفيا: بفتح الحاء المهملة وسكون الفاء مدا أو قصرا وضم الحاء خطأ.

وأما ذي العشيرة: فنقب في الحفياء.

وأما تيم: فجبل كبير في شرقي المدينة، وهو أبعد جهات الحرم وذلك كله يشبه أن يكون بريدا في بريد.

وأما مضرب القبة: فقال المطري لا يعرف اليوم ولا يعلم في أي جهة من جهات المدينة الشريفة، والذي يظهر أنه ما بين ذات الجيش من غربي المدينة إلى مخيض، وجبل

---

(١) ذكره المطري في التعريف (ص ٦٩) عن أبي سعيد رضي الله عنه.

(٢) أخرجه مسلم (١٣١، ١٣٢) ٢/ ١٤٣٢، ١٤٣٣ عن سلمة رضي الله عنه.

مخيض هو الذي على يمين القادم من طريق الشام حين يفيض من الجبال إلى البركة التي يسميها الحجاج عيون حمزة.

وأما وعيرة ويقال لها عاير بالألف قاله الخطابي فهو جبل شرقي جبل ثور المتقدم ذكره وهو أكبر من ثور وأصغر من أحد.

وأما عير: فهو الجبل الكبير الذي من جهة قبلة المدينة.

وأما البيداء: فهي التي إذا رحل الحجاج بعد الإحرام من ذي الحليفة استقبلوها مصعدين إلى جهة المغرب، وهي التي ورد فيها حديث عائشة ﵂ حتى إذا كنا بالبيداء أو بذات الجيش، وفيها نزلت آية التيمم[1].

وشماليها جبل كبير يسمى أعظم وهو على جادة الطريق وورد في تاريخ المدينة، ما برقت السماء على أعظم إلا استهلت ويقال: إن في أعلاه نبيا مدفونا أو رجلا صالحا وهو جبل كبير مسطح ليس بالشاهق وإذا نزل الغيث أيام الربيع حصل لأهل المدينة بما فيه من العشب والنبات دفق كثير وشماليه جبل مخيض المذكور إلى جهة طريق الشام كما تقدم ويليه من الشام الحفيا.

قال الشيخ جمال الدين فهذا الذي يعرف اليوم باسمه.

فائدة في القياس:

من العلماء من يضبط قياس الميل بالخطوة من رجل واحدة، وذلك أربعة أقدام وهي ذراعان وهي خطوة البعير ويدخلها الخلل بحسب التفاوت بين الأشخاص والميل منها ألف خطوة وذلك ألفا ذراع على إحدى الروايات عن مالك، وقيل ألف ذراع.

ومنهم من يقيس بخطي رجليه جميعا وذلك قياسه بها كقياسه بالذراع قالوا: وحد الميل بالنظر أن ترى شخصا لا تدري هل هو غاد أو رائح.

وأصح ما يقاس به بالأذرع بالذراع المالكي وهو المسمى بذراع الملك وهو ستة قبضات، والقبضة أربع أصابع، وذراع الهادي أكبر من هذا الذراع قليلا.

والهادي هو: علي بن محمد الهادي أحد الأئمة الاثني عشر.

والبريد: أربع فراسخ والفرسخ ثلاثة أميال.

قال عبد الملك بن حبيب: الميل ألف باع وذلك ألفا ذراع والباع على هذا من حد مارن الأنف إلى آخر أطراف الأصابع يمينا أو يسارا.

وقيل الباع: أربعة أذرع وذلك فجوة ما بين اليدين وهو مقدار إقامة الإنسان.

---

(١) أخرجه البخاري (٣٣٤)، ومسلم (١٠٨) ١/٢٧٩ عن عائشة ﵂.

وقال أبو عمرو بن عبد البر: أصح ما قيل في الميل أنه ثلاثة آلاف وخمسمائة ذراع.

وقال النووي: الميل الهاشمي ستة آلاف ذراع، وأميال بني أمية أكبر من أميال بني هاشم، كل خمسة ستة، وقال في شرح لغات المهذب الميل أربعة آلاف خطوة، الخطوة ثلاثة أقدام، وهو قول ابن يونس في شرح التنبيه ووافقه علاء الدين الطاوسي في شرح الحاوي وقال الحاسب النجومي، الميل أربعة آلاف ذراع بالذراع السوداء على ما امتحن به في أيام المأمون.

الفصل الثاني عشر

في حكم الصيد بالمدينة الشريفة

اتفق مالك والشافعي وأحمد على تحريم صيد المدينة واصطياده وقطع شجرها.

وقال أبو حنيفة: لا يحرم شيء من ذلك، واختلفت الروايات عن أحمد هل يضمن صيدها وشجرها بالجزاء أم لا؟ فروي عنه أنه لا جزاء فيه وبه قال مالك وروي أنه يضمن.

وللشافعي قولان كالروايتين، قال في الجديد: لا شيء عليه وقال في القديم يسلب القاطع والصائد، وإذا قلنا بضمانه فجزاؤه سلب القاتل بتملكه الذي يسلبه وهل يكون السلب للسالب، أو يتصدق به على فقراء المدينة؟ قولان، وقال مالك: لا شيء فيه، وقال ابن نافع: فيه الجزاء كحرم مكة، وعن أحمد روايتان في سلب القاتل، ومن أدخل إلى الحرم المحرم صيدا لم يجب عليه رفع يده عنه، ويجوز له ذبحه وأكله وبه قال مالك، وقال أبو حنيفة وأحمد: إذا أدخله حيا وجب رفع يده عنه، ولا يصاد الجراد في حرم المدينة.

ويروى أن جماعة صادوا ظبيا في وادي طوى من مكة فنزلت عليهم نارا فأحرقتهم.

قال قاضي القضاة عز الدين ابن جماعة في منسكه: إن وادي النار الذي يفيض الناس إليه من المشعر الحرام إنما سمي وادي النار لأن شخصا صاد فيه صيدا فنزلت عليه نار فأحرقته.

ويجوز أن يؤخذ من شجر المدينة الشريفة ما تدعو الحاجة إليه للرحل والوسائد ومن حشيشها ما يحتاج إليه للعلف بخلاف مكة شرفها الله.

ونهى النبي ﷺ عن الخبط، وقال: هشوا وارعوا.

قال مالك: الهش تحريك الشجر بالمحجن يقع الورق ولا يخبط ولا يعضد ومعنى العضد: الكسر، ولا يقطع أحد من شجر الحرم شيء يبس أو لم ييبس فإن فعل فليستغفر الله ولا شيء عليه.

الباب الرابع/في ذكر أودية المدينة الشريفة وآبارها المنسوبة إلى النبي ﷺ وفضل جبل أحد، وفضل الشهداء عنده

وفيه خمسة فصول

الفصل الأول
ما جاء في وادي العقيق وفضله

روى البخاري في صحيحه حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ بوادي العقيق يقول: «**أتاني الليلة آت من ربي عز وجل فقال: صل في هذا الوادي المبارك وقل: عمرة في حجة**»[(١)].

وكان عبد الله بن عمر ينيخ بالوادي يتحرى معرس رسول الله ﷺ ويقول: هو أسفل من المسجد الذي ببطن الوادي بينه وبين الطريق وسط من ذلك.

وعن عامر بن سعد بن أبي وقاص قال: ركب رسول الله ﷺ إلى العقيق ثم رجع فقال: «**يا عائشة جئنا من هذا العقيق فما ألين موطأه وما أعذب ماءه قالت: أفلا ننتقل إليه؟ قال: كيف وقد ابتنى الناس فيه**»[(٢)].

قال أهل السير: وجد قبر إرمي به عند جماء أم خالد بالعقيق مكتوب عليه، أنا عبد الله رسول رسول الله سليمان بن داود إلى أهل يثرب، ووجد حجر آخر على قبر إرمي مكتوب عليه: أنا أسود بن سوادة رسول رسول الله عيسى ابن مريم إلى أهل هذه القرية.

قال الشيخ جمال الدين: والجماوات أربعة أجبل غربي وادي العقيق وابتنى الناس بالعقيق من خلافة عثمان رضي الله عنه ونزلوه وحفروا به الآبار وغرسوا فيه النخيل والأشجار من جميع نواحيه على جنبي وادي العقيق إلى هذه الجماوات، وسميت كل جماء منها باسم من بنى فيها، ونزله جماعة من الصحابة رضي الله عنهم منهم: أبو هريرة رضي الله عنه وسعيد بن العاص بن سعيد بن العاص، وسعد بن أبي وقاص وسعيد بن زيد وماتوا جميعهم به وحملوا إلى المدينة ودفنوا بالبقيع.

فأما سعد بن أبي وقاص، وسعيد بن زيد، فهما من العشرة الذين شهد لهم رسول الله ﷺ بالجنة وهم الذين قيل فيهم:

لقد بشرت من خير أصحاب أحمد ... بجنة عدن زمرة شهداء

---

(١) أخرجه البخاري (١٥٣٤)، وأبو داود (١٨٠٠) عن عمر رضي الله عنه.

(٢) أخرجه ابن النجار في الدرة الثمينة (٢/ ٣٣٩) عن عامر بن سعد رضي الله عنه.

يلج اللبن في الضرع ولا يجتمع غبار في سبيل الله ودخان جهنم في منخري عبد أبدا»[١].

ويذكر أن السلطان صلاح الدين أبو المظفر يوسف بن أيوب بن شادي بن مروان الملك الناصر كان إذا عاد من الغزو نفض ثيابه من غبار الغزو على نطع وأمر من يجمعه، وأن ذلك الغبار عجن بماء زمزم وجعل لبنة لطيفة وجعلت تحت رأسه في قبره، افتتح ثلاثا وسبعين مدينة وافتتح القدس يوم الجمعة لثلاث بقين من رجب سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة توفي يوم الأربعاء السابع والعشرون من صفر سنة تسع وثمانين وخمسمائة مدة ملكه ثمان وعشرون سنة دفن بدمشق.

عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**من طلب الشهادة صادقا أعطيها ولو لم تصبه**»[٢] رواه مسلم في صحيحه.

وعنه ﷺ أنه قال: «**الشهداء سبعة سوى القتل في سبيل الله، المطعون شهيد، والغريق شهيد، وصاحب ذات الجنب شهيد، والمبطون شهيد، وصاحب الحرق شهيد، والذي يموت تحت الهدم شهيد، والمرأة تموت بجمع شهيد**»[٣].

فالمبطون: كصاحب الإسهال وقيل: الاستسقاء، والمطعون: من يموت بالطاعون، والمرأة تموت بجمع: يعني في بطنها ولد وجمع: يروى بضم الجيم [ويفسر على وجوه:

الأول: أنها التي تموت لعسر الولادة، وقيل التي تموت عذراء لم يمسها رجل،][٤] والكسر في هذا المعنى لغة لما روي في الحديث: «**أيما امرأة ماتت بجمع لم تطمث دخلت الجنة**»، لم تطمث؛ أي: لم تمسس.

قال ابن أبي جمرة في قوله عليه السلام «**الطاعون شهادة لكل مسلم**»[٥] من مات بالطاعون هل يلحق بالشهداء بالذين قتلوا في سبيل الله أم لا؟ أما في اشتراك الاسم فظاهر، وأما في تضعيف الأجر فهو متوقف على إخبار الشارع عليه السلام، ولم يجئ عنه [في ذلك شيء أعني في هذا الحديث لأن تفضيل الشهداء بعضهم على بعض قد ورد في الكتاب والسنة، فأما في الكتاب فقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ ﴾ [آل عمران:

---

(١) أخرجه الترمذي (١٤٧/٤)، والنسائي (١٢/٦) عن أبي هريرة رضي الله عنه.
(٢) أخرجه مسلم (١٥٦) ١٥١٧/٣ عن أنس رضي الله عنه.
(٣) أخرجه مالك في الموطأ (٢٣٤/١)، والنسائي (١٥/٤) عن جابر بن عتيك رضي الله عنه.
(٤) سقط من الأصل، والزيادة من نسخة تركيا.
(٥) أخرجه البخاري (٢٨٣٠)، ومسلم (١٦٦)، ١٥٢٢/٣ عن أنس رضي الله عنه.

١٦٩] الآية فنص عز وجل بقرآن أن هذه الرتبة العليا إنما تكون للذين قتلوا في سبيل الله دون غيرهم من الشهداء، وأما السنة فقوله عليه الصلاة والسلام «**أرواح الشهداء في حواصل طير خضر**»[١] الحديث فبان بهذا أن للقتلى في سبيل ما ليس لغيرهم.

تلويح فيما شوهد من العجائب في قتلى الجهاد:

حكى عبد الله بن ماتك قال حدثني المصري قال: صحبنا رجلا وكان لا يأكل ولا يشرب قلنا له: فما خبرك؟ قال: غزونا في أربعمائة فخرج علينا العدو فأصبنا كلنا، وجرحت أنا في القتلى، فرأيت جواري بأيديهن كاسات، فصبوا في أفواه القتلى فغمضت عيني حتى وصلوا إلي فقالوا: صبوا في حلق هذا وعجلوا قبل أن تغلق أبواب السماء، قالت: اسقيه وفيه رمق؟ قالت: لا بأس فصبت في حلقي ما لم أذق طعم شيء مثل طعمه، فمنذ شربته لم أحتج إلى طعام ولا شراب.

وقال أيضا حدثني محمد الوراق قال: كان بالأوس رجل أسود يقال له: مبارك وكان يقول: أنا أسأل الله أن يزوجني بحور العين، فغزونا فقتل مبارك فمررت به فرأيت رأسه ناحية وهو منكب على بطنه ويده تحت صدره فقلنا له: يا مبارك كم زوجك الله من الحور العين؟ فأخرج يده من تحت صدره وأشار بثلاث أصابع؛ يعني: ثلاثة.

وروي أن أسلم الحبشي وكان مملوكا لعامر اليهودي يرعى غنما له، فأتى رسول الله ﷺ وهو محاصر بعض حصون خيبر فأسلم وقال له النبي ﷺ: «**اضرب وجه الغنم سترجع إلى ربها**» ففعل فرجعت الغنم حتى دخلت الحصن، وتقدم فقاتل، فأصابه حجر فقتله فأتي به رسول الله ﷺ وقد سجى بشملة فالتفت إليه رسول الله ﷺ ثم أعرض عنه فسأل عن ذلك فقال: «**إن معه زوجته من الحور العين**»[٢].

الحور جمع أحور، وقيل: جمع حوراء، وهي الشديدة بياض العين الشديدة سوادها.

وقال أبو عمرو: الحور أن تسود العين كلها مثل عين الظباء والبقر، وليس في بني آدم حور.

والعين بكسر العين جمع عيناء؛ وهي: الواسعة العين.

---

(١) أخرجه أبو داود (١٥/٣)، وأحمد (٢٦٦/١) عن ابن عباس ﷺ.

(٢) أخرجه البيهقي في دلائل النبوة (٤/ ٢١٩) عن موسى بن عقبة ﷺ.

الباب الخامس/في ذكر إجلاء بني النضير من المدينة وحفر الخندق وقتل بني قريظة بالمدينة

وفيه ثلاثة فصول

الفصل الأول

في ذكر إجلاء بني النضير من المدينة

اعلم أن النبي ﷺ كان قد عقد حلفا بين بني النضير من اليهود وبين بني عامر، فعدا عمرو بن أمية الضمري من بني ضمرة على رجلين من بني عامر فقتلهما فأتى النبي ﷺ بني النضير يستعينهم في دية القتيلين، فقالوا: نعم ثم خلا بعضهم ببعض فقالوا: إنكم لن تجدوا الرجل على مثل حاله هذا، وكان رسول الله ﷺ قاعدا إلى جنب جدار من بيوتهم فمن رجل يعلو على هذا البيت فيلقي عليه صخرة؟ فصعد أحدهم لذلك فأتى رسول الله ﷺ الخبر من السماء فقام ورجع إلى المدينة وأخبر أصحابه الذين معه منهم: أبو بكر وعمر وعلي رضي الله عنهم، وأمرهم بالتهيؤ لحربهم وسار حتى نزل بهم في شهر ربيع الآخر سنة أربع من الهجرة، فتحصنوا في الحصون فأمر النبي ﷺ بقطع نخيلهم وتحريقها، وقذف الله في قلوبهم الرعب.

فسألوا رسول الله ﷺ أن يجليهم ويكف عن دمائهم على أن لهم ما حملت الإبل من أموالهم إلا السلاح، ففعل فخرجوا إلى خيبر ومنهم من سار إلى الشام وخلوا الأموال فقسمها رسول الله ﷺ على المهاجرين الأولين دون الأنصار، إلا أن سهل بن حنيف، وأبا دجانة سماك بن خرشة ذكرا فقرًا فأعطاهما رسول الله ﷺ ولم يسلم من بني النضير إلا رجلان: يامين بن عمير، وأبو سعد بن وهب أسلما على أموالهما فأحرزاهما.

وأنزل الله تعالى في بني النضير سورة الحشر بأسرها.

وكانت نخيل بني النضير تسمى بويرة حكاه صاحب رفع الغواشي وقيل بويرة اسم بلدة أو موضع من مواضع بني النضير.

الفصل الثاني

في ذكر حفر الخندق

حفر رسول الله ﷺ الخندق يوم الأحزاب، وذلك أن نفرا من بني النضير الذين أجلاهم رسول الله ﷺ وكانوا بخيبر وكان رئيسهم حي بن أخطب قدم هو ورؤساء قومه إلى مكة على قريش، فدعوهم لحرب النبي ﷺ فأطاعتهم قريش، وغطفان بمن جمعوا، فلما سمع النبي ﷺ وبما أجمعوا له من الأمر ضرب الخندق على المدينة.

روى البخاري في صحيحه، من حديث البراء بن عازب قال: «كان النبي ﷺ ينقل

التراب يوم الخندق حتى أغر بطنه»[(١)].

روى جابر بن عبد الله أن صخرة اشتدت عليهم في الخندق فشكوها إلى رسول الله ﷺ فدعا بإناء من ماء فتفل فيه، ثم دعا بما شاء أن يدعو به، ثم نضح ذلك الماء على تلك الصخرة، فانهالت حتى عادت كالكثيب لا ترد فأسا ولا مسحاة»[(٢)].

ولم يزل المسلمون يعملون فيه حتى أتموه وحفره ﷺ طولا من أعلى وادي بطحان غربي الوادي مع الحرة إلى غربي المصلى -مصلى العيد- ثم إلى مسجد الفتح، ثم إلى الجبلين الصغيرين الذين في غربي الوادي يقال لأحدهما: راتج وللآخر جبل بني عبيد.

وأقبلت قريش وكنانة ومن تبعهما من الأحابيش في عشرة آلاف حتى نزلوا بمجتمع السيول من رومة من وادي العقيق وقائدهم أبو سفيان.

وأقبلت غطفان وبنو أسد ومن تبعهما من أهل نجد حتى نزلوا بذنب نقمي إلى جانب أحد ما بين طرفي وادي النقي وقائدهم عيينة بن حصن، وأتى الحارث بن عوف في بني مرة، ومسعود بن رحيلة في أشجع.

وخرج رسول الله ﷺ والمسلمون في ثلاثة آلاف حتى جعلوا ظهورهم إلى جبل سلع وضرب رسول الله ﷺ قبته على القرن الذي في غربي جبل سلع موضع مسجده اليوم.

ثم سعى حي بن أخطب حتى قطع الحلف الذي كان بين بني قريظة وبين رسول الله ﷺ وأجابوه لحرب النبي ﷺ فاشتد الخوف واشتد الحصار على المسلمين، وكان في ذلك ما قص الله تعالى بقوله: ﴿ إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ ﴾ [الأحزاب: ١٠] الآيات فأقام رسول الله ﷺ والمشركون بضعا وعشرين ليلة ولم يكن لهم حرب إلا الرمي بالنبل، إلا الفوارس من قريش، فإنهم قاتلوا فقتلوا وقتلوا.

وأصاب سعد بن معاذ سهم، فحسم رسول الله ﷺ جرحه فانتفخت يده ونزف الدم فلما رأى ذلك قال: «اللهم إن كنت أبقيت من حرب قريش شيئا فأبقني لها، اللهم إن كنت وضعت الحرب بيننا وبينهم فاجعله لي شهادة ولا تمتني حتى تقر عيني من بني قريظة»[(٣)].

وكان راميه حبان بن العرقة وقيل: حبار بالراء، والعرقة هي قلابة بنت سعيد برفع

---

(١) أخرجه البخاري (٤١٠٤)، ومسلم (١٢٥) ٣/١٤٣٠ عن البراء بن عازب ﷺ.

(٢) أخرجه البخاري (٤١٠١)، والبيهقي في دلائل النبوة (٣/٤١٥) عن جابر ﷺ.

(٣) ذكره ابن عبد البر في الاستيعاب (٢/٦٠٣).

السين ابن سهم بن عمرو بن هصيص وحبان ابنها وهو ابن عبد مناف بن منقذ والعرقة تكنى أم فاطمة رماه بسهم في عضده أصاب أكحله، فانقطع فأمر رسول الله ﷺ بضرب فسطاط في المسجد لسعد، فكان يعوده في كل يوم[١].

الأكحل: كالأبهر إذا انقطع لم يكن معه حياة، والأبهر: عرق مستبطن في الصلب والقلب متصل به، والأكحل عرق معروف في اليد يفصد واقع في وسط الباسليق الأنسي والقيفال الوحشي، ويقال له أيضا: نهر البدن.

واستشهد يومئذ من المسلمين ستة من الأنصار: أنس بن أوس بن عتيك وعبد الله بن سهل، والطفيل بن النعمان، وثعلبة بن غنمة، وكعب بن زيد، وسعد بن معاذ عاش حتى قتل رسول الله ﷺ بني قريظة بحكمه، مات شهيدا كما سنذكره.

ولم يزل رسول الله ﷺ وأصحابه على ما هم عليه من الخوف والشدة حتى هدى الله نعيم بن مسعود، أحد غطفان للإسلام، ولم يعلم أصحابه وخدع بين بني قريظة وقريش وغطفان ورمى بينهم الفتن.

وبعث الله تعالى عليهم الريح في ليال باردة فجعلت تكفئ قدورهم وتطرح آنيتهم فرجعوا إلى بلادهم.

وكان مجيئهم وذهابهم في شوال سنة خمس من الهجرة.

يروى أنهم لما وقفوا على الخندق قالوا: إن هذا لمكيدة ما كانت العرب تكيدها ويقال إن سلمان أشار به على رسول الله ﷺ،

فائدة:

حضر الخندق على أحد الأقوال سبعة إخوة، ليس في الصحابة سبعة إخوة غيرهم هاجروا وصحبوا رسول الله ﷺ على ما ذكره ابن عبد البر وهم بنو مقرن المزينون: النعمان ومعقل وعقيل وسويد وشيبان وفلان، والسابع لم يسم وهم الذين أنزل الله فيهم ﴿ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ ﴾ [التوبة: ٩٢] الآية ولم يشاركهم في هذه المكرمة غيرهم وقيل غير ذلك.

قال الحافظ محب الدين: والخندق اليوم باق وفيه قناة تأتي من عين بقاء إلى النخل الذي بأسفل المدينة المعروف بالسيح حول مسجد الفتح وقد انطم أثره وتهدمت حيطانه.

قال الشيخ جمال الدين: وأما اليوم فقد عفى أثر الخندق ولم يبق منه شيء يعرف إلا

(١) ذكره ابن عبد البر في الاستيعاب (٢/٦٠٣).

ناحيته، لأن وادي بطحان استولى على موضع الخندق فصار مسيله في موضع الخندق.

قلت: وفي سنة تسع وأربعين وسبعمائة أراني والدي رحمة الله تعالى باقي جدار منه.

الفصل الثالث
في ذكر قتل بني قريظة بالمدينة الشريفة

قال ابن إسحاق لما انصرف رسول الله ﷺ عن الخندق رجع إلى المدينة والمسلمون، ووضعوا السلاح فأتى جبريل عليه السلام رسول الله ﷺ معتجرا بعمامة من استبرق على بغلة عليها قطيفة من ديباج -السندس رقيق الديباج والاستبرق صفيقه- فقال: لقد وضعت السلاح يا رسول الله؟ فقال: «**نعم**» فقال: ما وضعت الملائكة بعد السلاح وما رجعت الآن إلا من طلب القوم، إن الله يأمرك بالسير إلى بني قريظة فإني عامد إليهم فمزلزل بهم، فأذن رسول الله ﷺ في الناس: «**من كان سامعا مطيعا فلا يصلين العصر إلا في بني قريظة**»[(١)].

فنزل رسول الله ﷺ والمسلمون فحاصرهم خمسا وعشرين ليلة، وقذف الله تعالى في قلوبهم الرعب حتى نزلوا على حكم رسول الله ﷺ فتواثبت الأوس، وقالوا: يا رسول الله إنهم موالينا دون الخزرج، فهم لنا، فقال: «**ألا ترضون يا معشر الأوس أن يحكم فيهم رجل منكم؟**» قالوا: بلى، قال: فذلك إلى سعد بن معاذ وكان سعد في خيمته -قبة في صحن المسجد النبوي الشريف بالمدينة يداوي جرحه- وكان حارثة بن كلدة هو الذي يداويه -وكان طبيب العرب- وهو مولى أبي بكرة نفيع بن مسروح، فأتت الأوس بسعد بن معاذ إلى رسول الله ﷺ فقال له: «**أحكم في بني قريظة**» فقال: «إني أحكم فيهم أن يقتل الرجال وتقسم الأموال وتسبي الذاري » فقال رسول الله ﷺ: «**لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبعة أرقعة**»[(٢)]. أي: من فوق سبع سموات.

وكانوا الذين نزلوا على حكمه ﷺ أربعمائة، واستنزلوا بني قريظة من حصونهم فحبسوا بالمدينة في دار امرأة من بني النجار، ثم خرج رسول الله ﷺ إلى سوق المدينة فخندق بها خنادق، ثم بعث إليهم، فجيء بهم فضرب أعناقهم في تلك الخنادق، وكانوا سبعمائة وفيهم حي بن أخطب الذي حرضهم على نقض العهد، فقتل منهم ﷺ كل من أنبت واستحيى من لم ينبت.

وقتل منهم امرأة كانت طرحت رحى على خلاد بن سويد من الحصن، فقتلته يوم

---

(١) ذكره ابن هشام في السيرة (٢/٢٣٣)، وابن سعد في الطبقات (٢/٧٤).

(٢) ذكره ابن النجار في الدرة الثمينة (٢/٣٥٤).

قتال بني قريظة، فقتلها به النبي ﷺ، وأخبر ﷺ أن لخلاد أجر شهيدين.

ثم قسم رسول الله ﷺ أموالهم ونساءهم وأبناءهم [١] على المسلمين.

وأنزل الله تعالى في بني قريظة والخندق من قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَٰرَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَـُٔوهَا ﴾ وقيل: هي نساؤهم.

ثم انفتق على سعد بن معاذ جرحه، فمات منه شهيدا، وذلك بعد أن أصابه السهم في شهر شوال سنة خمس، وكان رجلا طوالا ضخما، طوالا بضم الطاء.

عن سعد بن أبي وقاص عن النبي ﷺ أنه قال: «**لقد نزلت من الملائكة في جنازة سعد بن معاذ سبعون ألفا ما وطؤوا الأرض قبل**»[٢].

وقيل: إن جبريل عليه السلام نزل في جنازته معتجرا بعمامة من استبرق، وقال: يا نبي الله، من هذا الذي فتحت له أبواب السماء واهتز له العرش؟ فخرج رسول الله ﷺ يجر ثوبه، فوجد سعد قد قبض وأنشد في ذلك رجل من الأنصار[٣]:

وما اهتز عرش الله من موت هالك ... علمنا به إلا لسعد أبي عمرو

وهو سعد بن معاذ بن النعمان بن امرئ القيس بن زيد بن عبد الأشهل بن جشعم -وقيل ابن جشم- بن الحارث بن النبيت وهو عمرو بن مالك بن الأوس الأشهلي الأنصاري، أمه كبشة بنت رافع لها صحبة.

نزل قبره أسيد بن حضير، وسلمة بن سلامة، وأخذ رسول الله ﷺ تراب قبره فإذا هو مسك.

توفي ابن سبع وثلاثين سنة، ودفن بالبقيع. فهذا سيد الأوس.

وأما سيد الخزرج:

فسعد بن عبادة بن دليم -وقيل: ابن ديلم- بن حارثة بن أبي خزيمة -وقيل: ابن أبي حليمة وقيل: ابن حزام بن أبي حزيمة- بن ثعلبة بن طريف بن الخزرج بن ساعدة بن كعب بن الخزرج الأنصاري الساعدي أبو ثابت.

توفي بحوران من أرض الشام سنة ست وعشرين، وقيل: سنة إحدى عشرة، وقيل:

---

(١) خطأ بالأصل، والصواب ما أثبتناه.

(٢) أخرجه ابن سعد في الطبقات (٢/٤٢٩) عن سعد بن إبراهيم . وابن عبد البر في الاستيعاب (٢/ ٦٠٣) عن سعد بن أبي وقاص ﷺ.

(٣) ذكره ابن عبد البر في الاستيعاب (٢/٦٠٤، ٦٠٥).

خمس عشرة، وقيل: أربع عشرة، كان يبول قائما إذا اتكأ فمات قتله الجن، وقيل: وجد في مغتسله وقد خضر جسده، ولم يشعروا به حتى سمعوا قائلا من الجن يقول:

نحـــن قتلـــنا ســـيد الخـــزرج ســـــعد بـــــن عـــــباده
ورميـــــــناه بـــــــسهمين فلـــــم نخـــــط فـــــؤاده

جملة ما روى أحد وعشرون حديثا يذكر أن قريشا سمعت صائحا يصيح بمكة ليلا على أبي قبيس:

[فــإن يــسلم الــسعدان يصبح محمد بمكـــة لا يخـــشى خـــلاف المخالف

فظنت قريش أنهما: سعد بن زيد،وسعد بن هذيم من قضاعة، فلما كان في الليلة الثانية سمعوا صوتا على أبي قبيس][1] يقول:

أيـــا سعد سعد الأوس كن أنت ناصراً ويـــا ســـعد ســـعد الخزرجين الغطارف
أجيـــبا إلى داعـــي الهـــدى وتمنـــياً علـــى الله في الفـــردوس ذات رفارف
فـــإن ثـــواب الله للطالـــب الهـــدى جـــنان مـــن الفـــردوس منـــية عارف

فقالوا: هما سعد بن معاذ وسعد بن عبادة.

ولم يزل بقايا اليهود بالمدينة إلى خلافة عمر رضي الله عنه.

وروي عن ابن شهاب أن رسول الله ﷺ قال: «**لا يجتمع دينان في جزيرة العرب**» قال ابن شهاب: ففحص عن ذلك عمر بن الخطاب رضي الله عنه حتى أتاه الثلج واليقين أن رسول الله ﷺ قال: «**لا يجتمع دينان في جزيرة العرب**» فأجلى يهود خيبر، وأجلى يهود نجران وفدك[2]، انتهى.

---

(١) زيادة من نسخة تركيا.

(٢) أخرجه مالك في الموطأ (٢/٨٩٢، ٨٩٣) عن ابن شهاب.

الباب السادس/في ذكر مسجد رسول الله ﷺ وفضله

وما زيد فيه أو نقص منه إلى هذا التاريخ

وفيه سبعة وعشرون فصلا

الفصل الأول

في ابتداء مسجد رسول الله ﷺ

قد تقدم أن النبي ﷺ حين قدم المدينة نزل على كلثوم بن الهدم في بني عمرو بن سالم بن عوف، فمكث عندهم الاثنين والثلاثاء والأربعاء والخميس.

وكان كلثوم بن الهدم أسلم قبل قدوم النبي ﷺ المدينة، وتوفي في السنة الأولى.

وكلثوم من أسماء السباع فكلثوم الفيل، وعنبس الأسد،وكذلك حيدرة وفرافصة وأسامة وهيصم وهرماس والدلهمس وهرثمة والضيعم كل هؤلاء أسماء الأسد، وأوس الذئب، ومثله ذؤالة ونهشل وثعلبة أنثى الثعالب، حكاه ابن قتيبة في أدب الكاتب.

وقيل: إن النبي ﷺ مكث في بني عمرو بن عوف بضع عشرة ليلة، رواه البخاري في صحيحه[1] وفي صحيح مسلم أنه أقام فيهم أربعة عشر ليلة[2].

وأخذ مربد كلثوم بن الهدم وعمله مسجدا وأسسه وصلى فيه إلى بيت المقدس، وخرج من عندهم يوم الجمعة عند ارتفاع النهار فركب ناقته القصواء، وجد المسلمون ولبسوا السلاح عن يمينه وشماله وخلفه، وكان لا يمر بدار من دور الأنصار إلا قالوا: هلم يا رسول الله، إلى القوة والمنعة والثروة، فيقول لهم خيرًا،ويقول عن ناقته: «**إنها مأمورة خلو سبيلها**» فمر ببني سالم بن عوف فأتى مسجدهم الذي في وادي رانوناء وأدركته صلاة الجمعة فصلاها بهم هنالك، وكانوا مائة رجل، وقيل: أربعون، فكانت أول جمعة صلاها بالمدينة، ثم ركب راحلته وأرخى لها زمامها وما يحركها وهي تنظر يمينا وشمالا حتى انتهت به إلى زقاق الحبشي من بني النجار، فبركت على باب دار أبي أيوب الأنصاري، وقيل: بركت أولا على باب مسجده ﷺ ثم ثارت وهو عليها فبركت على باب أبي أيوب، ثم التفتت وثارت وبركت في مبركها الأول وألقت جرانها في الأرض ورزمت فنزل عنها رسول الله ﷺ فقال: هذا المنزل يا رسول الله، فاحتمل أبو أيوب رحله وأدخله بيته، فأقام رسول الله ﷺ في بيت أبي أيوب سبعة أشهر، ثم بنى مسجده ثم لم ينزل في بيت أبي أيوب نزل عليه الوحي حتى ابتنى مسجده ومساكنه فكان ابتداء

---

(١) أخرجه البخاري (٣٩٠٦) عن ابن شهاب.

(٢) أخرجه مسلم (٩) ١/٣٧٣ عن أنس ﷺ.

بنيانه ﷺ مسجده في شهر ربيع الأول من السنة الأولى، وكانت إقامته في دار أبي أيوب سبعة أشهر.

أبو أيوب قيل: اسمه خالد بن زيد بن كليب بن ثعلبة الخزرجي شهد سائر المشاهد مع رسول الله ﷺ، جملة ما روى مائة وخمسة وخمسون حديثا.

توفي بالقسطنطينية من أرض الروم سنة خمسين في خلافة معاوية تحت راية ابنه يزيد.

وأجروا الخيل على قبره حتى عفي أثره خوفا عليه من الروم.

وقيل: إن يزيد قال للروم: هذا من أكابر أصحاب نبينا ﷺ وقد دفناه حيث رأيتم، والله لئن نبش لاضرب لكم ناقوس في أرض العرب ما دامت لنا مملكة.

قال مجاهد: وكانوا إذا محلوا كشفوا عن قبره فمطروا.

والروم يستسقون بقبره إلى اليوم، قيل: إنه دفن في أصل سور القسطنطينية.

قال الشيخ جمال الدين: «ودار أبي أيوب مقابلة لدار عثمان رضي الله عنه من جهة القبلة، والطريق بينهما، وهي اليوم مدرسة للمذاهب الأربعة اشترى عرصتها الملك المظفر شهاب الدين غازي ابن الملك العادل سيف الدين أبي بكر بن أيوب بن شادي، وبناها وأوقفها على المذاهب الأربعة، وأوقف عليها وقفا بميافارقين، وهي دار ملكه ولها بدمشق وقف أيضا، وتليها من جهة القبلة عرصة كبيرة تحاذيها من القبلة كانت دارا لجعفر بن محمد الصادق، وفيها الآن قبلة مسجده، وفيها أثر المحاريب، وهي اليوم ملك للأشراف المنايفة.

وللمدرسة قاعدتان كبرى وصغرى، وفي إيوان الصغرى الغربي خزانة صغيرة مما يلي القبلة فيها محراب يقال إنها مبرك ناقة النبي ﷺ.

ثم قال رحمه الله: «واعلم أن المسجد الشريف في دار بني غنم بن مالك بن النجار، وكان كما ورد مربدا للتمر لسهل وسهيل ابني رافع بن أبي عمرو بن مالك بن عباد بن ثعلبة بن غنم بن مالك بن النجار، وكانا غلامين يتيمين في حجر أسعد بن زرارة، فدعى رسول الله ﷺ بالغلامين فساومهما بالمربد ليتخذه مسجدا، فقالوا: بل نهبه لك يا رسول الله، فأبى رسول الله ﷺ أن يقبله منهما هبة حتى ابتاعه منهما وبناه، وقيل: لم يأخذوا له ثمنا، وقيل: اشتراه من ابني عفراء بعشرة دنانير ذهبا دفعها أبو بكر رضي الله عنه»».

المربد: كل شيء حبست فيه الإبل، ولذلك قيل: مربد الغنم الذي كان بالمدينة، والمربد أيضا: موضع التمر مثل الجرين والبيدر للحنطة، والمربد بلغة أهل الحجاز، والجرين لهم أيضا، والبيدر لأهل العراق، والأنذر لأهل الشام، والجوخان لأهل البصرة،

وهو جرن التمر كما أن المراح جرن الغنم.

وكانت دار بني النجار أوسط دور الأنصار وأفضلها، وبنو النجار أخوال عبد المطلب بن هاشم جد رسول الله ﷺ، أمه سلمى ابنة عمرو بن زيد بن لبيد بن خداش بن عامر بن غنم بن عدي بن مالك بن النجار.

والنجار: تيم الله بن ثعلبة بن عمرو بن الخزرج، وهم بطون كثيرة سمي بالنجار لأنه اختتن بالقدوم[(١)].

وقد صح عن النبي ﷺ أنه قال: **«خير دور الأنصار دور بني النجار»**[(٢)].

وعن أنس أن رسول الله ﷺ قال: **«ألا أنبئكم بخير دور الأنصار: بنو النجار، ثم بنو عبد الأشهل، ثم بنو الحارث بن الخزرج وفي كل دور الأنصار خير»**[(٣)].

وعن أنس أن النبي ﷺ لما أخذ المربد من بني النجار كان فيه نخل وقبور المشركين وخرب، فأمر النبي ﷺ بالنخل فقطع وبقبور المشركين فنبشت وبالخرب فسويت قال: فصفوا النخل قبله له وجعلوا عضادتيه حجارة، [وكانوا يرتجزون ورسول الله ﷺ معهم: اللهم إن الخير خير الآخرة، فاغفر للأنصار والمهاجرة][(٤)] وطفق رسول الله ﷺ ينقل معهم اللبن في ثيابه وبنى ﷺ مسجده مربعا وجعل قبلته إلى بيت المقدس، وطوله: سبعون ذراعا في عرض ستين أو أزيد، وجعل له ثلاثة أبواب: [باب خلفه وباب عن يمين المصلى وباب عن يساره][(٥)] وجعلوا أساس المسجد من الحجارة، وبنوا باقيه من اللبن[(٦)].

وفي الصحيحين كان جدار المسجد عند المنبر ما كانت الشاة تجوزه[(٧)].

قالت عائشة ﵂: **«كان طول جدار المسجد بسطة وكان عرض الحائط لبنة لبنة، ثم أن المسلمين كثروا فبنوه لبنة ونصفا، ثم قالوا: يا رسول الله، لو أمرت بالمسجد فظلل ؟ قال: نعم، فأقيم له سواري من جذوع النخل شقة شقة، ثم طرحت عليها العوارض والخصف والإذخر،وجعل وسطه رحبة فأصابتهم الأمطار فجعل المسجد يكف عليهم، فقالوا: يا**

---

(١) أورده ابن حزم في الجمهرة (ص٤٣٦).

(٢) أخرجه البخاري (٣٧٨٩)، عن أنس ، ومسلم (١٧٧) ٤/١٩٤٩ عن أسيد ﵁.

(٣) أخرجه البخاري (٣٧٩٠)، ومسلم (١٧٧) ٤/١٩٤٩ عن أبي أسيد ﵁.

(٤) زيادة من نسخة تركيا.

(٥) زيادة من نسخة تركيا.

(٦) أخرجه البخاري (٤٢٨)، ومسلم (٩) ٣/٣٧٣ عن أنس ﵁.

(٧) أخرجه البخاري (٤٩٧) عن سهل ﵁.

رسول الله، لو أمرت بالمسجد فطين، فقال لهم: **عريش كعريش موسى ثمام وخشيبات نعم فتعمل والأمر أعجل من ذلك**، فلم يزل كذلك حتى قبض رسول الله ﷺ»[١].

ويقال: إن عريش موسى عليه السلام، كان إذا قام به أصاب رأسه السقف.

العريش:كل شيء مسقف والجمع عروش، وقيل:عرش، ويسمى مجلس السلطان عرشا، وعرش الله عز سلطانه مما لا يعلمه البشر إلا بالاسم وهو الفلك الثامن. حكاه صاحب حلل المقالة.

وقيل: هو الفلك التاسع، والكرسي فلك الكواكب، وبه قال القدماء، منهم: أرسطاطاليس وذلك مناسب لما روي عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: «السموات والأرض جوف الكرسي والكرسي بين يدي العرش».

وقال الحسن: «الكرسي هو العرش نفسه».

وقال ابن عساكر: «الكرسي لؤلؤة، والقلم لؤلؤة، فطول القلم سبعمائة سنة، وطول الكرسي حيث لايعلمه العالمون».

وقال أبو مالك: «الكرسي تحت العرش، والله واضع كرسيه فوق العرش».

قال البيهقي: «في هذا إشارة إلى كرسيين، أحدهما تحت العرش والآخر فوق العرش» وفي هذا نسبة لقول أرسطاطاليس.

واللوح عن يمين العرش من درة بيضاء وأسفله في حجر ملك يقال له: ماطريون.

وقال أنس: «اللوح في جبهة إسرافيل، وقلمه خمسمائة عام، مشقوق السن ينبع منه النور كما ينبع المداد» حكاه محمد بن عبد الله الكسائي.

قال أهل السير: وبنى رسول الله ﷺ مسجده مرتين، بناه حين قدم أقل من مائة في مائة، فلما فتح الله عليه خيبر بناه وزاد عليه في الدور مثله.

الفصل الثاني
ما جاء في قبلة مسجد رسول الله ﷺ

اعلم أن النبي ﷺ صلى في مسجده متوجها إلى بيت المقدس سبعة عشر شهرا، وقيل: ستة عشر، ثم أمر بالتحول إلى الكعبة في السنة الثانية من الهجرة في صلاة الظهر يوم الثلاثاء للنصف من شعبان، وقيل في رجب، فأقام رسول الله ﷺ رهطا على زوايا المسجد ليعدل القبلة، فأتاه جبريل عليه السلام فقال: يا رسول الله، ضع القبلة وأنت تنظر إلى الكعبة، ثم قال بيده: هكذا فأماط كل جبل بينه وبين الكعبة، فوضع

---

(١) ذكره ابن النجار في الدرة الثمينة (٢/٣٥٦).

رسول الله ﷺ القبلة وهو ينظر إلى الكعبة لا يحول دون نظره شيء، فلما فرغ قال جبريل: هكذا، فأعاد الجبال والشجر والأشياء على حالها، وصارت قبلته إلى الميزاب من البيت، فهي المقطوع بصحتها.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كانت قبلة النبي ﷺ إلى الشام وكان مصلاه الذي يصلي فيه بالناس إلى الشام من مسجده أن تضع الإسطوانة المخلقة اليوم خلف ظهرك ثم تمشي مستقبل الشام وهي خلف ظهرك حتى إذا كنت محاذيا لباب عثمان المعروف اليوم بباب جبريل عليه السلام، والباب على منكبك الأيمن وأنت في صحن المسجد، كانت قبلته في ذلك الموضع، وأنت واقف في مصلاه ﷺ وسيأتي ذكر الاسطوانة في محله.

يروى أن أول ما نسخ من أمور الشرع أمر القبلة وذلك أن رسول الله ﷺ وأصحابه كانوا يصلون بمكة إلى الكعبة، فلما قدموا المدينة أمروا أن يصلوا إلى بيت المقدس، ليكون أقرب إلى تصديق اليهود، وكانت الأنصار قد صلت إلى بيت المقدس سنين قبل قدومه ﷺ ثم أن النبي ﷺ تشوق إلى الصلاة إلى الكعبة لأسباب: أحدها أنها قبلة أبيه إبراهيم عليه السلام وقيل: إنه بلغه ﷺ أن اليهود تقول: ما درى محمد وأصحابه أين قبلتهم حتى هديناهم، وقيل: رأى النبي ﷺ أن الصلاة إلى الكعبة أدعى لقومه إلى الإسلام، وذكر ذلك لجبريل ثم سأل الله تعالى وجعل يردد نظره إلى السماء رجاء أن يأتيه جبريل بما سأله، فأنزل الله تعالى: ﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ ﴾ [البقرة: ١٤٤] الآية، قال مجاهد: نزلت هذه الآية ورسول الله ﷺ في مسجد بني سلمة قد صلى ركعتين من الظهر، فتحول في الصلاة واستقبل الميزاب وجعل الرجال مكان النساء والنساء مكان الرجال.

قال الأجدابي: قول عمر رضي الله عنه «ما بين المشرق والمغرب قبلة» إذا توجه نحو البيت، ليس معناه أن ذلك في جميع آفاق الأرضين، وإنما يصح استعماله في نواحي المدينة الشريفة وسائر الأفق المغرب عن مكة المائل عن خطها إلى جهة الشمال، لأن القبلة في هذا الأفق فيما بين مشرق الاستواء ومغرب الشمس الأسفل.

وقد يصح أن يستعمل قول عمر رضي الله عنه في غير هذا الأفق من الأرض، وقد يكون التوجه والتحديد مختلفا، وذلك أن الأفق الشرقي المائل عن خطة مكة إلى جهة الشمال الذي فيه أرض العراق قبلته ما بين المشرق الأسفل ومغرب الاستواء والأفق الشرقي المائل عن خط مكة إلى جهة من جهة الجنوب قبلته ما بين مشرق الشمس ومغربها الأعليين.

والأفق المحاذي لمكة من جهة الشمال قبلته ما بين مشرق الشمس ومغربها

الأسفلين.

فهذه الآفاق الستة يصح أن يقال فيها: قبلتها ما بين المشرق والمغرب لكن التوجه مختلف، ولا يصح أن يقال ذلك في الأفقين الباقيين.

الفصل الثالث

ما جاء في فضل مسجد رسول الله ﷺ

اعلم أن الله تعالى كما خصه بجميل الخصائص أولاه كل كامل غير ناقص، قال الله تعالى: ﴿ وَٱلْفَجْرِ ۝ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ۝ وَٱلشَّفْعِ وَٱلْوَتْرِ ﴾ [افجر: ١-٣] وفي كسر الوتر وفتحها لغتان، قيل: الشفع مسجد مكة والمدينة، والوتر بيت المقدس هذا على أحد أقوال تنيف على العشرين.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، ومسجدي هذا، والمسجد الأقصى**»[(١)].

وعنه أيضا عن النبي ﷺ قال: «**لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: مسجدي والمسجد الحرام، والمسجد الأقصى**»[(٢)] متفق على صحته.

وعنه أيضا أنه يخبر أن النبي ﷺ قال: «**لا يسافر إلا لثلاثة مساجد: مسجد الكعبة ومسجدي ومسجد إيليا**»[(٣)].

وعنه أيضا عن النبي ﷺ قال: «**لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، ومسجد الرسول، والمسجد الأقصى**»[(٤)].

وعنه أيضا يبلغ به إلى النبي ﷺ قال: «**لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: مسجدي هذا، ومسجد الحرام ومسجد الأقصى**»[(٥)].

وسمي المسجد الأقصى: لأنه أبعد المساجد التي تزار، وقيل: إنه لم يكن حينئذ مسجد.

قيل: إن كل ماء عذب في الأرض يخرج من تحت صخرة بيت المقدس.

وأول من بنى المسجد الأقصى داود عليه السلام، وذلك لإحدى عشرة سنة مضت من ملكه، وكان داود ينقل الحجارة على عاتقه حتى رفعوه قامة، ثم صلوا فيه زمانا.

---

(١) أخرجه البخاري (١١٨٩)، وأبو داود (٢٠٣٣) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه مسلم (٥١١)، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) أخرجه مسلم (٥١٣)، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) سبق تخريجه.

(٥) سبق تخريجه.

ثم بناه سليمان بن داود عليهما السلام بعد أن توفي داود بالرخام الملون، وعمده بأساطين المرو، وسقفه بألواح الجواهر، ورصع حيطانه باليواقيت، وبسط أرضه بألواح الفيروزج.

ولم يزل على ذلك حتى خربه بختنصر ونقل ما فيه من الجواهر وغيرها إلى أرض بابل.

وبقي خرابا إلى أن بناه المسلمون في زمان عمر رضي الله عنه.

وابتدأ سليمان عليه السلام في عمارته لأربع سنين مضين من ملكه.

وقيل: إن ملكا من ملوك فارس يقال له: بوشك عمر بيت المقدس وإيليا بعد هلاك بختنصر.

وكان آخر تخريب بيت المقدس على يد ططوش بن أسيبانوس الرومي.

واعلم أن الأرض المقدسة هي الطور وما حواليه، وقيل: إيليا وبيت المقدس.

وقال ابن عمر: الحرم محرم مقداره من السموات والأرض، وبيت المقدس مقدس مقداره من المسوات والأرض، وقيل: هي أريحا.

وقال الكلبي: دمشق وفلسطين وبعض الأردن، وقيل: الأردن كله.

وقال قتادة: الشام كلها، وقيل في قوله تعالى: ﴿ إِنَّكَ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ﴾ [طه: ١٢] قيل له طوى لأنه قدس مرتين، وقيل: هو اسم الوادي، والمراد به دمشق وفلسطين.

قال الجوهري: طوى موضع بالشام تكسر طاؤه وتضم [يصرف][(١)] ولا يصرف، ومن صرفه جعله اسم واد[، ومكان وجعله نكرة، ومن لم يصرفه جعله اسم بلدة وبقعة وجعله معرفة.][(٢)]

قال الراغب: التقديس التطهير، لأنه طهر من الشرك.

وقيل سمي بيت المقدس: لأنه المكان الذي يتقدس فيه من الذنوب، أي يتطهر، وحصيرة المقدس فيما يرى أهل النظر أنها الجنة؛ لأنها موضع الطهارة من الأدناس.

قال صاحب الغريبين: وبيت المقدس والمسجد الأقصى واحد.

وقيل: إن كل أرض سار التابوت -تابوت موسى- عليها فهي مقدسة.

قال ابن عباس: والتابوت وعصى موسى في بحيرة الطبرية، وهما يخرجان قبل يوم القيامة.

---

(١) زيادة من نسخة تركيا.

(٢) زيادة من نسخة تركيا.

والطبرية أكبر مدينة بالأردن، وعليها بحيرة عذبة الماء طولها اثنا عشر فرسخا في عرض فرسخين، وبها ثلاثة عيون جارية مسقطها على نحو فرسخين من المدينة، ومياه الطبرية من البحيرة، والغور أول هذه البحيرة، ثم يمد على بيسان حتى ينتهي إلى زغر وأريحا إلى البحيرة المنتنة.

والغور ماء بين جبلين غائر في الأرض جدا وبه عيون وأنهار وأشجار، وبعض الغور من حد الأردن إلى تجاوز بيسان، فإذا جاوزها كان من حد فلسطين وهذا الشط متصل إلى أيلة، وكان أقدم بلدان السواحل وعامة الحكماء اليونانية منها. حكاه صاحب صور الأقاليم.

وبالأردن كان يسكن يعقوب عليه السلام، وبه جب يوسف على اثني عشر ميلا من الطبرية مما يلي دمشق بين مدين ومصر على ثلاثة فراسخ من منزل يعقوب.

وفلسطين تسمى أبنى برفع الألف وسكون الباء الموحدة، وقيل: أبنى هي أرض [الشراة ناحية البلقاء وهي التي خربها أسامة.

وقال بعض أهل مصر في زمن كعب الأحبار: أريد] جرابا من تراب سفح المقطم - يعني: جبل مصر- أجعله في قبري، فقال له كعب: أتقول هذا وأنت بالمدينة؟ قال: إنا نجد في الكتاب الأول أنه مقدس ما بين القصير إلى اليحموم.

واعلم أن الشام على أربعة أجناد: جند حمص، وجند دمشق، وجند فلسطين، وجند الأردن، وشرقي الشام عفزة الفرات، وغربيها ساحل بحر الروم، وشماليها جبل بلاد الروم، وجنوبيها بلاد الأردن وفلسطين.

وأما دمشق فإن العادي بناها -غلام إبراهيم عليه السلام- وكان حبشيًا وهبه له نمرود حين خرج إبراهيم من النار، وكان اسم الغلام دمشق، فسماها على اسمه.

وحمص بناها رجل يقال له صوري، من ولد كنعان بن حام بعد الغرق، ثم سكنها الروم.

وبيت المقدس بناه أذنون النبطي من ولد كنعان بعد الغرق.

وحران بناها هران، أبو لوط عليه السلام، وهو أخو إبراهيم عليه السلام.

مصر بناها مصرايم بن حام بن نوح عليه السلام، وهو أبو القبط بعد الغرق وإفريقية بناها كامن بن يافث بن نوح.

والإسكندرية بناها الإسكندر، وكانت مدينته التي ولد فيها مقذونية، والجزيرة بناها سام بن نوح.

والموصل بناها أشوم بن سام إلى خراسان.

والأهواز بناها عالم بن سام بن نوح وهو الذي بنى السوس.

وسمرقند بناها شمرة بن غشق، وبصرى بناها بصر بن إسحاق، وهمذان بناها مادي بن يافث، وأرمينية بناها باوان بن يافث.

روى ابن ماجة عن النبي ﷺ قال: «**صلاة في بيت المقدس بخمسين ألف صلاة**» وفي رواية: «**بخمسمائة صلاة**» وفي رواية: «**بسبعمائة صلاة**»(١).

وعن إبراهيم بن عبد الله بن معبد قال: اشتكت امرأة فنذرت لئن شفيني الله لأخرجن ولأصلين في بيت المقدس، فصحت وتجهزت تريد الخروج، فلما أتت ميمونة زوج النبي ﷺ فأخبرتها بذلك، فقالت: انطلقي فكلي ما صنعت وصلي في مسجد رسول الله ﷺ فإني سمعت النبي ﷺ يقول: «**صلاة فيه أفضل من ألف صلاة فيما سواه من المساجد إلا مسجد الكعبة**»(٢).

وعن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «**صلاة في مسجدي هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه، إلا المسجد الحرام، وصلاة في المسجد الحرام أفضل من مائة ألف صلاة**»(٣).

قال أبو بكر النقاش: «فحسبت ذلك على هذه الرواية فبلغت صلاة واحدة في المسجد الحرام عمر خمس خمسين سنة وستة أشهر وعشرين ليلة، وصلاة يوم وليلة في المسجد الحرام -وهي خمس صلوات- مائتي سنة وسبعين سنة وتسعة أشهر وعشر ليال».

وعن سهل بن سعد أن النبي ﷺ قال: «**من دخل مسجدي هذا يتعلم خيرا أو يعلمه، كان بمنزلة المجاهد في سبيل الله، ومن دخله لغير ذلك من أحاديث الناس، كان كالذي يرى ما يعجبه وهو لغيره**»(٤).

ويروى عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**صلاة المرء في بيته أفضل من صلاته في مسجدي هذا إلا المكتوبة**»(٥).

وقالت عائشة ﵂: «ما خرج رسول الله ﷺ قط إلا صلى ركعتين»(٦) يعني: ما خرج من بيته.

---

(١) أخرجه ابن ماجه (١٤١٣) عن أنس ﵁.

(٢) أخرجه مسلم (٥١٠) ١٠١٤/٢، وأحمد (٣٣٣/٦) عن ميمونة ﵂.

(٣) أخرجه البخاري (١١٩٠)، وأحمد (١٨٤/١)، ومالك في الموطأ (١٩٦/١) عن أبي هريرة ﵁.

(٤) أخرجه أحمد (٣٥٠/٢) عن سهل بن سعد ﵁.

(٥) أخرجه أبو داود (١٠٤٤) أبي هريرة ﵁.

(٦) أخرجه الطحاوي في شرح معاني الآثار (٣٠١/١) عن عائشة ﵂.

وعنها ﵂ قالت: قال رسول الله ﷺ: «**أنا خاتم الأنبياء ومسجدي خاتم مساجد الأنبياء، أحق المساجد أن يزار وتركب إليه الرواحل، وصلاة في مسجدي هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه من المساجد إلا المسجد الحرام**»(١).

وعن أبي سلمة بن عبد الرحمن وأبي عبد الله الأغر مولى الجهنين -وكانا من أصحاب أبي هريرة ﵄- أنهما سمعا أبا هريرة رضي الله عنه يقول: «صلاة في مسجد رسول الله ﷺ أفضل من ألف صلاة فيما سواه من المساجد إلا المسجد الحرام فإن رسول الله ﷺ آخر الأنبياء، ومسجده آخر المساجد».

قال أبو سلمة وأبو عبد الله: «لم نشك أن أبا هريرة كان يقول عن حديث رسول الله ﷺ فمنعنا ذلك أن نتثبت أن أبا هريرة عنى ذلك الحديث، حتى إذا توفي أبو هريرة تذاكرنا ذلك وتلاومنا ألا نكون كلمنا أبا هريرة عن ذلك الحديث حتى يسنده إلى رسول الله ﷺ إن كان سمعه منه، فبينما نحن على ذلك جالسنا عبد الله بن إبراهيم بن قارظ، فذكرنا ذلك الحديث والذي فرطنا فيه من نص أبي هريرة عنه، فقال لنا عبد الله بن إبراهيم: أشهد أني سمعت أبا هريرة يقول: قال رسول الله ﷺ: «**فأنا آخر الأنبياء وأن مسجدي آخر المساجد**»(٢).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**صلاة في مسجدي هذا خير من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام**»(٣).

قال القاضي عياض: «اختلف الناس في معنى هذا الاستثناء على خلافهم في المفاضلة بين مكة والمدينة، فذهب مالك في رواية أشهب عنه، وقاله ابن نافع صاحبه وجماعة أصحابه إلى أن معنى الحديث: أن الصلاة في مسجد النبي ﷺ أفضل من الصلاة في سائر المساجد بألف صلاة إلا المسجد الحرام، فإن الصلاة في مسجد النبي ﷺ أفضل من الصلاة فيه بدون الألف، واحتجوا بما روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه: صلاة في المسجد الحرام خير من مائة صلاة فيما سواه، فتأتي فضيلة مسجد الرسول ﷺ بتسعمائة وعلى غيره بألف.

وهذا مبني على تفضيل المدينة على مكة وهو قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه ومالك وأكثر المدنيين، وذهب أهل مكة والكوفة إلى تفضيل مكة، وهو قول عطاء، وابن

---

(١) أخرجه ابن النجار في الدر الثمينة (٢/ ٣٥٧) عن عائشة ﵂.

(٢) أخرجه مسلم (٥٠٧) ٢/١٠١٢، وأحمد (٢/٢٦٦) عن أبي هريرة ﵁.

(٣) أخرجه البخاري (١١٩٠)، ومسلم (٥٠٥، ٥٠٦) عن أبي هريرة ﵁.

وهب، وابن حبيب -من أصحاب مالك- وحكاه الساجي عن الشافعي، وحملوا الاستثناء في الحديث المتقدم على ظاهره، وأن الصلاة في المسجد الحرام أفضل، واحتجوا بحديث عبد الله بن الزبير، عن النبي ﷺ بمثل حديث أبي هريرة وفيه: وصلاة في المسجد حرام أفضل من الصلاة في مسجدي هذا بمائة صلاة. وروى قتادة مثله.

فيأتي فضل الصلاة في المسجد الحرام -على هذا- على الصلاة في سائر المساجد بمائة ألف، قال الباجي: والذي يقتضيه الحديث مخالفة حكم مسجد مكة لسائر المساجد ولا يعلم منه حكمها مع المدينة.

وذهب الطحاوي إلى أن هذا التفضيل إنما هو في صلاة الفرض وذهب مطرف -من أصحابنا- إلى أن ذلك في النافلة أيضا قال: وجمعة خير من جمعة ورمضان خير من رمضان، ولا خلاف أن موضع قبر النبي ﷺ أفضل بقاع الأرض، قال: ومسجد مكة والمدينة أفضل من المسجد الأقصى.

عن عبد الله [بن عثمان بن عمر][1] بن الأرقم بن أبي الأرقم، عن أبيه عن جده قال: قلت لرسول الله ﷺ إني أريد أن أخرج إلى بيت المقدس قال: «**فلم؟**» قلت: للصلاة فيه، قال: «**ههنا أفضل من الصلاة هناك ألف مرة**»[2].

وعن أبي أمامة بن سهل بن حنيف أن رسول الله ﷺ قال: «**من خرج على طهر لا يريد إلا الصلاة في مسجدي هذا حتى يصلي فيه كان بمنزلة حجة**»[3].

الفصل الرابع

في أن المسجد الذي أسس على التقوى هو مسجد النبي ﷺ مسجد المدينة

روى الترمذي عن أبي سعيد الخدري قال: تمارى رجلان في المسجد الذي أسس على التقوى من أول يوم، فقال رجل: هو مسجد قباء، وقال الآخر: هو مسجد النبي ﷺ، فقال رسول الله ﷺ «**هو مسجدي هذا**»[4] حديث صحيح.

وعن أبي سلمة بن عبد الرحمن قال: مر بي عبد الرحمن بن أبي سعيد الخدري قال: قلت له: كيف سمعت أباك يذكر في المسجد الذي أسس على التقوى؟ قال: قال لي أبي: دخلت على رسول الله ﷺ في بيت بعض نسائه، فقلت: يا رسول الله، أي المسجدين الذي أسس على التقوى؟ قال: فأخذ كفا من حصباء فضرب به الأرض، ثم قال: «**هو**

(١) زيادة من نسخة تركيا.

(٢) ذكره ابن النجار في الدرة الثمينة (٢/٣٥٨) عن الأرقم بن أبي الأرقم رضي الله عنه.

(٣) أخرجه البخاري في التاريخ الكبير (٨/٣٧٩) عن أبي أمامة رضي الله عنه.

(٤) أخرجه الترمذي (٢/١٤٤)، والنسائي (٢/٣٦)، وأحمد (٥/١١٦) عن أبي سعيد رضي الله عنه.

مسجدكم هذا مسجد المدينة»، قال فقلت له: أشهد أني سمعت أباك هكذا يذكره، وهو قول: ابن المسيب، وزيد بن ثابت، وابن عمر، ومالك بن أنس فيما رواه عنه وهب وأشهب وابن القاسم وغيرهم(١).

وعن ابن عباس رضي الله عنه أنه مسجد قباء كما سيأتي.

قلت: ويمكن الجمع بينهما وأن يكون كلاهما أسس على التقوى، فقد روي عن عبد الله بن بريدة في قول الله عز وجل: ﴿ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ ﴾ [التوبة: ٣٦] قال: إنما هي أربعة مساجد لم يبنهن إلا نبي: الكعبة بناها إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام، وبيت أريحا ببيت المقدس بناه داود وسليمان عليهما السلام،ومسجد المدينة ومسجد قباء اللذين أسسا على التقوى بناهما رسول الله ﷺ.

وإذا قيل: المسجدان بالإطلاق، فالمراد بهما مسجد مكة والمدينة،وهذا من الكلام المزدوج، مثل أن يقال: «الحرمان -أيضا- حرماها والجديدان: الليل والنهار، والأعذبان: الريق والخمر، والأطيبان: النوم والنكاح، والأبيضان: اللبن والماء، والأسودان: الماء والتمر، ويقال: الليل والحرة، والأصفران: الذهب والحرير، والأحمران: اللحم والخمر، والعشاءان: المغرب والعشاء، والبائعان: البائع والمشتري، والمكتان: مكة والطائف، والخافقان: المشرق والمغرب، والعراقان: البصرة والكوفة، والقمران: الشمس والقمر، ويقال: أبو بكر وعمر رضي الله عنهما، والأبوان: الأب والأم، والعمران: أبو بكر وعمر رضي الله عنهما، والأبيضان في المرأة: الشحم والشباب، والعصران: الغداة والعشي، والملوان: الليل والنهار.

الفصل الخامس
في ذكر ما يؤول إليه مسجد رسول الله ﷺ

عن أبي لبيبة عن جده أن رسول الله ﷺ قال: **«لا تقوم الساعة حتى تغلب على مسجدي هذا الكلاب والذئاب والضباع، فيمر الرجل ببابه فيريد أن يصلي فيه فلا يقدر عليه»**(٢).

الذئب: أصله الهمز، وهو من المفترسات، حكاه ابن كيسان، ويسمى الهصير والنهسر.

وعن عبد الله قال:مسكن الخضر بيت المقدس فيما بين باب الرحمة إلى أبواب

---

(١) أخرجه مسلم (٥١٤) عن أبي بن كعب رضي الله عنه.

(٢) ذكره ابن النجار في الدرة الثمينة (٣٥٨/٢) عن أبي لبيبة رضي الله عنه.

الأسباط، وهو يصلي في كل جمعة في خمس مساجد: المسجد الحرام ومسجد المدينةومسجد بيت المقدس،ومسجد قباء، ويصلي في كل ليلة جمعة في مسجد الطور، ويأكل في كل جمعة أكلتين، ويشرب مرة من ماء زمزم، ومرة من جب سليمان عليه السلام الذي ببيت المقدس، ويغتسل من عين سلوان.

الخضر هو ابن آدم لصلبه، وهي رواية الضحاك، عن ابن عباس رضي الله عنهما، وقيل: هو الولد الرابع من أولاد آدم عليه السلام، حكاه أبو جعفر الطبري.

وقيل: اسمه بليا بن ملكان بن فالغ بن عابر بن شالخ بن أرفخشد بن سام بن نوح عليه السلام.

وقيل: اسمه أليسع، وهذا ليس بشيء، وأليسع اسم أعجمي.

وكان الخضر في أيام أفريدون الملك، وقيل: إنه كان على مقدمة ذي القرنين اليوناني في أيام إبراهيم عليه السلام.

وقيل: إن ذا القرنين الذي كان على عهد إبراهيم عليه السلام هو أفريدون الملك.

وقيل: إن الخضر ابن خالة ذي القرنين، وقيل: إنه من ولد من كان آمن بإبراهيم وكانت أمه رومية وأبوه فارسي، وقيل: كان أبوه ملكا.

وقيل: هو من سبط هارون بن عمران، وأنه بعثه الله نبيًا في أيام ناشية بن أموص ملك بني إسرائيل، وهذا بعيد؛ لأن ناشية كان في عهد بشتاسب في أيام بختنصر، وبين بختنصر وأفريدون دهر طويل.

وقد صح أنه صاحب موسى بن عمران، وموسى إنما نبئ في عهد منوشهر الملك وكان ملك منوشهر بعد ملك جده أفريدون، فدل هذا على خطأ من قال: إن الخضر هو أرميا بن خلقيا، فإن أرميا كان في زمن بختنصر، لأن من وفاة موسى إلى ابتداء ملك بختنصر تسعمائة وتسع وسبعين سنة ونبئ قبل موسى عليه السلام.

وروى محمد بن أيوب أن الخضر ابن فرعون موسى، وهذا بعيد.

وقيل: إن الذي صحب الخضر موسى بن منشا، ولا يصح.

وذكر ابن الجوزي في كتابه عجلة المنتظر في شرح حال الخضر، أن الخضر ليس بباق واحتج بقوله تعالى: ﴿ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ ﴾ [الأنبياء: ٣٤] ثم قال: فإن قيل: فالمسيح الدجال حي، فالجواب: أنه ولد بالمدينة الشريفة في حياة رسول الله ﷺ ثم يحيا إلى زمن المسيح وليس ذلك بطويل قال: وإن صح أنه من ولد آدم لصلبه فله على بعض الحساب ستة آلاف سنة وأربعمائة سنة فكيف يكون حيا؟

قلت: أما حجته بالآية الكريمة، فالحجة عليه بالآية نفسها، وذلك أنه ليس الخضر

مخلدا في الدنيا، إذا الخلود، لا موت معه، وقد جاء في الأخبار أنه يموت عند ارتفاع القرآن، ولا يسمى هذا خالدا، بل يسمى معمرا فبطل ما احتج به ألا ترى إلى قوله تعالى حكاية عن إبليس اللعين ﴿ رَبِّ فَأَنظِرْنِي ﴾ [الحجر: ٣٦] ولم يقل خلدني وها هو حي إلى قيام الساعة على أحد الأقوال.

وقد أجبت بهذا القول ولم أسمع به ولم أظن أني سبقت إليه، فإذا القاضي تاج الدين ابن عطاء الله رحمة الله تعالى رد على ابن الجوزي في هذه المسألة نفسها في كتابه لطائف المنن فوافق قولي قوله ولله الحمد والمنة.

قال الثعلبي: والخضر على جميع الأقوال نبي معمر محجوب عن الأبصار وقيل في نبوته قولان.

قال القرطبي: والجمهور على أنه غير باق، قال: والصحيح أنه حي، ثم ذكر اجتماع إلياس مع النبي ﷺ فقال: وإذا جاز بقاء إلياس جاز بقاء الخضر.

وقال يحيى بن سلام: الخضر هو إلياس ولا يصح.

وقيل: الخضر من ولد فارس، وإلياس من بني إسرائيل.

قال عمرو بن دينار: وإذا رفع القرآن مات الخضر وإلياس.

وإلياس هو: ابن ياسين بن فنحاص بن العيزار بن هارون بن عمران، بعثه الله تعالى إلى أهل بعلبك، وكانوا يعبدون صنما يقال له بعل.

وقال ابن إسحاق: بعل امرأة.

الصنم: جثة متخذة من فضة أو نحاس أو خشب مصورة يعبدونها، قيل: إن كل ما يشغل عن الله فهو صنم.

والجبت والطاغوت: أيضا كل معبود من دون الله، وقيل: الجبت السحر، وقيل: هما في سورة النساء رجلان، حي بن أخطب، وكعب بن الأشرف وقوله تعالى: ﴿ فِي سَبِيلِ ٱلطَّٰغُوتِ ﴾ [النساء: ٧٦] أي في سبيل الشيطان والوثن: ما كان من غير صورة خلاف الصنم المصور.

وكان اسم الملك الذي أرسل إليه أجب، واسم امرأته أزبيل -وهي بنت ملك سبأ- قتلت يحيى بن زكريا، وخلص منها كاتب لها كان مؤمنا يكتم إيمانه ثلاثمائة نبي أرادت قتلهم سوى ما قتلت، وكانت تزوجت سبعة ملوك وقتلتهم فغضب أجب على إلياس، فهرب إلياس سبع سنين ثم استخفى عند أم يونس بن متى، ومات يونس حين فطم، فدعا الله تعالى إلياس، فأحيي يونس بعد أربعة عشر يوما من موته، وآمن به اليسع ثم رفعه الله إليه واستخلف إليسع على بني إسرائيل وقتل أجب وامرأته في بستان مزدك.

وقيل إن إلياس هو ذو الكفل، وقيل: هو زكريا وقيل: كان عبدا صالحا.

عن عبد العزيز بن أبي داود قال: الخضر وإلياس يصومان رمضان ببيت المقدس ويوافيان الموسم في كل عام.

ورأى شخص إلياس بالأردن فقال له: كم الأبدال؟ فقال ستون رجلا: خمسون من لدن عرش مصر إلى شاطئ الفرات ورجلا بالمصيصة ورجل بعسقلان وسبعة في سائر البلدان، كلما ذهب الله بواحد جاء بآخر، وورد في الحديث أنهم ثلاثمائة وأربعون وسبعة وقطب، فإذا مات القطب أبدل من السبعة وإذا مات من السبعة أبدل من الأربعين، وإذا مات من الأربعين أبدل من الثلاثمائة، وإذا مات من الثلاثمائة أبدل من صلحاء المؤمنين.

وعن الحارث قال: سمعت عليا رضي الله عنه يقول: البدلاء بالشام والنجباء بمصر، والعصابة بالعراق، والنقباء بخراسان، والأوتاد بسائر الأرض والخضر سيد القوم، وقيل: إن الخضر يقضي إلى ثلاث ساعات من النهار بين أمم البحر، ويشهد الصلوات كلها في المسجد الحرام ويتهجد بالسحر عند سد يأجوج ومأجوج.

وفي سنة ثمان وأربعين أتانا شخص له اجتماعات بالخضر، وأتانا من عنده بثلاث تمرات، وأخبر أنه سكن مكة فلا يخرج منها وأن الدنيا تزوي له كل يوم ثلاث مرات مشرقها من مغربها، وقد كان عمي محمد بن عبدالله المرجاني أرسل كتابا إلينا ونحن بمكة في عشر الأربعين وفيه: يا أخي يقول لوالدي رحمه الله تعالى: اتق عن قلبك حب الدنيا، لعل أن ترى القطب فقد استوطن مكة في هذا الزمان واسمه عبد الله.

وأما الإسكندر المذكور، الذي كان على مقدمته الخضر، فهو ذو القرنين الإسكندر بن فلقيس من ولد إبراهيم عليه السلام، وهو أخو دارا بن دارا وذلك أن دارا الأكبر بن بهمن تزوج أم الإسكندر، وكانت بنت ملك الروم واسمها هلايا وقيل: كان أبوه فيلبوس اليوناني، وقيل: إن الإسكندر هو أخو دارا الأصغر، والصحيح: أن هذا هو الإسكندر اليوناني، والإسكندر الرومي هو المنسوب أولا، قيل: كان صالحا ولم يكن نبيا، وقيل: كان ملكا، وقيل: إنه من ولد يافث، وقيل: كان بعد ثمود وقيل: كان في الفترة وهو بعيد.

وبنى اثني عشر مدينة: الإسكندرية وثلاثة بخراسان هراة ومرو وسمرقند، ومدينة بأصبهان يقال لها: جي بنيت مثال الحية، ومدينة بالأرض اليونانية يقال لها هيلايوس ومدينة ببابل.

يروى أنه لما نزل بالجبل الذي بين أرمينية وخراسان أصاب فيه مكانا يخرج منه الديلم والخوز، والترك، فصنع أبوابا من نحاس وحديد معجون وكتب على الباب: أن

الأمم يجتمعون وراء هذا الباب في سنة أربع وستين وثمانمائة من الألف الآخر الذي فيها العباد عند انقضاء العرب بكثرة الخطايا والذنوب يلحق الناس سخط من ربهم فيرسل الله عليهم ملك يأجوج ومأجوج فيجتمعون خلف هذا الباب فيدعون الله باسمه الأعظم فيسقط جميع ما صنعت من الأبواب والسد، فلا يحتاجون إلى مفتاح حكاه وهب في كتاب التيجان.

وهذا هو السد الذي بناه ذو القرنين قال عكرمة ما كان من صنعة بني آدم فهو السد بالفتح، وما كان من صنع الله فهو بالضم، بناه بلبن الحديد، طول اللبنة ذراع ونصف، وسمكها شبر، وحفر أساسه إلى الماء، وطول السد من الجبل إلى الجبل مائة فرسخ، وعرضه خمسون فرسخا وشرفه بزبر الحديد والنحاس المذاب وله باب من حديد مصراعان مغلقان عرض كل مصراع خمسون ذراعا في ارتفاع خمسين، في ثخن خمسة أذرع وعلى الباب قفل طوله سبعة أذرع في غلظ ذراع، وارتفاع القفل من الأرض خمسة وعشرون ذراعا وفوق القفل بمقدار خمسة أذرع غلق طوله أكثر من طول القفل وقفيزاه كل واحد منهما ذراعان وعلى الغلق مصباح معلق بسلسلة طولها ثمانية أذرع في استدارة أربعة أشبار، وعتبة الباب عرضها عشرة أذرع فيطول مائة ذراع سوى ما تحت العضادتين والظاهر منهما خمسة أذرع، وارتفاع السد مائتان وخمسون ذراعا هذا كله بالذراع السوداء.

ثم إن ذا القرنين توفي بشهرزور وقيل: ببابل وقيل: بدومة الجندل وحمل إلى الإسكندرية فدفن بها وعمره ستة وثلاثين سنة، وقيل: ثلاثين حكاه ابن الجوزي وقال في المنتخب إن عمره ألف وستمائة سنة، وقيل كان ملكه سبعة عشر سنة بعد ملك سليمان عليه السلام بثمانين سنة، وملك وهو ابن اثني عشرة سنة، وسار ما بين المشرق والمغرب في اثني عشر سنة، وعاش بعدها ست سنين.

وملكت بعده اليونانيون فأول من ملك منهم: بطليموس بن لوغوس، وكان ملكه مائتان وثلاثون سنة.

قيل: ملك الأرض مؤمنان، وكافران، فالمؤمنان: سليمان، وذو القرنين والكافران: بختنصر، ونمرود بن كنعان، وهو أول النماردة.

وجملة النماردة ستة هذا أحدهم وهو صاحب الخليل عليه السلام، عاش بعد إلقاء الخليل في النار أربعمائة سنة، وهو الذي مات بالبعوض، الثاني: نمرود بن كوش، وهو صاحب النسور الذي حملته النسور في التابوت ليقاتل أهل السماء، وهو أول ملك كان في الأرض الثالث: نمرود بن ماش، الرابع: نمرود بن سنجاريب، الخامس: نمرود بن

ساروغ، السادس: نمرود بن كنعان بن المصاص، أخذ أسيرا فقتل ببيت المقدس، وهو أول من صلب من بني آدم حكاه وهب انتهى.

يأجوج ومأجوج: رجلان من ولد يافث بن نوح عليه السلام، وقيل: إن آدم عليه السلام احتلم فامتزجت نطفته بالتراب، فلما انتبه أسف على ما خرج منه، فخلق الله من ذلك التراب يأجوج ومأجوج.

وهم خمس وعشرون قبيلة وقيل: أمتان،وقيل: إنهم أربعون أمة لا يموت منهم ذكر حتى يخلف ألف إنسان، ولا أنثى حتى تخلف ألف أنثى، منهم من طوله مائة وعشرون ذراعا، ومنهم من هو طول الذراع وعرضه وطوله سواء، ومنهم أصغر من ذلك، ومنهم من يفترش إحدى أذنيه ويتغط بالأخرى، ومنهم من هو مثل الأرز، وهو شجر طويل.

الفصل السادس
في ذكر حجر أزواج النبي ﷺ

اعلم أنه لما بنى رسول الله ﷺ مسجده بنى بيتين لزوجتيه عائشة، وسودة رضي الله عنهما على نعت بناء المسجد من لبن وجريد وكان لبيت عائشة رضي الله عنها مصراع واحد من عرعر أو ساج، ولما تزوج النبي ﷺ نساءه بنى لهن حجرات، وهي تسع أبيات، وهي ما بين بيت عائشة رضي الله عنها إلى الباب الذي يلي باب النبي ﷺ.

قال أهل السير: ضرب رسول الله ﷺ الحجرات ما بينه وبين القبلة والشرق إلى الشام، ولم يضربها في غربيه، وكانت خارجة من المسجد مديرة به إلا من جهة المغرب، وكانت أبوابها شارعة في المسجد.

قال عمران بن أبي أنس: كان منها أربعة أبيات بلبن لها حجر من جريد وكانت خمسة أبيات من جريد مطينة لا حجر لها، على أبوابها مسوح الشعر.

قال ابن النجار: وذرعت الستر فوجدته ثلاثة أذرع في ذراع وكان الناس يدخلون حجر أزواج النبي ﷺ بعد وفاته يصلون فيها يوم الجمعة حكاه مالك، وقال: وكان المسجد يضيق عن أهله وحجرات أزواج النبي ﷺ ليست من المسجد ولكن أبوابها شارعة فيه.

وقالت عائشة رضي الله عنها: كان رسول الله ﷺ إذا اعتكف يدني إلي رأسه فأرجله، وكان لا يدخل البيت إلا لحاجة الإنسان[1].

وعن عبد الله بن يزيد الهذلي قال: رأيت بيوت أزواج النبي ﷺ حين هدمها عمر بن

---

(١) أخرجه البخاري (٢٠٢٩)، ومسلم (٦) ٢/ ٢٤٤ عن عائشة رضي الله عنها.

عبد العزيز، كانت بيوتا باللبن، ولها حجر من جريد، ورأيت بيت أم سلمة وحجرتها من لبن، فسألت ابن ابنها، فقال: لما غزا رسول الله ﷺ دومة الجندل بنت أم سلمة بابها وحجرتها بلبن، فلما قدم رسول الله ﷺ نظر إلى اللبن فقال: **«ما هذا البناء؟»** فقالت: أردت أن أكف أبصار الناس، فقال: **«يا أم سلمة إن شر ما ذهب فيه مال المسلمين البنيان»**[(١)].

وقال عطاء الخراساني: أدركت حجر أزواج النبي ﷺ من جريد النخل على أبوابها المسوح من شعر أسود، فحضرت كتاب الوليد بن عبد الملك يقرأ يأمر بإدخالهم في المسجد، فما رأيت باكيا أكثر من ذلك اليوم، قال عطاء: وسمعت سعيد بن المسيب يقول يومئذ: والله لوددت أنهم يتركونها على حالها يغشاها ناس من أهل المدينة، فيقدم القادم من الآفاق فيرى ما اكتفى به رسول الله ﷺ في حياته فيكون ذلك مما يزهد الناس في التكاثر والفخر، وقال يزيد بن أبي أمامة، ليتها تركت حتى يقصر الناس عن البنيان ويروا ما رضي الله عز وجل لنبيه ﷺ ومفاتيح الدنيا بيده.

وأما بيت فاطمة ﵂: فإنه كان خلف بيت النبي ﷺ عن يسار المصلى إلى القبلة، وكان فيه خوخة إلى بيت النبي ﷺ وكان النبي ﷺ إذا قام من الليل إلى المخرج اطلع منه يعلم خبرهم، وكان رسول الله ﷺ يأتي بابها كل صباح فيأخذ بعضاديته ويقول: الصلاة الصلاة ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ [الأحزاب: ٣٣].

والرجس والرجز شيء واحد حكاه العزيزي والرجز الشيء القذر وقيل: النتن، وقيل العذاب.

والرجس على أربعة أوجه: إما من خبث الطبع، وإما من جهة الشريعة وإما من جهة العقل، وإما من كل ذلك.

أما من جهة الشرع: فكلحم الخنزير وأما من جهة العقل فالخمر والميسر القمار، وعلى ذلك نبه بقوله تعالى: ﴿ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ﴾ [البقرة: ٢١٩] فكلما ترقى إثمه على نفعه فالعقل يقتضي تجنبه، وأما من جهة الطبع والجملة فكالميتة، فإنها تعاب طبعا وشرعا وعقلا حكاه الراغب.

والرجز بكسر الزاي وضمها واحد وتفسيره الأوثان.

عن عمر بن أبي سلمة قال: لما نزلت ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ

---

(١) أخرجه ابن سعد في الطبقات (٤٩٩/١) عن عبد الله بن يزيد ﵁.

ٱلْبَيْتِ﴾ [الأحزاب: ٣٣] الآية وذلك في بيت أم سلمة دعا رسول الله ﷺ فاطمة وحسنا وحسينا فجللهما بكساء وعلي خلف ظهره، ثم قال: «**اللهم هؤلاء أهل بيتي فاذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا**»(١).

قال محمد بن قيس: وكان النبي ﷺ إذا قدم من سفر أتى فاطمة فدخل عليها وأطال عندها المكث، فخرج مرة في سفر وصنعت مسكتين من ورق فضة وقرطين وسترا لباب بيتها لقدوم أبيها وزوجها، فلما قدم رسول الله ﷺ دخل عليها، ووقف أصحابه على الباب، فخرج وقد عرف الغضب في وجهه، وفطنت فاطمة إنما فعل ذلك لما رأى المسكتين والقلادتين والستر فنزعت قرطيها وقلادتيها ومسكتيها ونزعت الستر وأنفدت به إلى رسول الله ﷺ فقالت للرسول: قل له تقرأ عليك ابنتك السلام وتقول لك: اجعل هذا في سبيل الله فلما أتاه قال: «**فعلت فداها أبوها** -ثلاث مرات- **ليست الدنيا من محمد ولا من آل محمد، لو كانت الدنيا تعدل عند الله من الخير جناح بعوضة ما سقى كافرا منها شربة ماء**»، ثم قام فدخل عليها(٢).

قال محمد بن الحسين بن علي بن الحسن بن علي رضي الله عنهم: لما أخذ رسول الله ﷺ الستر شقة لكل إنسان من أصحابه ذراعين ذراعين.

قال الحافظ محب الدين بن النجار: وبيتها اليوم حوله مقصورة وفيه محراب، وهو خلف حجرة النبي ﷺ.

قلت: وهو اليوم أيضا على ذلك.

الفصل السابع
في ذكر مصلى رسول الله ﷺ

روي عن عيسى بن عبد الله، عن أبيه قال: كان رسول الله ﷺ يطرح حصيرا كل ليلة إذا انكفت الناس وراء بيت علي رضي الله عنه ثم يصلي صلاة الليل، قال عيسى: وذلك موضع الأسطوان الذي مما يلي الدورة على طريق النبي ﷺ.

وعن سعيد بن عبدالله بن فضيل قال: مر بي محمد ابن الحنفية وأنا أصلي إليها فقال لي: أراك تلزم هذا الأسطوانة، هل جاءك فيها أثر؟ قلت: لا، قال فالزمها فإنها كانت مصلى رسول الله ﷺ من الليل، ثم قال: قلت هذه الأسطوانة قال: نعم.

قال الشيخ جمال الدين وهذه الأسطوانة خلف بيت فاطمة ؓ، والواقف المصلي

(١) أخرجه الترمذي (٣٢٠٥)، وأحمد في فضائل الصحابة (١/١٧٧) عن أم سلمة ؓ.
(٢) ذكره ابن النجار في الدرة الثمينة (٢/ ٣٥٩).

إليها يكون باب جبريل المعروف قديما بباب عثمان على يساره وحولها الدرابزين الدائر على حجرة النبي ﷺ وبيت فاطمة رضوان الله عليها وقد كتب فيها بالرخام، هذا متهجد النبي ﷺ.

قال الحافظ محب الدين: وبيت فاطمة ؓ، من جهة الشمال، وفيه محراب إذا توجه المصلي إليه كانت يساره إلى باب عثمان رضي الله عنه.

الهاجد: المصلي بالليل والنائم، وهذا من المتضادة باسم واحد منه:

الجون: الأسود والأبيض، والصريم، الصبح والليل والسدفة: الظلمة والضوء، والجلل: الشيء الصغير والكبير، والناهل: العطشان والريان: والماثل: القائم واللاطي بالأرض، والصارخ: المستغيث والمغيث والرهوة: الارتفاع والانحدار، والتلعة: مجرى الماء من الوادي وهي ما انهبط من الأرض، والأهماد: السرعة في السير والإقامة والخناذيد: خصيان الخيل والفحول، والظن: يقين وشك، والأقراء: الطهر والحيض، والمفرع في الجبل: المصعد والمنحدر، ووراء: يكون خلف وأمام ومنه قوله تعالى: ﴿ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴾ [الكهف: ٧٩] أي أمامهم وفوق بمعنى فوق ودون،وأسررت الشيء، أخفيته وأعلنته ودنوت الشيء: أي شددته ورخيته وأخفيت الشيء: أظهرته وكتمته، وشعبت الشيء جمعته وفرقته، وبعت الشيء: بعته واشتريته وعسعس الليل: إذا أقبل ظلمه وأدبر.

الفصل الثامن
في ذكر قصة الجذع

عن أنس رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يخطب يوم الجمعة إلى جنب خشبة مسندا ظهره إليها، فلما كثر الناس قالوا: ابنوا له منبرا فبنوا له منبرا له عتبتان، فلما قام على المنبر يخطب حنت الخشبة إلى رسول الله ﷺ قال أنس: فأنا في المسجد فسمعت الخشبة تحن حنين الواله، فما زالت تحن حتى نزل إليها فاحتضنها فسكتت فكان الحسن إذا حدث بهذا الحديث بكى وقال: يا عباد الله الخشبة تحن إلى رسول الله ﷺ شوقا إليه لمكانه من الله عز وجل، فأنتم أحق أن تشتاقوا إلى لقائه.

وعن جابر بن عبد الله كان المسجد مسقوفا على جذوع نخل، فكان النبي ﷺ إذا خطب يقوم إلى جذع منها، فلما صنع المنبر سمعنا لذلك الجذع صوتا كصوت العشار.

وفي رواية أنس: حتى ارتج المنبر بخواره، وروي بجواره بالجيم.

وفي رواية سهل: وكثر بكاء الناس لما رأوا به.

وفي رواية المطلب: حتى تصدع وانشق حتى جاء النبي ﷺ فوضع يده عليه

فسكت.

وزاد غيره، فقال النبي ﷺ «**إن هذا بكى لما فقد من الذكر**»(١).

وزاد غيره: فقال النبي ﷺ «**والذي نفسي بيده لو لم التزمه لم يزل هكذا إلى يوم القيامة تحزنا على رسول الله ﷺ** » فأمر به النبي ﷺ فدفن تحت المنبر، كذا في حديث المطلب، وسهل بن سعد، وإسحاق عن أنس(٢).

وفي بعض الروايات: جعل في السقف وقيل: كان النبي ﷺ إذا صلى صلى إليه، فلما هدم المسجد أخذه أبي، فكان عنده إلى أن أكلته الأرض.

وذكر الأسفراييني: أن النبي ﷺ دعاه إلى نفسه فجاءه يخرق الأرض فالتزمه ثم أمره فعاد إلى مكانه.

الأسفراييني هو: أبو حامد أحمد بن أبي طاهر، ينسب إلى أسفراين بلدة بخراسان بنواحي نيسابور، توفي سنة ست وأربعمائة.

وفي حديث بريدة قال: يعني النبي ﷺ **إن شئت أردك إلى الحائط الذي كنت فيه تنبت لك عروقك ويكمل خلقك ويجدد لك خوص وثمرة وإن شئت أغرسك في الجنة فيأكل أولياء الله من ثمرك**، ثم أصغى له النبي ﷺ يسمع ما يقول، فقال: بل تغرسني في الجنة يأكل مني أولياء الله وأكون في مكان لا أبلي فيه، فسمعه ومن يليه، فقال النبي ﷺ **قد فعلت** ثم قال: **اختار دار البقاء على دار الفناء**.

قالت عائشة ﵂: لما قال له النبي ﷺ ذلك غار الجذع فذهب.

وقصة الجذع نظير إحياء الموتى لعيسى عليه السلام.

وقال ابن أبي الزناد: ولم يزل الجذع على حاله زمان رسول الله ﷺ وأبي بكر، وعمر ﵄، فلما هدم عثمان رضي الله عنه المسجد اختلف في الجذع، فمنهم من قال: أخذه أبي بن كعب، ومنهم من قال: دفن في موضعه.

قال الحافظ محب الدين: وكان الجذع في موضع الأسطوانة المخلقة عن يمين محراب النبي ﷺ عند الصندوق.

وذكر الشيخ جمال الدين: أنه كان لاصقا بجدار المسجد القبلي في موضع كرسي الشمعة اليمنى التي عن يمين المصلى في مقام النبي ﷺ والأسطوانة التي قبلي الكرسي مقدمة عن موضع الجذع فلا يعتمد على قول من جعلها موضع الجذع، وفي الأسطوانة

---

(١) ذكره ابن الضياء في تاريخ مكة (ص ١٦٩).

(٢) أورده القاضي عياض في الشفا (١/ ٢٠٠)، وابن الضياء في تاريخ مكة (ص ١٦٩).

خشبة ظاهرة مثبتة بالرصاص بموضع كان في حجر من حجارة الأسطوانة مفتوح قد حوط عليه بالبياض، والخشبة ظاهرة تقول العامة: هذا الجذع الذي حن إلى رسول الله ﷺ وليس كذلك، بل هو من جملة البدع التي تجب إزالتها لئلا يفتتن بها الجهال كما أزيلت الجذعة التي في المحراب القبلي، فإن الشيخ أبا حامد رحمه الله، لما ذكر مصلى رسول الله ﷺ حققه بقوله: إذا وقف المصلي في مقام النبي ﷺ تكون رمانة المنبر الشريف حذو منكبه الأيمن ويجعل الجذعة التي في القبلة بين عينيه فيكون واقفا في مصلى رسول الله ﷺ.

قال الشيخ جمال الدين: وذلك قبل احتراق المسجد الشريف وقبل أن يجعل هذا اللوح القائم في قبلة مصلى رسول الله ﷺ وإنما جعل بعد حريق المسجد وكان يحصل بتلك الجذعة تشويش كثير وذلك أنهم كانوا يقولون هذه خرزة فاطمة بنت رسول الله ﷺ وكانت عالية فتتعلق النساء والرجال إليها، فلما كانت سنة إحدى وسبعمائة جاور الصاحب زين أحمد بن محمد بن علي المعروف بابن حنا، فأمر بقلعها فقلعت وهي اليوم في حاصل الحرم الشريف، ثم توجه إلى مكة في أثناء السنة، فرأى أيضا ما يقع من الفتنة عند دخول البيت الحرام من الرجال والنساء الاستمساك بالعروة الوثقى في زعمهم فأمر بقلع ذلك المثال أيضا والحمد لله وحده.

الفصل التاسع

في ذكر العود الذي في الأسطوانة التي عن يمين مصلى رسول الله ﷺ

وهو الجذع المتقدم ذكره. قال الحافظ محب الدين: روي عن مصعب بن ثابت قال: طلبنا علم العود الذي في مقام النبي ﷺ فلم نعثر على أحد يذكر لنا عنه شيئا حتى أخبرني محمد بن مسلم بن السائب صاحب المقصورة: أنه جلس إلى جنبه أنس بن مالك فقال: أتدري لم صنع هذا العود؟ ولم أسأله فقلت: ما أدري قال: كان رسول الله ﷺ يضع عليه يمينه ثم يلتفت إلينا فيقول: استووا وعدلوا صفوفكم فلما توفي رسول الله ﷺ سرق العود، فطلبه أبو بكر، فلم يجده ثم وجده عمر عند رجل من الأنصار بقباء قد دفنه في الأرض فأكلته الأرض، فأخذ له عودا فشقه وأدخله فيه ثم شعبه ورده إلى الجدار، وهو العود الذي وضعه عمر بن عبد العزيز في القبلة وهو الذي في المحراب اليوم باق، قال مسلم بن حباب: كان ذلك العود من طرفاء الغابة، وقيل: بل كان الجذع المذكور.

قلت: والله أعلم أن هذا الجذع الذي ذكره ابن النجار، وأنه في القبلة باق اليوم، لعله الذي قاس به الغزالي وقلعه ابن حنا.

قال الشيخ جمال الدين: وكان ذلك قبل حريق المسجد الشريف.

الفصل العاشر
في ذكر منبر النبي ﷺ وفضله

عن ابن أبي حازم أن نفرا جاؤوا إلى سهل بن سعد قد تماروا في المنبر من أي عود هو؟ فقال: أما والله أني لأعرف من أي عود هو ومن عمله؟ ورأيت رسول الله ﷺ أول من جلس عليه، فقلت له فحدثنا فقال: أرسل رسول الله ﷺ إلى امرأة انظري غلامك النجار يعمل لي أعوادا أكلم الناس عليها فعمل هذه الثلاث الدرجات، ثم أمر رسول الله ﷺ فوضعت هذا الموضع، وهي من طرفاء الغابة.

الطرفاء: شجر يشبه الأثل، إلا أن الأثل أعظم منه.

وعن جابر بن عبد الله، أن امرأة من الأنصار قالت لرسول الله ﷺ يا رسول الله ألا أجعل لك شيئا تقعد عليه؟ فإن لي غلاما نجارا فقال: «**إن شئت**» فعمل له المنبر[1].

وعن عبد الله بن عمر أن رسول الله ﷺ لما بدن قال له تميم الداري: ألا أتخذ لك منبرا يا رسول الله يجمع أو يحمل عظامك؟ قال «**بلى**» قال: فاتخذ له منبرا مرقاتين[2].

قوله بدن: أي أسن وضعف، وقد اختلفت الرواية في بدن رووه مخففا بضم الدال من قولهم بدن يبدن بدانة وبدن بفتح الدال يبدن بدنا، والبدانة والبدن والبدن: السمن والاكتناز، ورووه بفتح الدال وتشديدها من التبدين يعني مسه الكبر وأسن، وهذه الرواية التي يرتضيها أهل العلم لأن النبي ﷺ لا يوصف بالسمن والاكتناز وقد قال عليه السلام قد بدنت فلا تبادروني بالركوع والسجود فاختاروا تشديد الدال ومن خفف صحف قاله أبو عبيد في غريب الحديث.

وعن ابن أبي الزناد أن رسول الله ﷺ كان يخطب يوم الجمعة إلى جذع في المسجد قائما فقال: إن القيام قد شق علي وشكى ضعفا في رجليه، فقال له تميم الداري، وكان من أهل فلسطين يا رسول الله أنا أعمل لك منبرا كما رأيت يصنع بالشام؟ قال: فلما أجمع رسول الله ﷺ وذوو الرأي من أصحابه على اتخاذه قال العباس بن عبد المطلب إن لي غلاما يقال له كلاب أعمل الناس فقال له النبي ﷺ: «**فمره يعمل**» فأرسل إلى أثلة بالغابة فقطعها، ثم عملها درجتين ومجلسا، ثم جاء بالمنبر فوضعه في موضعه اليوم، ثم راح رسول الله ﷺ يوم الجمعة فلما جاوز الجذع يريد المنبر حن الجذع ثلاث مرات كأنه خوار بقرة حتى ارتاع الناس وقام بعضهم على رجليه وأقبل رسول الله ﷺ حتى مسه بيده

---

(١) أخرجه البخاري (٤٤٩)، والبيهقي في دلائل النبوة (٢/٥٦٠) عن جابر ﷺ.

(٢) أخرجه أبو داود (١٠٨١) عن ابن عمر ﷺ.

فسكن فما سمع له صوت بعد ذلك، ثم رجع رسول الله ﷺ إلى المنبر فقام عليه[١].

وقد روي أن اسم هذا الغلام الذي صنع المنبر مينا بياء ساكنة مثناة من أسفل بعدها نون.

وقال عمر بن عبد العزيز: عمله صباح غلام العباس بن عبد المطلب.

قال الواقدي: وذلك في السنة الثامنة من الهجرة اتخذه درجتين ومقعدة.

قال ابن أبي الزناد: كان رسول الله ﷺ يجلس على المنبر ويضع رجليه على الدرجة الثانية فلما ولي أبو بكر رضي الله عنه قام على الدرجة الثانية ووضع رجليه على الدرجة الثالثة السفلى، فلما ولي عمر رضي الله عنه قام على الدرجة السفلى ووضع رجليه على الأرض إذا قعد، فلما ولي عثمان رضي الله عنه فعل كما فعل عمر رضي الله عنه ست سنين ثم علي فجلس موضع النبي ﷺ وكسى المنبر قبطية.

وذكر الشيخ محب الدين، عن محمد بن الحسن بن زبالة قال: كان طول منبر النبي ﷺ الأول في السماء ذراعين وشبرا وثلاثة أصابع، وعرضه ذراع راجح وطول صدره وهو مستند النبي ﷺ ذراع وطول رمانتي المنبر الذي كان يمسكها ﷺ إذا جلس يخطب شبرا وأصبعان، وعرضه ذراع في ذراع أو يزيد وتربيعه سواء، وعدد درجاته ثلاث بالمقعد، وفيه خمسة أعواد من جوانبه الثلاث.

قال الشيخ جمال الدين: هذا ما كان عليه في حياة رسول الله ﷺ وفي خلافة أبي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم فلما حج معاوية رضي الله عنه في خلافته كساه قبطية ثم كتب إلى مروان بن الحكم وهو عامله على المدينة أن أرفع المنبر عن الأرض، فدعى النجارين ورفعوه عن الأرض وزادوا من أسفله ست درجات ورفعوه عليها، فصار للمنبر تسع درجات بالمجلس، قال ابن زبالة: ثم لم يزد فيه أحد قبله ولا بعده.

قال الشيخ جمال الدين: هذا في زمان محمد بن زبالة، وروي أيضا عن ابن زبالة: أن طول منبر النبي ﷺ بما زيد فيه أربعة أذرع، ومن أسفل عتبته إلى أعلاه تسعة أذرع وشبر، وذكر ابن زبالة أيضا: أن المهدي بن المنصور لما حج سنة إحدى وستين ومائة، قال للإمام مالك بن أنس رحمه الله: أريد أن أعيد منبر النبي ﷺ على حاله الأول، فقال له مالك: إنما هو من طرفاء وقد شد إلى هذه العيدان وسمر، فمتى نزعته خفت أن يتهافت فلا أرى تغييره فتركه المهدي على حاله، قيل: إن المهدي فرق في هذه الحجة ثلاثين ألف ألف درهم، ومائة ألف وخمسين ألف ثوب، وحمل إليه الثلج من بغداد إلى مكة،

---

(١) أخرجه ابن سعد في الطبقات (١/٢٥٠) عن ابن أبي الزناد ﷺ.

وكسى البيت الحرام ثلاث كساوي بيضاء وحمراء وسوداء.

توفي بماسبذان بموضع يقال له: الرذ في المحرم سنة تسع وستين ومائة.

قال الشيخ جمال الدين: وذكر لي يعقوب بن أبي بكر بن أوحد من أولاد المجاورين بالمدينة الشريفة وكان أبوه أبو بكر فراشا من قوام المسجد الشريف وهو الذي كان حريق المسجد على يديه واحترق أيضا في حاصل الحرم: أن هذا المنبر الذي زاده معاوية ورفع منبر النبي ﷺ وجد قد تهافت على طول الزمان، وأن بعض خلفاء بني العباس جدده واتخذوا من بقايا أعواد منبر النبي ﷺ أمشاطا للتبرك بها وعمل المنبر الذي ذكره ابن النجار أولا فإنه قال في تاريخه: وطول المنبر اليوم ثلاث أذرع وشبر وثلاثة أصابع، والدكة التي هو عليها من رخام طولها شبر وعقد، ومن رأسه إلى عتبته خمسة أذرع وشبر وأربع أصابع، وقد زيد فيه اليوم عتبتان، وجعل عليه باب يفتح يوم الجمعة.

قال الشيخ جمال الدين: فدل ذلك على أن المنبر الذي احترق غير المنبر الأول الذي عمله معاوية رضي الله عنه ورفع منبر النبي ﷺ فوقه قال الفقيه يعقوب بن أبي بكر: سمعت ذلك من جماعة ممن أدركت بأن بعض الخلفاء جدد المنبر، واتخذوا من بقايا أعواده أمشاطا، وأن المنبر المحترق هو الذي جدده الخليفة المذكور، وهو الذي أدركه الشيخ محب الدين قبل احتراق المسجد الشريف، فإن الحافظ محب الدين كتب التاريخ في سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة وتوفي سنة ثلاث وأربعين وستمائة وكان احتراق المسجد ليلة الجمعة أول رمضان سنة أربع وخمسين وستمائة كما سيأتي.

قال الشيخ جمال الدين: ثم إن الملك المظفر عمل منبرا، وأرسله في سنة ست وخمسين وستمائة ونصب في موضع منبر النبي ﷺ رمانتاه من الصندل ولم يزل إلى سنة ست وستين وستمائة عشر سنين يخطب عليه، ثم إن الملك الظاهر أرسل هذا المنبر الموجود اليوم، فقلع منبر صاحب اليمن وحمل إلى حاصل الحرم، وهو باق فيه، ونصب هذا مكانه وطوله أربعة أذرع ومن رأسه إلى عتبته سبعة أذرع يزيد قليلا، وعدد درجاته سبع بالمقعد، والمنقول: أن ذرع ما بين المنبر الشريف ومصلى رسول الله ﷺ الذي كان يصلي فيه إلى أن توفي صلوات الله وسلامه عليه أربعة عشر ذراعا.

الملك المظفر المذكور وهو أبو المنصور شمس الدين يوسف بن عمر من ولد جبلة بن الأيهم الغساني ملك من حضرموت إلى حجر ومن ملك مثل ذلك سمي تبعا وفاته سنة أربع وتسعين وستمائة وملك بعده الملك المؤيد داود بن يوسف بن علي، ضمت خزانته من الكتب ما ينيف على مائة ألف مجلد وتوفي سنة إحدى وعشرين وسبعمائة، ثم تولى بعده المظفر ثم قوي عليه الملك المجاهد، وهو ملكها الآن.

وأما الملك الظاهر: فهو ركن الدين بيبرس الصالحي ويعرف بالبندقداري، توفي بدمشق سنة ست وسبعين وستمائة: وملك بعده ابنه المالك السعيد ناصر الدين بركة وخلع ثم ملك بعده قلاوون الملك المنصور ثم ولي بعده الملك الناصر محمد بن قلاوون.

ما جاء في فضل منبر النبي ﷺ:

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «**منبري على حوضي**»[١].

قال الخطابي معناه: من لزم عبادة الله عنده سقي من الحوض يوم القيامة وكذلك قال الباجي.

قال الحافظ محب الدين: والذي أراه أن المعنى: أن هذا المنبر بعينه يعيده الله على حاله فينصبه الله على حوضه، كما يعيد الخلائق أجمعين وهو الأظهر وقد يحتمل أن يكون له هناك منبر.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «**ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة، ومنبري على حوضي**»[٢].

وعن أم سلمة رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن قوائم المنبر لرواتب في الجنة**» وكان عند المنبر وسمعته يقول: «**إني لعلى حوضي الآن**»[٣].

قلت: ويمكن أن يكون حوضه ﷺ يوم القيامة في تلك البقعة.

وعن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ «**منبري على ترعة من ترع الجنة**»[٤] وهذا يقوي ما ذكرناه.

قال القاسم بن سلام: في الترعة ثلاثة أقوال: أحدها أنها الروضة تكون على المكان المرتفع خاصة، فإذا كانت في المكان المنخفض فهي روضة والثاني: أنها الباب والثالث: أنها الدرجة.

وعن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ «**لا يحلف أحد عند منبري هذا على يمين آثمه، ولو على سواك أخضر إلا تبوأ مقعده من النار أو وجبت له النار**»[٥].

قال مالك رحمه الله: ولا أرى أن يحلف على المنبر على أقل من ربع دينار، وذلك

---

(١) أخرجه البخاري (١١٩٦)، ومسلم (٥٠٢) ٢/١٠١١ عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) أخرجه النسائي (٢/٣٥، ٣٦)، والبيهقي في دلائل النبوة (٢/٥٦٤)، وابن سعد في الطبقات (١/٢٥٣) عن أم سلمة رضي الله عنها.

(٤) أخرجه ابن سعد في الطبقات (١/٢٥٠) عن أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٥) أخرجه مالك في الموطأ (٢/٧٢٧)

ثلاثة دراهم، وهو الذي يجب فيه القطع، ورئي ابن عمر واضعا يده على مقعد النبي ﷺ من المنبر، ثم وضعها على وجهه تبركا بذلك.

إشارة:

روي من حديث ابن عمر ﷺ، أن النبي ﷺ قال: «**حوضي ما بين صنعاء والمدينة أو مثل ما بين المدينة وعمان أو ما بين عدن وعمان**»(١)، وفي آخرى: «**زواياه سواء ما بين زاوية وزاوية مسيرة شهر كيزانه مثل عدد النجوم**»(٢).

وفي حديث أنس: «**مسيرته ما بين مكة وبين المقدس له ميزابان من الجنة**»(٣).

وفي رواية: «**طوله ما بين عمان إلى أيلة**»(٤) عمان بفتح العين وضمها وهي أول مدينة افتتحها موسى عليه السلام.

وفي رواية «**مثل ما بين أيلة وصنعاء**»(٥)

وفي رواية: «**كما بين الكوفة والحجر الأسود**»(٦) وفي رواية: «**كما بين جرباء وأذرح**»(٧) قال عبد الله: فسألته فقال: قريتان بالشام بينهما مسيرة ثلاثة ليال.

قيل: إن هذا الحوض هو الكوثر وقيل: الكوثر نهر في الجنة، وقيل الخير الكثير وقيل: الشفاعة وقيل: النبوة.

وعن حذيفة فيما ذكر عليه السلام [عن ربه](٨) **وأعطاني الكوثر نهرا من الجنة يسيل في حوضي.**

وقالت عائشة ﷺ: الكوثر نهر في الجنة من أراد أن يسمع هديره فليجعل إصبعيه في أذنيه.

وقال عطاء: الكوثر حوضه عليه السلام في الموقف.

وذهب صاحب القوت إلى أن حوضي النبي ﷺ إنما هو الصراط.

---

(١) أخرجه مسلم (٣٤، ٣٥) ٤/١٧٩٢ عن ابن عمر ﷺ.

(٢) أخرجه مسلم (٢٧) عن ابن عمر ﷺ.

(٣) أخرجه ابن كثير في النهاية (٢/٣٠- ٣٤) عن أنس ﷺ.

(٤) ذكـــرها القاضي عياض في الشفا (١/١٢٩) عن عبد الله بن عمرو ﷺ، والهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/٣٦٥)، عن أبي هريرة ﷺ.

(٥) أخرجه البخاري (٦٥٨٠)، ومسلم (٣٩) ٤/١٨٠٠، عن أنس ﷺ.

(٦) أخرجه الترمذي (٢٤٤٥) عن ابن عمر ﷺ.

(٧) أخرجه البخاري (٦٥٧٧)، ومسلم (٣٤) ٤/١٧٩٧، عن ابن عمر ﷺ.

(٨) زيادة يقتضيها السياق.

قال القرطبي: والصحيح أن للنبي ﷺ حوضين أحدهما: في الموقف قبل الصراط، والثاني: في الجنة وكلاهما يسمى كوثرا، والصحيح أيضا أن الحوض قبل الميزان.

ويل: للنبي ﷺ ثلاثة حيضان ولا يصح.

وحيضان الأنبياء عليهم السلام في الموقف قبل الصراط ويبعث الله سبعين ألف ملك بأيديهم عصى من نار يذودون الكفار عن حياض الأنبياء عليهم السلام.

الفصل الحادي عشر
في ذكر الروضة وما جاء في فضلها

عن أبي بكر رضي الله عنه قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «**ما بين منبري هذا وقبري روضة من رياض الجنة**»(١).

قال الخطابي: معناه: من لزم طاعة الله في هذه البقعة آلت به الطاعة إلى روضة من رياض الجنة.

وقال الحارث بن أسد المحاسبي: لم يرد بقوله: ما بين قبري ومنبري روضة من رياض الجنة: أن الجنة في الأرض وإنما أراد أن الجنة تجب لمن صلى بين قبره ومنبره تعظيما لتلك البقعة، واحتج بقول أبي الدرداء: إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا يعني حلق الذكر.

وقيل: في قوله: روضة من رياض الجنة معنيان: أحدهما أنه موجب لذلك وأن الصلاة والدعاء فيه يستحق ذلك الثواب كما قيل في الجنة تحت ظلال السيوف، الثاني: أن تكون البقعة قد ينقلها الله تعالى فتكون في الجنة بعينها قاله الداودي.

قال الحافظ محب الدين: والذي يقوى عندي أن يكون هذا الموضع بعينه روضة في الجنة يوم القيامة وقال أبو عمر بن عبد البر معناه: أن النبي ﷺ كانت الصحابة تقتبس منه العلم في ذلك الموضع وهو مثال الروضة.

قال الحافظ محب الدين: ويؤيده قول النبي ﷺ: «**إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا**»(٢).

وعن أنس بن مالك قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**ما بين حجرتي ومنبري روضة من رياض الجنة**»(٣).

---

(١) ذكره ابن النجار في الدرة الثمينة (٢/٣٦٣) عن أنس رضي الله عنه.

(٢) أخرجه الترمذي (٣٠٥٩) وأحمد (٣/١٥٠) عن أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٣) ذكره ابن النجار في الدرة الثمينة (٢/٣٦٣) عن أنس بن مالك رضي الله عنه.

وعن محمد بن المنكدر قال: رأيت جابرا وهو يبكي عند قبر رسول الله ﷺ وهو يقول: ههنا نسكب العبرات، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**ما بين قبري ومنبري روضة من رياض الجنة**»(١).

وعن عبد الله بن زيد المازني أن رسول الله ﷺ قال: «**ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة**»(٢).

قال القاضي عياض: قال الطبري فيه معنيان أحدهما: أن المراد بالبيت بيت سكناه على الظاهر مع أنه روي ما يبينه ما بين حجرتي ومنبري، والثاني: أن البيت هنا القبر، وهو قول زيد بن أسلم في هذا الحديث كما روي بين قبري ومنبري، قال الطبري: وإذا كان قبره في بيته اتفقت معاني الروايات ولم يكن بينها خلاف، لأن قبره ﷺ في حجرته وهو بيته.

وعن ابن عمر رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ «**ما بين قبري ومنبري روضة من رياض الجنة**»(٣).

سمعت والدي رحمه الله يقول: سمعت بعض خدام الحجرة الشريفة يقول: انتبهت مرة من النوم، وأنا بالمسجد النبوي، فوجدت قناديل الروضة الشريفة قد أطفاهم الريح في ليلة شديدة الريح، فقمت وناديت فلانا سماه وقلت له: قم بنا نسرج قناديل الروضة فإن الريح قد أطفأهم فأشعلت الفتيلة وأخذت العود، وسرنا إلى الروضة فالتفتنا إلى القناديل فإذا هي جميعها تسرج، قال: فتعجبنا من ذلك وإذا بصوت من جانب المسجد يقول: اذهبوا فارقدوا أتظنون أن للمسجد خداما إلا أنتم؟

الفصل الثاني عشر
في ذكر سد الأبواب الشوارع في المسجد الشريف

عن أبي سعيد الخدري قال: خطب النبي ﷺ فقال: «**إن لله خير عبدا بين الدنيا وبين ما عنده فاختار ما عنده**» فبكى أبو بكر، فقلت في نفسي ما يبكي هذا الشيخ أن يكون عبدا خيره الله بين الدنيا وبين ما عنده فاختار ما عند الله؟ فكان رسول الله ﷺ هو العبد، وكان أبو بكر أعلمنا، فقال: «**يا أبا بكر لا تبكي، إن أمن الناس علي في صحبته وماله أبو بكر، ولو كنت متخذا من أمتي خليلا لاتخذت أبا بكر، ولكن أخوة الإسلام**

---

(١) أخرجه أحمد (٣/ ٣٨٩)، عن جابر رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (١١٩٥)، ومسلم (٥٠٠، ٥٠١، ٥٠٢) ٢/ ١٠١٠ عن عبد الله بن زيد المازني رضي الله عنه.

(٣) أخرجه أحمد (٣/ ٦٤) عن ابن عمر رضي الله عنهما.

ومودته لا يبقين في المسجد باب إلا سد إلا باب أبي بكر»[١]، وكان باب أبي بكر رضي الله عنه في غربي المسجد[٢].

وروى ابن عباس رضي الله عنه عن النبي ﷺ أمر بالأبواب كلها فسدت إلا باب علي رضي الله عنه[٣].

الفصل الثالث عشر
في ذكر تجمير المسجد الشريف وتخليقه

ذكر أهل السير: أن عمر بن الخطاب أتى بسفط من عود فلم يسع الناس فقال: اجمروا به المسجد لينتفع به المسلمون.

قال الحافظ محب الدين: فبقيت سنة في الخلفاء إلى اليوم يؤتى في كل عام بسفط من عود يجمر به المسجد ليلة الجمعة ويوم الجمعة عند منبر النبي ﷺ من خلفه إذا كان الإمام يخطب، قالوا: وأتى عمر رضي الله عنه بمجمرة من فضة فيها تماثيل من الشام، فكان يجمر بها المسجد ثم توضع بين يديه، فلما قدم إبراهيم بن يحيى واليا على المدينة غيرها وجعلها ساذجا.

قال الحافظ محب الدين: وهي في يومنا هذا منقوشة.

قلت: وكذلك هي مستمرة إلى يومنا هذا.

وأما تخليقه:

فروي أن عثمان بن مظعون رضي الله عنه، تفل في المسجد فأصبح كئيبا فقالت له امرأته ما لي أراك كئيبا؟ فقال: لا شيء إلا أني تفلت في القبلة وأنا أصلي، فعمدت إلى القبلة فغسلتها، ثم خلقتها، فكان أول من خلق القبلة.

وقال جابر بن عبد الله: أول من خلق القبلة عثمان بن عفان رضي الله عنه.

ثم لما حجت الخيزران أم موسى وهارون الرشيد في سنة سبعين ومائة أمرت بالمسجد الشريف أن يخلق، فتولى تخليقه جاريتها مؤنسة فخلقته جميعه وخلقت الحجرة الشريفة جميعها.

---

(١) أخرجه البخاري (٤٦٦، ٣٩٠٤)، ومسلم (٢) ٤/٨٥٤ عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٢) ذكره ابن النجار في الدرة الثمينة (٢/٣٦٤).

(٣) أخرجه الترمذي (٣٧٣٢)، وقال: هذا حديث غريب لا نعرفه عن شعبة بهذا الإسناد إلا من هذا الوجه.

الفصل الرابع عشر
في منع آكل الثوم من دخول المسجد الشريف والنهي عن رفع الصوت فيه، وإخراج الحصباء منه وجواز النوم والصلاة على الجنائز فيه

كراهة دخول آكل الثوم المسجد الشريف:

روى البخاري في الصحيح، أن النبي ﷺ قال: «**من أكل ثوما أو بصلا فليعتزل مسجدنا**»[١].

وعن سعيد بن المسيب أن رسول الله ﷺ قال: «**من أكل من هذه الشجرة فلا يقرب مسجدنا يؤذينا بريح الثوم**»[٢].

النهي عن رفع الصوت فيه:

روى البخاري في الصحيح: أن السائب بن يزيد قال: كنت قائما في المسجد فحصبني رجل فنظرت فإذا عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال: اذهب فأتني بهذين، فجئته بهما فقال: من أنتما، ومن أين أنتما؟ فقالا: من أهل الطائف، قال: لو كنتما من أهل المدينة لأوجعتكما، ترفعان أصواتكما في مسجد النبي ﷺ[٣].

وعن ابن حميد قال: ناظر أبو جعفر أمير المؤمنين مالكا رحمه الله في مسجد رسول الله ﷺ فقال له مالك: يا أمير المؤمنين لا ترفع صوتك في هذا المسجد فإن الله عز وجل أدب قوما فقال: ﴿ لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ ﴾ [الحجرات: ٢] ومدح قوما فقال: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَٰتَهُمْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ ﴾ [الحجرات: ٣] الآية، وذم قوما فقال: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ ﴾ [الحجرات: ٤] الآية، وإن حرمته ميتا كحرمته حيا، فاستكان لها أبو جعفر وقال: يا أبا عبد الله أستقبل القبلة وأدعو أم أستقبل رسول الله ﷺ وأدعو، فقال له مالك رحمه الله: ولم تصرف وجهك عنه وهو وسيلتك ووسيلة أبيك آدم عليه السلام إلى الله عز وجل إلى يوم القيامة.

وعن عبد العزيز بن أبي حازم، ونوفل بن عمارة قالوا: إن عائشة كانت تسمع صوت الوتد يوتد والمسمار يضرب في بعض الدور المطنبة بمسجد رسول الله ﷺ فترسل إليهم: لا تؤذوا رسول الله ﷺ قال: وما عمل علي رضي الله عنه مصراعي داره إلا

---

(١) أخرجه البخاري (٨٥٤)، ومسلم (٧٣) ١/ ٣٩٢ عن جابر بن عبد الله ﷺ.

(٢) أخرجه مالك في الموطأ (١/ ١٧) عن سعيد بن المسيب مرسلاً، ومسلم (٧١) ١/ ٣٩٤ متصلاً مرفوعًا عن ابن المسيب عن أبي هريرة ﷺ.

(٣) أخرجه البخاري (٤٧٠)، عن السائب بن يزيد ﷺ.

بالمناصع توقيا لذلك.

وروي أن بعض نساء النبي ﷺ دعت نجارا يغلق ضبة لها، وأن النجار ضرب المسمار ضربا شديدا، وأن عائشة رضي الله عنها صاحت بالنجار، فكلمته كلاما شديدا وقالت: ألم تعلم أن حرمة رسول الله ﷺ ميتا كحرمته إذا كان حيا، فقالت الأخرى: وماذا سمع رسول الله ﷺ من هذا؟ قالت عائشة رضي الله عنها: إنه ليؤذي رسول الله ﷺ صوت هذا الضرب اليوم كما يؤذيه لو كان حيا.

وفي حديث المغيرة كان أصحاب النبي ﷺ يقرعون بابه بالأظافر.

النهي عن إخراج الحصباء منه ومن غيره:

عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: «**إن الحصاة لتناشد الذي يخرجها من المسجد**»[١].

جواز النوم فيه:

روي عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، أنه كان ينام في المسجد وهو شاب عزب لا أهل له.

وروي أيضا من حديث سهل بن سعد قال: جاء رسول الله ﷺ إلى بيت فاطمة رضي الله عنها فلم يجد عليا رضي الله عنه فقال: «**أين ابن عمك؟**» فقالت: كان بيني وبينه شيء فغاضبني فخرج فلم يقل عندي فقال رسول الله ﷺ لإنسان: «**انظر أين هو؟**» فجاء فقال يا رسول الله هو في المسجد راقد فجاء رسول الله ﷺ وهو مضطجع قد سقط رداءه عن شقه وأصابه تراب فجعل رسول الله ﷺ يمسح عنه ويقول: «**قم يا أبا تراب**»[٢]، فصارت له كنية كنيت الرجل وكنوته لغتان.

قالوا: وكان أصحاب الصفة يبيتون في المسجد مع القيام بحرمته والنوم في المسجد مباح، ويجوز النسخ به والأكل فيه، حكاه ابن عبد السلام.

جواز الصلاة على الجنازة فيه:

عن عائشة رضي الله عنها قالت: «والله لقد صلى رسول الله ﷺ على ابني بيضاء في المسجد: سهيل وأخيه»[٣]، البيضاء أمهم واسمها دعد.

وعن أبي سلمة بن عبد الرحمن أن عائشة رضي الله عنها لما توفي سعد بن أبي وقاص قالت:

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٥٩) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (٦٢٠٤)، ومسلم (٣٨) ٤/١٧٨٤ عن سهل بن سعد رضي الله عنه.

(٣) أخرجه مالك في الموطأ (١/٢٢٩)، ومسلم (١٠١) ٣/٢٠٧ عن عائشة رضي الله عنها.

ادخلوا به في المسجد حتى أصلي عليه، فأنكر ذلك عليها، فقالت: والله لقد صلى رسول الله ﷺ على سهيل ابن بيضاء وأخيه في المسجد[١].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: **«من صلى على جنازة في المسجد فلا شيء عليه»**[٢].

الفصل الخامس عشر
في ذكر موضع تأذين بلال رضي الله عنه

روى ابن إسحاق أن امرأة من بني النجار قالت: كان بيتي من أطول بيت حول المسجد، وكان بلال يؤذن عليه الفجر كل غداة فيأتي بسحر فيجلس على البيت ينتظر عليه الفجر، فإذا رآه تمطى ثم قال: اللهم إني أحمدك وأستعينك على قريش أن يقيموا دينك، قالت: ثم يؤذن[٣]. وذكر أهل السير: أن بلالا كان يؤذن على أسطوان في قبلة المسجد يرقى إليها بأقتاب، وهي قائمة إلى الآن في منزل عبدالله بن عبيد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: كان بلال يؤذن على منارة في دار حفصة بنت عمر التي تلي المسجد قال: فكان يرقى على أقتاب فيها فكانت خارجة من مسجد رسول الله ﷺ لم تكن فيه وليست فيه اليوم، وكان يؤذن بلال وقيل: معه عبد الله ابن أم مكتوم الأعمى،وأذن بعدهم سعد بن عائد مولى عمار بن ياسر وهو سعد القرظ وسمي سعد القرظ لأنه كان إذا اتجر في شيء وضع فيه فاتجر في القرظ فربح فلزم التجارة فيه. جعله رسول الله ﷺ مؤذنا بقباء فلما مات رسول الله ﷺ وترك بلال الأذان نقل أبو بكر رضي الله عنه سعد هذا إلى مسجد رسول الله ﷺ فلم يزل يؤذن فيه إلى أن مات وتوارث عنه بنو الأذان فيه إلى زمن مالك رحمه الله وبعده أيضا.

وقد قيل: إن الذي نقله إلى المدينة للأذان عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقيل: إنه كان يؤذن للنبي ﷺ واستخلفه بلال على الأذان في خلافة عمر رضي الله عنه حين خرج بلال إلى الشام.

وقال خليفة بن خياط: أذن لأبي بكر رضي الله عنه سعد القرظ مولى عمار بن ياسر إلى أن مات أبو بكر، وأذن بعده لعمر رضي الله عنه، حكاه ابن عبد البر في الاستيعاب.

---

(١) أخرجه مسلم (٩٩، ١٠٠) ٢/٦٦٨، وابن سعد في الطبقات (٣/ ٤١٦) عن عائشة رضي الله عنها.

(٢) أخرجه أبو داود (٣٧٩١) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) أخرجه أبو داود (٥١٩) عن عروة بن الزبير رضي الله عنهما عن امرأة من بني النجار.

الفصل السادس عشر
في ذكر أهل الصفة

روى البخاري في صحيحه: أن أهل الصفة كانوا فقراء[١].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: لقد رأيت سبعين من أهل الصفة ما منهم رجل عليه رداء، إما إزار وإما كساء وقد ربطوه في أعناقهم فمنها ما يبلغ نصف الساقين، ومنها ما يبلغ الكعبين فيجمعه بيده كراهية أن ترى عورته[٢].

وروى أهل السير أن محمد بن مسلمة رأى أضيافا عند رسول الله ﷺ في المسجد فقال: «ألا تفرق هذه الأضياف في دور الأنصار، ونجعل لك من كل حائط قنو ليكون لمن يأتيك من هؤلاء الأقوام؟» فقال رسول الله ﷺ: «بلى» فكان كل من جذ ماله جاء بقنو فجعله في المسجد بين ساريتين فجعل الناس يفعلون ذلك وكان معاذ بن جبل يقوم عليه وكان يجعل عليه حبلا بين الساريتين ثم يعلق الأقناء، فيأكلون حتى يشبعون ثم ينصرفون ويأتي غيرهم فيفعل لهم مثل ذلك، فإذا كان الليل فعل مثل ذلك.

القنو: جمعه أقناء وقنو، وهو العثكال وهو العذق بلغة أهل المدينة.

والعذق: بكسر العين وبفتح العين: النخلة بحملها، وقيل: الفتح والكسر لغتان بمعنى واحد، وهو العرجون، والكباسة مثله أيضا بكسر الكاف.

والعثكال للرطب بمنزلة القنو للعنب ويقال له العثكول والأثكال والأثكول ويقال للكباسة: الأهان أيضا.

وأهل الصفة رضي الله عنهم هم أهل صفة مسجد رسول الله ﷺ.

والصفة بالمدينة خارج المسجد وبمكة داخل المسجد.

وسدة المسجد: هي الظلال التي حول المسجد، وقيل: الباب نفسه، والسدي: منسوب إليه وجاء في الحديث: وكان يصلي في السدة سدة المسجد[٣].

وأما أهل الصفة فمنهم: أبو عبيدة بن الجراح، وعبد الله بن مسعود والمقداد، وبلال، وأبو ذر، وصهيب وخباب بن الأرت، وعمار بن ياسر، وعتبة بن غزوان، وزيد بن الخطاب، وسالم مولى أبي حذيفة، وأبو مرثد، وعتبة بن مسعود، وأبو الدرداء، ومسطح بن أثاثة، وعكاشة بن محصن، وطلحة بن عمرو، وواثلة بن الأسقع، ومعاذ بن الحارث، والسائب بن خلاد، وصفوان ابن البيضاء، ومسعود بن الربيع، وأبو اليسر

---

(١) أخرجه البخاري (٤٣٩)، ومسلم (١٧٦) ٣/ ١٦٢٦ عن عبد الرحمن بن أبي بكر ﵄.

(٢) أخرجه البخاري (٤٤٢) عن أبي هريرة ﵁.

(٣) أخرجه أحمد (٥/٣٢) بنحوه.

كعب بن عمرو، وأبو عبس بن جبر، وعويم بن ساعدة، وأبو لبابة، وسالم بن عمير، وخبيب بن يساف، وعبد الله بن أنيس وفي الصحابة من اسمه عبد الله مائتين وسبعة وأربعين وحذيفة بن اليمان، وعبد الله بن بدر، والحجاج بن عمرو، وأبو هريرة وثوبان مولى رسول الله ﷺ وعبيد مولاه أيضا وثابت بن وديعة. وجرهد بن خويلد وبشير ابن الخصاصية وفي الصحابة عشرون بشير وعشرون بشرا، وربيعة بن كعب، وفي الصحابة ربيعة مذكر تسعة عشر وثابت بن الضحاك، وفي الصحابة تسعة وعشرون ثابتا، وأسماء بن حارثة، وسالم بن عبيد الأشجعي وجميع من في الصحابة اسمه سالم أربعة،وأشجع منسوب إلى أشجع بن ريث، وأبو سعيد الخدري، وجميع من في الصحابة اسمه أبو سعيد ستة، وخريم بن فاتك، وفي الصحابة خريمان.

الفصل السابع عشر
في ذكر الأسطوانات المشهورة في الروضة، وفظها وفضيلة الصلاة إلى أساطين المسجد مطلقا

منها: أسطوانة التوبة:

يروى أن النبي ﷺ كان إذا اعتكف في رمضان، طرح له فراشه ووضع له سريره وراء أسطوانة التوبة.

وعن محمد بن كعب القرظي: أن النبي ﷺ كان يصلي أكثر نوافله إلى أسطوانة التوبة، وهي التي ارتبط بها أبو لبابة بشير بن عبد المنذر الأنصاري الأوسي، وقيل: الأسلمي أحد النقباء، وأحد الثلاثة الذين خلفوا وذلك أنه تخلف عن رسول الله ﷺ في غزوة تبوك فربط نفسه إلى هذه السارية.

وقيل إنه: لما حاصر النبي ﷺ بني قريظة بعثوا إليه: أن ابعث إلينا أبا لبابة نستشيره في أمرنا، فبعثه فلما رأوه قاموا إليه يبكون فرق لهم فقالوا له: أننزل على حكم محمد فقال لهم: نعم وأشار بيده إلى حلقه: أنه الذبح فقال: والله ما زالت قدماي حتى علمت أني خنت الله ورسوله ثم ارتبط في المسجد، وعاهد الله أن لا يطأ بني قريظة أبدا، فأنزل الله توبته على النبي ﷺ وهو في بيت أم سلمة وحله النبي ﷺ وأنزل الله فيه: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَخُونُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ﴾ [الأنفال: ٢٧] الآية.

جملة ما روى أبو لبابة خمسة عشر حديثا توفي سنة أربعين من الهجرة.

قال ابن عباس رضي الله عنهما كل ما في القرآن من: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾، فهو خطاب لأهل المدينة، وكل ما فيه: يا أيها الناس، فهو خطاب لأهل مكة، وليس في القرآن: يا أيها الذين آمنوا، إلا في التوراة والإنجيل يا أيها المساكين.

والناس في القرآن على ستة وعشرين وجها.

يعني الناس خاصة وعامة: ﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ ﴾ [النساء: ٥٤] يعني نعيم ابن مسعود ﴿ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ ﴾ [آل عمران: ١٧٣] يعني الرجل ﴿ لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ ﴾ [غافر: ٥٧] يعني الرسل ﴿ وَتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ﴾ [الحج: ٧٨] يعني المؤمنين ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ ﴾ [آل عمران: ٩٧] يعني كل من أسلم، ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُواْ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ ﴾ [البقرة: ١٣] يعني بني إسرائيل ﴿ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي ﴾ [المائدة: ١١٦] يعني أصحاب السفينة ﴿ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً ﴾ [البقرة: ٢١٣] يعني أهل مصر: ﴿ لَّعَلِّيٓ أَرْجِعُ إِلَى ٱلنَّاسِ ﴾ [يوسف: ٤٦] يعني أهل مكة ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِٱلنَّاسِ ﴾ [الإسراء: ٦٠] يعني صهيب ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ﴾ [البقرة: ٢٠٧] يعني الأخنس، ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ ﴾ [البقرة: ٢٠٤] يعني المنافقين ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ ﴾ [البقرة: ٨] يعني أبا سفيان ﴿ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ ﴾ [آل عمران: ١٧٣] ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [الحج: ٦٥] يعني: الحاج ﴿ قِيَٰمًا لِّلنَّاسِ ﴾ [المائدة: ٩٧] يعني أهل اليمن ربيعة ومضر﴿ ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ ﴾ [البقرة: ١٩٩] يعني قوم إبراهيم : ﴿ فَأْتُواْ بِهِۦ عَلَىٰٓ أَعْيُنِ ٱلنَّاسِ ﴾ [الأنبياء: ٦١] يعني قوم فرعون.﴿ وَأَن يُحْشَرَ ٱلنَّاسُ ضُحًى ﴾ [طه: ٥٩] يعني قوم سليمان ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا ﴾ [النمل: ١٦]يعني قوم عيسى ﴿ وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ ﴾ [آل عمران: ٤٦] يعني المؤمنين ﴿ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ﴾ [البقرة: ١٢٤] يعني الأسباط، ﴿ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ ﴾ [البقرة: ٦٠]يعني هذه الأمة ﴿ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ ﴾ [محمد: ٣] يعني عامة الناس، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ ﴾ [البقرة: ٢١]. يعني أبا طالب ﴿ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ ﴾ [يونس: ٩٩].

قال الشيخ جمال الدين وهذه الأسطوانة هي الثانية من القبر الشريف، والثالثة من القبلة، والرابعة من المنبر، والخامسة من رحبة المسجد اليوم، وقد كانت الثالثة من رحبة المسجد قبل أن يزاد الرواقان المعقود رؤوسهما، فإنهما غيرهما السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون وهي التي تلي أسطوانة المهاجرين من جهة الشرق في الصف الأول الذي خلف الإمام المصلي في مقام النبي ﷺ.

ومنها أسطوانة النبي ﷺ الذي كان يصلي إليها وهي الأسطوانة المخلقة.

روى الزبير بن حبيب أنها الأسطوانة التي بعد أسطوانة التوبة إلى الروضة الشريفة

وهي الثالثة من المنبر الكريم، وكانت أيضا الثالثة من رحبة المسجد، وأما الآن فهي الخامسة من الرحبة وهي المتوسطة في الروضة.

صلى النبي ﷺ إليها المكتوبة بعد تحويل القبلة بضع عشرة أيام ثم تقدم إلى مصلاه اليوم وكان يجعلها خلف ظهره.

ويروى أن أبا بكر، وعمر والزبير وابنه عبد الله وعامر بن عبد الله كانوا يصلون إليها، وتعرف بأسطوانة المهاجرين، لأن المهاجرين من قريش كانوا يجتمعون عندها وكان أكابر الصحابة رضي الله عنهم يصلون إليها وتسمى أيضا: أسطوانة عائشة رضي الله عنها للحديث التي روت فيها أنها لو عرفها الناس لاضطربوا على الصلاة عندها بالسهمان، وهي التي أسرت بها إلى ابن أختها عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما فكان أكثر نوافله إليها ويقال: إن الدعاء عندها مستجاب.

وفي العتبية: وأحب مواضع التنفل فيه يعني المسجد مصلى النبي ﷺ حيث العمود المخلق، وأما في الفريضة فالتقدم إلى الصفوف والتنفل فيه للغرباء أحب إلي من التنفل في البيوت هذا قول مالك رحمه الله تعالى.

ومنها: أسطوانة الوفود:

الذي كان يجلس إليها رسول الله ﷺ لوفود العرب، وتعرف أيضا بمجلس القلادة يجلس إليها سروات الصحابة وأفاضلهم رضوان الله عليهم أجمعين.

روى ابن أبي فديك: عن غير واحد من مشايخه، أنها الثالثة من قبر النبي ﷺ وهي التي تلي الرحبة قبل زيادة الروقان فأما الآن فهي الثالثة من رحبة المسجد وهي خلف أسطوانة علي رضي الله عنه التي خلف أسطوانة التوبة من جهة الشمال.

[قال الحافظ محب الدين: إذا عددت الأسطوانة التي فيها مقام جبريل عليه السلام كانت هي الثالثة.

ومنها: أسطوانة علي رضي الله عنه:

روى أهل السير: أن الأسطوانة التي خلف أسطوانة التوبة من جهة الشمال][1] هي مصلى علي رضي الله عنه وتعرف بالمحرس لأن عليا رضي الله عنه، كان يجلس إليها لحراسة النبي ﷺ وهي مقابلة الخوخة التي كان رسول الله ﷺ يخرج منها من بيت عائشة رضي الله عنها إلى الروضة الشريفة للصلاة.

---

(١) سقط من الأصل وزيادة من نسخة تركيا.

ذكر فضيلة الصلاة إلى أساطين المسجد مطلقا:

عن يزيد بن أبي عبيد قال: كنت آتي مع سلمة بن الأكوع فيصلي عند الأسطوانة التي عند المصحف فقلت: يا أبا مسلم أراك تتحرى الصلاة عند هذه الأسطوانة؟ قال: فإني رأيت النبي ﷺ يتحرى الصلاة عندها[١].

وروي أيضا من حديث أنس قال: لقد أدركت كبار أصحاب النبي ﷺ يبتدرون السواري عند المغرب[٢].

قال الحافظ محب الدين: فعلى هذا جميع سواري مسجد النبي ﷺ يستحب الصلاة عندها لأنه لا يخلو من أن كبار الصحابة صلوا إليها.

الفصل الثامن عشر
في ذكر زيادة عمر بن الخطاب رضي الله عنه في مسجد رسول الله ﷺ

يروى أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: (لولا أني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إني أريد أن أزيد في المسجد ما زدت فيه**»[٣]).

وعن مسلم بن خباب: أن النبي ﷺ قال يوما وهو في الصلاة في المسجد: «**لو زدنا في مسجدنا وأشار بيده نحو القبلة**»[٤].

فلما توفي عليه السلام وولي عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: إن رسول الله ﷺ قال: «**لو زدنا في مسجدنا وأشار بيده نحو القبلة**» فأجلسوا رجلا في موضع مصلى النبي ﷺ ثم رفعوا يد الرجل وخفضوها حتى رأوا أن ذلك نحو ما رأوا أن النبي ﷺ رفع يده، ثم مدوا ميقاطا فوضعوا طرفه بيد الرجل ثم مدوه، فلم يزالوا يقدمونه ويؤخرونه حتى رأوا أن ذلك شبيه لما أشار رسول الله ﷺ من الزيادة فقدم عمر القبلة»، فكان موضع جدار عمر رضي الله عنه في موضع عيدان المقصورة.

وكان صاحب المقصورة في زمن الصحابة: السائب بن خباب مولى قريش وقيل: مولى فاطمة بنت عتبة.

قال أهل السير: كان بين المنبر وبين الجدار [الذي كان على عهد

(١) أخرجه البخاري (٥٠٢)، ومسلم (٢٦٤) ١/٣٦٤ عن يزيد بن أبي عبيد ﷺ.
(٢) أخرجه البخاري (٥٠٣) عن أنس بن مالك ﷺ.
(٣) ذكره ابن النجار في الدرة الثمينة (٢/ ٣٦٩) عن عمر بن الخطاب ﷺ.
(٤) ذكره ابن النجار في الدرة الثمينة (٢/ ٣٦٩) عن مسلم بن خباب ﷺ.

رسول الله ﷺ][١] بقدر ما تمر شاة فأخذ عمر رضي الله عنه موضع المقصورة وزاده فيه، وزاد في يمـــين القبلة، فصار طول المسجد الشريف أربعين ومائة ذراع، وعرضه عشرون ومائـــة، وطول السقف أحد عشر ذراعا، وسقفه جريد ذراعان وبني فوق ظهر المسجد سترة ثلاثة أذرع، وبني أساسه بالحجارة إلى أن بلغ قامة، وجعل له ستة أبواب: بابان عن يمـــين القبلة، وبابان عن يسارها، وبابان خلفها [٢]، ولم يغير باب عاتكة ولا الباب الذي كان يدخل منه النبي ﷺ وفتح بابا عند دار مروان بن الحكم، وبابين في مؤخر المسجد.

وروي عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لو بني هذا المسجد إلى صنعاء كان مسجدي**»[٣].

وروى غيره مرفوعا أنه قال: «**هذا مسجدي وما زيد فيه فهو منه، ولو بلغ صنعاء كان مسجدي**»[٤].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «**لو زيد في هذا المسجد ما زيد لكان الكل مسجدي**»[٥].

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: «لو مد مسجد رسول الله ﷺ إلى ذي الحليفة لكان منه»[٦].

وكان أبو هريرة رضي الله عنه يقول: ظهر المسجد كقعره.

وأدخل عمر رضي الله عنه في هذه الزيادة دار العباس بن عبد المطلب ووهبها للمسلمين، واشترى نصف موضع كان خطه النبي ﷺ لجعفر بن أبي طالب رضي الله عنه وهو بالحبشة دارا بمائة ألف، فزاده في المسجد وبناه على بنائه الذي كان على عهد رسول الله ﷺ باللبن والجريد وأعاد عمده خشبا[٧].

الفصل التاسع عشر
في ذكر بطحاء مسجد رسول الله ﷺ

عن بشر بن سعيد أو سليمان بن يسار يشك الضحاك أنه حدثه أن المسجد كان

---

(١) زيادة يقتضيها السياق.

(٢) زيادة بالمخطوط.

(٣) ذكره ابن النجار في الدرة الثمينة (٢/ ٣٧٠).

(٤) ذكره ابن النجار في الدرة الثمينة (٢/ ٣٧٠).

(٥) ذكره ابن الضياء في تاريخ مكة (ص ١٨٢).

(٦) ذكره ابن الضياء في تاريخ مكة (ص ١٨٢).

(٧) أخرجه البخاري (٤٤٦) عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

يرش زمان النبي ﷺ وزمان أبو بكر، وعامة زمان عمر رضي الله عنهما فكان الناس يتنخمون فيه ويبصقون حتى عاد زلقا حتى قدم ابن مسعود الثقفي، فقال لعمر رضي الله عنه: أليس بقربكم واد؟ قال: بلى، قال: فمر بحصباء تطرح فيه فهو أكف للمخاط والنخامة فأمر عمر رضي الله عنه بها، ثم قال: هو أغفر للمخاط والنخامة وألين في الموطء.

الغفر: بالغين المعجمة التغطية والستر، ومنه المغفر.

وقد حرم التنخم في المسجد إبراهيم النخعي، وقال: إنها نجس وتفرد بهذا القول ولم يتبع فيه، بل كفارتها سترها.

وروي أن المسجد لينكمش من النخامة تبزق فيه.

وعن أبي الوليد قال: سألت ابن عمر رضي الله عنهما عن الحصباء التي كانت في المسجد، فقال: إنا مطرنا ذات ليلة، فأصبحت الأرض مبتلة، فجعل الرجل يجيء بالحصباء في ثوبه فيبسطه تحته فلما قضى رسول الله ﷺ صلاته قال: «**ما أحسن هذا**»[1].

وعن محمد بن سعد: أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ألقى الحصباء في مسجد رسول الله ﷺ وكان الناس إذا رفعوا رؤوسهم من السجود ينفضون أيديهم من التراب، فجيء بالحصباء من العقيق من هذه العرصة فبسط في المسجد.

قال الشيخ جمال الدين: ورمل مسجد رسول الله ﷺ يحمل من وادي العقيق من العرصة التي تسيل من الجماء الشمالية إلى الوادي، فيحمل منه، وليس بالوادي رمل أحمر غير ما يسيل من الجماء والجماوات أربعة وهو رمل أحمر يغربل ثم يبسط في المسجد الشريف.

الفصل العشرون
في ذكر زيادة عثمان رضي الله عنه

روى البخاري في الصحيح[2]، أن عثمان رضي الله عنه ولي الخلافة سنة أربع وعشرين، فلما بلغت خلافته أربع سنين كلمه الناس في الزيادة وشكوا إليه ضيق المسجد يوم الجمعة، فشاور عثمان رضي الله عنه أهل الرأي من أصحاب رسول الله ﷺ في ذلك، وزاد في المسجد زيادة كبيرة وبنى جداره بالحجارة المنقوشة والقصة، وجعل عمده من حجارة منقوشة حشوها أعمدة الحديد والرصاص، وسقفه بالساج، وباشر ذلك بنفسه وكان عمله في أول ربيع الأول سنة تسع وعشرين، وفرغ منه حين دخلت السنة لهلال

(١) أخرجه أبو داود (٤٥٨) عن أبي الوليد رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (٤٤٦) عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما.

المحرم سنة ثلاثين، فكان عمله عشرة أشهر، وزاد في القبلة إلى موضع الجدار اليوم، وزاد فيه من المغرب أسطوانا بعد المربعة، وزاد من الشام خمسين ذراعا، ولم يزد من المشرق شيئا، وقدر يزيد بن ثابت أساطينه فجعلها على قدر النخل وجعل فيه طاقات مما يلي المشرق والمغرب، وبنى المقصورة بلبن، وجعل فيها كوة ينظر الناس منها إلى الإمام، وجعل طول المسجد الشريف ستين ومائة ذراع، وعرضه خمسين ومائة ذراع، وجعل أبوابه ستة على ما كان على عهد عمر رضي الله عنه باب عاتكة والباب الذي يليه وباب مروان وباب النبي ﷺ وبابين في آخره.

قال عبد الرحمن بن سفينة رأيت القصة تحمل إلى عثمان رضي الله عنه وهو يبني المسجد من بطن نخل والقصة الجص وهو الجبس.

الفصل الحادي والعشرون

في ذكر زيادة الوليد بن عبد الملك بن مروان

وذلك أنه لما استعمل عمر بن عبد العزيز على المدينة الشريفة، أمره بالزيادة في المسجد وبنيانه فاشترى عمر ما حوله من المشرق والمغرب والشام ومن أبى أن يبيع هدم عليه، ووضع له الثمن فلما صار إلى القبلة قال له عبيد الله بن عبد الله بن عمر: لسنا نبيع هذا هو من حق حفصة وقد كان النبي ﷺ يسكنها فلما كثر الكلام بينهما قال له عمر بن عبد العزيز: أجعل لكم في المسجد بابا تدخلون منه وأعطيكم دار الرقيق مكان هذا الطريق وما بقي من الدراهم فهي لكم يعني التي تفضل من العمار ففعلوا، فأخرج بابهم في المسجد، وهي الخوخة التي في المسجد تخرج في دار حفصة ﵂.

وقدم الجدار في موضعه اليوم، وزاد من المشرق ما بين الأسطوانة المربعة إلى جدار المسجد، ومعه عشرة أساطين من مربعة القبر الشريف إلى الرحبة وإلى الشام، ومد من الغرب أسطوانتين، وأدخل فيه حجرات أزواج النبي ﷺ، وبيت فاطمة ﵂، وأدخل فيه دور عبد الرحمن بن عوف، ودار عبد الله بن مسعود، وأدخل فيه المغرب دار طلحة بن عبيد الله، ودار أبي سبرة بن أبي رهم، ودار عمار بن ياسر، وبعض دار العباس بن عبد المطلب وعلم ما دخل منها فجعل سائر سواريها التي تلي السقف أعظم من غيرها من السواري، وبعث الوليد بن عبد الملك إلى ملك الروم: إنا نريد أن نعمل في مسجد نبينا الأعظم ﷺ فأعنا فيه بعمال وفسيفساء وهي: الفصوص المرجحة بالذهب فبعث إليه بأربعين من الروم، وبأربعين من القبط وبأربعين ألف مثقال عونا له وبأحمال من فسيفساء وبسلاسل التي فيها، القناديل اليوم، وهدم عمر المسجد وأخمر النورة التي يعمل بها الفسيفساء سنة، وحمل القصة من بطن نخل، وعمل الأساس بالحجارة، والجدار بالحجارة

المنقوشة المطابقة وجعل عمد المسجد حجارة حشوها عمد الحديد والرصاص، وجعل طوله مائتي ذراع وعرضه من مقدمه مائتي ذراع، ومن مؤخره مائة وثمانين ذراعا، وعمله بالفسيفساء والمرمر، وسقفه بالساج، وموهه بالذهب وأدخل الحجرات والقبر المقدس في المسجد، ونقل لبن الحجرات وبنى به داره في الحرة.

قال الحافظ محب الدين: فهو بها اليوم له بياض على اللبن، وقال بعض الذين عملوا الفسيفساء: إنا عملناه على ما وجدناه من صور شجر الجنة وقصورها، وكان عمر بن عبد العزيز إذا عمل العامل الشجرة الكبيرة من الفسيفساء وأحسن عملها نفله ثلاثين درهما، وكانت زيادة الوليد من المشرق إلى المغرب ستة أساطين وزاد من الشام الأسطوانة المربعة التي في القبر الشريف أربعة عشر أسطوانا منها عشرة في الرحبة، وأربعة في السقائف الأول التي كانت قبل وزاد من الأسطوانة التي دون المربعة إلى المشرق أربع أساطين وأدخل بيت النبي ﷺ في المسجد وبقي ثلاث أساطين في السقائف، وجعل المسجد في أربع زواياه أربع منارات، وكانت الرابعة مطلة على دار مروان، فلما حج سليمان بن عبد الملك أذن المؤذن فأطل عليه، فأمر بهدمها فهدمت،وأمر عمر بن العزيز حين بنى المسجد بأسفل الأساطين فجعل قدر سترة اثنين يصليان إليها وقدر مجلس اثنين يستندان إليها، ولما صار عمر إلى جدار القبلة دعى مشيخة من أهل المدينة من قريش، والأنصار والعرب، والموالي فقال لهم: احضروا بنيان قبلتكم لا تقولوا غير عمر قبلتنا، فجعل لا ينزع حجرا إلا وضع حجرا، وهو أول من أحدث الشرفات والمحراب.

يروى عن ابن عباس ﷺ أنه قال: تبنى المدائن والمساجد جما ومسجد المدينة ليس له شرفات.

وعمل الميازيب من رصاص، ولم يبق منها إلا ميزابان، أحدهما في موضع الجنائز والآخر: على الباب الذي يدخل منه أهل السوق، يعني باب عاتكة وعمل المقصورة من ساج، وجعل للمسجد عشرين بابا، وكان هدمه للمسجد في سنة إحدى وتسعين، ومكث في بنائه ثلاث سنين فلما قدم الوليد بن عبد الملك حاجا جعل ينظر إلى البنيان فقال: حين رأى سقف المقصورة: ألا عملت السقف مثل هذا؟ فقال: يا أمير المؤمنين إذا تعظم النفقة جدا، قال: وإن كان، وكانت النفقة في ذلك أربعين ألف مثقال ولما استنقد الوليد النظر إلى المسجد التفت إلى أبان بن عثمان بن عفان رضي الله عنه فقال: أين بنياننا من بنيانكم؟ فقال أبان: إنا بنيناه بناء المساجد وبنيتموه بناء الكنائس.

قال الحافظ محب الدين: وخلا في بعض الأيام المسجد فقال بعض الروم: لأبولن على قبر نبيهم فنهاه أصحابه فلم يقبل فلما هم أقتلع فألقي على رأسه فانتثر دماغه فأسلم

بعض أولئك النصارى وعمل أحدهم على رأس خمس طاقات من جدار القبلة في صحن المسجد صورة خنزير فظهر عليه عمر بن عبد العزيز، فأمر به فضربت عنقه، وكان عمل القبط مقدم المسجد والروم ما خرج من السقف من جوانبه ومؤخره، وأراد عمر بن عبد العزيز أن يعمل على كل باب سلسلة تمنع الدواب من الدخول فعمل واحدة في باب مروان، ثم بدا له عن البواقي وأقام الحرس فيه يمنعون الناس من الصلاة على الجنائز فيه.

قال الحافظ محب الدين: والسنة من الجنائز باقية إلى يومنا هذا إلا في حق العلويين والأمراء وغيرهم من الأعيان والباقون يصلون عليهم خلف الحائط الشرقي في المسجد إذا وقف الإمام على الجنازة كان النبي ﷺ على يمينه.

قلت: وكذلك الأمر باق إلى هذا التاريخ.

والوليد بن عبد الملك: هو الذي بنى مسجد المدينة، ومسجد مكة ومسجد دمشق والمسجد الأقصى وقبة الصخرة وأنفق على مسجد دمشق أحد عشر ألف ألف مثقال ونيفا، وقيل: أنفق عليه خراج الدنيا ثلاث دفعات وهو أول من نقل إلى مكة أساطين الرخام، مدة خلافته عشرين سنة وتسعة أشهر، توفي بدير مران، وحمل إلى دمشق فدفن في مقبرة الفراديس وكان مسجد دمشق للصابئين ثم صار لليونانيين ثم صار لليهود، وفي ذلك الزمان قتل يحيى بن زكريا ونصب رأسه على باب حبرون، وعليه نصب رأس الحسين رضي الله عنه ثم غلبت عليه النصارى، ثم غلب عليه المسلمون.

الفصل الثاني والعشرون
في ذكر زيادة المهدي

وذلك أنه لما ولي الخلافة آخر ذي الحجة من سنة ثمان وخمسين ومائة شرع في بناء المسجد الحرام، ومسجد المدينة المشرفة على ما هو عليه اليوم وبنى بيت المقدس وقد كان هدمه الزلازل.

وحج في سنة ستين ومائة، واستعمل في هذه السنة على المدينة جعفر بن سليمان بن علي بن عبد الله بن عباس، وأمره بالزيادة في المسجد النبوي، وولاه بناءه هو وعبد الله بن عاصم بن عمر بن عبد العزيز، وعبد الملك بن شبيب الغساني من أهل الشام فزادوا في المسجد من جهة الشام إلى منتهاه اليوم، فكانت زيادته مائة ذراع، ولم يزد فيه من الشرق والغرب ولا القبلة شيئا، ثم سد على آل عمر خوختهم التي في دار حفصة، فكثر كلامهم فصالحهم أن يخفض المقصورة ثم خفض المقصورة ذراعين وزاد في المسجد لتلك الخوخة ثلاث درجات، وحفر الخوخة حتى صارت تحت أرض المقصورة وجعل عليها في جدار القبلة شباك حديد فهو عليها اليوم.

وكان الذي دخل في المسجد من الدور، دار عبد الرحمن بن عوف، ودار شرحبيل ابن حسنة وبقية دار عبد الله بن مسعود، ودار المسور بن مخرمة الزهري، وفرغ من بنائه سنة خمس وستين ومائة، وكان ابتداؤه من سنة اثنتين وستين ومائة، وعرض منقبة جداري المسجد مما يلي المغرب ذراعان ينقصان شيئا يسيرا وعرض منقبته مما يلي المشرق ذراعان وأربع أصابع وهو أعرضها لأنه من ناحية السيل.

الفصل الثالث والعشرون

في ذكر بلاعات المسجد وستائر صحنه والسقايات التي كانت فيه

بلاعات المسجد:

قال الحافظ محب الدين: وفي صحن المسجد أربع وستون باعة لماء المطر عليها أرحاء، ولها صمائم من حجارة وكان أبو البختري وهب بن وهب القاضي واليا على المدينة لهارون الرشيد، وكشف سقف المسجد في سنة ثلاث وتسعين ومائة، فوجد فيه سبعين خشبة مكسورة فأصلحها، وكان ماء المطر إذا كثر في صحن المسجد يغشى قبلة المسجد، فجعل بين القبلة والصحن لاصقا حجارة من المربعة التي في غربي المسجد إلى المربعة التي في شرقيه التي تلي القبر المقدس تمنع الماء والحصباء أن تصل إلى الصحن.

وأما الستائر التي كانت في صحن المسجد:

فذلك أنه لما قدم أبو جعفر المنصور المدينة سنة أربعين ومائة أمر بستور فستر بها صحن المسجد على عمد لها رؤوس كقريات الفساطيط، وجعلت في الطيقان، فكانت الريح تدخل فيها فلا تزال العمد تسقط على الناس فغيرها، وأمر بستور أكثف من تلك الستور، وحبال تأتي من جدة تسمى القنبار وجعلت مشبكة فكانت تجعل على الناس كل جمعة فلم تزل حتى خرج محمد بن عبد الله بن حسن يوم الأربعاء لليلتين بقيتا من جمادى الآخرة سنة خمس وأربعين ومائة، فأمر بها فقطعت دراريع لمن كان يقاتل معه فتركت حتى كان زمان هارون فأحدث هذه الأستار اليوم، ولم يكن يستر بها في زمن بني أمية.

قلت: ثم إنها تركت لما جدد الملك الناصر الرواقين.

عن حسين بن مصعب قال: أدركت كسوة الكعبة يؤتى بها إلى المدينة قبل أن تصل إلى مكة، فتنشر على الرضراض في مؤخر المسجد، ثم يخرج بها إلى مكة، وذلك في سنة إحدى وثلاثين أو اثنين وثلاثين ومائة.

قلت: وأما الآن فلا يؤتى بها إلى المدينة، وإنما يؤتى بها صحبة الركب المصري.

[وأول من كسا البيت أسعد الحميري تبع، وأسعد هذا يسمى: أبا كرب آمن بالنبي ﷺ قبل أن يبعث بسبعمائة سنة وقال:

شـــهدت علـــى أحمـــد أنـــه رســـول مـــن الله بـــارئ النـــسم
فلـــو مـــد في عمـــري إلى عمـــره لكـــنت وزيـــراً لـــه وابـــن عـــم

حكاه ابن قتيبة:

ثم كساها أبو ربيعة بن المغيرة وقريش، وأول عربية كست البيت الحرير والديباج: نتيلة بنت جناب أم العباس بن عبد المطلب.

وقيل: أول من كساه الديباج يزيد بن معاوية وقيل: الحجاج وقيل: ابن الزبير.

وكان لها أربع كساوى في السنة في أيام المأمون ثم صار لها ستة كساوى في زمان المتوكل سنة أربعين ومائتين ثم صارت واحدة.][1]

وأما السقايات:

فقال محمد بن الحسن بن زبالة: كان في صحن المسجد تسع عشرة سقاية إلى أن كتبنا كتابنا هذا في صفر سنة تسع وتسعين ومائة منها: ثلاث عشرة أحدثتها خالصة، وهي أول من أحدث ذلك، وثلاث ليزيد البربري مولى أمير المؤمنين، وسقاية لأبي البختري وهب بن وهب، وسقاية لسحر أم هارون الرشيد، وسقاية لسلسبيل أم ولد جعفر بن أبي جعفر.

قال الحافظ محب الدين وأما الآن فليس به سقاية إلا في وسطه بركة كبيرة مبنية بالآجر والجص والخشب لها درج أربع في جوانبها والماء ينبع من فوارة في وسطها يأتي من العين الزرقاء، ولا يكون فيها الماء إلا في أيام الموسم وبقية السنة تكون فارغة بناها بعض أمراء الشام يسمى: شامة.

قال الشيخ جمال الدين: وكان يحصل بهذه البركة انتهاك لحرمة المسجد، فسدت لذلك.

قال الحافظ محب الدين: وعملت الجهمة أم الخليفة الناصر لدين الله في مؤخر المسجد سنة تسعين وخمسمائة سقاية فيها عدة من البيوت، وحفرت لها بئرا وفتحت لها بابا إلى المسجد في الحائط الذي يلي الشام وهي تفتح في المواسم.

الفصل الرابع والعشرون
في ذكر احتراق المسجد الشريف

احترق مسجد رسول الله ﷺ ليلة الجمعة أول شهر رمضان من سنة أربع وخمسين وستمائة بعد خروج نار الحرة المتقدم ذكرها في السنة نفسها فكتب بذلك إلى الخليفة

---

(١) سقط بالأصل، وزيادة من نسخة تركيا.

المستعصم بالله أبي أحمد عبد الله بن المستنصر في الشهر المذكور فوصل الصناع والآلة في صحبة حجاج العراق، وابتدئ فيه بالعمارة من أول سنة خمس وخمسين وستمائة واستولى الحريق على جميع سقوفه حتى لم يبق فيه خشبة واحدة وبقيت السواري قائمة وذاب رصاص بعضها فسقطت واحترق سقف الحجرة المقدسة وقال بعضهم:

لم يحترق حرم النبي لحادث ... يخشى عليه ولا دهاه العار

لكنها أيدي الروافض لامست ... ذاك الجناب فطهرته النار

قال الشيخ جمال الدين: ولما ابتدأوا بالعمارة قصدوا إزالة ما وقع من السقوف على القبور المقدسة فلم يجسروا ورأوا من الرأي أن يطالعوا الإمام المستعصم في ذلك وكتبوا إليه فلم يصل إليهم جواب.

وحصل للخليفة المذكور شغل باستيلاء التتر على بلادهم تلك السنة، فتركوا الردم على ما كان عليه، وأعادوا سقفا فوقه رؤوس السواري التي حول الحجرة الشريفة، فإن الحائط الذي بناه عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه حول بيت النبي ﷺ بين هذه السواري التي حول النبي ﷺ لم يبلغ به السقف الأعلى، بل جعلوا فوق الحائط وبين السواري إلى السقف شباكا من خشب يظهر لمن تأمله من تحت الكسوة التي على الحائط على دوران الحائط جميعه لأنه أعيد بعد الاحتراق على ما كان عليه قبل ذلك، وسقفوا في هذه السنة وهي سنة خمس وخمسين وستمائة، الحجرة الشريفة وما حولها إلى الحائط القبلي إلى الحائط الشرقي إلى باب جبريل عليه السلام المعروف قديما بباب عثمان رضي الله عنه ومن جهة المغرب الروضة الشريفة جميعها إلى المنبر المنيف، ثم دخلت سنة ست وخمسين وستمائة فكان في المحرم منها واقعة بغداد وقتل الخليفة المذكور، ووصلت الآلة من مصر، وكان المتولي بها تلك السنة: الملك المنصور علي ابن الملك المعز أيبك الصالحي فأرسل الآلات والأخشاب فعملوا إلى باب السلام المعروف قديما بباب مروان بن الحكم، ثم عزل صاحب مصر المذكور وتولى مكانه مملوك أبيه: المظفر سيف الدين قطز المعزي، واسمه الحقيقي: محمود بن ممدود أمه أخت السلطان جلال الدين خوارزم شاه،وأبوه ابن عمه، وقع عليه السبي عند غلبة التتر فبيع بدمشق، ثم انتقل بالبيع إلى مصر، وتملك سنة ثمان وخمسين وستمائة، وفي شهر رمضان من السنة المذكورة كانت وقعة عين جالوت على يده، ثم قتل بعد الوقعة بشهر وهو داخل إلى مصر. فكان العمل في المسجد الشريف تلك السنة من باب السلام إلى باب الرحمة المعروف قديما بباب عاتكة بنت عبد الله بن يزيد بن معاوية كانت لها دارا تقابل الباب فنسب إليها كما نسب باب عثمان، وباب

مروان، ومن باب جبريل إلى باب النساء المعروف قديما بباب ريطة ابنة أبي العباس السفاح وتولى مصر من تلك السنة: الملك الظاهر ركن الدين بيبرس الصالحي، المعروف بالبندقداري، فعمل في أيامه في المسجد الشريف من باب الرحمة إلى شمالي المسجد، ثم إلى باب النساء، وكمل سقف المسجد كما كان قبل الحريق سقفا فوق سقف، ولم يزل على ذلك حتى جدد السقف الشرقي والسقف الغربي في سنة خمس أو ست وسبعمائة في أول دولة السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون فجعل سقفا واحدا يشبه السقف الشمالي فإنه جعل في عمارة الملك الظاهر كذلك.

الفصل الخامس والعشرون

في ذكر الخوخ والأبواب التي كانت في مسجد رسول الله ﷺ

ذكر خوخ المسجد:

قال الشيخ جمال الدين: اعلم أن الخوخة التي تحت الأرض ولها شباك في القبلة وطابق مقفل يفتح أيام الحاج، هي طريق آل عبد الله بن عمر رضي الله عنهم إلى دارهم التي تسمى اليوم: دار العشرة وإنما هي دار عبد الله بن عمر رضي الله عنهم، وكان بيت حفصة ﵂، قد صار إلى آل عبد الله بن عمر رضي الله عنهم، فلما أدخل عمر بن عبد العزيز بيت حفصة في المسجد، جعل لهم طريقا في المسجد، وفتح لها باب الحائط القبلي يدخلون منه إلى المسجد، ولم يزل كذلك حتى عمل المهدي بن المنصور المقصورة على الرواقين القبلي، فسد الباب وجعل لهم عليه شباك حديد، وحفر لهم تحت الأرض طريقا تخرج إلى خارج المقصورة، فهي الموجودة اليوم، وهي إلى الآن بيد آل عبد الله بن عمر رضي الله عنهم وأما خوخة أبي بكر رضي الله عنه فإن باب أبي بكر كان في غربي المسجد، ونقل: أيضا أنه كان قريبا من المنبر، ولما زادوا في المسجد إلى حده من المغرب، نقلوا الخوخة وجعلوها في مثل مكانها الأول، كما نقل باب عثمان رضي الله عنه إلى موضعه اليوم.

وقال الشيخ جمال الدين: وباب خوخة أبي بكر رضي الله عنه اليوم هو باب خزانة لبعض حواصل الحرم إذا دخلت من باب السلام كانت على يسارك قريبا من الباب.

وأما أبواب مسجد رسول الله ﷺ:

فذلك أنه لما بنى رسول الله ﷺ مسجده أولا جعل له ثلاث أبواب: باب في مؤخره، وباب عاتكة في غربيه وهو باب الرحمة، والباب الذي كان يدخل منه النبي ﷺ وهو باب عثمان رضي الله عنه، المعروف اليوم بباب جبريل.

قال الحافظ محب الدين: روي عن ربيعة بن عثمان قال: لم يبق من الأبواب التي

كان رسول الله ﷺ يدخل منها إلا باب عثمان رضي الله عنه.

قال الشيخ جمال الدين: فلما بنى الوليد بن عبد الملك المسجد ووسعه جعل له عشرين بابا ثمانية جهة المشرق في الحائط القبلي.

الأول: باب النبي ﷺ سمي بذلك لمقابلته بيت النبي ﷺ لا لأنه دخل منه عليه السلام، وقد سد عند تجديد الحائط وجعل منه شباك يقف الإنسان عليه من خارج المسجد فيرى حجرة النبي ﷺ.

الثاني: باب علي رضي الله عنه كان يقابل بيته خلف بيت النبي ﷺ وقد سد أيضا عند تجديد الحائط.

الثالث: باب عثمان رضي الله عنه نقل عند بناء الحائط الشرقي قبالة الباب الأول، الذي كان النبي ﷺ يدخل منه، وهو باب جبريل، وهو مقابل لدار عثمان رضي الله عنه، ثم اشترى عثمان رضي الله عنه دارا حولها إلى القبلة والشرق وشمالها الطريق إلى باب جبريل إلى باب المدينة الأول من عمل جمال الدين الأصبهاني، ومنه يخرج إلى البقيع، فالذي يقابل باب جبريل عليه السلام منها اليوم رباط أنشأه جمال الدين محمد بن علي بن منصور الأصبهاني وزير بني زنكي وأوقفه على فقراء العجم وجعل له فيها مشهدا فلما توفي حملوه إلى المدينة ودفن فيه، وكان قد جدد أماكن كثيرة بمكة والمدينة، منها: باب إبراهيم بمكة وزيادته واسمه مكتوب على الباب وتاريخه من سنة ست وأربعين وخمسمائة ومنها: المنائر بمكة التي بالمسجد الحرام وعليها اسمه، وكان أولا قد جدد باب الكعبة وأخذ الباب العتيق وحمله إلى بلده، وعمل منه لنفسه تابوتا حمل فيه بعد موته إلى المدينة الشريفة، مات مسجونا بقلعة الموصل سنة تسع وخمسين وخمسمائة وحمل إلى مكة، ثم إلى المدينة وقيل في ذلك:

سـرى نعـشه فـوق الركاب وطال ما سـرى جوده فوق الركاب ونائله

يمـر علـى الـوادي فتـثني رمالـه علـيه وبالـنادي فتـثني أراملـه

وهو الذي بنى سور المدينة الثاني بعد السور الأول القديم وعمل له أبوابا من حديد، ولكنه كان على ما حول المسجد، فلما كثر الناس بالمدينة ووصل السلطان الملك العادل نور الدين الشهيد محمود بن زنكي بن آق سنقر ملك الشام، إلى المدينة لأمر حدث بها، يأتي ذكره في آخر الباب أمر ببناء هذا السور الموجود اليوم.

وبلغنا أن الميت إذا دخل به في قرية وقع بها الغلاء، والنقل حرام على المذهب الصحيح، وقيل: مكروه، قال الشافعي: إلا أن يكون بقرب مكة أو المدينة أو بيت

المقدس فينقل إليها، وقد ورد في الحديث أن لله ملائكة نقالين.

وفي قبلة الرباط المذكور من دار عثمان تربة اشترى عرصتها أسد الدين شيركوه بن شادي، عم السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف، وعملها تربة نقل إليها هو وأخوه نجم الدين أيوب بعد موتهما ودفنا بها، توفي أسد الدين شهيدا بخانوق كان يعتريه سنة أربع وستين وخمسمائة بالقاهرة.

الرابع باب ريطة: وريطة الملاءة بها سميت المرأة، ويعرف بباب النساء وفي أعلاه من خارج لوح من الفسيفساء مكتوب آية الكرسي من بقية البنيان القديم الذي بناه عمر بن عبد العزيز، ودار ريطة المقابلة لها كانت دار لأبي بكر الصديق رضي الله عنه، ونقل أنه توفي بها، وهي الآن مدرسة للحنفية، بناها يازكوج، أحد أمراء الشام، وتعرف باليازكوجية، وعمل له فيها مشهدا نقل إليه من الشام بعد موته، والطريق إلى البقيع بينها وبين دار عثمان رضي الله عنه، والطريق سبعة أذرع، قاله ابن زبالة.

قال الشيخ جمال الدين: وهي اليوم قريب من هذا.

الخامس: باب يقابل دار أسماء ابنة الحسين بن عبد الله بن عبيد الله بن العباس: وكانت لجبلة بن عدي الساعدي الأنصاري، ثم صارت لسعيد بن خالد بن عمرو بن عثمان، ثم صارت لأسماء وقد سد هذا الباب عند تجديد الحائط الشرقي في أيام الناصر لدين الله سنة تسع وثمانين وخمسمائة ودار أسماء المذكور هي اليوم رباط للنساء.

السادس: باب يقابل دار خالد بن الوليد: وقد دخل في بناء الحائط المذكور ودار خالد الآن رباط للرجال، ومعها من جهة الشمال دار عمرو بن العاص، والرباطان المذكوران، بناهما قاضي القضاة كمال الدين أبو الفضل محمد بن عبد الله بن القاسم الشهرزوري.

السابع باب يقابل زقاق المناصع: بين دار عمرو بن العاص ودار موسى بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عبد الله بن أبي ربيعة المخزومي، والزقاق اليوم ينفذ إلى دار الحسن بن علي العسكري رحمه الله، وكان الزقاق نافذا إلى المناصع خارجا عن المدينة، وهو متبرز للنساء بالليل على عهد رسول الله ﷺ ودار موسى بن إبراهيم المخزومي اليوم رباط للرجال، أنشأه القاضي الفاضل محيي الدين عبد الرحيم بن علي بن الحسن اللخمي البيسائي ثم العسقلاني ودخل هذا الباب في الحائط أيضا.

الثامن باب كان يقابل أبيات الصوافي: دورا كانت بين موسى بن إبراهيم وبين عبد الله بن الحسين الأصغر ابن علي زين العابدين بن الحسين بن علي رضي الله عنهم ودخل في الحائط أيضا، وموضع هذه الدور اليوم دار اشتراها الشيخ صفي الدين أبو

بكر بن أحمد السلامي، وأوقفها على قرابته السلاميين.

وفي شمالي المسجد الشريف أربعة أبواب سدت أيضا عند تجديد الحائط الشمالي وليس في شمالي المسجد إلا باب سقاية عمرتها أم الإمام الناصر لدين الله للوضوء في سنة تسعين وخمسمائة كما تقدم.

ومما يلي المغرب ثمانية أبواب، منها بابان مسدودان وبقية باب ثالث سد وبقيت منه قطعة ودخل باقيه عند تجديد الحائط من باب عاتكة إليه، ثم باب عاتكة بنت عبد الله بن يزيد، وهو باب الرحمة، وكان يقابل دار عاتكة، ثم صارت الدار بعدها ليحيى بن خالد بن برمك وزير الرشيد، وبابان سدا أيضا عند تجديد الحائط ما بين باب عاتكة هذا وخوخة أبي بكر رضي الله عنه، ثم خوخة أبي بكر رضي الله عنه،وقد تقدم ذكرها، ثم الباب الثامن باب مروان بن الحكم، وكانت داره تقابله من المغرب ومن القبلة، ويعرف الآن بباب السلام وباب الخشوع، ولم يكن في القبلة ولا إلى اليوم باب إلا خوخة آل عمر المتقدم ذكرها، وخوخة كانت لمروان عند داره في ركن المسجد الغربي.

قال الشيخ جمال الدين: شاهدناها عند بناء المنارة الكبيرة المستجدة في سنة ست وسبعمائة، أمر بإنشائها السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون وكان بابها عليها، وهو من ساج، فلم يبل إلى هذا التاريخ وقد استدت بحائط المنارة الغربي.

الفصل السادس والعشرون

في ذكر ذرع المسجد اليوم وعدد أساطينه وطيقانه وذكر حدود المسجد القديم

ذرع المسجد اليوم:

اعلم أن طول المسجد اليوم بعد الزيادات كلها من قبلته إلى الشام: مائتا ذراع وأربع وخمسون ذراعا وأربع أصابع، وعرضه من مقدمه من المشرق إلى المغرب: مائة ذراع وسبعون ذراعا شافة، وعرضه من مؤخره مائة ذراع وخمسة وثلاثون ذراعا، [وطول رحبته من القبلة إلى الشام مائة ذراع وتسع وخمسون ذراعا،][1] وثلاثة أصابع، وذلك قبل زيادة الرواقان، ومن شرقيه إلى غربيه: سبع وتسعون ذراعا راجحة وطول المسجد في السماء خمسة وعشرون ذراعا.

قال الحافظ محب الدين: هذا ما ذرعته أنا بخيط.

وذكر الشيخ جمال الدين: أن ابن زبالة ذكر مثل ذلك أو ما يقارب،وذكر ابن زبالة

(١) سقط بالأصل، وزيادة من نسخة تركيا.

أن طول منائره خمسة وخمسون ذراعا، وعرضهن ثمانية أذرع في ثمانية.

وأما الطيقان:

ففي القبلة أحد عشر، وفي الشام مثلها، وفي المشرق والمغرب تسعة عشر بين كل طاقتين أسطوانة.

وأما الأساطين:

غير التي في الطيقان: ففي القبلة: ثمان وستون أسطوانة، منها في القبر المقدس أربعة، وفي الشام: مثلها وفي المشرق: أربعون، منها اثنتان في الحجرة المعظمة وفي المغرب ستون أسطوانة وبين كل أسطوانتين تسعة أذرع، وذلك قبل زيادة الرواقان [وليس على رؤوس السواري أقواس، بل عوارض غير الدائر بالرحبة والرواقان][1] اللذان زيدا في دولة الملك الناصر.

وأما حدود مسجد سيدنا رسول الله ﷺ القديم المشار إليه أولا:

فذكر الحافظ محب الدين: أن حده من القبلة الدرابزينات التي بين الأساطين التي في قبة الروضة الشريفة، ومن الشام: الخشبتان المغروزتان في صحن المسجد، هذا طوله، وأما عرضه من المشرق إلى المغرب فهو من حجرة النبي ﷺ إلى الأسطوان الذي بعد المنبر الشريف وهو آخر البلاط.

قال الشيخ جمال الدين: أما الدرابزينات التي ذكر في جهة القبلة فهي متقدمة عن موضع الحائط القبلي الذي كان محاذيا لمصلى رسول الله ﷺ لما ورد أن الواقف في مصلى رسول الله ﷺ تكون رمانة المنبر الرفيع حذو منكبيه الأيمن، فمقام النبي ﷺ لم يغير باتفاق وكذلك المنبر الشامي لم يؤخر عن منصبه الأول، وإنما جعل هذا الصندوق الذي في قبلة مصلى رسول الله ﷺ سترة بين المقام وبين الأسطوانات وورد أنه كان بين الحائط القبلي وبين المنبر ممر شاة،وبين المنبر والدرابزين اليوم مقدار أربعة أذرع وربع.

ثم قال رحمه الله: وفي صحن المسجد اليوم حجران يذكر أنهما حد مسجد رسول الله ﷺ من الشام والمغرب، ولكنهما ليسا على سمت المنبر الشريف بل هما داخلان إلى جهة الشرق بمقدار أربعة أذرع أو أقل متقدمان إلى القبلة بمثل ذلك، لأني اعتبرت ذلك بالذراع، فوجدتهما ليس على حد ذرعة المسجد الأول والله أعلم.

وقال الحارث بن أسد المحاسبي: حد المسجد الأول ست أساطين في عرضه عن

(١) سقط بالأصل، وزيادة من نسخة تركيا.

يمين المنبر إلى القناديل التي حذاء الخوخة، وثلاث سواري عن يساره من ناحية المنحرف، ومنتهى طوله من قبلته إلى مؤخره حذاء تمام الرابع من طيقان المسجد اليوم، وما زاد على ذلك فهو خارج عن المسجد الأول، قال: وقد روي عن مالك أنه قال: مؤخر المسجد بحذاء عضادة الباب الثاني من الباب الذي يقال له: باب عثمان وهو باب النبي ﷺ أعني العضادة الآخرة السفلى، وهو أربع طيقان من المسجد ما قصر حتى يصير في الروضة ما بين القبر والمنبر، فما كان منها من الأسطوانة السادسة التي حددت لك عن يمين المنبر، فليس من المسجد الأول، إنما كان من حجرة عائشة ﵂، فوسع به المسجد وهو من الروضة وتدنو من ناحية المنبر على يمينك حذاء الصندوق الموضوع هناك إلى المنبر.

يروى أنه من وقف حذاء ذلك الصندوق وجعل عمود المنبر حذاء منكبه الأيمن، فقد وقف موقف رسول الله ﷺ الذي كان يقوم فيه.

في رحبة المسجد مقدار ثلاثة عشر نخلة، وعلى جانبها بئر وعلى جانبها الغربي قبة حاصل المسجد الشريف أنشأها الملك الناصر،وبهذه القبة المصحف العثماني.

اعلم أن أول من جمع القرآن بين اللوحين أبو بكر رضي الله عنه، ثم إنه أمر زيد بن ثابت بجمع القرآن، وذلك بعد أيام اليمامة، فلما جمعه زيد كان عند حفصة، فأرسل عثمان إلى حفصة: أرسلي إلينا بالمصحف فننسخها بالمصاحف، ثم جمع زيدا وعبد الله بن عمرو بن العاص، وابن عباس وعبد الله بن الزبير، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام رضي الله عنهم وأمرهم بنسخها في مصحف، ففعلوا ثم رد عثمان المصحف إلى حفصة وقيل: أحرقها وقيل: جعل منها أربع نسخ، فبعث إحداهن إلى الكوفة وإلى البصرة أخرى وإلى الشام الثالثة وأمسك عند نفسه واحدة، فهي التي بالمدينة، وقيل: جعل سبع نسخ، ووجه من ذلك أيضا نسخة إلى مكة، ونسخة إلى اليمن ونسخة إلى البحرين والأول أصح.

قلت: وبمكة الآن منهن نسخة رأيتها في سنة ثمان وأربعين وسبعمائة وذكروا أنها كانت عليها شبكة من لؤلؤ فيما تقدم، وكان أهل مكة يستسقون بها، وكانت في جوف الكعبة، وهي في مقدار قطع ذراع في ذراع.

وأول من ضبط القرآن بالنقط من التابعين، أبو الأسود الدؤلي، وقال للذي يمسك المصحف: إذا فتحت فاك، فاجعل نقطة تحت الحرف، وإذا ضممت فاك: فاجعل نقطة أمام الحرف، فإن اتبعت شيء من هذه الحركات غنة: فاجعل نقطتين.

وقيل: أول من فعل ذلك نصر بن عاصم الليثي وأنه الذي خمسها وعشرها.

وقيل: أول من نقطها يحيى بن يعمر،والخليل بن أحمد هو الذي جعل الهمز والتشديد والروم والإشمام.

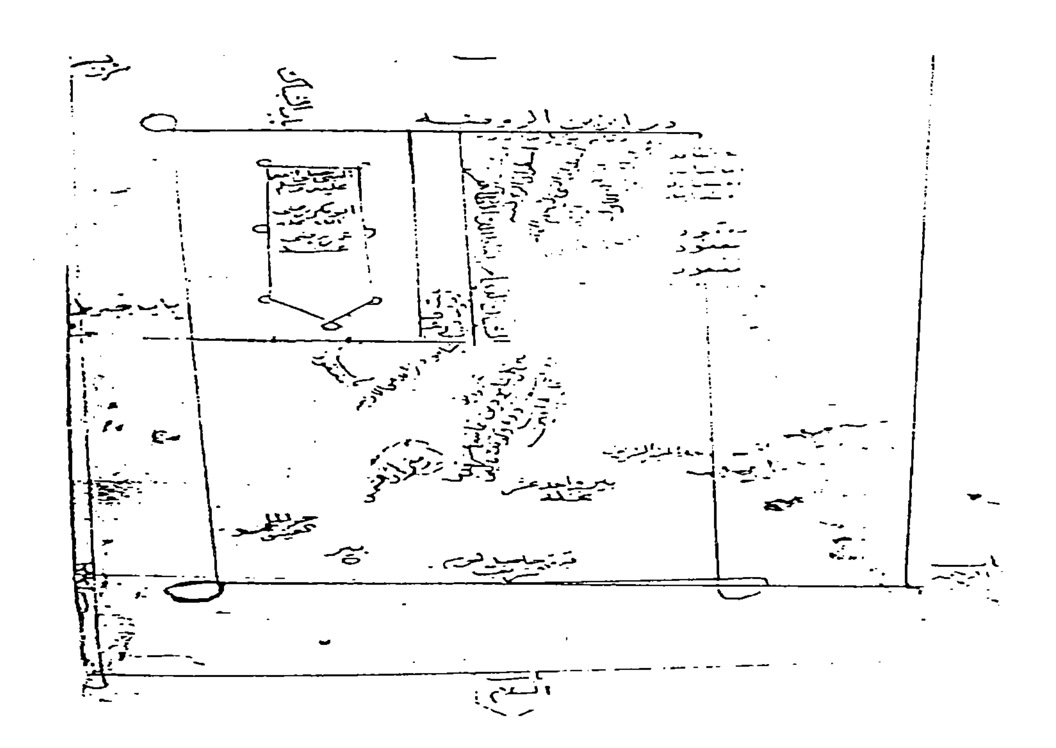
ويروى عن ابن الكاتب الصوفي أنه كان يختم أربعا بالليل وأربعا بالنهار.

قال النووي: وهذا أكثر ما بلغنا في اليوم والليلة، فما زاد فهو كرامة.

وروى الشيخ عبد الله اليافعي عن سيدنا نجم الدين الأصبهاني أنه رأى إنسان من أهل اليمن في الطواف ختم القرآن في شوط، أو في سبع مرات شك سيدنا عبد الله.

سمعت والدي رحمه الله يقول: سمعت الشيخ نجم الدين الأصبهاني يقول: رأيت شخصا من أهل اليمن ختم سبع ختمات في أسبوع واحد وأنا أسمع، قال: وقال لي سيدي نجم الدين، حد ساعة فلكية واجلس عنده يقرأ عليك سبع ختمات، وكان هذا الشخص ساكنا برباط السدرة، قيل: إنه كما يطوى المكان لهم يطوى الزمان، وكذا تطوى الحروف ويذهب جرمها تحت الأنوار الواردة عليهم.

والآن حين أثبت لك بيان ما وضعناه من تكوين الحرم النبوي على ساكنه أفضل الصلاة والسلام.



الفصل السابع والعشرون
في ذكر أسوار المدينة الشريفة

السور الأول:

نقل قاضي القضاة شمس الدين بن خلكان: أن هذا السور القديم بناه عضد الدولة ابن بويه المسمى بالحسن بن كوسى، بعد الستين وثلاثمائة في خلافة الإمام الطائع لله ابن المطيع، ثم تهدم على طول الزمان ولم يبق إلا أثاره وهي باقية إلى الآن.

السور الثاني:

هو الذي بناه جمال الدين محمد بن علي بن أبي منصور الأصبهاني وذلك على رأس الأربعين وخمسمائة وقد تقدم ذكره.

عضد الدولة: أول من تسمى في الإسلام بشاه شاه، كان من الدواهي طلب حساب دخله في أيامه في السنة، فإذا هي ثلاثمائة ألف ألف وعشرين ألف ألف درهم، فقال: أريد أن تبلغ به ثلاثمائة ألف ألف وستين ألف ألف درهم ليكون دخلنا في كل يوم ألف ألف درهم، وكان يرتفع له في كل عام بعد إخراج ما لا بد منه، اثنان وثلاثون ألف ألف دينار ومائتي ألف دينار، وكان له كرمان وفارس، وعمان، وخوزستان، والعراق، والموصل، وديار بكر، وحران، ومنبج، توفي سنة اثنتين وسبعين وثلاثمائة، وتولى بعده: فخر الدولة ابن ركن الدين ابن بويه،ترك ألفي ألف دينار وثمانمائة ألف دينار وخمسة وسبعون ألف دينار وكسر، وكان في خزانته من الجواهر، والياقوت واللؤلؤ والبلخش والماس أربعة عشر ألف وخمسمائة وعشرون قطعة، قيمتها ثلاث آلاف ألف دينار، ومن الأواني ما قيمتها ألف ألف دينار ومن أواني الفضة ما قيمته ثلاثة آلاف ألف،ومن الثياب ثلاثة آلاف حمل، وخزانة السلاح ألف حمل،وخزانة الفرش ألف وخمسمائة حمل، توفي بالري سنة سبع وثمانين وثلاثمائة، وكان أبوه ركن الدولة صيادا يصيد السمك.

السور الثالث:

بناه السلطان الملك العادل نور الدين محمود وذلك أن المدينة الشريفة ضاقت بأهلها فلما قدم السلطان المذكور في سنة سبع وخمسين وخمسمائة إلى المدينة بسبب رؤيا رآها استغاث به أهل المدينة وطلبوا أن يبني عليهم سورا يحفظهم ويحفظ مواشيهم فأمر ببناء هذا السور الموجود اليوم، فبني في سنة ثمان وخمسين وخمسمائة وكتب اسمه على باب البقيع، وهو باق إلى اليوم.

وكان ما رأى على ما حكاه المطري وغيره: أنا سلطان محمود رأى النبي ﷺ ثلاث مرات في ليلة واحدة وهو يقول له في كل واحدة منها: يا محمود أنقذني من هذين

الشخصين الأشقرين تجاهه، فاستحضر وزيره قبل الصبح فذكر له ذلك، فقال له: هذا أمر حدث بالمدينة ليس له غيرك، فتجهز وخرج على عجل بمقدار ألف راحلة، وما يتبعها من خيله وغير ذلك حتى دخل المدينة الشريفة على غفلة من أهلها والوزير معه وزار وجلس في المسجد لا يدري ما يصنع، فقال له وزيره: أتعرف الشخصين إذا رأيتهما؟ قال: نعم، فأمر بالصدقة وطلب الناس عامة، وفرق عليهم ذهبا وفضة وقال: لا يبقين أحد بالمدينة إلا جاء فلم يبق إلى رجلين مهاجرين من أهل الأندلس نازلين في الناصية التي تلي قبلة حجرة النبي ﷺ من خارج المسجد عند دار آل عمر بن الخطاب رضي الله عنهم فطلبهما للصدقة فامتنعا فجد في طلبهما فجيء بهما، فلما رآهما قال: هما هذان فسألهما عن حالهما، فقالا: جئنا للمجاورة فقال: أصدقاني وتكرر السؤال حتى أفضي إلى معاقبتهما، فأقر أنهما من النصارى، وأنهما وصلا لكي ينقلان من في هذه الحجرة المقدسة باتفاق من ملوكهم، ووجدوهما قد حفر نقبا من تحت الأرض، من تحت حائط المسجد القبلي، وهما قاصدان إلى جهة الحجرة الشريفة ويجعلان من التراب في بئر عندهما في البيت الذي هما فيه فضرب أعناقهما عند الشباك الذي في شرقي حجرة النبي ﷺ خارج المسجد ثم أحرقا آخر النهار، وركب وتوجه إلى الشام.

الملك العادل نور الدين الشهيد محمود بن زنكي آق سنقر توفي بدمشق ودفن بها بسوق الخواصين.

الباب السابع/في ذكر المساجد التي صلى النبي ﷺ فيها المعروفة بالمدينة الشريفة وغيرها

وفيه خمسة فصول

الفصل الأول
في ذكر المساجد المعروفة بالمدينة الشريفة

منها: مسجد قباء:

قال الله تعالى: ﴿لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ﴾ [التوبة: ١٠٨] أي بنيت جدره ورفعت قواعده.

عن ابن عباس والضحاك، والحسن: هو مسجد قباء وتعلقوا بقوله تعالى: ﴿مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ﴾ [التوبة: ١٠٨] وهو قول: بريدة وابن زيد وعروة ودليل الظرف يقتضي الرجال المتطهرين فهو مسجد قباء.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: نزلت هذه الآية في أهل قباء ﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا﴾ [التوبة: ١٠٨] الآية فيه أي من حاضريه، قيل: كانوا يجمعون بين الماء والحجر عند التطهير.

وعن شرحبيل بن أسعد، عن عويم بن ساعدة أن النبي ﷺ قال لأهل قباء: «**إن الله قد أحسن الثناء عليكم في كتابه العزيز فقال: ﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا﴾** » [التوبة: ١٠٨] إلى آخر الآية «**ما هذا الطهور؟**» فقالوا: ما نعلم شيئا إلا أنه كان لنا جيران من اليهود،وكانوا يغسلون أدبارهم من الغائط فغسلنا كما غسلوا[١].

مسجد قباء في بني عمرو بن عوف، كان مربدا لكلثوم بن الهدم، فأعطاه رسول الله ﷺ فبناه مسجدا وأسسه، وصلى فيه قبل أن يدخل المدينة حين قدومه من مكة كما تقدم.

وعن عبد الله بن دينار، أن ابن عمر كان يأتي مسجد قباء كل سبت ويقول: رأيت النبي ﷺ يأتيه كل سبت[٢].

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: كان رسول الله ﷺ يزور قباء راكبا وماشيا[٣].

---

(١) ذكره ابن النجار في الدرة الثمينة (٣٧٩/٢) عن عويم بن ساعدة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (١١٩٣)، ومسلم (٥٢٠) عن ابن عمر رضي الله عنهما.

(٣) أخرجه البخاري (٧٢/٢)، ومسلم (٥١٥) ١٠١٦/٢.

وفي رواية: فيصلي ركعتين[١].

وروى أبو غزية قال: كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يأتي قباء يوم الاثنين ويوم الخميس فجاء يوما فلم يجد فيه أحدا من أهله فقال: والذي نفسي بيده لقد رأيت رسول الله ﷺ وأبا بكر في أصحابه ننقل حجارته على بطوننا ويؤسسه رسول الله ﷺ وجبريل عليه السلام يؤم به البيت.

ومحلوف عمر بالله: لو كان مسجدنا هذا بطرف من الأطراف لضربنا إليه أكباد الإبل.

وروى البخاري في الصحيح قال: كان سالم مولى أبي حذيفة يؤم المهاجرين الأول من أصحاب رسول الله ﷺ في مسجد قباء فيهم أبو بكر، وعمر رضي الله عنهما [٢].

وروى أبو أمامة بن سهل بن حنيف عن أبيه عن النبي ﷺ أنه قال: **«من توضأ فأسبغ الوضوء، وجاء مسجد قباء فصلى فيه ركعتين كان له أجر عمرة»**[٣].

وروت عائشة بنت سعد بن أبي وقاص رضي الله عنهما، أن أباها قال: **«والله لأن أصلي في مسجد قباء ركعتين أحب إلي من أن آتي بيت المقدس مرتين ولو يعلمون ما فيه لضربوا إليه أكباد الإبل»**[٤].

وروى نافع، عن ابن عمر أن النبي ﷺ صلى إلى الأسطوان الثالث في مسجد قباء التي في الرحبة.

نافع هو: مولى عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما، رواية مالك عن نافع عن ابن عمر تسمى عند العلماء سلسلة الذهب.

قال الحافظ محب الدين: لم يزل مسجد قباء على ما بناه رسول الله ﷺ إلى أن بناه عمر بن عبد العزيز حين بنى مسجد رسول الله ﷺ ووسعه ونقشه بالفسيفساء، وسقفه بالساج، وعمل له منارة، وجعل له أروقة وفي وسطه رحبة، وتهدم حتى جدده جمال الدين الأصبهاني، وزير بني زنكي في سنة خمس وخمسين وخمسمائة.

قال: وذرعته فكان طوله ثمانية وستين ذراعا تشف قليلا، وعرضه كذلك،وارتفاعه في السماء عشرون ذراعا، وطول منارته من سطحه اثنان وعشرون ذراعا، وعلى رأسها

---

(١) أخرجه البخاري (٢/١٩٤)، ومسلم (٥١٦) ٢/١٠١٦.

(٢) ذكره ابن النجار في الدرة الثمينة (٢/٣٧٩)، وعزاه للبخاري في صحيحه.

(٣) أخرجه الترمذي (٢/١١٤٥)، وابن ماجه (١/ ٤٥٣).

(٤) ذكره ابن النجار في الدرة الثمينة (٢/٣٧٩).

قبة نحو العشرة أذرع، وفي المسجد تسع وثلاثون أسطوانة بين كل أسطوانتين سبعة أذرع شافة، وفي جدرانه طاقات في كل جانب ثمان طاقات إلا في الجانب الشامي، فإن الثامنة سدت بالمنارة ومنارته مربعة، وهي على يمين المصلى.

وقباء: على ثلاثة أميال من المدينة، وقال الباجي: على ميلين، وقال القاضي عياض: بنو عمرو بن عوف على ثلثي فرسخ، وهذا كالقول الأول وهو مروي عن مالك.

ومنها: مسجد الفتح:

عن عبد الله بن عبد الرحمن بن كعب بن مالك رضي الله عنه قال: حدثني جابر بن عبد الله رضي الله عنه أن النبي ﷺ دعا في مسجد الفتح يوم الاثنين ويوم الثلاثاء ويوم الأربعاء، فاستجيب له يوم الأربعاء بين الصلاتين فعرف البشر في وجهه[(١)].

وعن جابر رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ مر بمسجد الفتح الذي على الجبل وقد حضرت صلاة العصر، فرقي وصلى فيه صلاة العصر[(٢)].

وروى هارون بن كثير، عن أبيه، عن جده: أن رسول الله ﷺ دعا يوم الخندق على الأحزاب، في موضع الأسطوانة الوسطى من مسجد الفتح الذي على الجبل[(٣)].

قال الشيخ جمال الدين: مسجد الفتح على قطعة من جبل سلع، من جهة الغرب، وغربيه وادي بطحان وتحته في الوادي عين تجري ويعرف الموضع بالسيح بالسين المهملة يصعد إلى المسجد من درجتين شمالية وشرقية،وكانت فيه ثلاث أسطوانات قبل هذا البناء الذي هو عليه اليوم من بناء عمر بن عبد العزيز فتهدم ثم جدده الأمير سيف الدين بن الحسين بن أبي الهيجاء، أحد وزراء العبيديين بمصر في سنة خمس وسبعين وخمسمائة وكذلك جدد بناء المسجدين اللذين تحته من جهة القبلة، يعرف الأول منها القبلي: بمسجد علي بن أبي طالب رضي الله عنه والثاني يلي الشمال: يعرف بمسجد سلمان الفارسي رضي الله عنه، جددهما في سنة سبع وسبعين وخمسمائة.

وذكر الحافظ محب الدين: أنه كان معهما مسجد ثالث، فذاك لم يبق له أثر.

قال الحافظ محب الدين: وروي عن معاذ بن سعد: أن رسول الله ﷺ صلى في مسجد الفتح الذي على الجبل وفي المساجد التي حوله وفي مسجد القبلتين.

---

(١) ذكره ابن النجار في الدرة الثمينة (٢/ ٣٨٠) عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه.

(٢) ذكره ابن النجار في الدرة الثمينة (٢/ ٣٨٠) عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه.

(٣) ذكره ابن النجار في الدرة الثمينة (٢/ ٣٨٠) عن هارون بن كثير رضي الله عنه.

سـعيد وسـعد والـزبير وعامـر وطلحـة والزهـري والخلفـاء

وأنشد منشدهم أيضا في الفقهاء السبعة، فقهاء المدينة الآتي ذكرهم:

ألا كـل مـن لا يقـتدي بأئمـة فقـسمته ضـيزى عـن الحق خارجه

فخـذهم عبـيد الله وعـروة قاسـم سـعيد أبـو بكـر سـليمان خارجه

فأما العشرة: فأولهم الخلفاء الأربعة.

الخامس: سعد بن أبي وقاص الزهري القرشي:

أمه حمنة بنت سفيان بن أبي أمية، أسلم قبل أن تفرض الصلاة، وهو أحد الستة الذين جعل فيهم عمر الشورى، له كان فتوح القادسية وقتل رستم وهزم جيوش كسرى، وفتح المدائن، وطرد يزدجرد وفتح أكثر فارس، وكان على مقدمته في حروب الفرس زهرة بنحويه التميمي، وهو الذي قتل الجالينوس أعني زهرة.

وسعد هو الذي كوف الكوفة وبناها ووليها توفي بقصره بالعقيق على سبعة أميال من المدينة وقيل: على عشرة ودفن بالبقيع سنة خمس وخمسين وهو آخر العشرة وآخر المهاجرين موتا.

جملة ما روى مائتا حديث وأحد وسبعون حديثا، وجميع من في الصحابة اسمه سعد أحد وستون.

السادس سعيد بن زيد:

ابن عم عمر بن الخطاب، أمه فاطمة بنت بعجة أسلم قبل أن يدخل رسول الله ﷺ دار الأرقم: يعني دار الخيزران بمكة والأرقم هو أرقم بن أبي الأرقم، اشترى المهدي داره بسبعة عشر ألف دينار، ووهبها للخيزران أم الخليفتين: الهادي والرشيد.

توفي سعيد بن زيد بالعقيق ودفن بالبقيع سنة إحدى وخمسين، وقيل: توفي بالكوفة جملة ما روى ثمانية وأربعون حديثا وفي الصحابة أربعة وعشرون سعيد.

وسعيد هذا: هو أخو سعد بن أبي وقاص آخى الرسول ﷺ بينهما.

وكان ﷺ قد آخى بين جماعة: آخى بين أبي طلحة وبين إياس بن البكير والحارث بن حر، وآخى بين الأرقم وأبي طلحة وبين بشر بن البراء وواقد بن عبد الله، وبين بلال وعبيدة بن الحارث وبين تميم مولى خراش وخباب مولى عتبة وبين ثابت بن قيس وعامر بن البكير، وبين ثعلبة بن حاطب ومعتب بن الحمراء، وبين جعفر ومعاذ، وبين حبيب بن عتيك وخباب بن الأرت، وبين حاطب وعويمر، وبين حارثة بن سراقة والسائب بن عثمان، وبين الحصين بن الحارث ورافع بن عنجرة، وبين خالد بن البكير

وزيد بن الدثنة، وبين خالد بن حذاقة وأبي عبس، وبين ذكوان بن عبد قيس ومصعب بن عمير، وبين ذي الشمالين ويزيد بن الحارث، وبين الزبير وابن مسعود وبين زيد بن حارثة وحمزة وبين زيد بن الخطاب ومعن بن عدي، وبين سالم مولى أبي حذيفة ومعاذ بن ماعص وبين سعد بن الربيع، وبين عبد الرحمن بن عوف وبين سعد بن خيثمة وأبي سلمة، وبين سلمان وأبي الدرداء، وبين سلمة بن سلامة وأبي سبرة، وبين سويبط وعائذ بن ماعص، وبين شجاع بن وهب وأوس بن خولي وبين شماس بن عثمان وحنظلة بن الراهب، وبين صهيب والحارث بن الصمة وبين عمر وأبي بكر، وبين عمير بن أبي وقاص وعمرو بن معاذ وبين عبادة بن الصامت وكناز بن الحصين، وبين عثمان بن مظعون وأبي الهيثم.

وكان سعد وسعيد المذكوران قد لزم بيوتهما بالعقيق ولم يكونا يأتيان المدينة الجمعة ولا غيرها حتى ماتا، حكاه ابن نجاح في سبل الخيرات.

السابع: الزبير بن العوام

وهو أخو السائب: أمه صفية بنت عبد المطلب عمة رسول الله ﷺ أسلمت دون أخواتها الخمس وهاجرت، توفيت في خلافة عمر رضي الله عنه سنة عشرين.

وعمات النبي ﷺ ست بنات عبد المطلب:

الأولى صفية: وهي أخت حمزة لأمه.

الثانية عاتكة: قيل إنها أسلمت كانت عند أبي أمية بن المغيرة.

الثالثة أروى: كانت عند عمير بن وهب، قيل: أروى هي أم حكيم.

الرابعة أميمة: كانت عند جحش بن رئاب الأسدي.

الخامسة برة: كانت عند عبد الأسد بن هلال المخزومي.

السادسة أم حكيم البيضاء: وكانت عند كريز بن ربيعة، فولدت له أروى وهي أم عثمان رضي الله عنه انتهى.

والزبير: أحد الستة أهل الشورى، وهو أحد فرسان الإسلام وفرسان الإسلام: علي وطلحة وعبد الله بن حازم السلمي،وعباد بن الحصين وعمير بن الحباب، وقطري بن الفجاءة، والحريش بن هلال، وشبيب الحروري. وفرسان الجاهلية: ربيعة بن مكرم، وعنترة، وعتبة بن الحارث، وعامر بن مالك، وزيد الخير، وبسطام بن قيس، والأحمير، وعامر بن الطفيل وعمرو بن ود، وعمرو بن معدي كرب.

قتل الزبير بعد انصرافه من وقعة الجمل بوادي السباع وكانت وقعة الجمل لعشر خلون من جمادى الآخرة سنة ست وثلاثين.

وروى الواقدي: أن الزبير حمل يوم اليرموك على عشرة آلاف فارس فهزمهم وكانت وقعة اليرموك سنة خمس عشرة، قيل: يوم الخميس لعشر خلون من جمادى الأولى.

وفي الصحابة زبيران آخران جملة ما روى ثمانية وثلاثون حديثا.

الثامن: عامر بن عبد الله بن الجراح:

توفي في طاعون عمواس.

التاسع: طلحة بن عبيد الله:

أمه الصعبة بنت الحضرمي وهو أحد الستة أهل الشورى كان يسمى طلحة الفياض قتل يوم الجمل أتاه سهم غرب وكان أول قتيل صرع يوم الأحد، وقيل: قتل في اليوم الذي قتل فيه الزبير، قوله: سهم غرب بتسكين الراء وتحريكها والأقوى التحريك عند أهل العربية وهو الذي لا يعرف راميه وقيل: بتسكين الراء إذا أتاه من حيث لا يدري وتفتح إذا رماه فأصاب غيره وقيل: الغرب بالفتح ضرب من الشجر وهو بالفارسية أسفيد واو، وقد يتخذ منه السهام، فيقال سهم غرب باسم الشجرة، ويقال: سهم عائر إذا ذهب عن وجهه كأنه ينفلت، ويقال: سهم عائر للذي لا يدرى راميه وقيل: إن رامية مروان بن الحكم.

كانت ترد عليه من العراق كل يوم ألف دينار وأكثر، وبناحية الشراة أكثر من هذا وقد خلف مائة بهار في كل بهار ثلاث قناطير ذهبا وفضة وقيل: ثلاثمائة بهار وقيل: البهار ثلاثمائة رطل، جملة ما روى ثمانية وثلاثون حديثا.

العاشر: الزهري عبد الرحمن بن عوف:

أمه الشفا بنت عوف وهو أحد الستة أهل الشورى وكان على مربضه ألف فرس ترعى بالنقيع والنقيع بالنون موضع معروف، وألف بعير وثلاثة آلاف شاة، وقيل: عشرة آلاف وكان يزرع بالجرف على عشرين ناضحا، وصولحت امرأته التي طلقها في مرضه من ثلث الثمن وقيل: عن ربع الثمن بثلاثة وثمانين ألفا.

توفي سنة اثنتين وثلاثين، وقيل: إحدى وثلاثين، ودفن بالبقيع جملة ما رواه خمسة وستون حديثا.

وأما فقهاء المدينة:

فاعلم أنه كان يفتي في حياة رسول الله ﷺ أربعة عشر رجلا:

الخلفاء الأربعة، وعبد الرحمن بن عوف، وابن مسعود، وعمار، وأبي، ومعاذ، وسلمان، وأبو موسى، وحذيفة، وأبو الدرداء، وزيد ولم يفت منهم بحضرة رسول الله ﷺ إلا أبو بكر.

قال علي بن المديني: وانتهى علم أصحاب رسول الله ﷺ من الأحكام إلى ثلاثة ممن أخذ عنهم العلم: ابن مسعود وزيد، وابن عباس وأخذ عن ابن مسعود ستة: علقمة، والأسود وعبيدة ومسروق والحارث بن قيس، وعمرو بن شرحبيل.

وانتهى علم هؤلاء إلى: النخعي والشعبي، ثم انتهى علم هؤلاء إلى أبي إسحاق، والأعمش ثم انتهى علم هؤلاء إلى الثوري.

وأخذ عن زيد أحد عشر رجلا: قبيصة وخارجة وعبيد الله بن عبد الله وعروة، وأبو سلمة، وأبو بكر بن عبد الرحمن، والقاسم، وسالم، وابن المسيب وأبان بن عثمان وسليمان بن يسار، ثم صار علم هؤلاء كلهم إلى: الزهري وأبي الزناد، وبكير الأشج، ثم صار علم هؤلاء إلى مالك.

وصار علم ابن عباس إلى ستة: سعيد بن جبير وعطاء بن أبي رباح، وعكرمة ومجاهد وطاوس وحماد بن زيد وصار علم هؤلاء إلى عمرو بن دينار.

قال العلماء: وانتهت الفتيا في أهل المدينة إلى سبعة: سعيد بن المسيب، والقاسم، وأبو بكر بن عبد الرحمن، وخارجة، وعبيد الله بن عبد الله، وعروة وسليمان بن يسار.

وقال عباس الدوري: انتهى علم أصحاب رسول الله ﷺ إلى ستة نفر من الصحابة عمر وعلي وابن مسعود وأبي، ومعاذ، وزيد فهؤلاء طبقات الفقهاء.

وأما طبقات الرواة فستة:

أبو هريرة، وأنس، وجابر، وابن عمر، وأبو سعيد الخدري، وعائشة.

وأما طبقات أصحاب الأخبار والقصص فستة:

عبد الله بن سلام، وكعب، ووهب، وطاوس وابن إسحاق والواقدي.

وأما طبقات أهل التفسير فستة:

ابن عباس، وابن جبير، ومجاهد، وقتادة، والضحاك، والسدي.

وأما خزان العلم فستة:

الأعمش، ومالك، والأوزاعي، والثوري، ومسعر، وشعبة.

وأما طبقات الحفاظ فستة:

ابن حنبل، ويحيى بن معين، وعلي بن المديني، وأبو زرعة الرازي، والبخاري، ومسلم.

[قال ابن عيينة: محدثو الناس ثلاثة: ابن عباس في زمانه، والشعبي، والثوري في

زمانه.][1]

وقال عبيد الله بن عمرو القواريري: أملى علي عبد الرحمن بن مهدي عشرين ألف حديث حفظا، ولقد كتب المحدثون عن أبي داود الطيالسي أربعين ألف حديث وليس معه كتاب.

وسأل رجل أبا زرعة فقال: ما تقول في رجل حلف بطلاق امرأته أنك تحفظ مائة ألف حديث؟ فأطرق مليا، ثم قال: اذهب فأنت بار في يمينك أحفظ مائتي ألف حديث.

وقال يزيد بن هارون: [أحفظ للشاميين عشرين ألف حديث.

ونقل عن الإمام أحمد: أنه كان يحفظ][2] ألف ألف حديث، توفي أحمد ببغداد وحضر جنازته من الرجال ثمانون ألف، ومن النساء ستون ألفا وأسلم يوم مات عشرون ألفا ما بين يهودي ونصراني ومجوسي.

وقال محمد بن سلام: أبو محلم أحفظ الناس، وكذلك قاله مؤرخه.

قال أبو محلم: لما قدمت مكة لزمت مجلس ابن عيينة فقال لي يوما: لا أراك تخطئ بشيء مما تسمع قلت: وكيف؟ قال: لأني لا أراك تكتب فقلت: إني أحفظ فاستعاد مني مجالس فأعدتها على الوجه فقال: حدثنا الزهري عن عكرمة عن ابن عباس أنه قال: يولد في كل سبعين سنة من يحفظ كل شيء قال: وضرب بيده على جنبي فقال: أراك صاحب السبعين.

أبو محلم هو: محمد بن هشام بن عوف التميمي، وقيل: السعدي، توفي سنة خمس وأربعين ومائتين.

قال الحاكم: فقهاء المدينة: سعيد بن المسيب، والقاسم بن محمد، وعروة بن الزبير، وخارجة بن زيد، وأبو بكر بن عبد الرحمن، وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة، وسليمان بن يسار، وفي رواية: ذكر سالم بن عبد الله فيهم بدلاً عن أبي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف وأبي بكر بن عبد الرحمن.

فأولهم: سعيد بن المسيب بن حزن:

ولد لسنتين مضتا من خلافة عمر رضي الله عنه ولم يلحق العشرة، وروى عنهم من التابعين، غير ابن المسيب وقيس بن أبي حازم ولم يعمل الشافعي بمراسيل أحد إلا بمراسيل ابن المسيب، وأكثر ما تروى المراسيل من أهل المدينة عنه، ومن أهل مكة عن

(١) سقط من الأصل والزيادة من نسخة تركيا.
(٢) سقط من الأصل والزيادة من نسخة تركيا.

عطاء بن أبي رباح، ومن أهل مصر عن سعيد بن أبي هلال، ومن أهل الشام عن مكحول الدمشقي ومن أهل البصرة عن الحسن، ومن أهل الكوفة عن النخعي.

قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: لما مات العبادلة ابن عباس، وابن عمر، وابن الزبير، وابن عمرو بن العاص، صار الفقه في جميع البلدان إلى الموالي ففقيه مكة عطاء، وفقيه اليمن طاوس وفقيه اليمامة يحيى بن أبي كثير، وفقيه البصرة الحسن، وفقيه الكوفة النخعي، وفقيه الشام مكحول، وفقيه خراسان عطاء الخراساني، إلا المدينة فإن الله تعالى خصها بقرشي فقيه غير مدافع: سعيد بن المسيب.

توفي سعيد بالمدينة سنة إحدى أو اثنتين وتسعين قاله: يحيى بن سعيد وقيل: توفي سنة خمس ومائة.

وسعيد بن المسيب ثلاثة: أحدهم هذا والثاني: بلوي روى عنه يحيى بن عبد الله بن بكير، والثالث الشيرازي: روى عنه أبو روق.

الثاني: القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق:

أمه أم ولد توفي بين مكة والمدينة حاجا أو معتمرا سنة سبع، وقيل: سنة ثمان ومائة.

[الثالث: عروة بن الزبير بن العوام:

أمه أسماء بنت الصديق مات صائما بناحية الفرع ودفن هناك سنة أربع وتسعين.

الرابع: خارجة بن يزيد بن ثابت:

مات بالمدينة سنة مائة.][١]

الخامس: أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث:

يقال له راهب قريش لكثرة صلاته، مات فجأة في مغتسله سنة أربع وتسعين.

السادس: عبيد الله بن عبد الله بن عتبة:

توفي سنة ثمان وتسعين.

السابع: سليمان بن يسار:

مولى ميمونة زوج النبي ﷺ توفي سنة سبع ومائة.

وذكر الحاكم: أن فقهاء المدينة اثنا عشر رجلا: ابن المسيب، وأبو سلمة بن عبد الرحمن، والقاسم بن محمد، وسالم بن عبد الله بن عمر، [وحمزة بن عبد الله][٢]

---

(١) سقط من الأصل والإضافة من نسخة تركيا.

(٢) سقط من الأصل والإضافة من نسخة تركيا.

وزيد بن عبد الله بن عمر، وعبيد الله بن عبد الله بن عمر، [وبلال بن عبد الله بن عمر،][1] وأبان بن عثمان بن عفان، وقبيصة بن ذؤيب وخارجة بن زيد، وإسماعيل بن زيد بن ثابت انتهى.

رأيت كثيرا من مشايخنا العارفين بالله تعالى يذكرون أن من كتب أسماء هؤلاء الفقهاء السبعة واستعملها شربا من به الحمى، نفعته بإذن الله تعالى واعلم أني اعتبرت عدد أسمائهم فوجدت ذلك ألفين وأربعين أثبته في مربع سبعة في سبعة على الوضع الطبيعي، وصححت كسر ذلك وهذا مثاله فاستعمله فهو أنجح في المقصود انتهى.

٢٦٧	٢٨٤	٣٥١	٣١٤	٢٧٩	٢٨٩	٣٥٦
٣١٨	٢٧٦	٢٩٣	٣٥٣	٢٨١	٢٨١	٢٩٨
٣٥٧	٢٦٨	٢٨ B	٢٩ B	٣١ B	٢٨٥	٢٩٥
٢٩٩	٣١٢	٢٧٧	٢٩٤	٣٥٤	٢٧٢	٢٨٢
٢٩١	٣٥٨	٢٦١	٢٨٦	٢٩٦	٣١٦	٢٧٤
٢٨٣	٣٥٥	٣١٢	٢٧٨	٢٨٨	٣٥ B	٢٧٣
٢٧B	٢٩٢	٣٥١	٢٧٥	٢٨٧	٢٩٧	٣١٧

والآن نشير إلى ما نحن بصدده:

قال أهل السير: ولما بنى عروة بن الزبير قصره بالعقيق ونزله قيل له: جفوت عن مسجد رسول الله ﷺ فقال: إني رأيت مساجدهم لاهية وأسواقهم لاغية، والفاحشة في فجاجهم عالية، فكنت هنالك عما هم فيه في عافية.

وكذلك سكنه جماعة من التابعين ومن بعدهم، وكانت فيه القصور المشيدة والآبار العذبة، وولى رسول الله ﷺ العقيق لرجل اسمه هيصم المزني ولم تزل الولاة على المدينة الشريفة يولون عليه واليا، حتى كان داود بن عيسى فتركه في سنة ثمان وتسعين ومائة.

قال الحافظ محب الدين: وهو اليوم ليس به سكان وفيه بقايا بنيان خراب وآثار تجد النفس برؤيتها أنسا.

وذكر محمد بن الحسن بن زبالة: أن تبعا لما وصل إلى المدينة كما قدمنا كان [منزله بقناة قال: فلما شخص عن منزله بقناة قال: هذه قناة الأرض فسميت قناة فلما مر بالجرف قال:][2] هذا جرف الأرض فسمي الجرف، ثم مر بالعرصة وكانت تسمى السليل فقال: هذه

---

(١) سقط من الأصل والإضافة من نسخة تركيا.

(٢) سقط من الأصل والإضافة من نسخة تركيا.

عرصة الأرض فسميت العرصة، ثم مر بالعقيق فقال: هذا عقيق الأرض فسمي به.

قال الشيخ منتخب الدين أبو الفتح: وبالمدينة الشريفة عقيقان: الأصغر فيه بئر رومة، والأكبر فيه بئر عروة، سميا بذلك لأنهما عقا من حرة المدينة أي قطعا.

قال الشيخ جمال الدين: ورمل مسجد رسول الله ﷺ يحمل من العرصة التي تسيل من الجماء الشمالية إلى الوادي، فيحمل منه وليس في الوادي رمل أحمر غير ما يسيل من الجبل، وأصل مسيل وادي العقيق من النقيع [بالنون والقاف والياء المثناة من تحت][1] قبلي المدينة من طريق المشائين بينه وبين قباء مقدار يوم ونصف ويعرف اليوم بوادي النقيع ويصل إلى بئر على العليا المعروفة بالخليقة بالخاء المعجمة والقاف، ثم يأتي إلى غربي جبل عير، ويصل إلى بئر علي بذي الحليفة محرم الحجاج، ثم يأتي مشرقا إلى قريب الحرة التي يطلع منها إلى المدينة ثم يعرج يسارا، ومن بئر المحرم يسمى العقيق ينتهي إلى غربي بئر رومة.

ثم وادي رانوناء:

براء ونونين يأتي من شمالي جبل عير إلى غربي مسجد قباء موضع معروف بالعصبة، وهي منازل بني جحجبا من الأوس، وينتهي إلى مسجد الجمعة منازل بني سالم بن عوف من الخزرج ثم يصب في وادي بطحان.

ثم وادي جفاف:

وهو أعلى موضع بالعوالي إلى شرقي مسجد قباء.

ثم وادي مذينيب:

شرقي جفاف يلتقي هو وجفاف فوق مسجد الشمس المعروف قديما بمسجد الفضيخ، ثم يصبان في وادي بطحان يلتقيان ورانوناء ببطحان فيمران بالمدينة الشريفة غربي المصلى ويصلان إلى مسجد الفتح سيلا واحدا ويلتقي هو والعقيق عند بئر رومة.

ثم وادي مهزور:

شرقي العوالي شمالي مذينيب ويشق في الحرة الشرقية إلى العريض ثم يصب في وادي الشظاة.

ثم وادي الشظاة:

يأتي من شرقي المدينة من أماكن بعيدة عنها إلى أن يصل إلى السد الذي أحدثته النار.

---

(١) سقط من الأصل، والزيادة من نسخة تركيا.

نار الحرة:

وقصة هذه النار على ما نقله أبو شامة والمطري وغيرهما، وذلك أنه لما كانت ليلة الأربعاء ثالث جمادى الآخرة من سنة أربع وخمسين وستمائة ظهر بالمدينة دوي عظيم، ثم زلازل رجفت منها المدينة والحيطان ساعة بعد ساعة، وكان بين اليوم والليلة أربعة عشر زلزلة واضطرب المنبر إلى أن سمع منه صوت الحديد، واضطربت قناديل المسجد وسمع لسقف المسجد صرير، وتمت الزلازل إلى يوم الجمعة ضحى ثم انبجست الأرض بنار عظيمة من واد يقال له أحيليين بينه وبين المدينة نصف يوم، ثم انبجست من رأسه في الحرة الشرقية من وراء قريظة على طريق السوارقية، ثم ظهر لها دخان عظيم في السماء ينعقد حتى يبقى كالسحاب الأبيض. وللنار ألسن حمر صاعدة في الهواء، وبقي الناس في مثل ضوء القمر وصارت النار على قدر المدينة العظيمة وما ظهرت إلا ليلة السبت، وكان اشتغالها أكثر من ثلاث منائر، وهي ترمي بشرر كالقصر، وشررها صخر كالجبال، وسال من هذه النار واد يكون مقداره خمسة فراسخ وعرضه أربعة أميال وعمقه قامة ونصف وهو يجري على وجه الأرض وتخرج منه أمهاد وجبال تسير على وجه الأرض وهو صخر يذوب حتى يصير كالآنك فإذا جمد صار أسود، وقبل الجمود لونه أحمر وسال منها واد من نار حتى حاذى جبل أحد.

وسالت من أحيليين نار تنحدر مع الوادي إلى الشظاة والحجارة تسير معها حتى عادت تقارب حرة العريض ثم وقفت أياما تخرج من النار ألسن ترمي بحجارة خلفها وأمامها حتى بنت لها جبل، ولها كل يوم صوت من آخر النهار، ورئي ضوء هذه النار من مكة ومن الينبع ولا ترى الشمس والقمر من يوم ظهور النار إلا كاسفين.

قال أبو شامة: ظهرت عندنا بدمشق أثر الكسوف من ضعف نور الشمس على الحيطان، وكلنا حيارى من ذلك ما هو؟ حتى أتى خبر النار.

قال المطري: سارت النار من مخرجها الأول جهة الشمال مدة ثلاثة أشهر تدب كدبيب النمل تأكل كل ما مرت عليه من جبل أو حجر ولا تأكل الشجر فتثير كل ما مرت عليه فيصير سدا لا مسلك فيه لإنسان ولا دابة إلى منتهى الحرة من جهة الشمال فقطعت في وسط وادي الشظاة إلى جبل وعيرة فسدت الوادي المذكور بسد عظيم بالحجر المسبوك بالنار ولا كسد ذي القرنين لا يصفه إلا من رآه طولا وعرضا وارتفاعا، وانقطع وادي الشظاة بسببه وصار السيل إذا سال ينحبس خلف السد، وهو واد عظيم فتجتمع خلفه المياه حتى تصير بحرا كنيل مصر عند زيادته.

قال رحمه الله: شاهدته كذلك في شهر رجب من سنة سبع وعشرين وسبعمائة،

قال: وأخبرني علم الدين سنجر المعزي من عتقاء الأمير عز الدين منيف بن شيحة بن القاسم بن مهني الحسيني أمير المدينة قال: أرسلني مولاي المذكور بعد ظهور النار بأيام ومعي شخص من العرب يسمى حطيب بن سنان وقال لنا: اقربا من هذه النار، وانظرا هل يقدر أحد على القرب منها؟ فخرجت أنا وصاحبي إلى أن قربنا منها، فلم نجد لها حرا، فنزلت عن فرسي، وسرت إلى أن وصلت إليها وهي تأكل الصخر والحجر، ومددت يدي إليها بسهم فعرق النصل ولم يحترق العود واحترق الريش انتهى.

انظر إلى عظيم لطف البارئ تعالى بعباده إذ سخرها بلا حرارة إذ لو كانت كنارنا لأحرقت من مدى البعد فناهيك بقربها وعظمها ولكنها ليست بأول مكارمه ﷺ وامتنان خالقها عز وجل، إذ أخمد حرها وجعل سيرها تهويدا لا تنقيبا حفظا لنبيه ﷺ وأمته ورفقا بعباده ولطفا بهم ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴾ [الملك: ١٤] وقد ظهر بظهورها معجزات بأن بها آيات أسرار بديعة وعنايات ربانية منيعة، ففي انطماس نورها فكرة وسبب عدم حرها عبرة وسببه خفة سيرها، وفي استرسال دبيبها قدرة وسببه عدم أكلها، وفي عدم أكلها حرمة وسببه لا يعضد نبتها.

قال الشيخ جمال الدين: وأخبرتني بعض من أدركتها من النساء أنهن كن يغزلن على ضوئها بالليل على أسطحة البيوت.

قال رحمه الله: وظهرت بظهورها معجزة من معجزات رسول الله ﷺ وهي ما ورد في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «**لا تقوم الساعة حتى تظهر نار بالحجاز تضيء لها أعناق الإبل ببصرى**»[(١)] فكانت بي هذه النار إذ لم يظهر قبلها من أيامه ﷺ نار مثلها.

ثم قال رحمه الله: وقد ظهر لي في معنى أنها كانت تأكل الحجر ولا تأكل الشجر، أن ذلك لتحريم سيدنا رسول الله ﷺ شجر المدينة فمنعت من أكل شجرها إكراما له لوجوب طاعته، وهذا من أوضح معجزاته ﷺ.

وقدم إلى المدينة الشريفة في جمادى الآخرة من السنة المذكورة ركائب من العراق وأخبروا أن بغداد أصابها غرق عظيم حتى دخل الماء من أسوارها إلى البلد وغرق كثير من البلد، ودخل الماء دار الخليفة وانهدمت دار الوزير وثلاثمائة وثمانون دارا، وتهدم مخزن الخليفة وهلك من السلاح شيء كثير وأشرف الناس على الهلاك، وتخرقت أزقة بغداد ودخلت السفن وسط البلد.

---

(١) أخرجه البخاري (٧١١٨)، ومسلم (٤٣) ٤/٢٢٢٧ عن أبي هريرة ﷺ.

وفي تلك السنة المذكورة احترق مسجد رسول الله ﷺ وكانت ليلة الجمعة أول ليلة من رمضان المعظم كما سيأتي.

قال الشيخ جمال الدين: وانخرق السد من تحته في سنة تسعين وستمائة لتكاثر الماء من خلفه فجرى في الوادي المذكور سنة كاملة سيلا يملأ ما بين جانبي الوادي، ثم سنة أخرى دون ذلك، ثم انخرق مرة أخرى في العشر الأول بعد السبعمائة فجرى سنة أو أزيد ثم انخرق في سنة أربع وثلاثين وسبعمائة بعد تواتر أمطار عظيمة في الحجاز في تلك السنة وكثر الماء وعلا من جانبي السد ومن دونه مما يلي جبل وعيرة وتلك النواحي فجاء سيل طام لا يوصف ومجراه على مشهد حمزة رضي الله عنه وحفر واديا آخر قبلي الوادي ومشهد حمزة، وقبلي جبل عينين، وبقي المشهد وجبل عينين في وسط السيل أربعة أشهر أو نحو ذلك لا يقدر أحد على الوصول إلى قبر حمزة ولا إلى الجبل المذكور إلا بمشقة، ولو زاد الماء مقدار ذراع وصل إلى المدينة الشريفة.

قال رحمه الله: وكنا نقف خارج باب البقيع على التل الذي هناك، فنراه ونسمع خريره ثم استقر في الوادي بين القبلي الذي أحدثه النار والشمالي قريبا من سنة وكشف عن عين قديمة قبلي الوادي فجددها الأمير ودي بن جماز أمير المدينة الشريفة في مدة ولايته انتهى.

واعلم أنه يصب في وادي الشظاة أيضا في رومة بمجتمع السيول فمنها:

سيل بطحان والعقيق وزغابة والنقمي، وسيل غراب من جهة الغابة فيصير سيلا واحدا ويأخذ في وادي الضيقة إلى أضم جبل معروف ثم إلى منزلة أكراء من طريق مصر، ثم يصب في البحر المالح.

تنبيه على ما سبق يدل على قدرة العلي الأعلى سبحانه وتعالى:

كما قال ابن الجوزي في المدهش أن الأرض تزلزلت على عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه في سنة عشرين فأخذ بعصا وأتى منبر رسول الله ﷺ وقال: يا أهل المدينة إنكم أرجفتم والرجف من كثرة الزنا والربا ونقصان الثمر من قلة الصدقة وإنكم قد أجرتم حتى أعجلتم فهل أنتم منتهون؟ أو يفر عمر من بين أظهركم.

وفي سنة أربع وتسعين: دامت الزلازل أربعين يوما وتهدمت دور مدينة أنطاكية.

وفي شوال سنة أربع وعشرين ومائتين: زلزلة الأرض بفرغانة فمات منها أكثر من خمسة عشر ألفا.

وفي السنة التي تليها: [رجفت الأهواز وتصدعت الجبال وهرب أهل البلد إلى البر والسفن ودامت ستة عشر يوما.

وفي السنة التي تليها:][1] أمطر أهل تيماء مطرا عظيما وبردا كالبيض فقتل ثلاثمائة وسبعون إنسانا وهدم دورا وسمع في ذلك صوتا [يقول: ارحم عبادك، اعف عن عبادك، ونظروا إلى أثر قدم طول ذراع بلا أصابع، وعرضها شبران من الخطوة إلى الخطوة خمسة أذرع أو ستة، فاتبعوا الصوت فجعلوا يسمعون صوتا][2] ولا يرون شخصا.

وفي سنة ثلاث وثلاثين ومائتين: رجفت دمشق رجفة شديدة لارتفاع الضحى وانتقضت منها البيوت وسقطت على من فيها فمات خلق كثير، وانكفأت قرية بالغوطة على من فيها فهلكوا إلا رجل واحد، وزلزلت أنطاكية فمات منها عشرون ألفا.

وفي السنة التي تليها: هبت ريح شديدة لم يعهد مثلها، فاتصلت نيفا وخمسين يوما شملت بغداد، والبصرة والكوفة وواسط وعبادان والأهواز ثم ذهبت إلى همذان فأحرقت الزرع ثم ذهبت إلى الموصل فتتبعت الناس فتعطلت الأسواق، وزلزلت هراة فوقعت الدور.

وفي سنة ثمان وثلاثين ومائتين: وجه طاهر بن عبد الله إلى المتوكل حجرا سقط بناحية طبرستان وزنة ثمانمائة وأربعين درهما فيه صدغ، وذكر أنه سمع لصوته هدة عظيمة من أربع فراسخ في مثلها وأنه ساخ في الأرض خمسة أذرع.

وفي سنة أربعين ومائتين: خرجت ريح من بلاد الترك، فمرت بمرو وقتلت خلقا كثيرا بالزكام، ثم صارت إلى نيسابور وإلى الري ثم إلى همذان وحلوان، ثم صارت إلى العراق، فأصاب أهل مدينة السلام وسامراء حمى وسعال وزكام وجاءت كتب من المغرب أن ثلاث عشرة قرية من قرى القيروان خسف بها فلم ينج من أهلها، إلا اثنان وأربعون رجلا سود الوجوه فأتوا القيروان فأخرجهم أهلها، وقالوا: أنتم مسخوط عليكم فبنى لهم العامل حظيرة خارج البلد فنزلوها.

وفي سنة إحدى وأربعين ومائتين: ماجت النجوم في السماء وجعلت تتطاير شرقا وغربا ويتناثر بعضها من خلف بعض كالجراد من قبل غروب الشمس إلى الفجر ولم يكن مثل هذا إلا عند ظهور رسول الله ﷺ.

وفي السنة التي تليها: رجمت قرية يقال لها السويداء بناحية مصر بخمسة أحجار، وقع منها حجر على خيمة أعرابي، فاحترقت ووزن منها حجر فكان عشرة أرطال.

وزلزلت الري وجرجان وطبرستان ونيسابور وأصبهان وقم وقاشان كلها في وقت

---

(١) سقط بالأصل وإضافة من ط تركيا.

(٢) سقط بالأصل وإضافة من ط تركيا.

واحد.

وزلزلت الدامغان فهلك من أهلها خمسة وأربعون ألفًا، وسقطت الجبال ودنا بعضها من بعض وسمع للسماء والأرض أصوات عالية.

وسار جبل باليمن عليه مزارع حتى أتى مزارع قوم آخرين.

ووقع طائر أبيض دون الرخمة وفوق الغراب على دالية بحلب لسبع أتين من رمضان فصاح ينادي: يا معشر الناس اتقوا الله الله حتى صاح أربعين صوتا، ثم طار وجاء من الغد فصاح أربعين صوتا ثم طار فكتب صاحب البريد بذلك وأشهد خمسمائة إنسان سمعوه.

ومات رجل في بعض كور الأهواز فسقط طائر أبيض على جنازته فصاح بالفارسية والخوزية إن الله قد غفر لهذا الميت ولمن شهده.

وفي سنة خمس وأربعين ومائتين: تزلزلت أنطاكية فسقط منها ألف وخمسمائة دار،ووقع من سورها نيف وتسعون برجا، وسمع أهلها أصواتا هائلة من كوى المنازل.

وسمع أهل تنيس ضجة هائلة دامت، فمات منها خلق كثير، وذهبت جبلة بأهلها.

وفي سنة خمس وثمانين ومائتين: مطرت قرية حجارة بيض وسود.

وفي سنة ثمان وثمانين ومائتين: زلزلت دبيل في الليل، فأصبحوا ولم يبق من المدينة إلا اليسير، فأخرج من تحت الردم خمسون ومائة ألف ميت.

وفي سنة تسع عشرة وثلاثمائة: عدل الحاج عن الجادة خوفا من العرب فرأوا في البرية صور الناس من حجارة، ورأوا امرأة وهي قائمة على تنور وهي من حجارة والخبز الذي في التنور من حجارة.

سمعت والدي رحمه الله يقول: كنا بأرض برقة فعدلنا عن الطريق قليلا، فوجدنا مغائر عظيمة في جبل من تلك الجبال ملآنة دراهم جميعها من حجارة فملأت منها خريطة فقال لي بعض المشايخ وأظنه سيدي أبو عبد الله القصري لا تحمل من أثار قوم سخط الله عليهم هذه آثار قوم عاد وفرعون، وكذلك وجدت خريطة بمصر، فأخرج منها الفواكه والدراهم والدنانير من حجارة [سمعت في قوله تعالى: ﴿ وَحَرَامٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَآ أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴾ [الأنبياء: ٩٥].][1]

وفي سنة ثمان وسبعين وثلاثمائة: هبت ريح بفم الصلح -شبهت بالتنين- خرقت دجلة حتى ذكر أنه بانت أرضها من ممر الريح وأهلكت خلقا كثيرا واحتملت زورقا

(١) سقط بالأصل، وإضافة من نسخة ط تركيا.

منحدرا وفيه دواب فطرحته في أرض جوخي.

وفي سنة عشرين وأربعمائة: جاء ثلج هائل ووقعت بردة حزرت بمائة وخمسين رطلا وكانت كالثور النائم.

وفي سنة أربع وثلاثين وأربعمائة: زلزلت تبريز فهدم سورها وقلعتها وهلك تحت الردم خمسون ألفا.

وفي سنة أربع وأربعين وأربعمائة: كانت بأرجان زلازل انقلعت منها الحيطان فروي أن بعضهم كان قاعدا في إيوان داره فانفرج حتى رأى السماء من وسطه ثم عاد.

وفي سنة ستين وأربعمائة: كانت زلزلة بفلسطين فهلك منها خمسة عشر ألفا وانشقت صخرة بيت المقدس، ثم عادت فالتأمت وغار البحر مسيرة يوم، فساخ في الأرض، فدخل الناس يلتقطون منه، فرجع عليهم، فأهلك منهم خلقا كثيرا.

وفي سنة اثنتين وستين وأربعمائة: خسفت أيلة.

وفي سنة ست وخمسمائة: سمع ببغداد [هدة عظيمة في أقطار بغداد، قال ابن الجوزي: قال شيخنا أبو بكر بن عبد الباقي: أنا سمعتها فظننت حائطا وقع ولم يعلم ما ذلك ولم يكن في السماء غيم.

وفي سنة سبع وخمسمائة: وقعت زلزلة بناحية الشام، فوقع من سور الرها ثلاثة عشر برجا، وخسف بسميساط وقلب بنصف القلعة وفي سنة إحدى عشرة وخمسمائة زلزلت الأرض ببغداد][1] يوم عرفة فكانت الستور والحيطان تمر وتجيء.

وفي سنة خمس عشرة وخمسمائة: وقع الثلج ببغداد فامتلأت منه الشوارع والدروب.

وفي سنة ثلاث وثلاثين وخمسمائة: كانت زلزلة بجنزة أتت على مائتي ألف وثلاثين ألفا، فأهلكتهم وكانت الزلزلة في مقدار عشرة فراسخ في مثلها، قال ابن الجوزي: وسمعت شيخنا ابن ناصر يقول: قد جاء أنه خسف بجنزة وصار مكان البلد ماء أسود وقدم التجار من أهلها فلزموا المقابر يبكون على أهاليهم وزلزلت حلوان فتقطع جبل حلوان وهلك خلق كثير.

وفي سنة اثنتين وخمسين وخمسمائة: كانت زلازل بالشام في ثلاثة عشر بلدا من بلاد الإسلام، فمنها ما هلك كله ومنها ما هلك بعضه.

وقيل إنه في سنة اثنتين وستمائة: وكان يوم الخميس زلزلت الأرض وانشقت وتهدم

---

(١) زيادة من نسخة تركيا.

البنيان.

وفي سنة خمس أو ست وتسعين وستمائة: دخل سيل عظيم مكة المشرفة وعلا على الحجر الأسود ثم دخل الكعبة منه قيد ذراع وغرق فيه ناس كثير.

وفي سنة سبعمائة وقع الغلاء بمكة، فلم يؤكل إلا الجراد، وحب الحنظل وأكلت الميتة والجلود، والعظام وفيه يقول أبو البركات محمد القريشي البهنسي حين ارتفع:

يا أهل مكة أنتم جيران لي أحيا كم بعد الممات تفضل

ولقد صفحنا عنكم فيما مضى وتداركتكم رحمتي في منزل

إن تنتهوا جدنا وإن لم تنتهوا فجزاؤكم باق وحب الحنظل

ثم حج سنة واحد وسبعمائة: الأمير جاشنكير والغلاء باق، وحج معه والدي رحمه الله وكانت أول حجاته.

ثم حج سلار الأمير بعده سنة اثنتين وسبعمائة، وحج أيضا معه والدي رحمه الله، وسمعته يقول: حج سلار بخمسة وعشرين ألف إردب قمح وشعير للصدقة، وبعشرة أحمال فضة للصدقة.

وجاء قبل العشرين وسبعمائة: أيضا سيل عظيم إلى أن دخل الكعبة المشرفة كالأول.

وفي سنة خمس وأربعين وسبعمائة: وقع بالحجاز غلاء عظيم ومات خلق كثير.

وفي السنة المذكورة: اتفق بطرابلس الشام في شهر رمضان ريح عظيم إلى أن أظلمت الدنيا، وأن القاضي تاج الدين بن البرنباري -كاتب السر بها- خرج يطلب ضوءا وكان في دار له قد أنشأها قريبا من البحر فهاج البحر وطلع إليها، ففصل الإيوان وسقط به البحر بولديه، وكان أحدهما ناظر الجيش والآخر من الموقعين، فعاد بالضوء فلم يجد أحدا.

قيل في سنة ثمان عشرة من الهجرة: كانت الريح تسفي غبارا كالرماد وبه سمي عام الرمادة وجعلت الوحوش تأوي إلى الإنس.

وفي سنة سبع وتسعين: وقع الغلاء بمصر، يروى عن أبي عبد الله القرشي أنه نودي إنا نريد أن [نوقع بمصر ما نريد، فأخرج من بين أظهرهم إلى الخليل، فسافر إلى أرض الخليل فعبوا له الضيافة][1] فلم يأكل شيئا، فرأى الخليل عليه السلام تلك الليلة في النوم،

---

(١) زيادة من نسخة تركيا.

فقال له: لما لا تأكل من ضيافتنا، فقال له: لا آكل حتى تشفع في أهل مصر، فقال له: كل فقد شفعت فيهم فأرخوا تلك الليلة فخرج فيها النيل.

وفي سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة: أكلت الأطفال الجيف وبيع العقار برغفان وشري لمعز الدولة كر دقيق بعشرين ألف درهم.

وفي سنة ثمان وأربعين وأربعمائة: عم القحط، فأكلت الميتة وبلغ المكوك من بذر البقلة سبعة دنانير، والسفرجلة، والرمانة دينار، وورد الخبز من مصر بأن ثلاثة من اللصوص نقبوا دارا فوجدوا عند الصباح موتى أحدهم على باب النقب، والثاني على رأس الدرجة، والثالث على كرة الثياب المكورة، وابتاع فيها الرغيف بخمسين دينارًا.

قيل: إن عروق الأرض جميعها متصلة بجبلي قاف، إذا أراد الله تعالى أن يزلزل أرضا أمر الملك الموكل بقاف، واسمه حزقائيل، فيحرك عرق تلك الأرض فيزلزها، فلذلك يتزلزل موضع عن الثعلبي.

وجبل قاف من ياقوت أخضر ومنه اخضرت السماء دائر بالأرض من وراء البحر المحيط واسمه عسلمون ولأجل هذا الاسم منع استعمال تلك الحفيظة، حكاه الماذري.

ووراء قاف أرض بيضاء كافورية مثل الدنيا سبع مرار، ومن خلفها السبعة الأبحر أولها: بيطس، والثاني: قيس، والثالث: الأصم، والرابع: المظلم، الخامس: ماليس، السادس: الساكن، السابع: الباكي، وهي محيطة بعضها ببعض، حكاه الكسائي.

قال وهب: خلقها الله تعالى في اليوم الثالث، قالوا: والحكمة في غلبة لون قاف على السماء بالخضرة لأن النظر إلى الأخضر يقوي العينين وكثرة النظر إلى الماء يعمي.

وقيل: النظر إلى الأسود يورم البصر، وإلى الأبيض يفرق الشعاع ويؤلم.

والأخضر لون بين السواد والبياض، يجمع الشعاع، والناضر الأخضر، والفاقع الأصفر، والناصع الأبيض، والقاني الأحمر، والحالك الأسود انتهى.

الفصل الثاني
في ذكر الآبار المنسوبة إلى النبي ﷺ

الأول بئر حاء:

بالحاء المهملة بعدها ألف مقصورة من غير مد، عن أنس رضي الله عنه قال: كان أبو طلحة أكبر وأكثر أنصاري بالمدينة مالا من نخل، وكان أحب أمواله إليه بئر حاء، فكانت مستقبلة المسجد وكان رسول الله ﷺ يدخلها ويشرب من ماء فيها طيب، قال أنس: فلما نزلت هذه الآية: ﴿ لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ ﴾ قام أبو طلحة إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، إن الله عز وجل يقول: ﴿ لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟

مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عمران: ٩٢] وإن أحب أموالي إلي بئر حاء، وأنها صدقة لله أرجو برها وذخرها عند الله فضعها يا رسول الله حيث أراك الله، فقال رسول الله ﷺ: **«بخ بخ ذلك مال رابح وقد سمعت ما قلت وإني أرى أن تجعلها في الأقربين»**(١).

قال أبو طلحة: افعل يا رسول الله، فقسمها أبو طلحة في أقاربه وبني عمه، فممن صارت إليه: أبي بن كعب وحسان بن ثابت.

قوله عليه السلام: «بخ» كلمة تقال عند المدح والرضا بالشيء، فإذا أفردت وقفت عليها، وإذا كررت فهو للمبالغة وتصل الأولى بالأخرى وتنون، وأهل الحديث يرونها بسكون الخاء في الوصل والوقف، ومنهم من يشدد الخاء منها، وقد جمع الشاعر فقال:

روافده أكرم الرافدات ... بخ لك بخ لبحر خضم

[ذكره أبو عبيد](٢)

قال ابن النجار: وماؤها عذب حلو، وذرعناها فكان طولها: عشرون ذراعا منها أحد عشر ذراعا ونصف ماء والباقي بنيان، وعرضها: ثلاثة أذرع ويسير، وهي مقابلة المسجد كما ورد في الحديث.

قال المطري: وهي اليوم في وسط حديقة صغيرة فيها نخل جيد وهي شمالي سور المدينة قريبة من البقيع، بينها وبين السور الطريق وتعرف اليوم بالنويرية اشتراها بعض نساء النويريين وأوقفها على الفقراء وغيرهم.

غزا أبو طلحة -المذكور- البحر فمات فيه فلم يجدوا له جزيرة يدفن فيها إلا بعد سبعة أيام فدفنوه وهو لم يتغير. جملة ما روى خمسة وعشرون حديثا.

الثانية بئر أريس:

عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أنه توضأ في بيته ثم خرج فقال: «لألزمن رسول الله ﷺ ولأكونن معه يومي هذا قال: فجاء المسجد، فسأل عن النبي ﷺ، فقالوا: خرج ووجه ههنا، قال: فخرجت على أثره أسأل عنه حتى دخل بئر أريس، قال: فجلست عند الباب وبابها من جريد حتى قضى رسول الله ﷺ حاجته وتوضأ فقمت إليه، فإذا هو قد جلس على بئر أريس وتوسط قفها، وكشف عن ساقيه ودلاهما في البئر، قال: فسلمت عليه، ثم انصرفت فجلست عند الباب، فقلت: لأكونن بواب رسول الله ﷺ اليوم، فجاء أبو بكر الصديق رضي الله عنه فدفع الباب، فقلت من هذا؟ فقال: أبو بكر،

---

(١) أخرجه البخاري (٢٧٦٩)، ومسلم (٤٢) ٢/ ٦٩٣ عن أنس ﷺ.

(٢) زيادة من نسخة تركيا.

فقلت: على رسلك، قال: ثم ذهبت فقلت: يا رسول الله، هذا أبو بكر يستأذن، فقال: «**ائذن له وبشره بالجنة**» قال: فأقبلت حتى قلت لأبي بكر أدخل ورسول الله ﷺ يبشرك بالجنة، قال: فدخل أبو بكر فجلس عن يمين رسول الله ﷺ معه في القف ودلى رجليه في البئر كما صنع رسول الله ﷺ وكشف عن ساقيه، ثم رجعت فجلست وقد تركت أخي يتوضأ ويلحقني، فقلت إن يرد الله بفلان خيرا -يريد أخاه- يأت به فإذا إنسان يحرك الباب، فقلت: من هذا؟ فقال: عمر بن الخطاب، فقلت: على رسلك، ثم جئت إلى رسول الله ﷺ، فسلمت عليه وقلت: هذا عمر يستأذن، فقال: «**ائذن له وبشره بالجنة**» فجئت عمر فقلت: ادخل ويبشرك رسول الله ﷺ بالجنة، قال: فدخل فجلس مع رسول الله ﷺ في القف عن يساره ودلى رجليه في البئر، ثم رجعت فجلست مع رسول الله ﷺ فقلت: إن يرد الله بفلان خيرا -يعني أخاه- يأت به، فجاء إنسان فحرك الباب فقلت: من هذا؟ قال: عثمان بن عفان، فقلت: على رسلك: قال: وجئت رسول الله ﷺ وأخبرته فقال: «**ائذن له وبشره بالجنة مع بلوى تصيبه**» قال: فجئت فقلت: ادخل ويبشرك رسول الله ﷺ بالجنة مع بلوى تصيبك، قال: فدخل فوجد القف قد ملئ فجلس وجاههم من الشق الآخر[1].

قال شريك: قال سعيد بن المسيب: فأولتها قبورهم.

قال الحافظ ابن محب الدين: «وماؤها عذب طيب، وذرعناها فكان طولها: أربعة عشر ذراعا وشبرا، منها ذراعا ونصف ماء، وعرضها: خمسة أذرع، وطول قفها الذي جلس عليه رسول الله ﷺ وصاحباه ثلاثة أذرع تشف كفا، والبئر تحت أطم عال خراب من حجارة.

قال الشيخ جمال الدين: البئر غربي مسجد قباء في حديقة الأشراف الكبرى من بني الحسين بن علي بن أبي طالب.

والأطم المذكور من جهة القبلة وقد بني أعلاه مسكن يسكنه من يقوم بالحديقة ويخدم مسجد قباء، وحولها دور الأنصار وآثارهم رضي الله عنهم، وقد جدد لها الشيخ صفي الدين أبو بكر بن أحمد السلامي رحمه الله درجا ينزل إليها منه وعلى الدرج قبو، وذلك في سنة أربع عشرة وسبعمائة.

وعن أنس رضي الله عنه قال: كان خاتم رسول الله ﷺ في يده وفي يد أبي بكر بعده وفي يد عمر بعد أبي بكر، فلما كان عثمان جلس على بئر أريس وأخرج الخاتم، فجعل

---

(١) أخرجه البخاري (٣٦٧٤)، ومسلم (٢٩) ٢/ ١٨٦٨ عن أبي موسى ﷺ.

يعبث به فسقط فاختلف ثلاثة مع عثمان فنزح البئر فلم يجده[١].

قال الشيخ جمال الدين: وكان ذلك لتمام ست سنين من خلافته فمن ذلك اليوم حصل في خلافته ما حصل من اختلاف الأمر لفوات بركة الخاتم، والله أعلم.

وكان خاتم رسول الله ﷺ من ورق اتخذه في السنة السابعة من الهجرة نقشه: محمد رسول الله[٢].

وكان قد قيل له: إن العجم لا تقرأ كتابا إلا مختوما فاتخذه لذلك[٣].

وفي الخاتم أربع لغات: بالفتح والكسر، والخاتام، والخيتام واحد.

الثالثة بئر بضاعة:

هذه البئر كانت لبني ساعدة، وهم قوم من الخزرج.

والظاهر أن بضاعة: اسم رجل أو امرأة تنسب إليه البئر.

وأهل اللغة يضمون الباء ويكسرونها، والمحفوظ الضم، وقد حكاه بعضهم بالصاد المهملة وليس بمحفوظ.

وكان موضعها ممر السيول فتكمح الأقذار من الطرق إليها، لكن الماء الكثير لا يؤثر ذلك فيه.

روى أبو داود في السنن: من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ وهو يقال له: إنه يستسقى لك من بئر بضاعة وهي بئر يلقى فيها لحوم الكلاب والمحايض وعذر الناس، فقال رسول الله ﷺ: «**إن الماء طهور لا ينجسه شيء**»[٤].

وعن محمد بن أبي يحيى عن أمه قالت: دخلنا على سهل بن سعد في نسوة، فقال: لو أنني سقيتكن من بئر بضاعة لكرهتن ذلك، وقد والله سقيت رسول الله ﷺ بيدي منها.

وعن عبد المهيمن بن عباس بن سهل بن سعد عن أبيه عن جده «أن رسول الله ﷺ بصق في بئر بضاعة»[٥].

وعن مالك بن حمزة بن أبي أسيد، عن أبيه عن جده «أن النبي ﷺ دعا لبئر

---

(١) أخرجه البخاري (٥٨٧٣) عن ابن عمر رضي الله عنهما، وأبو داود (٤٢١٥) عن أنس رضي الله عنه.
(٢) أخرجه البخاري (٥٨٧٢)، ومسلم (٥٦) ٣/١٦٥٧ عن أنس رضي الله عنه.
(٣) أخرجه البخاري (٥٨٧٢)، ومسلم (٥٧) ٣/١٦٥٧ عن أنس رضي الله عنه.
(٤) أخرجه أبو داود (٦٨)، والترمذي (١/٩٥)، وأحمد (٣/ ٨٦) عن أبي سعيد رضي الله عنه.
(٥) أخرجه ابن سعد في الطبقات (١/٥٠٥) عن عبد المهيمن بن عباس رضي الله عنه.

بضاعة»[(١)].

قال أبو داود السجستاني في السنن: سمعت قتيبة بن سعيد يقول: «سألت قيم بئر بضاعة عن عمقها، فقال: أكثر ما يكون فيها الماء إلى العانة، قلت: فإذا نقص؟ قال: دون العورة، قال أبو داود: فذرعت بئر بضاعة بردائي مددته عليها، ثم ذرعته فإذا عرضها ستة أذرع، وسألت الذي فتح لي باب البستان فأدخلني فيه، هل غير بناؤها عما كانت عليه؟ فقال: لا، ورأيت فيها ماء متغير اللون»[(٢)].

قال ابن العربي: وهي في وسط السبخة فماؤها يكون متغيرا من قرارها، والله أعلم.

سجستان: هي التي افتتحها عبد الرحمن بن سمرة بن حبيب حين فتح كابل.

قال الحافظ محب الدين: «وماء بئر بضاعة عذب طيب، وذرعتها فكان طولها: أحد عشر ذراعا وشبرا، منها ذراعان راجحة ماء والباقي بناء، وعرضها: ستة أذرع كما ذكر أبو داود»[(٣)].

قال الشيخ جمال الدين: «وهي اليوم في ناحية حديقة شمال سور المدينة وغربي بئر حاء إلى جهة الشمال يستقي منها أهل الحديقة، والحديقة في قبلة البئر، ويستقي منها أهل حديقة أخرى شمال البئر، والبئر وسط بينهما».

الرابعة بئر غرس:

عن سعيد بن عبد الرحمن بن رقيش، قال: جاءنا أنس بن مالك بقباء، فقال: أين بئركم هذه؟ يعني: بئر غرس، فدللناه عليها، قال: رأيت النبي ﷺ جاءها، وإنها ليستقي منها على حمار، بسحر فدعي النبي ﷺ بدلو من مائها، فتوضأ منه ثم سكبه فيها، فما نزفت بعد[(٤)].

وعن إبراهيم بن إسماعيل بن مجمع قال: قال رسول الله ﷺ: «**رأيت الليلة أني أصبحت على بئر من الجنة، فأصبح على بئر غرس فتوضأ منها وبزق فيها**»[(٥)].

وغسل منها حين مات صلوات الله عليه وسلامه.

قال الحافظ محب الدين: «وهذه البئر بينها وبين مسجد قباء نحو نصف ميل، وهي في وسط الشجر وقد خربها السيل وطمها، وفيها ماء أخضر إلا أنه عذب وريحه الغالب

---

(١) أخرجه ابن سعد في الطبقات (١/٥٠٥) عن أبي حميد الساعدي ﷺ.

(٢) السنن (٦٧).

(٣) السنن (٦٧).

(٤) أخرجه ابن سعد في الطبقات (١/ ٥٠٥) عن سعيد بن عبد الرحمن .

(٥) أخرجه ابن النجار في الدرة الثمينة (٢/٣٤٣) عن إبراهيم بن إسماعيل.

الأجون، وذرعتها فكان طولها: سبعة أذرع شافة منها ذراعان ماء، وعرضها عشرة أذرع».

قال الشيخ جمال الدين: «وهي شرقي مسجد قباء إلى جهة الشمال، وهي بين النخيل ويعرف مكانها اليوم وما حولها بالغرس، وهي ملك بعض أهل المدينة، وجددت بعد السبعمائة وهي كثيرة الماء، وعرضها: عشرة أذرع، وطولها: يزيد على ذلك، وماؤها عذب لكن يغلب عليه الخضرة.

الخامسة بئر البصة:

عن ربيح بن عبد الرحمن بن أبي سعيد الخدري قال: كان رسول الله ﷺ يأتي الشهداء وأبناءهم ويتعاهد عيالاتهم، قال: فجاء يوما أبا سعيد الخدري، فقال: «**هل عندك شيء من سدر أغسل به رأسي فإن اليوم الجمعة؟**» قال: نعم فأخرج له سدرا وخرج معه إلى البصة فغسل رسول الله ﷺ وصب غسالة رأسه ومراقة شعره في البصة[1].

قال الحافظ محب الدين: «وهذه البئر قريبة من البقيع على يسار الماضي إلى قباء، وهي بين نخل، وقد هدمها السيل وطمها، وفيها ماء أخضر ولونه إذا انفصل منها أبيض، وطعمه حلو إلا أن الأجون غالب عليه».

قال: وذكر لي الثقة أن أهل المدينة كانوا يستقون منها قبل أن يطمها السيل، وقد ذرعتها فكان طولها: أحد عشر ذراعا منها ذراعان ماء، وعرضها: تسعة أذرع.

قال الشيخ جمال الدين: «وهي اليوم في حديقة كبيرة محوط عليها بحائط وعندها في الحديقة بئر أصغر منها والناس يختلفون فيهما أيهما بئر البصة؟ إلا أن الشيخ محب الدين قطع بأنها الكبرى القبلية وقياس الصغرى كالكبرى، وعرضها: ستة أذرع، وهي التي تلي أطم مالك بن سنان أبو أبي سعيد الخدري رضي الله عنهما».

قال: وسمعت بعض من أدركت من أكابر خدام الحرم الشريف وغيرهم من أهل المدينة يقولون: إنها الكبرى القبلية، وأن الفقيه الصالح أبا العباس أحمد بن موسى بن عجيل رحمه الله وغيره من صلحاء اليمن إذا جاؤها للتبرك بها إنما يقصدون الكبرى القبلية، والحديقة التي هي فيها اليوم وقف على الفقراء والمساكين والواردين والصادرين لزيارة سيد المرسلين ﷺ أوقفها الشيخ عزيز الدولة ريحان البدري الشهابي شيخ خدام الحرم الشريف قبل وفاته بعامين أو ثلاثة، وكانت وفاته سنة سبع وتسعين وستمائة.

---

(١) أخرجه ابن النجار في الدرة الثمينة (٣٤٣/٢) عن ربيح بن عبد الرحمن.

السادسة بئر رومة:

قال الإمام محب الدين أبو الفتح العجلي: لما قدم المهاجرون المدينة الشريفة استنكروا الماء لملوحته، وكان لرجل من بني غفار عين يقال لها: بئر رومة، يبيع منها القربة بمد من الطعام، فقال له النبي ﷺ: «**بعنيها بعين في الجنة**»، فقال: ليس لي غيرها، فبلغ عثمان رضي الله عنه فاشتراها بخمسة وثلاثين ألف درهم، ثم أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، أتجعل لي مثل الذي جعلت؟ فقال: «**نعم**».

قال الشيخ رحمه الله: وهذه البئر في العقيق الأصغر، وفي العقيق الأكبر بئر عروة كما قدمنا.

وعن موسى بن طلحة، أن رسول الله ﷺ قال: «**نعم الحفيرة حفيرة المزني**» -يعني بئر رومة- فلما سمع بذلك عثمان رضي الله عنه ابتاع نصفها بمائة بكرة، وتصدق بها، فجعل الناس يستقون منها، فلما رأى صاحبها أن قد امتنع منه ما كان يصيب عليها باع من عثمان النصف الباقي بشيء يسير، فتصدق بها كلها.

وعن أبي عبد الرحمن السلمي أن عثمان رضي الله عنه حين حوصر أشرف على الناس وقال: أنشدكم الله ولا أنشد إلا أصحاب النبي ﷺ ألستم تعلمون أن رسول الله ﷺ قال: «**من يحفر بئر فله الجنة**» فحفرتها، ألستم تعلمون أنه قال: «**من جهز جيش العسرة فله الجنة**» فجهزته قال: فصدقوه بما قال[١].

وذكر أبو عمر بن عبد البر: أن بئر رومة كانت ركية ليهودي يبيع من مائها للمسلمين، فقال رسول الله ﷺ: «**من يشتري رومة فيجعلها للمسلمين [يضرب بدلوه في دلائهم وله بها مشرب في الجنة**»[٢] فأتى عثمان رضي الله عنه اليهودي فساومه بها، فأبى أن يبيعها كلها، فاشترى عثمان نصفها باثني عشر ألف درهم فجعله للمسلمين،][٣] فقال له عثمان: إن شئت جعلت لنصيبي قربتين، وإن شئت فلي يوم ولك يوم، فقال: بل لك يوم ولي يوم، فكان إذا كان يوم عثمان استقى المسلمون ما يكفيهم يومين، فلما رأى ذلك اليهودي قال: أفسدت علي ركيتي، فاشتر النصف الآخر، فاشتراه عثمان بثمانية آلاف درهم.

---

(١) أخرجه البخاري (٢٤٣/٤) معلقا، والترمذي (٥٨٦/٥) مطولا، عن عثمان عن ثمامة بن حزن.

(٢) ذكرها ابن عبد البر في الاستيعاب (١٠٣٩/٣)، وهي عند البخاري تعليقاً (١٠٣/٣)، والترمذي (٣٧٠٣).

(٣) زيادة من نسخة تركيا.

قال الحافظ محب الدين: «وهذه البئر بعيدة عن المدينة جدا وعندها بناء بالحجارة والجص خراب -والجص: الجبس، يقال: بفتح الجيم وكسرها لغتان بمعنى واحد- قيل: إنه كان دير اليهودية شمالي مسجد القبلتين بعيدا منه وحولها مزارع وآبار كثيرة وأرضها رملة، وقد انتقضت خرازها وأعلاها إلا أنها بئر مليحة مبنية بالحجارة الموجهة وذرعتها فكان طولها: ثمانية عشر ذراعا منها ذراعان ماء والباقي مطموم بالرمل الذي تسفيه الرياح فيها، وعرضها: ثمانية أذرع، وماؤها صاف وطعمه حلو إلا أن الأجون قد غلب عليه».

قال الشيخ جمال الدين: «هي وسط وادي العقيق من أسفله في براح واسع من الأرض وهي قبلي الجرف المعروف بالمدينة وقد خربت وأخذت حجارتها ولم يبق إلا آثارها».

قال ابن النجار: «واعلم أن هذه الآبار المذكورة قد يزيد ماؤها وقد ينقص وربما بقي منها ما كان مطمورا».

وقد ذكر المطري: «أن الآبار المذكورة ستة والسابعة لا تعرف اليوم إلا ما يسمع من قول العامة أنها بئر جمل ولم يعلم أين هي، ولا من ذكرها غير ما ورد في حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: أقبل رسول الله ﷺ من نحو بئر جمل، وروى ابن زبالة أيضا فيها: عن عبد الرحمن بن زيد بن زيد بن أسلم، عن أبيه، عن عطاء بن يسار، عن عبد الله بن رواحة وأسامة بن زيد قال: ذهب رسول الله ﷺ إلى بئر جمل، وذهبنا معه فدخل رسول الله ﷺ ودخل معه بلال، فقلنا: لا نتوضأ حتى نسأل بلالا كيف توضأ رسول الله ﷺ، فقال: توضأ رسول الله ﷺ ومسح على الخفين والخمار، ولم يذكر بئر جمل في السبع المشهورات، والله أعلم.

ثم قال رحمه الله: «إلا أني رأيت حاشية بخط الشيخ أمين الدين أبو اليمن ابن عساكر على نسخة من الدرة الثمينة في أخبار المدينة لابن النجار ما مثاله، العدد ينقص على المشهور بئرا واحدة لأن المثبت ست، والمأثور المشهور سبع، والسابعة اسمها: بئر العهن بالعالية يزرع عليها اليوم، وعندها سدرة لها اسم آخر مشهورة به».

قال الشيخ جمال الدين: «بئر العهن هذه معروفة بالعوالي انتقلت بالشراء إلى الشهيد المرحوم علي بن مطرف العمري، وهي بئر مليحة منقورة في الجبل وعندها سدرة -كما ذكر- ولا تكاد تنزف أبدا، العوالي ويقال: العالية أيضا سميت به لإشراف موضعها، وهي منازل حول المدينة، قال مالك: بين أبعد العوالي والمدينة ثلاثة أميال، وقد ذكر ابن زبالة في تاريخه عدة آبار بالمدينة وسماها في دور الأنصار، ونقل أن النبي ﷺ أتاها وتوضأ من بعضها وشرب منها لا يعرف اليوم منها شيء».

قال الشيخ جمال الدين: «ومن جملة ما ذكر آبار في آخر الحرة الغربية في آخر منازل النقا على يسار السالك إلى بئر علي؛ أعني: ذا الحليفة، وعلى جانبها الشمالي بناء مستطيل مجصص يقال له: السقيا كانت لسعد بن أبي وقاص -تقدم ذكرها- نقل أن النبي ﷺ عرض جيش بدر بالسقيا، وصلى في مسجدها، ودعا هناك لأهل المدينة، أن يبارك لهم في مدهم وصاعهم وأن يأتيهم بالرزق من ههنا وههنا، وشرب ﷺ من بئرها ويقال لأرضها الفلجان، وهي اليوم بئر معطلة خراب، وهي بئر كبيرة منقورة في الجبل، وقيل: إن السقيا عين من طرف الحرة بينها وبين المدينة يومان كذا في كتاب أبي داود.

ونقل الحافظ عبد الغني: أنه ﷺ عرض جيشه على بئر أبي عنبة بالحرة فوق هذه البئر إلى المغرب، ونقل: أنها على ميل من المدينة، ومنها: بئر أخرى إذا وقفت على المذكورة وأنت على جادة الطريق، وهي على يسارك كانت هذه على يمينك ولكنها بعيدة عن الطريق قليلا، وهي في سند من الحرة قد حوط حولها بناء مجصص، وكان على شفيرها حوض من حجارة تكسر، لم يزل أهل المدينة قديما يتبركون بها ويشربون من مائها وينقل إلى الآفاق منها كما ينقل ماء زمزم، ويسمونها: زمزم أيضا لبركتها، قال: ولم أعلم أحدا ذكر فيها أثرا يعتمد عليه، والله أعلم أيتهما هي السقيا؟ الأولى لقربها من الطريق أم هذه لتواتر البركة بها؟».

قلت: وقد يمكن أن يكون تسميتهم إياها بزمزم لكثرة مائها، يقال: ماء زمزم أي كثير، وسميت بئر مكة زمزم لصوت الماء فيها حين ظهر، والزمزم صوت الرعد، وقيل: لأن هاجر زمت الماء بالتحجير عليها، وماء زمزم لما شرب له.

فائدة:

روي أن من شرب من أربعة أعين حرم الله جسده على النار: عين البقر بعكا،وعين فلوس ببيسان، وعين سلوان ببيت المقدس، وعين زمزم بمكة، ويروى أن مياه الأرض ترفع قبل يوم القيامة غير زمزم.

قال الشيخ جمال الدين: «ولعلها البئر التي احتفرتها فاطمة ابنة الحسين بن علي زوجة الحسن بن الحسن بن علي رضي الله عنهم حين أخرجت من بيت جدتها فاطمة الكبرى أيام الوليد بن عبد الملك، حين أمر بإدخال حجر أزواج رسول الله ﷺ وبيت فاطمة رضي الله عنها في المسجد فإنها بنت دارها بالحرة، وأمرت بحفر بئر فيها، فطلع لهم جبل فذكروا ذلك لها، فتوضأت وصلت ركعتين ودعت ورشت موضع البئر بفضل وضوئها، وأمرتهم فحفروا، فلم يتوقف عليهم من الجبل شيء حتى ظهر الماء».

قال الشيخ جمال الدين: «فالظاهر أنها هذه -أي: بئر فاطمة- وأن السقيا هي

الأولى لأنها على جادة الطريق، وهو الأقرب والله أعلم».

الفصل الثالث
في ذكر عين النبي ﷺ

عن طلحة بن خراش قال: كانوا أيام الخندق يحفرون مع رسول الله ﷺ ويخافون عليه فيدخلون به كهف بني حرام فيبيت فيه حتى إذا أصبح هبط قال: ونقر رسول الله ﷺ العينية التي عند الكهف فلم تزل تجري حتى اليوم.

قال الحافظ محب الدين: «وهذه العين في ظاهر المدينة وعليها بناء وهي مقابلة المصلى».

قال الشيخ جمال الدين: «أما الكهف الذي ذكره ابن النجار فمعروف في غربي جبل سلع عن يمين السالك إلى مساجد الفتح من الطريق القبلية، وعلى يسار السالك إلى المدينة الشريفة إذا زار المساجد وسلك المدينة مستقبل القبلة تقابله حديقة نخل تعرف بالغنيمة في بطن وادي بطحان غربي جبل سلع، وفي هذا الوادي عين تأتي من عوالي المدينة تسقي ما حول المساجد من المزارع والنخيل، تعرف بعين الخيف، خيف شامي، وتعرف تلك الناحية بالسيح -بالسين المهملة بعدها ياء مثناة من أسفل وحاء مهملة- وأما العين -التي ذكر الشيخ محب الدين المقابلة للمصلى- فهي عين الأزرق، وهو مروان بن الحكم التي أجراها بأمر معاوية رضي الله عنه وهو واليه على المدينة، وأصلها من قباء من بئر كبيرة غربي مسجد قباء في حديقة نخل وهي تجري إلى المصلى، وعليها في المصلى قبة كبيرة، والقبة مقسومة نصفين، يخرج الماء منها من وجهين مدرجين: وجه قبلي، والآخر شمالي يغتسل فيهما وينتفع بهما، وتخرج العين من القبة من جهة المشرق ثم تأخذ إلى جهة الشمال.

وأخذ الأمير سيف الدين الحسين بن أبي الهيجاء في حدود الستين وخمسمائة منها شعبة من عند مخرجها من القبة فساقها إلى باب المدينة الشريفة -باب المصلى- ثم أوصلها إلى باب الرحبة التي عند مسجد النبي ﷺ من جهة باب السلام المعروف قديما باب مروان، وبنى لها منهلا بدرج من تحت الدور يستقي منه أهل المدينة، وذلك الموضع موضع سوق المدينة الآن ثم جعل لها مصرفا من تحت الأرض، يشق وسط المدينة على البلاط ثم يخرج إلى ظاهر المدينة من جهة الشمال شرقي حصن أمير المدينة، وجعل منها شعبة صغيرة تدخل إلى صحن المسجد الشريف أزيلت -كما سيأتي ذكره في الباب السادس إن شاء الله تعالى- واعلم أن العين إذا خرجت من القبة التي في المصلى سارت إلى جهة الشمال حتى تصل إلى سور المدينة فتدخل من تحته إلى منهل آخر بوجهين

مدرجين. ثم تخرج إلى خارج المدينة الشريفة، فتصل إلى منهل آخر بوجهين عند قبر النفس الزكية، ثم تخرج من هنالك وتجتمع هي وما يتحصل من مصلها في قناة واحدة إلى البركة التي ينزلها الحجاج».

ثم قال رحمه الله: «وأما عين النبي ﷺ التي ذكرها ابن النجار فليست تعرف اليوم، وإن كانت كما قال عند الكهف المذكورة فقد دثرت وعفا أثرها».

ومن أحسن ما أنشأ بعضهم:

ألا ليت شعري هل أبيتن ليلة ... بطيبة ما بين الأحبة والصحب

وهل تردن ساقي عليهم ركائبي ... وتسمع أذني عنده صحبة الركب

وأنشد من طيب اللقاء لك الهنا ... تهن فؤادي هذه الليلة القرب

رعى الله أياماً بأحد تصرمت ... وعيش تقضى لي بمنعرج الشعب

إذا العيش غض والأحبة جيرة ... ونحن بماء الأزرق الطيب العذب

هذه الأبيات لأبي عبد الله محمد بن سعيد المدني.

الفصل الرابع
في ذكر جبل أحد وفضله وفضل الشهداء عنده

عن أنس بن مالك رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ طلع أحدا فقال: «**هذا جبل يحبنا ونحبه**»(١).

قال أبو عمر بن عبد البر في معنى هذا الحديث: يحتمل أن خلق فيه الروح فأحب النبي ﷺ، وقيل: إن هذا على المجاز، وقيل: هل خلق في الطور وقت الاندكاك إدراك حيواني أو بقي على إدراكه المتطبع عليه، قيل: والصحيح ما من شيء خلق الله تعالى من الجماد، إلا أودع فيه إدراكا يفهم به عن خالقه وجموده فيما بينه وبين الخلق.

وعن عمرو بن أبي عمرو مولى المطلب بن عبد الله بن حنطب، أنه سمع أنس بن مالك يقول: قال رسول الله ﷺ لأبي طلحة: «**التمس لي غلاما من غلمانكم يخدمني**» فخرج لي أبو طلحة يردفني وراءه فكنت أخدم رسول الله ﷺ كلما نزل، وقال في الحديث: ثم أقبل حتى بدا له أحد قال: «**هذا جبل يحبنا ونحبه**» فلما أشرف على المدينة قال: «**اللهم إني أحرم ما بين جبليها مثل ما حرم إبراهيم مكة اللهم بارك لهم في مدهم**

---

(١) أخرجه البخاري (٤٠٨٣)، ومسلم (٤٦٢) ٢/٩٩٣ عن أنس ﷺ.

وصاعهم»[١].

أنس بن مالك خدم رسول الله ﷺ عشر سنين[٢].

قال أنس: دفنت من صلبي مائة غير اثنين، وقيل مائة واثنين.

وجميع من ولد له مائة ممن يعرف أربعة أنفس: أنس، وعبد الله بن عمر الليثي، وخليفة السعدي وجعفر بن سليمان الهاشمي.

توفي بالبصرة، وهو آخر من مات بها من الصحابة سنة اثنتين وتسعين، وقيل: إحدى وتسعين، وقيل: تسعين.

جملة ما روى: ألفا حديث ومائتا حديث وستة وثمانون حديثا، أخرج له منها في الصحيحين ثلاثمائة وثمانية عشر، المتفق عليه منها مائة وثمانية وستون، وانفرد البخاري بثمانين ومسلم بسبعين.

وجميع من في الصحابة اسمه أنس: عشرة، وقيل: ثلاثة عشر.

وجملة من يجيء اسمه في الحديث أنس بن مالك خمسة: هو أحدهم أمه الرميصاء، وقيل: الغميصاء بنت ملحان.

وروى البخاري، عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ **«أحد جبل يحبنا ونحبه»**[٣].

وقال سهل بن سعد: ارتج جبل أحد فقال له رسول الله ﷺ **«أثبت أحد فإنما عليك نبي وصديق وشهيد»**[٤].

قيل: إن قوله ﷺ هذا: إشارة عما أحدث قوم موسى عليه السلام لما اختار السبعين للميقات ووقع في نفوسهم ما وقع تزلزل الجبل به فكأنه ﷺ أشار أنه ليس عليك ممن يشك كقوم موسى، وكانوا: أبو بكر وعمر وعثمان.

وعن أنس قال: صعد النبي ﷺ وأبو بكر، وعمر، وعثمان أحدا فرجف بهم، فقال: **«أثبت أحد فإنما عليك نبي وصديق وشهيد»**[٥].

ومثله عن أبي هريرة رضي الله عنه في حراء وزاد معه: «وعلي وطلحة والزبير وقال:

---

(١) أخرجه البخاري (٤٠٨٣)، ومسلم (٤٦٢) ٢/٩٩٣ عن أنس رضي الله عنه.

(٢) ذكره البيهقي في دلائل النبوة (٦/١٩٥).

(٣) أخرجه البخاري (٣٦٧٥، ٣٦٨٦)، عن أنس رضي الله عنه.

(٤) ذكره ابن عبد البر في الاستيعاب (٣/١٠٣٩) وعزاه لسهل بن سعد رضي الله عنه.

(٥) أخرجه البخاري (٣٦٥٦)، والترمذي (٥/٥٨٣) عن أنس رضي الله عنه، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

فإنما عليك نبي أو صديق أو شهيد»[1].

وفي رواية سهيل عن أبي هريرة وزاد معهم: «وعبد الرحمن وسعيد فسكن الجبل»[2] الحديث.

وعن سهل بن سعد قال: قال رسول الله ﷺ: «**أحد ركن من أركان الجنة**»[3].

وعن جابر بن عتيك، عن أبيه جابر قال: قال رسول الله ﷺ: «**خرج موسى وهارون عليهما السلام حاجين أو معتمرين فلما كانا بالمدينة مرض هارون عليه السلام فثقل فخاف عليه موسى اليهود فدخل به أحدا فمات فدفنه فيه**»[4].

هارون هو: أخو موسى وهما ابنا عمران بن يصهر بن قاهث بن لاوي بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم، [وهو موسى الثاني، وموسى الأول: هو موسى بن منشأ بن يوسف بن يعقوب.][5]

وزعم أهل التوراة: أن موسى الأول هو صاحب الخضر وليس بنبي إنما بعثه الله تعالى إلى الملوك الذين كانوا في الأسباط، وذلك قبل مولد موسى بن عمران بمائتي سنة.

وكان هارون عليه السلام أكبر من موسى وأطول منه.

وقيل: مات موسى وهارون عليهما السلام في التيه، وقبر موسى معروف بالقدس في أول التيه يزار.

وكان في زمنه من الملوك أفريدون، وبعده منوشهر حج عليه السلام على ثور، حكاه صاحب سبل الخيرات.

وموسى اسم مقصور وهو بالعبرانية موشا فعرب، كما قيل مسيح وهو بالعبرانية مشيحا.

تنبأ بعد موسى: يوشع وهو ابن أخت موسى، ودفن يوشع في جبل أفراييم واستخلف عند موته كالب بن يوقنا عليه السلام، واستخلف كالب عند موته ابنه يوشاقوس.

وبعث الله بعد يوشاقوس حزقيل [عليه السلام ويلقب بابن العجوز لأن أمه ولدته بعد أن كبرت.

---

(١) أخرجه مسلم (٥٠) ٤/١٨٨٠، والترمذي (٩٦٣٦) عن أبي هريرة ﷺ.

(٢) أخرجه مسلم (٥٠) ٣/١٨٨٠، والترمذي (٩٦٣٦).

(٣) أخرجه الطبراني في الكبير (١٨٦/٦).

(٤) أخرجه ابن شبة في تاريخ المدينة ٨٥/١.

(٥) زيادة من نسخة تركيا.

وبعث الله تعالى حزقيل][1] إلياس عليه السلام، ثم استخلف إلياس عند رفعه على بني إسرائيل ذا الكفل بشر بن أيوب الصابر، بعثه الله تعالى بعد أيوب رسولا إلى أرض الروم، وقيل: لم يكن نبيا في قوله أبي موسى الأشعري ولكن كان عبدا صالحا، وقيل: هو إلياس وقيل: هو زكريا. حكاه الثعلبي.

ما جاء في ذكر ابتداء خلق جبل أحد:

اعلم أن أول جبل [وضع بالأرض جبل][2] أبي قبيس، وهو أحد الأخشبين، والثاني الذي يقال له: الجبل الأحمر، وكان يسمى الأعرف، وهو الجبل المشرف وجهه على قعيقعان.

قال ابن إسحاق: حدثنا أن قريشا وجدت في الركن كتابا بالسريانية فيه أنا الله ذو بكة خلقتها يوم خلقت السموات والأرض وصورت الشمس والقمر وحففتها بسبعة أملاك حفا، لا تزول حتى يزول أخشابها مبارك لأهلها في الماء واللبن.

وسمي أبو قبيس: لأن أول من بني فيه رجل من مذحج يقال له: أبو قبيس، وقيل: لأنه اقتبس منه الركن فسمي بذلك، والأول أصح.

وبحرم مكة اثنا عشر ألف جبل، ذكره الأزرقي في كتاب الجبال.

وقال المفسرون: وعلى أبي قبيس نادى إبراهيم بالحج فأجاب من جرى القدور بحجه: لبيك اللهم لبيك، وكان ذلك أخا ليوم ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ﴾ [الأعراف: ١٧٢] وقيل: نادى على ثبير.

وفي «فهم المناسك» للنقاش قال: وفي كل جمعة من صعد إلى أبي قبيس رأى الحرم مثل الطير يزهو، وأن من صعد إلى ثور أو حراء أو ثبير كان أثبت لنظره ومشاهدته وخاصة ليالي رجب وشعبان ورمضان وليالي الأعياد،وتحت القواعد أرض مخمرة محمرة من النور كشف عنها مرة فسطع النور في الحرم،وجبال مكة مائلة برؤوسها إلى الكعبة كالسجود يرى هذا من ثبير ودونها جبال من ذهب وفضة وكنوز وجواهر وربما انكشف عن بعضها. انتهى.

وجبال مكة تسمى: جبال فاران كذا وجد في الفصل العشرين من السفر الخامس،عن موسى – عليه السلام – أن الرب جاء من طور سيناء وأشرق من ساعير واستعلن من جبال فاران،ومعه وعن يمينه ربوات القديسين، فمنحهم العدو وجههم إلى

---

(١) زيادة من نسخة تركيا.

(٢) زيادة من نسخة تركيا.

الشعوب ودعا لجميع قديسيه بالبركة، فمجيء الله من طور سيناء هو إنزاله التوراة على موسى، وإشرافه من ساعير إنزاله الإنجيل على عيسى لأنه كان يسكن في ساعير أرض الخليل في قرية ناصرة، واستعلانه من جبال فاران إنزاله القرآن على محمد ﷺ.

وفاران هي جبال مكة في قول الجميع، فإن ناكروا ذلك كان دفعا لما في التوراة.

قال علماء التاريخ:جميع ما عرف في الأرض من الجبال مائة وثمانية وتسعون جبلا، من أعجبها سرنديب/ وهو أقرب ذرى الأرض إلى السماء،وقيل:صخرة بيت المقدس أقرب ذرى الأرض إلى السماء بثمانية عشر ميلا. حكاه القرطبي.

وطول جبل سرنديب مائتان ونيف وستون ميلا، وفيه أثر قدم آدم، وعليه شبيه البرق لا يذهب شتاء ولا صيفا،وحوله الياقوت وفي واديه الماس، وفيه العود والفلفل،ودواب المسك وهو الزباد، ووادي سرنديب متصل إلى قرب سيلان وجبل الروم الذي فيه السد،وطوله سبعمائة فرسخ،وينتهي إلى البحر المظلم.

عن أنس – رضي الله عنه – أن النبي ﷺ قال: «**لما تجلى الله عز وجل لجبل طور سيناء تشظى منه شظايا فنزلت بمكة ثلاثة: حراء، وقديد، وثور وبالمدينة: أُحد، وعير، وورقان** »[(١)].

وعنه أيضا قال:«**طارت لعظمة الله ستة أُجبل فوقعت ثلاثة بالمدينة: أُحد،وورقان،ورضوى، ووقعت ثلاثة بمكة:ثور، وثبير، وحراء** » وقيل:«**نزلت بمكة أربعة: حراء، وثبير، وثور، وقديد** »[(٢)].

طور سيناء:بأرض مدين يقال له: زبير، وقيل: الطور جبل محيط بالأرض، وقيل: هو الجبل بالسريانية، وقال مقاتل: هما طوران طور زيتا وطور تينا، وقيل: ثلاثة، وثالثهم طور سيناء وهو المذكور في قوله تعالى ﴿ **وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيۡتُونِ ۝ وَطُورِ سِينِينَ** ﴾ وقرأها عمر: (وطور سيناء) ممدودة، وسينين معناه: مبارك بالسريانية.

وقال عكرمة: هو بلغة الحبشة، وسيناء هو بلغة النبط، والتين والزيتون هما: طور تينا وطور زيتا بالسريانية، وهما بالشام، وقيل: دمشق وفلسطين، وقيل: جبال ما بين همدان إلى حلوان، وطور زيتا هو الجبل الذي أوى إليه ابن نوح على يمين المسجد الأقصى تحته وادي جهنم، وفيه مولد مريم ومرفع عيسى حين رفع إلى السماء.

رأيته سنة سبع وخمسين وسبعمائة بالقدس من أرض فلسطين.

---

(١) أخرجه الخطيب في تاريخ بغداد (١٠/٤٤١) عن أنس ﷺ.

(٢) أخرجه الأزرقي في تاريخ مكة (٢/٢٨٠) عن أنس ﷺ.

قال الشيخ جمال الدين: «فأُحد معروف، وهو شمالي المدينة وأقرب الجبال إليها، وهو على فرسخين منها، وقيل: على نحو أربعة أميال وعير مقابلة من قبلة المدينة والمدينة بينهما وورقان قبل شعب على ما بين الشعب والروحاء إلى القبلة».

وأما التي بمكة فلم نعرف أن بحرمها جبل يقال له: قديد، إنما قُديد بينها وبينه مقدار أربعة أيام أو خمسة، وأما ثبير فهو مقابل لحراء والوادي بينهما، وهما على يسار السالك إلى منى.

حكى القاضي عياض: أن قريشا حين طلبوا رسول الله ﷺ كان على ثبير، فقال له ثبير: أهبط يا رسول الله، فإني أخاف أن يقتلوك على ظهري فيعذبني الله، فقال له حراء: إلي يا رسول الله.

وحراء قبل ثبير من على شمال يسار الشمس، وأما ثور فمن جهة الجنوب من على يمين الشمس.

قالوا: والجبال المتصلة إلى الأرض السابعة سبعة: حراء، وثبير، وثور، وأبي قُبيس، وجبل عرفات، وأُحد، وجبل طور سيناء.

عجيبة:

خرجت في بعض الأيام إلى زيارة حراء، وكان يوم السبت الثاني لجمادى الأول أحد شهور سنة ثلاث وخمسين وسبعمائة، وكان يوم غيم، فلما كان بعد الظهر سمعت لبعض الأحجار فيه أصواتا عجيبة، فرفعت حجرين منها في كل كف حجر، فكنت أجد رعدة للحجر في يدي، وهو يصيح، [ثم إني رفعت يدي فصاحت أصابعي أيضا كل واحدة، وكان مجال الصياح قامة من الأرض، فما كان على سمتها صاح، وما كان أرفع من ذلك أو أخفض لم يتكلم،][(١)] فعلمت أن ذلك تسبيحا، فدعوت الله تعالى بما تيسر، فلما طلعت الشمس سكت فقست الشمس، فوجدت ظل كل شيء مثله، ومثل ربعه، فقدرته بعد ذلك بالإصطرلاب، فكانت تلك هي الساعة العاشرة، وكان صوت الحجر يسمع من مدى مائة خطوة، فذكرت ما رأيته لوالدي – رحمه الله تعالى – فقال: وأنا جرى لي بحراء شبه ذلك، وذلك أنا كنا جماعة بائتين به، وكانت ليلة غيم، فقمت أنا أثناء الليل، وإذا بإبريق للفقراء وسنا النار خارجا منه، وقد أضاء المكان من ذلك قال [: فأيقظت الجماعة وكنت أفتح كفي فيبقى على رأس كل أصبع شعلة نار مثل الشمع قال][(٢)]:

---

(١) زيادة من نسخة تركيا.

(٢) زيادة من نسخة تركيا.

فوضعت عمامتي على عكاز، ورفعته فأشعل كالمشعل، فذكرنا ذلك لبعض الصالحين، فقال: مرت بكم سحابة السكون.

قلت: الصفتان واحدة إلا أني رأيت ذلك نهارا فكان صوتا، وهم رأوه ليلا فكان نورا، ثم إني صعدت الجبل أيضا يوم السبت الثامن عشر من شوال في سنة أربع وخمسين وسبعمائة، وكان معي جماعة منهم أخي، فاتفق لي مثل ذلك ورآه الجماعة.

وهذا الجبل معروف بركته وأول ما نزل الوحي به.

وحدثني والدي رحمه الله عن بعض من أدركه من كبراء وقته أنه كان يصعد معه إلى حراء في كل عام مرة، فيلتقط ذلك الشخص من بعض أحجاره، قال: فسألته عن ذلك فقال أخرج منها نفقتي في العام ذهبا وإبريزا وفيه ينشد لسان الحال فيما حازه من الجلال:

تأمل حراء في جمال محياه ... فكم من أناس في حلا حسنه تاه

فمهما حوى من جاء لعلياه زائراً ... يفرج عنه الهم في حال مرقاه

به خلوة الهادي الشفيع محمد ... وفيه له غار به كان يرقاه

وقبلته للقدس كانت بغاره ... وفيه أتاه الوحي في حال مبداه

وفيه تجلى الروح بالموقف الذي ... به الله في وقت البداءة سواه

وتحت تخوم الأرض في السبع أصله ... ومن بعد هذا اهتز بالسفل أعلاه

ولما تجلى الله قدس ذكره ... لطور تشظى فهو إحدى شظاياه

ومنها ثبير ثم ثور بمكة كذا ... قد أتى في نقل تاريخ مبداه

وفي طيبة أيضاً ثلاث نعدها ... فعيرًا وورقاناً وأحداً رويناه

ويقيل فيه ساعة الظهر من دعى به ... وينادى من دعانا أجبناه

وفي إحد الأقوال في عقبة حراء ... أتى ثم قابيل لهابيل عشاه

[ومما حوى سرًّا حوته صخوره ... من التبر أكسيراً يقام سمعناه][1]

سمعت به تسبيحها غير مرة ... وأسمعته جمعاً فقالوا: سمعناه

به مركز النور الإلهي مثبتاً ... فلله ما أحلا مقاماً بأعلاه

---

(١) زيادة من نسخة تركيا.

قيل: كان ﷺ يصلي فيه إلى القدس، وقيل: إنما كان يصلي ذلك الوقت إلى الكعبة، ثم انتقل إلى البيت المقدس، ثم بعد ذلك تحول إلى الكعبة.

قالوا: وفيه رأى النبي ﷺ جبريل في الخلقة الأولى أعني في خلقته وله ستمائة جناح قد سد الأفق، [ذكره المرجاني في المصابيح][1].

الفصل الخامس
في ذكر شهداء أحد وفضلهم وفضل الشهداء مطلقا

قال الحافظ محب الدين: جاءت قريش من مكة لحرب النبي ﷺ ولاقوه يوم السبت للنصف من شوال سنة ثلاث من الهجرة عند جبل أحد.

وقيل: كان نزول قريش يوم أحد بالمدينة يوم الجمعة، وقال ابن إسحاق يوم الأربعاء فنزلوا برومة من وادي العقيق، وصلى رسول الله ﷺ الجمعة بالمدينة، ثم لبس لأمته، وخرج هو وأصحابه على الحرة الشرقية حرة واقم وبات بالشيخين موضع بين المدينة وأحد مع الحرة إلى جبل أحد وغدا صبح يوم السبت إلى أحد ففيه كان وقعة أحد.

وقيل: خرج ﷺ يوم السبت لسبع ليال خلون من شوال على رأس اثنين وثلاثين شهرا من الهجرة، وكان دليل رسول الله ﷺ ليلة أحد أبو حثمة.

عن قتادة: لما قدم أبو سفيان بالمشركين رأى النبي ﷺ رؤيا في النوم فتأولها قتل في أصحابه، ورأى سيفه ذو الفقار، انقصم فكان قتل حمزة ورأى كبشا أغبر قتل فكان صاحب لواء المشركين عثمان بن أبي طلحة فقال النبي ﷺ لأصحابه بعد الرؤيا: «إنا في جنة حصينة -يعني: المدينة- فدعوهم يدخلون فنقاتلهم» فقال ناس من الأنصار: يا رسول الله إنا نكره أن نقتل في طرق المدينة فابرز بنا إلى القوم فلبس النبي ﷺ لأمته وندم القوم فيما أشاروا به واعتذروا إليه فقال: «إنه ليس لنبي إذا لبس لأمته أن يضعها حتى يقاتل ستكون فيكم مصيبة» قالوا: يا رسول الله خاصة أو عامة.

قال مكي: فقتادة يذهب إلى أن الذنب الذي عدده الله تعالى في قوله ﴿ أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةٌ قَدۡ أَصَبۡتُم مِّثۡلَيۡهَا قُلۡتُمۡ أَنَّىٰ هَٰذَاۖ قُلۡ هُوَ مِنۡ عِندِ أَنفُسِكُمۡ ﴾ هو ما أشاروا به.

وروى ابن بشير: أن النبي ﷺ قال للمؤمنين في أسارى بدر وهم سبعون: «اختاروا أن تأخذوا منهم الفداء وتتقوا على عدوكم، فإن أخذتموه قتل منكم سبعون أو تقتلوهم» فقالوا: بل نأخذ الفدية ويقتل منا سبعون، فأخذوا الفدية وقتل منهم يوم أحد سبعون.

فيكون معنى الآية: قل يا محمد ما أصابكم يوم أحد من القتل من عند أنفسكم أي

(١) زيادة من نسخة تركيا.

باختياركم أخذ الفدية.

وقيل: إن الله تعالى كره ما فعلوه من أخذهم الأسارى فخيرهم بين أن يقتلوهم أو يأخذوا منهم الفدية على أن يقتل منهم بعددهم وفي ذلك نزل قوله تعالى: ﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ ﴾ [الأنفال: ٦٧] أي ليس له إلا القتل حتى يتمكن في الأرض، ثم وبخ الله عز وجل المؤمنين في أخذهم الفدية بقوله ﴿ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا ﴾ [الأنفال: ٦٧].

وكان رسول الله ﷺ يوم أحد في ألف، والمشركون في ثلاثة آلاف وكان جبريل وميكائيل عليهما السلام يقاتلان كأشد القتال.

عن جعفر بن محمد أن النبي ﷺ دعا يوم أحد فقال: «**يا صريخ المكروبين ومجيب المضطرين وكاشف الكرب العظيم اكشف كربي وهمي وغمي فإنك ترى حالي وحال أصحابي**»[1] قال: فصرف الله عدوه.

وغزا رسول الله ﷺ أحدا على فرسه السكب، كان اشتراه من أعرابي من بني فزارة بالمدينة، وكان اسمه عند الأعرابي الضرس، وهو أول فرس ملكه رسول الله ﷺ وأول غزاة غزا به أحدا، وكان أغر محجل طلق اليمين له سبحة وسابق عليه فسبق ففرح به رسول الله ﷺ يقال: فرس سكب أي كثير الجري.

وكان لرسول الله ﷺ من الأفراس عشرة.

الأول السكب: المذكور.

الثاني: المرتكز: اشتراه من أعرابي من بني مرة وجحده الأعرابي وقال: من يشهد لك؟ فشهد له خزيمة بن ثابت فقال: كيف تشهد على ما لم تحضر؟ فقال: نصدقك في خبر السماء ولا نصدقك فيما في الأرض، فسماه رسول الله ﷺ «**ذو الشهادتين**»[2] قتل بصفين مع علي رضي الله عنه سنة سبع وثلاثين.

الثالث لزاز: أهداه له المقوقس.

الرابع اللحيف: بالحاء المهملة أهداه له ربيعة بن أبي البراء، فأثابه عليه فرائض من نعم بني كلاب.

الخامس الظرب: أهداه له فروة بن عمرو الجذامي.

السادس الورد: أهداه له تميم الداري فأعطاه عمر رضي الله عنه فحمل عليه في

---

(١) ذكره القرطبي في الجامع (١٤/١٥٧).

(٢) ذكره البيهقي في دلائل النبوة (٧/٢٧٨).

سبيل الله.

وتميم هذا هو المختطف بقي عند الجن سبع سنين وسبعة أشهر وسبعة أيام، وذلك أنه نزل إلى مغتسله فقالت امرأته يا عامر الدار خذه فوضع في الأرض الخامسة، وأخذه ملك الجان وكان يعلمهم القرآن ثم إنه سأل الرجوع إلى المدينة، فقيل له: بينك وبينها ثلاثة وثمانين سنة، وسلموه لعفريت على أنه يوصله في ثلاث ساعات من الليل فحمله وعلا به إلى أن رأى النجوم كالجبال فأحرق العفريت بكوكب فهوى تميم إلى الأرض سبعة أيام، فوقع بشاطئ البحر، ورأى الدابة التي للدجال، ووجد راهبا يسمى قدريش من أمة عيسى عليه السلام له أربعمائة سنة، ثم رأى جنا آمنوا بنوح عليه السلام ثم بالنبي ﷺ ثم تصور له عفريت في صورة طير فتعلق بساقه، فقطع به سبعة أبحر إلى أن انتهى إلى البحر الأخضر ثم تصور عفريتا وأعطى تميما سبعة بنادق وقال له: إذا مت ارمني بواحدة،وسار إلى مغارة فيها سليمان عليه السلام وفي إصبعه خاتمه وفيه أربعة فصوص وله ستة أركان، فأتى ليأخذه فنفخت عليه حية فمات، فرماه ببندقة فقام، ثم عاد ولم يعش، وقيل لتميم: إن صاحب بلوقيا احتال بالسحر كهذا ولم يقدر، ثم وجد الخضر غمرت به سحابة فاستودعه الخضر بها فحملته إلى المدينة انتهى.

السابع: الصرم.

الثامن ملاوح: وكان لأبي بردة بن نيار.

التاسع سبحة: كان قد جاء سابقا فسبح عليه فسمي سبحة.

العاشر البحر: اشتراه من تجار قدموا من اليمن فسبق عليه ثلاث مرات فمسح رسول الله ﷺ وجهه وقال: «**ما أنت إلا بحر**».

وعن يحيى بن سعيد: أن رسول الله ﷺ رئي يمسح وجه فرسه بردائه فسئل عن ذلك فقال: «**إني عوتبت الليلة في الخيل**»[١].

وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ سابق بين الخيل التي قد ضمرت من الحفياء وكان أمدها ثنية الوداع، وسابق بين الخيل التي لم تضمر بين الثنية إلى مسجد بني زريق وأن عبد الله بن عمر كان ممن سابق بها».

وبين الحفياء وثنية الوداع ستة أميال، وبين ثنية الوداع ومسجد بني زريق ميل أو نحوه قاله ابن وضاح.

وقال رجل: يا رسول الله إني أريد أن أشتري فرسا أعده في سبيل الله فقال:

---

(١) أخرجه مالك في الموطأ (٢/٤٦٨).

«اشتره أدهما أو كميتا أو أقرح أرثم محجلا مطلق اليمين فإنها ميامين الخيل»[١].

وسأل معاوية: صعصعة بن صوحان أي الخيل أفضل؟ فقال: الطويل الثلاث: الأذن والعنق والحزام، والقصير الثلاث: الطيب والعسيب والقضيب، والعريض الثلاث: الجبهة والمنخر والورك،والصافي الثلاث: الأيم والعين والحافز.

والصافنات: الخيل القائمة على ثلاث وقد أقامت الرابعة من يد أو رجل على طرف السنبك والسنبك طرف الحافر وهو قول مجاهد واختاره الزجاج واحتج بقول الشاعر:

ألف الصفون فما يزال كأنه ... مما يقوم على الثلاث كسيرا

وقرأ ابن عباس: صوافن بالنون وفسره معقولة إحدى يديها قائمة على ثلاث.

وقال الفراء: الصافنات القائمة على ثلاث وعلى غير ثلاث.

وكان له ﷺ بغلة شهباء يقال لها: **الدلدل:**

يركبها في المدينة وفي الأسفار، أهداها له المقوقس ملك مصر وهي أول بغلة ركبت في الإسلام، وعاشت بعد النبي ﷺ حتى كبرت وزالت أضراسها وبقيت إلى زمن معاوية فماتت بينبع.

وكانت له بغلة أخرى يقال لها: **أيلية:**

أهداها له ملك الإيلة.

وكان له حمار يقال له: يعفور:

وقيل: عفير مات في حجة الوداع واسم هدهد سليمان: يعفور.

وعن إبراهيم بن حماد بإسناده أن النبي ﷺ أصاب حمارا بخيبر وقال له: اسمي يزيد بن شهاب فسماه يعفور وكان ﷺ يوجهه إلى دور الأنصار فيستدعيهم ويضرب الباب برأسه وأن النبي ﷺ لما مات تردى الحمار في بئر جزعا وحزنا فمات.

وعن محمد بن مسلمة رضي الله عنه قال: رأيت على النبي ﷺ يوم أحد درعين درعه ذات الفضول، ودرعه فضة، ورأيت عليه يوم خيبر درعين، درعه ذات الفضول، والسعدية.

فالسعدية وفضة: أصابهما ﷺ من سلاح بني قينقاع.

قال ابن القطاع: والسعد بلد يعمل بها الدروع وقيل: قبيلة حكاه الجواليقي وقيل: جبل، ذكره ابن سيل.

وقيل: كانت عنده عليه السلام درع داود التي لبسها يوم قتال جالوت.

---

(١) أخرجه الترمذي (١٦٩٦) مختصرًا، وأبو داود (٢٥٧٧).

وكان له ﷺ **مغفر**: يقال له السبوغ **ومنطقه**: من أديم منظور فيها ثلاث حلق من فضة والأبزيم من فضة والطرف من فضة.

وكانت له **راية**: سوداء مخملة.

وكان **لواؤه**: ﷺ أبيض وربما جعله من خمر نسائه.

وكان له ﷺ أربعة **أرماح**.

وكان له **عنزة**: وهي الحربة دون الرمح وكان يمشي بها في يده وتحمل بين يديه في العيدين، حتى تركز أمامه سترة يصلي إليها.

وكان له **محجن**: قدر رمح الذراع أو نحوه يتناول به الشيء وهو الذي التزم به الركن في حجة الوداع.

وكان له **مخصرة**: تسمى العرجون.

وقضيب: يسمى الممشوق.

وكان له ﷺ أربعة قسي: قوس من شوحط تدعى الروحاء، وأخرى من شوحط تدعى البيضاء، وأخرى من نبع تدعى الصفراء، وقوس تدعى الكتوم كسرت يوم أحد وكانت له ﷺ جعبة تدعى: **الكافور**.

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «**من اتخذ قوسا في بيته نفى الله عنه الفقر أربعين سنة**»(١) رواه الخطيب في تاريخه.

وحكى أبو عبد الرحمن السلمي، عن أحمد بن فضلويه الزاهد، وكان من الغزاة الرماة، أنه قال: ما مسست القوس بيدي إلا على طهارة منذ بلغني أن رسول الله ﷺ أخذ القوس بيده.

وقال ﷺ لقوم من الأنصار رآهم يرمون: «**ارموا بني إسماعيل فقد كان أبوكم راميا**»(٢) يعني بالقوس.

وكان له ﷺ **ترس**: عليه تمثال عقاب أهدي له فوضع يده عليه فأذهبه الله تعالى، وقيل: كان عليه تمثال رأس كبش.

وكان له ﷺ تسعة أسياف: **ذو الفقار** تنفله يوم بدر، وثلاثة أسياف أصابها من سلاح بني قينقاع، سيف يدعى: **قلعي**، وسيف يدعى: **البتار**، وسيف يدعى: **احتف**، وسيف يدعى: **المخذم**، وآخر يدعى: **الرسوب**، وآخر ورثه من أبيه، وآخر يقال له:

---

(١) أخرجه الخطيب في تاريخ بغداد (٣٦٦/١) عن أنس بن مالك ﷺ.

(٢) أخرجه البخاري (٣٥٠٧) عن سلمة بن الأكوع ﷺ.

اعضب أعطاه له سعد بن عبادة، وآخر يدعى: **القضيب** وهو أول سيف تقلد به رسول الله ﷺ.

والعضب والقضيب: من أسماء السيف، ومن أسمائه **الصمصامة والمنح**، و**الحسام والصارم**، و**النجاد:** حمالة السيف.

قال أنس بن مالك رضي الله عنه وكان نعل سيف رسول الله ﷺ فضة وقبيعته فضة وما بين ذلك حلق الفضة انتهى.

ثم إن النبي ﷺ قاتل المشركين يوم أحد والمسلمون، وخلص العدو إلى رسول الله ﷺ فرمي بالحجارة حتى وقع لشقه، فانكسرت رباعيته وشج في وجهه وكلمت شفته، وكان ذلك كرامة له ﷺ ولأصحابه، الذين استشهدوا بين يديه، وكانوا سبعين رجلا، أربعة من المهاجرين وهم.

حمزة بن عبد المطلب، وعبد الله بن جحش، ومصعب بن عمير، وشماس بن عثمان والباقي كلهم أنصار.

فأما حمزة: فهو أحد أعمام النبي ﷺ وأخوه من الرضاعة.

وأعمامه ﷺ أحد عشر أولاد عبد المطلب:

الأول حمزة بن عبد المطلب: يكنى أبا عمارة وأبا يعلى وحمزة من أسماء النبات فإن بقلة تسمى حمزة كثمامة وسمرة وهي أم غيلان وطلحة وهي العظيمة من العضاة، وسيابة وهي واحدة البلح وعرادة،ومرارة وشقرة وهي شقائق النعمان،وعلقمة وهي الحنظل وقتادة وسلمة والسلم من العضاة، وأرطاة حكاه ابن قتيبة.

الثاني من أولاد عبد المطلب الحارث: وبه كان يكنى لأنه كان أكبر ولده.

الثالث قثم: مات صغيرا وهو أخو الحارث لأمه.

الرابع الزبير: [كان من أشراف قريش، وابنه عبد الله بن الزبير شهد حنينا وثبت يومئذ واستشهد بأجنادين.](1)

الخامس أبو الفضل العباس: كانت له السقاية وزمزم دفعهما له النبي ﷺ يوم الفتح توفي سنة اثنتين وثلاثين، جملة ما روى خمسة وثلاثين حديثا، أخرج له منها في الصحيحين خمسة أحاديث المتفق عليه منها واحد وانفرد البخاري بحديث ومسلم بثلاث.

---

(١) زيادة تقتضيها الضرورة.

السادس أبو طالب: قيل [اسمه كنيته وقيل][1] اسمه عبد مناف وهو أخو عبد الله أبو النبي ﷺ لأمه.

السابع أبو لهب: واسمه عبد العزى مات بالعدسة وكانت قريش تتقي العدسة كما يتقي الناس الطاعون.

الثامن عبد الكعبة.

التاسع حجل: واسمه المغيرة.

العاشر ضرار: أخو العباس لأمه.

الحادي عشر الغيداق: سمي بذلك لأنه كان أكرم قريش، هذا ما ذكره محب الطبري.

ونقل ابن الجوزي عوض عبد الكعبة: المقوم قال: وهو قول ابن السائب، وذكره غيره أنهم عشرة ولم يذكر قثما وقال: اسم الغيداق حجل، ومن قال إنهم ثلاثة عشر: زاد المقوم وعبد الله وقيل: هم تسعة وأسقطوا قثم والغيداق ولم يسلم منهم إلا حمزة والعباس.

فأما أبو طالب وعبد الله، والزبير، وعبد الكعبة فإنهم لأب وأم أمهم فاطمة بنت عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم، ولأب أيضا: أم أروى وأميمة وبرة وعاتكة، وأم حكيم من عمات النبي ﷺ المتقدم ذكرهن.

وأما حمزة والمقوم، وحجل، وصفية: أمهم هالة بنت وهيب بنت عم آمنة أم النبي ﷺ.

وأما العباس وضرار، وقثم أمهم: نتيلة من بني النمر بن قاسط.

وأم الحارث: صفية وقيل: سمراء بنت جنيدب من بني عامر بن صعصعة.

وأم أبي لهب: لبنى بنت هاجر من خزاعة.

رجعنا إلى القصة:

وقتل حمزة يوم أحد وحشي بن حرب الحبشي مولى جبير بن مطعم وذلك في النصف من شوال يوم السبت على رأس اثنين وثلاثين شهرا من الهجرة وكان يقاتل بين يدي النبي ﷺ بسيفين فعثر فوقع فانكشف الدرع عن بطنه فطعن.

قال رسول الله ﷺ حين رآه وقد مثل به: جاءني جبريل فأخبرني أن حمزة مكتوب في أهل السموات السبع: حمزة بن عبد المطلب أسد الله،وأسد رسول الله.

---

(١) سقط من الأصل، والإضافة من نسخة تركيا.

وكان الكفار قد مثلوا بقتلى المسلمين كلهم إلا حنظلة بن الراهب لأن أبا عامر بن الراهب كان يومئذ مع أبي سفيان فتركوه لذلك.

عن أنس بن مالك قال: كان النبي ﷺ إذا صلى على جنازة كبر عليها أربعا وأنه كبر على حمزة سبعين تكبيرة، وقيل: كبر عليه سبعا.

ودفنه هو وابن أخته عبد الله بن جحش في قبر واحد.

جميع ما روى حمزة حديثان ولم يخرج له في الصحاح شيء.

الثاني: عبد الله بن جحش بن رئاب الأسدي:

من المهاجرين الأولين، أخته زينب بنت جحش زوج النبي ﷺ وهو الذي انقطع سيفه يوم أحد فأعطاه النبي ﷺ عرجون نخلة فصارت في يده سيفا، يقال: إنه كان قائمه منه، ولم يزل ينتقل حتى بيع من بغا التركي بمائتي دينار، قتله أبو المحلم بن الأخنس بن شريق، ودفن مع حمزة كما ذكرنا.

الثالث: مصعب بن عمير العبدري:

وهو أول من هاجر إلى المدينة وأول من جمع في الإسلام يوم الجمعة.

وكان لواء رسول الله ﷺ الأعظم لواء المهاجرين يوم بدر معه ويوم أحد.

وضرب ابن قميئة يد مصعب فقطعها ومصعب يقول: ﴿ **وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ** خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ﴾ [آل عمران: ١٤٤] وأخذ اللواء بيده اليسرى فضربها ابن قميئة فقطعها فجثا على اللواء فضمه بين عضديه إلى صدره ثم حمل عليه الثالث بالرمح فأنفذه ووقع مصعب وسقط اللواء.

وذكر ابن سعد: أن مصعب حين قتل أخذ الراية ملك على صورته، فكان النبي ﷺ يقول: «**تقدم يا مصعب**» فقال الملك: لست بمصعب، فعلم أنه ملك[١].

الرابع: شماس بن عثمان بن الشريد القرشي:

شماس لقبه واسمه عثمان حمل من بين القتلى إلى المدينة وبه رمق ثم مات عند أم سلمة فأمر رسول الله ﷺ أن يرد إلى أحد فيدفن كما هو في ثيابه التي مات فيها بعد أن مكث يوما وليلة، إلا أنه لم يأكل ولم يشرب ولم يصل عليه رسول الله ﷺ ولم يغسله.

وذكر أبو عبيدة أن شماسا هذا قتل يوم بدر وهو غلط.

الخامس: عمارة بن زياد بن السكن:

لما أثخن وسده رسول الله ﷺ قدمه فمات.

---

(١) أخرجه ابن سعد في الطبقات (٣/١٢١).

السادس: عمرو بن ثابت بن وقش:

كان يأبى الإسلام، فلم يسلم إلا يوم أحد، فأسلم وقاتل حتى قتل[١]، فذكروه لرسول الله ﷺ فقال: «**إنه لمن أهل الجنة**»[٢].

السابع والثامن:

ثابت بن وقش أبو عمرو المذكور والحسيل وهو اليمان أبو حذيفة كان شيخين ارتفعا في الآطام مع النساء والصبيان لما خرج رسول الله ﷺ إلى أحد فقال أحدهما للآخر: ما ننتظر؟ وخرجا فقاتلا حتى قتلا[٣].

التاسع: حنظلة بن أبي عامر الأوسي:

قتله أبو سفيان، فقال رسول الله ﷺ حين قتل: «**إن صاحبكم لتغسله الملائكة**»[٤] فسئلت صاحبته عنه فقالت: خرج وهو جنب حين سمع النداء فكان يعرف بغسيل الملائكة.

وعلقت منه امرأته بعبد الله قتل ولده يوم الحرة سنة ثلاث وستين قتله مسلم بن عقبة.

قال أنس: افتخرت الأوس على الخزرج فقالوا: منا غسيل الملائكة حنظلة ومنا من حمته الدبر عاصم بن ثابت، ومنا من أجيزت شهادته بشهادة رجلين خزيمة بن ثابت، ومنا من اهتز لموته عرش الرحمن سعد بن معاذ، فقال الخزرجيون: منا أربعة قرؤوا القرآن على عهد رسول الله ﷺ لم يقرأه غيرهم: زيد بن ثابت، وأبو زيد الأنصاري ومعاذ وأبي.

وقيل: جميع من حفظ القرآن ستة: فزادوا معهم: عثمان وأبو الدرداء واختلف في أبي أيوب الأنصاري، وعبادة بن الصامت، وتميم.

العاشر: أنس بن النضر بن ضمضم:

عم أنس بن مالك وجد فيه بضع وثمانون طعنة، وهو الذي قال فيه رسول الله ﷺ «**إن من عباد الله من لو أقسم على الله لأبره**»[٥] حكاه صاحب سلوة الأحزان.

والربيع بنت النضر هي أخته، وهي عمة أنس، ويقال لها: الربيع بنت البراء، والصواب: أنها بنت النضر تكنى أم حارثة.

---

(١) ذكره ابن عبد البر في الاستيعاب (١١٦٧/٣).

(٢) أخرجه أحمد (٤٢٩/٥) عن أبي هريرة ﷺ.

(٣) ذكره ابن عبد البر في الاستيعاب (٢٠٤/١، ٣٥١).

(٤) ذكره ابن عبد البر في الاستيعاب (٣٨٠/١).

(٥) أخرجه البخاري (٢٧٠٣)، ومسلم (٢٤) ١٣٠٢/٣ عن أنس ﷺ.

وجميع من في الصحابيات الربيع أربعة:

هذه إحداهن، والثانية الربيع بنت حارثة، الثالثة: الربيع بنت الطفيل، الرابعة: الربيع بنت معوذ، وليس فيهن من روت عن رسول الله ﷺ إلا الربيع بنت معوذ [روت إحدى عشر حديثا أخرج لها منها في الصحيحين ثلاثة، أحدها متفق عليه، والباقيات للبخاري، وقد غلط بعض الشارحين فأسندوا الرواية إلى الربيع بنت معوذ بن الحارث، وإنما الرواية][(١)] للربيع بنت معوذ ابن عفراء.

الحادي عشر: سعد بن الربيع بن عمرو بن أبي زهير:

أحد النقباء، دفن هو وخارجة بن زيد في قبر واحد.

يروى أن النبي ﷺ قال: «**من رجل ينظر لي ما فعل سعد بن الربيع في الأحياء هو أم في الأموات**» فنظر رجل من الأنصار قيل هو أبي بن كعب فوجده جريحا في القتلى فيه رمق قال: فقلت له: إن رسول الله ﷺ أمرني أن أنظر في الأحياء أنت أم في الأموات؟ فقال: أنا في الأموات، فأبلغ رسول الله ﷺ مني السلام وقل له: إن سعد بن الربيع يقول لك: جزاك الله عنا خير ما جزى نبيا عن أمته وأبلغ قومك عني السلام وقل لهم: إن سعد بن الربيع يقول لكم: إنه لا عذر لكم عند الله إن خلص إلى نبيكم وفيكم عين تطرف، قال: ثم لم أبرح حتى مات فجئت رسول الله ﷺ فأخبرته[(٢)]. وخلف سعد بن الربيع ابنتين فأعطاهما رسول الله ﷺ الثلثين، وكان ذلك أول بيانه للآية في قوله عز وجل: ﴿ فَإِن كُنَّ نِسَآءً فَوْقَ ٱثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ ﴾ [النساء: ١١] وفي ذلك نزلت الآية وبذلك علم مراد الله منها وعلم أنه أراد بقوله ﴿ فَوْقَ ٱثْنَتَيْنِ ﴾ [النساء: ١١] أي اثنتين فما فوقهما، وذلك أيضا عند العلماء قياس على الأختين، إذ لأحدهما النصف وللاثنتين الثلثان، فكذلك في الابنتين حكاه ابن عبد البر.

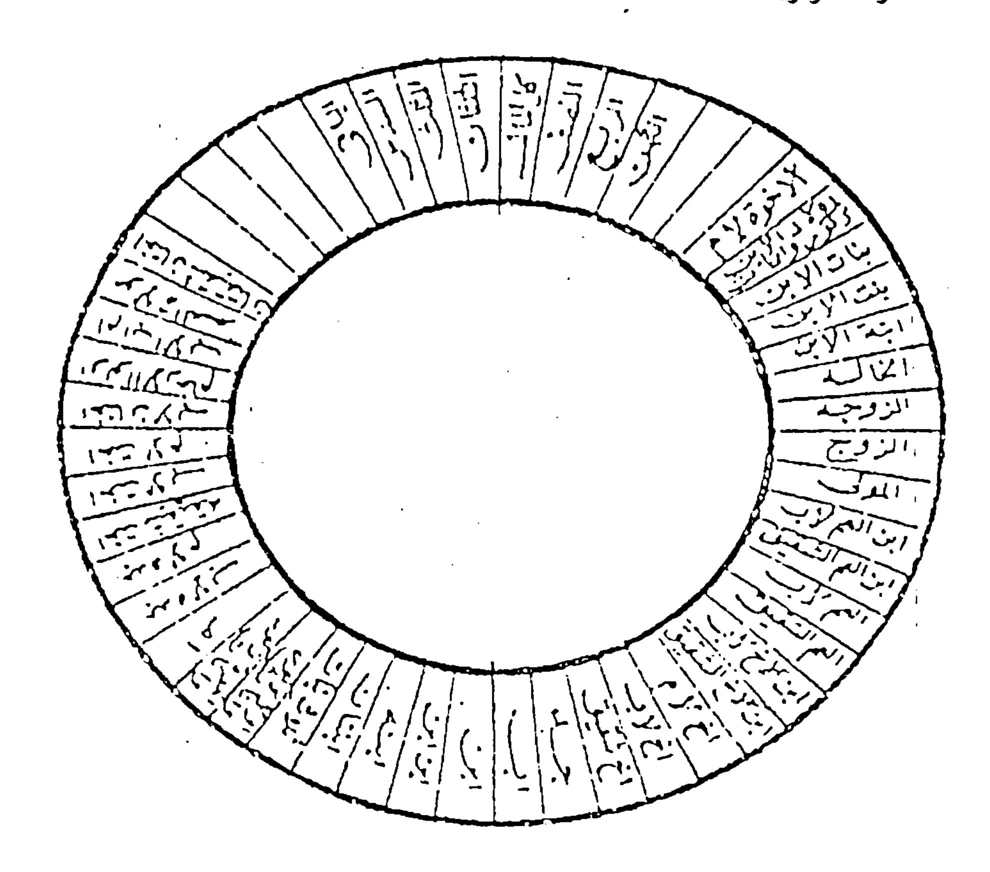
وقد وضع سيدنا الشيخ الإمام
العالم أبو الطيب رحمه الله حكم
الآية في شكل مدور قسم فيه ما
فرض الله تعالى من حد القسمة
للورثة وهو هذا:

---

(١) سقط من الأصل، وإضافة من نسخة تركيا.

(٢) أخرجه مالك في الموطأ (١/٤٦٥، ٤٦٦)، والحاكم في المستدرك (٣/٢٠١).

دائرة المواريث:



الثاني عشر: عبد الله بن عمرو بن حرام:

وهو أول من قتل يوم أحد، وهو الذي قال فيه النبي ﷺ لابنه جابر: «**لا تبكه ما زالت الملائكة تظله بأجنحتها حتى رفعتموه**»[1].

الثالث عشر: عمرو بن الجموح:

أحد نقباء الأنصار وكان أعرجا وكان له بنون أربعة فأرادوا حبسه فامتنع وقال النبي ﷺ لبنيه «**ما عليكم ألا تمنعوه لعل الله عز وجل يرزقه الشهادة**»[2] فخرج معه فقتل فيؤخذ من هذا: إن أصحاب الأعذار إذا خرجوا نالوا درجة الشهادة.

---

(١) أخرجه البخاري (٨٠٤٠)، ومسلم (١٣٠) ١٩١٧/٤ عن جابر ﷺ.

(٢) ذكره ابن عبد البر في الاستيعاب (١١٦٨/٣).

الرابع عشر: الحارث [بن أوس][1] بن معاذ بن النعمان.

الخامس عشر: سعد بن سويد بن قيس.

من بني مخلدة.

السادس عشر: الحارث بن أنس بن رافع.

السابع عشر: عمرو بن معاذ بن النعمان.

الثامن عشر: سلمة بن ثابت بن وقش.

التاسع عشر: رفاعة بن وقش.

العشرون: صيفي بن قيظي.

الحادي والعشرون: حباب بن قيظي.

الثاني والعشرون: عباد بن سهل.

الثالث والعشرون: إياس بن أوس بن عتيك.

الرابع والعشرون: عبيد بن التيهان.

ويقال عتيك

الخامس والعشرون: حبيب بن زيد بن تيم البياضي.

السادس والعشرون: يزيد بن حاطب بن عمرو الأشهلي.

وقيل إنه من بني ظفر، واسم ظفر كعب بن الخزرج.

السابع والعشرون: أبو سفيان بن الحارث بن قيس البياضي.

الثامن والعشرون: أنيس بن قتادة.

التاسع والعشرون: أبو حية.

بالياء المثناة من تحت ويقال بالباء الموحدة، أخو سعد بن خيثمة لأمه قيل اسمه: عامر، وقيل: مالك، وقيل: إنما هو أبو حنة بالنون، لأنه شهد بدرا وليس فيمن شهد بدرا أحد يقال له أبو حبة بالباء الموحدة حكاه الواقدي وحكى يونس بن بكير عن ابن إسحاق: أنه بالباء الموحدة وكذلك قال ابن نمير، وأمه هند بنت أوس حكاه ابن عبد البر.

الثلاثون: عبد الله بن جبير بن النعمان.

الحادي والثلاثون: خيثمة أبو سعد بن خيثمة.

الثاني والثلاثون: عبد الله بن سلمة.

---

(١) زيادة من نسخة تركيا.

الثالث والثلاثون: سبيع بن حلوان بن الحارث.

وقيل: سبيع بن حاطب بن الحارث.

الرابع والثلاثون: عمرو بن قيس بن زيد.

الخامس والثلاثون: ابنه قيس.

السادس والثلاثون: ثابت بن عمرو بن زيد.

السابع والثلاثون: عامر بن مخلد.

الثامن والثلاثون: أبو هبيرة بن الحارث.

ويقال أبو سبرة وقيل إن أبا سبرة أخوه، وقيل: إن أبا سبرة غلط من الواقدي.

التاسع والثلاثون: عمرو بن مطرف بن علقمة.

الأربعون: أوس بن ثابت: بن المنذر: أخو حسان بن ثابت.

الحادي والأربعون: قيس بن مخلد.

الثاني والأربعون: كيسان.

عبد لبني مازن بن النجار.

الثالث والأربعون: سليم بن الحارث.

الرابع والأربعون: نعمان بن عبد عمرو.

الخامس والأربعون: خارجة بن زيد.

السادس والأربعون: أوس بن الأرقم بن زيد.

السابع والأربعون: مالك بن سنان.

أبو أبي سعيد الخدري.

الثامن والأربعون: عتبة بن ربيع بن رافع.

التاسع والأربعون: ثعلبة بن سعد بن مالك.

الخمسون: ثقف بن فروة البدي.

الحادي والخمسون: عبد الله بن عمرو بن وهب.

الثاني والخمسون: ضمرة.

حليف لبني طريف بن جهينة.

الثالث والخمسون: نوفل بن عبد الله.

الرابع والخمسون: عباس بن عبادة.

الخامس والخمسون: نعمان بن مالك بن ثعلبة.

السادس والخمسون: المجذر بن زياد.

السابع والخمسون: عبادة بن الحساس.

الثامن والخمسون: رفاعة بن عمرو.

وقيل: رفاعة بن رافع بن زيد بن عمرو.

التاسع والخمسون: خلاد بن عمرو بن الجموح.

الستون: أبو أيمن.

مولى خلاد بن عمرو المذكور.

الحادي والستون: سليم.

ويقال سليمان والأول أصح، وقيل: سالم بن عمرو، وقيل: ابن عمرو بن حديدة.

الثاني والستون: مولاه عنزة.

ويقال: عنيزة أو عنترة.

الثالث والستون: سهل بن قيس بن أبي كعب.

الرابع والستون: ذكوان بن عبد قيس بن خالد بن مخلد الزرقي.

الخامس والستون: عبيد بن المعلى بن لوذان.

السادس والستون: مالك بن نميلة.

السابع والستون: الحارث بن عدي بن خرشة.

الثامن والستون: مالك بن إياس.

التاسع والستون: إياس بن عدي.

السبعون: عمرو بن إياس.

عن جابر بن عبد الله أن رسول الله ﷺ كان يجمع بين الرجلين من قتلى أحد في ثوب واحد، ثم يقول: أيهما أكثر أخذا للقرآن، فإذا أشير له إلى واحد قدمه في اللحد، وقال: أنا شهيد على هؤلاء يوم القيامة وأمر بدفنهم ولم يصل عليهم ولم يغسلوا[١].

وعنه أيضا قال: قال رسول الله ﷺ يوم أحد: «**احفروا وأعمقوا وأوسعوا وأحسنوا وادفنوا الاثنين والثلاثة في قبر واحد وقدموا أكثرهم قرآنا**»[٢].

وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**أريت في رؤيا أني**

---

(١) أخرجه البخاري (١٣٤٤، ١٣٤٥)، والترمذي (٣/٣٣٦، ٣٥٤) عن جابر ﷺ.

(٢) أخـــرجه أبو داود (٣٢١٥)، والترمذي (١٧١٣) عن هشام بن عامر ﷺ، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

هززت سيفي فانقطع صدره، فإذا هو ما أصيب من المؤمنين يوم أحد، ثم هززته أخرى فعاد أحسن ما كان فإذا هو ما جاء الله به من الفتح واجتماع المؤمنين»[1].

قال ابن إسحاق: وأنزل الله تعالى في يوم أحد ستين آية من آل عمران من قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [آل عمران: ١٢١] إلى قوله: عز وجل: ﴿ مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [آل عمران: ١٧٩] الآية.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال: **«لما أصيب إخوانكم بأحد جعل الله أرواحهم في أجواف طير خضر ترد أنهار الجنة، وتأكل من ثمارها وتأوي إلى قناديل من ذهب معلقة في ظل العرش فلما وجدوا طيب مشربهم ومأكلهم وحسن مقيلهم قالوا: يا ليت إخواننا يعلمون ما صنع الله بنا، ثم لا يزهدوا في الجهاد، ولا ينكلوا عن الحرب»** فقال الله تبارك وتعالى: فأنا أبلغهم عنك، فأنزل الله تعالى على رسوله: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًا ﴾ [آل عمران: ١٦٩] الآية[2].

قيل: نزلت هذه الآية في شهداء أحد، وقيل: في شهداء بدر، وقيل: في شهداء بئر معونة.

سمعت والدي رحمه الله تعالى يقول: سمعت عن بعض أهل النويرة شخصا كان من الصالحين أنه كان في سفر، وخرج عليهم العدو فقتلوهم وقتلوا ذلك الشيخ، ودفع بعض العدو رأس الشيخ برجله وقال: هؤلاء يزعمون أنهم أحياء عند ربهم، فقال هذا الرأس: نعم أحياء، نعم أحياء، فأسلم كل من حضر تلك المعركة.

وعن عقبة بن عامر قال: صلى رسول الله ﷺ على قتلى أحد بعد ثمان سنين كالمودع للأحياء والأموات، ثم طلع المنبر، فقال: **«إني بين أيديكم فرط وأنا عليكم شهيد وإن موعدكم الحوض، وإني لأنظر إليه من مقامي هذا، وإني لست أخشى عليكم أن تشركوا ولكن أخشى عليكم الدنيا أن تتنافسوها»** فقال: فكانت آخر نظرة نظرتها إلى رسول الله ﷺ[3].

وعن طلحة بن عبيد الله قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ نريد قبور الشهداء حتى إذا أشرفنا على حرة واقم، فلما تدلينا منها إذا قبور بمجنبة، فقلنا: يا رسول الله أقبور إخواننا

---

(١) أخرجه البخاري (٤٠٨١) مطولا، ومسلم (٢٢٧٢) مطولا، عن أبي موسى رضي الله عنه.
(٢) أخرجه أبو داود (٣/١٥)، والترمذي (٣٠١٠)، وأحمد (١/٢٦٦) عن ابن عباس رضي الله عنهما.
(٣) أخرجه البخاري (٤٠٤٢)، ومسلم (٢٢٦٩) عن عقبة بن عامر رضي الله عنه.

هذه؟ قال: «**قبور أصحابنا**» فلما جئنا قبور الشهداء قال: «**هذه قبور إخواننا**»[(١)].

وعن أبي النضر مولى عمر بن عبد الله أنه بلغه أن رسول الله ﷺ قال لشهداء أحد: «**هؤلاء أشهد عليهم**» فقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه: ألسنا يا رسول الله بإخوانهم أسلمنا كما أسلموا وجاهدنا كما جاهدوا؟ فقال رسول الله ﷺ: «**بلى ولكن لا أدري ما تحدثون بعدي**» قال: فبكي أبو بكر ثم بكى، ثم قال: إننا لكائنون بعدك[(٢)].

وروي عن النبي ﷺ أنه قال في قتلى أحد: «**هؤلاء شهداء فأتوهم وسلموا عليهم ولن يسلم عليهم أحد ما قامت السموات والأرض إلا ردوا عليه**»[(٣)].

وروى جعفر بن محمد الصادق، عن أبيه عن جده «أن فاطمة بنت رسول الله ﷺ كانت تختلف بين اليومين والثلاثة إلى قبور الشهداء بأحد، فتصلي هناك وتدعو وتبكي حتى ماتت[(٤)].

وروى العطاف بن خالد قال: حدثتني خالة لي -وكانت من العوابد- قالت: ركبت يوما مع غلامي، حتى جئت قبر حمزة فصليت ما شاء الله ولا والله ما في الوادي من داع ولا مجيب، وغلامي آخذ برأس دابتي، فلما فرغت من صلاتي قلت: السلام عليكم وأشرت بيدي فسمعت رد السلام علي من تحت الأرض، أعرفه كما أعرف أن الله سبحانه خلقني، فاقشعرت كل شعرة مني فدعوت الغلام وركبت.

إشارة إلى أن أجساد الشهداء لا تبلى:

رزقنا الله شهادة في سبيله كما يحب ويرضى آمين.

يروى أن عمرو بن الجموح وعبد الله بن عمرو الأنصاريين ثم السلميين كان السيل قد حفر قبرهما [وكان قبرهما مما يلي السيل][(٥)]، وكانا في قبر واحد وهما ممن استشهد يوم أحد، فحفر عنهما ليغيرا من مكانهما، فوجدا لم يتغيرا كأنهما ماتا بالأمس، وكان أحدهما قد جرح فوضع يده على جرحه، فدفن وهو كذلك، فأميطت يده عن جرحه، ثم أرسلت فرجعت كما كانت، وكان بين أحد وبين أن حفر عنهما ست [(٦)] وأربعون سنة،

---

(١) أخرجه أبو داود (٢/٢١٨)، وأحمد (١/١٦١) عن طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه.

(٢) أخرجه مالك في الموطأ (٢/ ٤٦٢) عن النضر مولى عمر بن عبد الله .

(٣) أخرجه البيهقي في دلائل النبوة (٣/ ٢٨٤)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٢٤٨) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) أخرجه البيهقي في دلائل النبوة (٣/ ٣٠٩) عن جعفر بن محمد الصادق عن أبيه.

(٥) زيادة من موطأ مالك.

(٦) كذا في الأصل والصواب ما أثبتناه.

رواه مالك في موطأه.

وعن جابر بن عبد الله قال: لما أراد معاوية بن أبي سفيان أن يجري الكظامة قال: من كان له قتيل فليأت قتيله -يعني: قتلى أحد- قال: فأخرجناهم رطابا يتثنون، قال: فأصابت المسحاة أصبع رجل منهم فانفطرت دما، قال أبو سعيد الخدري: ولا ينكر بعد هذا منكر أبدا وذلك على رأس أربعين سنة.

وعن أيوب: فأصاب المر رجل حمزة، فطار منها الدم؛ يعني: أيوب السختياني، توفي أيوب سنة إحدى وثلاثين ومائة.

ورأت عائشة بنت طلحة بن عبيد الله أباها في المنام فقال لها: يا بنية حوليني من هذا المكان فقد أضر بي الندى، وفي رواية فأخرجيني من هذا الماء فأخرجته بعد عشرين سنة، وقيل: بعد ثلاثين سنة، أو نحوها، وقد اخضر جسده كالسلق من الماء الذي كان يسيل عليه فلفته في الملاحف واشترت له عرصة فدفنته بها وبنت حوله مسجدا.

قال سفيان راوي الحديث: فلقد رأيت المرأة من أهل البصرة تقبل بالقارورة من البان فتصبها على قبره حتى صار تراب قبره مسكا أذفر، وكان دفنها إياه في الهجرتين بالبصرة، وتولى إخراجه عبد الرحمن بن سلامة التميمي.

وقد شوهد أيضا بقاء أجساد الأمم المتقدمة ولا إنكار في ذلك لقوله تعالى: ﴿ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ﴾ [التوبة: ١١١] فالآية عامة في سائر مؤمني الأمم.

عن عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم أن رجلا من أهل نجران في زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه حفر خربة من خرب نجران لعض حاجته، فوجد عبد الله بن الثامر تحت دفن منها قاعدا واضعا يده على ضربة في رأسه، فإذا أزيحت يده عنها ثعب الدم، وإذا أرسلت ردها عليها [فأمسكت دمها](١)، وفي يده خاتم مكتوب فيه: ربي الله فأخبر عمر بذلك، فكتب إليهم عمر: أن أقرؤه مني السلام وذروه على حاله وردوا عليه الدفن الذي كان عليه، ففعلوا.

وقد روى الترمذي قصته في قصة أصحاب الأخدود: وكانت قصة أصحاب الأخدود في الفترة قبل موت رسول الله ﷺ بسبعين سنة، وذلك أنه كان بنجران ملك من ملوك حمير يقال له: يوسف ذو نواس بن شرحبيل كان له ساحر وكان قد بعث إليه عبد الله بن الثامر ليعلمه السحر، وكان في طريقه راهب، فكان عبد الله يختلف إلى

---

(١) زيادة من سيرة ابن هشام.

الراهب والساحر، وكان عبد الله يبرئ الأكمه والأبرص، ثم إنه أعلن بالتوحيد، فعذبه الملك بعد أن قتل الراهب وأمر بعبد الله أن يرمى من أعلى جبل، فلم يقدر على ذلك، فأمر به أن يغرق فلم يستطع، فضربه بالسيف فنبا عنه، فقال عبد الله: إنك لن تقدر على قتلي إلا أن تصلبني وترميني بسهم وتقول: بسم الله رب الغلام، فرماه فأصاب صدغه فوضع يده عليه ومات وآمن به كثير من الناس، فخد الملك أخدودًا وأشعله نارا وأحرق به سبعين ألفا(١).

والأخاديد ثلاثة: أخدود أنطنيانوس بن بيسر الرومي بالشام، [وأخدود بخت نصر بفارس،](٢) وأخدود بنجران من أرض اليمن لذي نواس المذكور.

وسلط الله على ذي نواس أرياط الحبشي حتى غلب على اليمن، فخرج هاربا واقتحم البحر بفرسه فغرق.

وكذلك وجد دانيال في فتح تستر، وكان نبيا.

عن أبي العالية قال: لما فتحنا تستر وجدنا دانيال في بيت الهرمزان، وقد أتى عليه ثلاثمائة سنة ما تغير منه شيء إلا شعيرات في قفاه، وكان العجم إذا قحطوا أخرجوه فلا يزالون يمطرون ما دام خارجا، فكتب به أبو موسى الأشعري إلى عمر بن الخطاب، فأمر بغسله والصلاة عليه ودفنه في الأرض فقد دفن رسول الله ﷺ في الأرض(٣).

وقيل: إن أبا موسى الأشعري لما فتح السوس قتل ملكها نوسابور، ووجد في بعض الخزائن حوضا من حجر فيه ميت مكفن ورأسه مكشوف، وإذا أنفه يزيد على الشبر، فسأل أهل السوس عنه، فقالوا: هذا رجل كان بالعراق، وكانوا يستسقون به، فقحطنا فأرهناهم خمسين رجلا وأخذناه فسقينا به، فرأينا من الرأي أن لا نرده فلم نزل حتى توفي عندنا، فكتب فيه إلى عمر، فقال عمر: هو دانيال الحكيم وهو نبي غير مرسل ثم أمره أن يدفنه في مكان لا يقدر أهل السوس عليه، فقلب أبو موسى نهر السوس، ثم دفنه وأجرى عليه الماء.

فالشهداء لا تبلى أجسادهم، وكذلك الأنبياء عليهم السلام، وقد ورد أن الله تعالى حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء وكيف والشهادة ثالثة درج النبوة، وقد وجدت أجساد الملوك والحكماء المدبرون طراوة أجسادهم بالحيلة كما سنذكر.

---

(١) أخرجه الترمذي (٥/ ٤٧٠- ٤٠٩)، بسنده عن صعيب مرفوعًا، وقال: هذا حديث حسن غريب.

(٢) زيادة من نسخة تركيا

(٣) أخرجه البيهقي في دلائل النبوة (١/ ٣٨١، ٣٨٢).

فائدة:

قيل: كان بين موسى وعيسى من الأنبياء الذين أوتوا الكتاب باتفاق أهل الكتابين: ستة عشر نبيا ظهروا في بني إسرائيل منهم: دانيال وشعيا بن أموص، ونوال بن نوتال، وعويدنا، وميخا، وحبقوق، وحزقيال، وهو حزقيل، وداود، وإلياس، وصفينا، وزكريا بن يوحنا، وأرميا بن برخنا.

وقال الماوردي في النكت بين موسى وعيسى عليهما السلام مائة ألف نبي.

وعن وهب بن منبه: أن الأنبياء مائة ألف وأربعة وعشرون ألفا، الرسل منهم ثلاثمائة وخمسة عشر. حكاه الشهرستاني.

[وقيل: ثلاثمائة وأربعة، وقيل: وثلاثة عشر وفيهم كالخلاف في أصحاب بدر،][1] وقيل:ثلاثة عشر، حكاه القرطبي والقاضي عياض وغيرهما، منهم خمسة عبرانيون: آدم وشيث وإدريس ونوح،وإبراهيم، وخمسة من العرب: هود، وصالح، وإسماعيل، وشعيب، ومحمد صلوات الله عليهم وسلامه.

فأولو العزم من الرسل: نوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى عليهم السلام، ونبينا محمد ﷺ.

تنبيه على عظيم قدر نبينا ﷺ:

قال المفسرون في قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾ [آل عمران: ٨١] الآية إن الله أخذ الميثاق بالوحي فلم يبعث نبيا إلا ذكر له محمدا ﷺ ونعته وأخذ عليه ميثاقه أنه إن أدركه ليؤمنن به ولينصرنه وليأخذ العهد بذلك على قومه.

قال محمد بن السائب: كل نبي ذكر في القرآن فهو من ولد إبراهيم غير إدريس، ونوح، ولوط، وهود، وصالح عليهم السلام.

والنبوة:

في اللغة –من همزه– مأخوذة من النبأ وهو الخبر، وقد لا يهمز على هذا التأويل، أو يكون منبأ بما أطلعه الله عليه.

وهو عند من لا يهمز من النبوة، وهو ما ارتفع من الأرض، معناه أن رتبته شريفة.

والرسول:

هو المرسل واشتقاقه من التتابع ومنه قولهم: جاء الناس أرسالا:

واختلف هل النبي والرسول بمعنى واحد أو بمعنيين؟ فقيل: هما سواء واستدلوا بقوله

---

(١) زيادة من نسخة تركيا.

تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ ﴾ [الحج: ٥٢] فقد أثبت لهما معنى الإرسال.

والجمهور على أنهما مختلفان من وجه إذ قد اجتمعا في النبوة التي هي الاطلاع على الغيب والرفعة، وافترقا في زيادة الرسالة للرسول، وهو الأمر بالإنذار والإعلام، وحجتهم من الآية نفسها التفريق بين الاسمين، ولو كانت شيئا واحدا لما حسنه تكرارهما في الكلام البليغ.

وقيل: الرسول من جاء بشرع مبتدأ ومن لم يأت به نبي غير رسول وإن أمر بالإبلاغ والإنذار، والصحيح أن كل رسول نبي وليس كل نبي رسول.

وقال قطرب: الرسول من بعث إلى أمه، والنبي المحدث الذي لا يبعث إلى أمه.

وقال الواحدي: الرسول من أرسل إلى الخلق بإرسال جبريل إليه عيانا، والنبي هو الذي تكون نبوته إلهاما ومناما، وهذا معنى قول الفراء: الرسول النبي المرسل، والنبي المحدث الذي لم يرسل.

قال الشيخ محيي الدين: وفي كلام الواحدي نقص في تعريف النبي، فإن ظاهره أن النبوة المجردة لا تكون برسالة ملك وليس كذلك واستشهاده بكلام الفراء يرد عليه.

وقيل: الرسول من كان صاحب معجزة وكتاب ونسخ شرع من قبله، ومن لم يكن كذلك فهو نبي، وقيل: الرسول من ابتدأ بوضع الشرائع، والنبي: الذي يحفظ شريعة غيره، وقيل: الرسول من بعثه الله إلى قوم أنزل معه كتابا أو لم ينزل وأمر بحكم لم يكن في دين قبله، والنبي: من دعا إلى دين من قبله.

قال ابن الجوزي: رحمه الله قرأنا على شيخنا أبي منصور أن أسماء الأنبياء أعجمية كلها: إبراهيم، وإسماعيل، وإسحاق، وإسرائيل وأيوب، وإلياس إلا أربعة: آدم، وشعيب، وصالح، ومحمد صلوات الله عليهم أجمعين.

وآذر أعجمي، واستبرق، وإبليس، والإنجيل، والتنور، وجالوت، وجهنم، والديباج، وداود، والربانيون، وزكريا، والزنجبيل، والسندس، والسجل، والسلسبيل، وسليمان، والسجيل، وسقر، والسرادق، وصلوات -وهي كنائس اليهود- وهي بالعبرانية: صلوتا، والطور، وطالوت، وعيسى، وعزير، والفسطاط، والبارود، والمنتن بلسان الترك، والفردوس وهو البستان بلغة الروم، والقسطاس وهو الميزان ويقال القسطاط روميا، وقرأ برفع القاف وفتحها وكسرها أحسن هو القبان. حكاه ابن قتيبة.

والقنطار أعجمي و﴿ إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴾ [التكوير: ١] قال ابن جبير: غورت، وهو بالفارسية كور بور، وإليسع، ولوط، وموسى، ومريم، وماروت، ومأجوج، ومدين،

وميكائيل، والمرجان، ونوح، وهاروت، وهارون، والهود اليهود أعجمي، ويعقوب، ويونس وفيه ستة لغات: الفتح والكسر والرفع والهمز في جميعها ويوسف، ويوشع، واليم، ويأجوج ويهود.

قيل في قوله تعالى: ﴿ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا ﴾ [الزمر: ٢٨] قال أبو عبيدة: ليس فيه غير العربية.

وقال ابن عباس ومجاهد: فيه من غير لسان العرب.

ووجه الجمع بين المذهبين: أن فيه حروفا بغير لسان العرب، فعربتها فصارت عربية بتعريبها إياها عربية في الحال أعجمية في الأصل.

وقوله: ﴿ غَيْرَ ذِى عِوَجٍ ﴾ [الزمر: ٢٨] أي غير مخلوق، قال الزجاج: كسر العين فيما لا يرى له شخصا وفتحها فيما له شخص.

قال محمد بن عيسى في كتاب «التاج في سنن المنهاج»: جميع ما تكلمت به العرب من الكلام مستعملة ومهملة ستة آلاف ألف وستمائة ألف وتسعة وتسعون ألفا وأربعمائة كلمة.

يروى عنه ﷺ أنه قال: «**أحبوا العرب لثلاث لأني عربي، والقرآن عربي، وكلام أهل الجنة عربي**»[1] واللغة العربية هي المختارة بين جميع اللغات.

ذكر في كتاب «صفينا» من أنبياء بني إسرائيل، فقال: أيها الناس ترجو اليوم الذي أقوم فيه للشهادة، فقد جاز أن أظهر حكمي بحشر الأمم وجمع الملوك لأصب عليهم سخطي وتكبري هناك أجدد للأمم اللغة المختارة ليرفعوا اسم الرب جميعا وليعبدوه في ربقة واحدة معا، وليأتوا بالذبائح من مغاراتها ركوس.

ومعلوم أن اللغة العربية هي المختارة، لأنها طبقت الأرض وانتقلت أكثر اللغات إليها حتى صار ما عداها نادرا، انتهى القول.

واعلم أن حكماء الأمم وملوكها يوجدون -وإلى هذا الزمن- أطريا لم يتغير منهم شيء، وذلك أنهم دبروا أدهانا ادهنوا بها عند موتهم، فمنعهم من البلى، قال هرمس: وقد أمرت من يفعل لي ذلك إذا أنا مت،وأشار إلى أن يطلى بالشمس والقمر مرموزا وهو الزئبق والملح بالرمز الثاني.

ويروى أنه متى سد جميع مسام الشخص بالذهب لا يبلى ما بقي الذهب، وقد وجد شخص مكفن في ورقة من ذهب فقلعت فإذا فيها سبعون درهما.

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك (٨٧/٤)، عن ابن عباس رضي الله عنهما.

وسألت بعض من هو مولع بحفر المقابر القديمة بماذا تعرفون أمكنتها؟ فقال: إن الندى بالصباح لا يبل تلك الأمكنة بخلاف غيرها.؟

وقد ذكر الحكماء أن حجر «اليولم» لا يبلى من دفن فيه، ومنه كان ناروس «فيلاووس الحكيم» الذي استخرجه الإسكندر.

وقد وجد في دير الإسكندرية بعد الأربعين والسبعمائة بعض الحكماء طوله أربعة عشر شبرا وحوله خمسة من تلامذته، وعلى كل مسمة من مسامه ورقة من ذهب، ووجد لتاريخه ألفي سنة، فأخذوا ما عنده واستخرجوا ما في دماغه من المومياء.

ووجد حكيم باليمن في هذا القرب على سرير نائم على ظهره وله لحية طويلة وقد فرقها نصفين نسيم يهب عليه من سقف تلك المغارة.

وحكى الشعبي أن ناسا من حمير حفروا مقبرة الملوك فوجدوا امرأة عليها حلل منسوجة بالذهب وعند رأسها لوح رخام مكتوب فيه:

يـــا أيهـــا الأقـــوام عوجـــوا معـــاً ... وارتعـــوا في مقـــبري العيـــسا

لـــتعلموا أني تلـــك الـــتي قـــد ... كـــنت أدعـــى الدهـــر بلقيـــسا

شـــيدت قـــصر الملـــوك في حمـــير ... قومـــي وقـــد كـــان مانوســـا

وكـــنت في حكمـــي وتـــدبيره ... أرغـــم في الله المعاطيـــسا

فعلـــى ســـليمان الـــنبي الـــذي ... قـــد كـــان للـــتوراة دريـــسا

وســـخر لـــه الـــريح مـــركباً ... تهـــب أحـــياناً رواميـــسا

مـــع ابـــن داود الـــنبي الـــذي ... قدســـه الـــرحمن تقديـــسا

حكاه القرطبي.

وذكر أن سليمان تزوجها وأسكنها الشام، وقيل بل ردها إلى اليمن وبنى لها سليحون وبينون وغمدان، وقيل: لم يتزوجها سليمان، وإنما تزوجها ملك همدان.

واسمها: بلقيس بنت اليشرح وهو الهدهاد، وقيل: يلقمة بنت شراحيل، أمها من الجن.

وكان تحت يدها اثنا عشر ألف قيل، مع كل قيل ألف مقاتل.

والقيل: القائد بلغة اليمن، يقال: أقيال وأقوال لغتان. حكاه الأصمعي، وقيل: الأقيال ملوك حمير.

وكان قصر بلقيس بمأرب على ثلاثة أيام من صنعاء.

ولما مات سليمان صرخ صارخ باليمن من الجن: يا معشر الجن إن سليمان قد مات فارفعوا أيديكم، فعمدوا إلى حجرين فكتبوا فيهما بالمسند -يعني: خط الحميرية- نحن بنينا سلحين سبعة وسبعين خريفا دائبين وبنينا صرواح، ومرواح، وبينون، وهندة، وهنيدة، وتلقوم، وهذه الحصون باليمن عملتها الشياطين لذي تبع ولولا صارخ بتهامة لتركنا بالنون أمارة، ثم انطلقوا وانقضى ملك ذي تبع وملك بلقيس بانقضاء ملك سليمان.

وأما قصة إياد بن نزار:

فإنه حمل الحارث بن مضاض من الشام إلى مكة قال: فلما بلغنا رياض الغرقد قال: إذا وصلنا مكة انهض بنا في ذات اليسار إلى شعب الأثل والطلح، فلما بلغته قال لي: لج، ففعلت حتى بلغت عرصة السمر والضال، ثم قال: مل إلى ناحية اليمن إلى دوحة الزيتون إلى الدوحتين، وثم صخرة عظيمة مربعة منحوتة، فبتنا عندها، فلما أصبحنا قام إلى صخرة مطبقة بأخرى بينهما خلل يسير، فقلع الصخرة فإذا سرب فدخلناه وفيه حيات، ثم اقتلع صخرة أخرى ودخلنا في سرب آخر فإذا بيت عظيم وإذا تنين عظيم قد خرج منه، فدخلنا فإذا أربعة أسرة ثلاثة عليها ثلاثة رجال والرابع خال، فقال: خذ وقر حمل در وياقوت وذهب ولجين، ثم قال لي: هذا السرير الخالي سرير مضاض أبي وهذا الذي عن يساره عبد المسيح أبوه، وهذا الذي عن يساره عبد المسيح ثعلبة أبوه ابن عبد المدان، وعلى رأس كل واحد لوح مكتوب بالمسند، فأخذت لوحا فقرأته فإذا فيه: أنا ثعلبة بن عبدان بن جرشم بن عبد ياليل بن جرهم بن قحطان بن هود عليه السلام، عشت خمسمائة سنة، وإذا في الثاني: أنا عبد المسيح بن ثعلبة، عشت مائة سنة وركبت مائة فرس، وافتضضت مائة جارية وقتلت مائة مبارز، وأخذني الموت غضا، وأورثني أرضا، وإذا في الثالث: أنا مضاض بن عبد المسيح عشت ثلاثمائة عام،وأخذت مصر وبيت المقدس، وهزمت الروم بالدرب، واللوح الرابع على السرير الخالي فيه: أنا الحارث بن مضاض عشت أربعمائة عام، وجلت في الأرض ثلاثمائة عام قال: ثم قال لي: أعطني تلك القارورة من الكوة فشرب نصفها وأطلى بنصفها، ثم شرب قارورة أخرى، ثم صاح فمات لما تمكن على سريره وهجم التنين وسط البيت على ما بقي، فخرجت هاربا، ثم لم يعد إلى المدفن بعد.

وكذلك وجد شداد بن عاد في جبل من جبال حضرموت، وحضرموت موضع حضر في صالح عليه السلام ومات فيه فسمي المكان بهذا الاسم، قال الجوهري: هما اسمان جعلا اسما واحدا.

عن ابن جريج قال: سمعت أن خير واد على وجه الأرض وادي مكة، وخير بئر على وجه الأرض بئر زمزم، وشر واد على وجه الأرض وادي حضرموت، وشر بئر على وجه الأرض بئر برهوت يجتمع فيها أرواح الكفار.

وحضرموت شرقي عدن وبها رمال الأحقاف، وهي رمال يقال لها: رمل عالج، ودهناء ويبرين، وقيل: رمل عاج موضع بالمدينة، قاله صاحب المجمل والجوهري، وبقي بها بئر برهوت، بئر عميقة لا يستطاع النزول إلى قعرها.

ولما هلك عاد ملك بعده شداد ابنه، وأمر ببناء إرم ذات العماد، فوضعوا أساسها من الجزع، وأقاموا في عمارتها ثلاثمائة سنة، ثم تجهزوا للنقلة إليها في عشرين سنة، وكان عمر شداد حينئذ سبعمائة سنة، فلما سار وبلغ منها مسيرة يوم وليلة بعث الله عليهم صيحة من المساء فأهلكتهم، فملك بعده مرثد بن شداد وكان قد خلفه على ملكه وبنى له مغارة استودعه فيها.

حكى المفسرون أن شخصا يقال له: بسطام وجد قبر شداد في جبل من جبال حضرموت مطل على البحر، في المكان الذي يركب منه أهل حضرموت، في مغارة ينزل إليه بدرج، عرض الدرجة عشرون ذراعا في سمك عشرة أذرع وهي مقدار مائة درجة، وسمك المغارة خمسون ذراعا، ثم مشوا هونا في طريق أملس قبل الدرج، ثم أفضوا إلى أزج طوله مائة ذراع في عرض أربعين وسمكة نحو مائة ذراع، وفيه سريرا من ذهب مرصع، والسرير بطول الأزج، وعليه شداد مضطجع على ظهره وعليه سبعين حلة على طوله وطوله طول السرير.

وذلك الأزج يضيء بنقب عرضه ذراعان وارتفاعه ثلاثة أذرع وهناك لوح من ذهب مكتوب بالمسند، فأخذ اللوح وأراد قلع شيء من الفصوص فلم يقدر لوثاقتها، ولم يستطيعوا أن يرجعوا من حيث نزلوا، فمشوا في ذلك النقب فخرجوا إلى كهف وقد حف بالكهف البحر، مكثوا ثلاثة أيام إلى أن حملتهم مركب فنجوا وأرادوا الرجوع من ذلك النقب فلم يعرفوه وكان في اللوح:

اعتـــبر بي أيها المغرور وبالعمر المديد	أنا شداد بن عاد صاحب الحصن العميد
وأخـــو القوة والبأساء والملك الحشيد	دان أهـــل الأرض لي من خوف وعدي
وملكت الشرق والغرب بسلطان شديد	وبفـــضل الملـــك والعدة فيه والعديد
فأتـــى هـــود وكنا في ضلال قبل هود	فـــدعانا لـــو قبلـــناه إلى الأمر الرشيد

فعصيناه ونادينا الأهل من مجيد ... فأتتهم صيحة تهوي من الأفق البعيد

فتوفتهم كزرع وسط بيداء حصيد

قيل: إن مرثد حمل أباه مطليا بالصبر والكافور إلى حضرموت.

وعاد: هو ابن إرم بن سام بن نوح عليه السلام أرسل الله تعالى إليهم هودا عليه السلام.

قيل: إن إرم المذكور أخرجها هود آية لعاد بوادي الحقيف، وهو واد يسيل رملا من جبال جرد، وأراهم جهنم في وادي برهوت، وزعم أن بئر برهوت عين من عيون جهنم، وأن جهنم في الأرض تسكن عليها الحبشة.

وكانوا ينحتون الأصنام منها: صيمود، وصداء، وهباء.

وكانت العماليق حينئذ ساكنين بمكة والمدينة ثم إن الله تعالى أهلكهم بالريح، ومات هود بعد ذلك وعمره مائة وخمسون سنة، فدفن بحضرموت.

وقيل: بين الركن والمقام وزمزم قبر تسعة وتسعون نبيا، وأن قبر هود وشعيب وصالح وإسماعيل عليهم السلام في تلك البقعة.

ورأيت بجامع بني أمية في دمشق في الحائط القبلي حجرا مكتوب فيه: هذا قبر هود صلوات الله عليه.

وحكى صاحب المسالك والممالك: إن دمشق هي إرم ذات العماد، وهي دار نوح عليه السلام، ودمشق بكسر الدال وفتح الميم.

ولما مات هود عليه السلام صار أمره إلى ابنه قحطان وبنو قحطان الذين ولوا الملك هم: يعرب بن قحطان، وجرهم، وعاد، وناعم، وحضرموت، وظالم، وعاصم، والأيمن والضامي، والسلق، وهميسع.

فولي جرهم أمر مكة، وعاد أرض بابل، وحضرموت درب الحبشة وناعم عمان، وأيمن الجزيرة، ويعرب يملكهم إذا ذاك.

ثم إن يشجب ولي بعد أبيه يعرب،ولم يعمر في الملك.

ثم ملك سبأ بن يشجب، وهو أول ملك متوج، افتتح بابل وأرض بني يافث، وابتنى قنطرة وهي من أوابد الدنيا، جاز ملك سبأ عليها إلى الشام.

والشام اسم أعجمي من لغة بني حام تفسيره بالعربي طيب، فأخذ الشام إلى الدرب، ولم يكن خلف الدرب أحد، ثم نهض إلى المغرب، فبلغ النيل فنزل عليه، وقال: إني أريد أن أبني مصرًا بين هذين البحرين، فبنى المدينة وسميت مصر كما قال.

وسمي سبأ لأنه كل من قتل سبى ذراريهم، ثم ولي على مصر ابنه بابليون وبه سميت

أرض مصر بابليون.

ثم رجع سبأ إلى اليمن فبنى السد المذكور في القرآن، وهو سد فيه سبعون نهرا، ومات قبل أن يكمله وعمره خمسمائة وسبعون عاما، ملكه منها خمسمائة سنة، واستخلف ابنه حمير وجعل المشورة لأخيه كهلان.

وحمير بن سبأ أول التابعة متوج، وهو الذي أبعد يأجوج ومأجوج إلى مطلع الشمس، وبقي قبائل تحت يده من ولد يافث، وهم الترك، والزط والكرد، والصغد، والخوز، والقدر، والديلم، وفرغان.

وكان يكتب بالمسند في سلاحه وفي الأميال إذا مر عليها فقيل له في المنام: لا تكتب بالمسند فإن الله ادخره للفرقان، ولكن أكتب بخط أبيك المسند الأول، فكتب به وهو هذا:

(أ)[1]	(ب)	(ت)	(ث)
(ج)	(ح)	(خ)	(د)
(ذ)	(ر)	(ز)	(ط)
(ظ)	(ك)	(ل)	(م)
(ن)	(ص)	(ض)	(ع)
(غ)	(ف)	(ق)	(س)
(ش)	(هـ)	(و)	(لا)
(ي)			

وقيل له مسند لأنه أسند إلى هود عن جبريل.

وملك حمير جميع الأرض، وكان عمره أربعمائة سنة وخمس[1] وأربعين سنة، منها في الملك أربعمائة.

وملك بعده وائل بن حمير متوج، فنزل قصر غمدان، وكان حمير قد أوصى أن يستودع في مغارة في جبل عبقر، ففعل ذلك وائل، وهو أول من وضع في مغارة.

وكانت أولاد حمير: وائل والعدد في ولد وائل، ومنهم عامة التبابعة، ومالك، وعامر، وعون، وسعد، وعمر، ولم يذكر إلا من أعقب.

---

(١) كذا بالمخطوط، والصواب ما أثبتناه.

ولد وائل: السكسك بن وائل، ومازن، وزعير الأكبر، وأوزع، وذو الكلاع.

وولد مالك: قضاعة، وهوزان، والعفور، والأخطور، ويعفر.

وولد عامر بن حمير: دهمان، وولد دهمان يحصب.

وولد سعد بن حمير: واسمه ربيعة السين وأنعام.

وولد عمر بن حمير: الحارث، وولد الحارث دارعين.

وولد السكسك بن وائل: يعفر بن سكسك، وعمران، ولهم كانت اليمامة.

وولد يعفر: المعافر بن يعفر، ومالك، فولد المعافر شعبان، وشوعب، ومحنود، وولد شعبان تعهوت، وولد تعهوت قينان.

وولد مالك بن حمير: قضاعة، فولد قضاعة عشرة كلهم أعقبوا.

وولد كلب بن وبرة بن حلوان بن قضاعة: خولان، وبهوة، ومهرة بن عمر بن قضاعة، وتنوخ بن قضاعة، وطيئ، وراسب، ونهد، وعذرة، وجهينة كلهم بني قضاعة.

وولد كهلان بن سبأ أخو حمير: عريب، وزيد، وعامة أهل النسب يقولون: عريب بن زيد بن كهلان.

فولد عريب: طيا بن أدد بن الهميسع بن عمرو بن عريب، وحويش، وأشعر ابن عريب، وولد عريب: مالك.

فولد مالك: سعد العشيرة بن مالك، والحارث بن كعب بن مالك، والنخع بن عمرو بن مالك، وكندي بن ثور بن مرتع بن عفير بن الحارث بن مالك، وعاملة، ولخم، وجذام بني عامر بن مالك، ومراد بن كهلان بن مالك.

فولد كندي بن ثور: السكاسك بن كندي، والسكون، ومعاوية ابنا كندي.

فولد السكون: معافر الأصفر بن السكون.

وولد زيد بن كهلان: همدان بن زيد بن مالك، والأزد بن الغوث بن مالك بن زيد.

وولد الأزد بن الغوث: مالك بن الأزد، ومازن بن الأزد، وعك بن عدنان بن الأزد.

فولد مالك بن الأزد: نظر بن مالك، وذر، وخزاعة.

وولد مازن بن الأزد: عمرو بن عامر بن امرئ القيس بن ثعلبة بن مازن.

وولد عمرو بن عامر:حارثة بن عمرو الأوس -ويقال ثعلبة بدل الأوس- بن عمرو بن عامر وهو أبو حارثة أبو الأوس والخزرج وثعلبة هو العنفار.

فأما مالك بن حمير: فتبع متوج، وذلك أنه لما ولي وائل بن حمير نافسه أخوه

مالك، فمات ملك وولي أمره قضاعة بن مالك، ومات وائل وولي بعده ابنه سكسك، وكان يقال لسكسك: مقعقع العمل، لأنه كان إذا غلب من ناوأه هدم بناءه، وهو أول من حرق بالنار.

وسكسك تبع متوج، ثم إن سكسك غلب على قضاعة، وغلب على الشام وهاداه بابليون فأقره على مصر والمغرب، ورجع إلى غزو بابل يريد نمرود بن ماش، فلما بلغ إلى بحر قراقر من أرض العراق اعتل فمات، فرجعوا به إلى اليمن فولي بعده يعفر بن السكسك وافترق ملك حمير، ورجع نمرود ليقاتل السكسك، فلما مات زاد نمرود تجبرا، ونمرود بن ماش أول أعجمي متوج، فلما دنى موت يعفر -ولم يكن له ولد غير أن امرأته حامل- فوضعوا تاجه، وهو تاج وائل بن حمير عل بطن امرأته فولدت النعمان.

قال وهب: وكانت أم وائل، ومالك، وعوف أبناء حمير: مالك بنت عمرو ابن زهير بن يشجب بن يعرب.

وكان وائل حين ولي الملك ولى أخويه مالك وعوف، فنازعه مالك فعزله، وأذعن عوفا فأقره على عمان والبحرين، فعظم شأنه حتى ولي السكسك فدان له عوف، ومات نعمان، فولي بعده مازن بن عوف، فلما هلك سكسك ولي بعده يعفر بن سكسك، فنابذه مازن، فأخذه الهبيق والأحقاف، فعظم ملك مازن، ثم مات فولي بعده عامر ذو رباش بن مازن، فأخذ غمدان وصنعاء، فغيب النعمان بن يعفر في مغارة في جبل عبقر ومعه أمه نائلة بنت مالك بن إلحاف بن قضاعة بن مالك بن حمير.

وكان عامر ذو رباش أول الأذواء متوجا، ولم يكن تبعا، فطلب النعمان فلم يقدر عليه، فسأل المنجمين فأخبروه أنه في الجبل، فأحاطوا بالجبل واستخرجوا النعمان وأمه فأخذهما ذو رباش، ونزل قصر غمدان -ولم يكن ينزل هذا القصر إلا الملك الأعظم ومن يستحق اسم تبع من ملوك حمير- فحبس النعمان وأمه عنده فماتت أم النعمان وشب الصبي، وكان عليه الحرس، فاحتال الحرس في تسييبه، فخرج النعمان وجمع ولاقى ذو رباش، فاستأسر ذو رباش، وحبسه في غمدان، وسمي النعمان المعافر لقوله:

إذا أنت عافرت الأمور بقدرة ... بلغت معالي الأقدمين المقاول

وأخذ النعمان أرض بابل ومعه ذو رباش، وسار إلى خراسان فلما بلغ صحراء مرو فرأى عامر ذو رباش حية رقشاء، فعرك ذنبها وأعطاها ذراعه فلدغته فهلك ثم عبر النعمان الفرات إلى أرمينية، فأخذها ثم عبر قنطرة سنجة إلى الشام ثم إلى عكة، ثم إلى غمدان فكان عمره في الملك ثلاثمائة.

وكان النعمان تبعا متوجا، ولما مات قال لبنيه لا تضجعوني فينضجع ملككم،

ادفنوني قائما فلا يزال ملككم قائما، ففعلوا فلما كان في خلافة سليمان بن عبد الملك فتحت مغارة باليمن، فأصابوا منها مالا جسيما، ووجدوا سارية من رخام قائمة قد ختم رأسها بالرصاص، ففتحت فأصابوا فيها شيخا قائما وعلى رأسه لوح من ذهب مكتوب بالحميرية: أنا المعافر بن يعفر بن مضر لست إلى ذي يمن مقرا سموا بجدي مضر باسق فرعي وصميم سري.

ثم ولي بعد المعافر ابنه السمح، فملك ملكا ضعيفا.

ثم اجتمع أمر حمير وبني قحطان على شداد بن عاد بن المطاط بن جشم بن عبد شمس بن وائل بن حمير بن سبأ بن يشجب بن يعرب.

وكان شداد تبعا متوجا طاف الأرض يبني المدن والمصانع، ومكث في المغرب مائتي عام، ثم مضى إلى مأرب فبنى القصر العتيق رمدات، ثم مات بعد خمسائة عام، فدفن في جبل شمام وعنده في المغارة بنتاه.

ثم صار الأمر بعد شداد إلى أخيه لقمان بن عاد، قيل: كان نبيا غير مرسل، يروى أنه أعطي حاسة مائة رجل بأسماعهم وأبصارهم، ولم يكن متوجا.

قال عبد الملك بن هشام: لقيت عامة من العلماء يزعمون أن ذا القرنين ودانيال أنبياء غير مرسلين، وقيل: صالحون.

وحمير سمي لقمان الرائش، سأل ربه عمر إبقاء سبع بقرات أو نوايات أو نسور، فقيل: إنه عاش ألفي سنة وأربعمائة سنة، وهو صاحب لبد، وقيل: عاش أربعة آلاف سنة، عاش منها عمر ستة أنسر خمسمائة سنة، وعاش لبد وهو آخرها ألف سنة، ودفن بالأحقاف.

ثم صار الأمر بعد لقمان إلى أخيه الهمال [بن عاد، وكان تبعا متوجا، دخل مغارة أخيه شداد وأخذ التاج.

وولي الملك بعد الهمال][1] الحارث الرائش، تبع متوج، والحارث هو ذو مراثل بن الهمال، غزا الهند وأخذ أرمينية ودرب بلجا إلى عجز الأرض إلى ما تحت بنات نعش، ثم مات باليمن، فكان ملكه مائة عام وخمسة وأربعون عاما.

وولي بعده الملك الصعب ذو القرنين بن الحارث الرائش بن عمرو بن الهمال بن عاد بن عامر بن الملطاط.

وسئل كعب عن ذي القرنين فقال: من حمير، والإسكندر من بني يونان بن

(١) زيادة من نسخة تركيا.

عيصا بن إسحاق بن إبراهيم، ويقال له: ذو القرنين أيضا، فالأول هو الإسكندر الرومي، [والثاني هو](١) الإسكندر اليوناني هو الذي كان على مقدمته الخضر، أدرك رجاله عيسى عليه السلام منهم: جالينوس، وأرسطاطاليس وهما يونانيين، ودانيال عليه السلام.

ومات ذو القرنين بالخفق -خفق قراقر- في رمل العراق، دفنه ابنه أبرهة.

وأبرهة تبع متوج -وأبرهية بالحبشية تفسيره: وجه أبيض- مدة ملكه ثلاثمائة وستين سنة ومات أبرهة ذو المنار، وولي الملك بعده ابنه العبد بن أبرهة، وهو ذو الأشرار، قيل له ذلك لأنه غلب الحبشة، أقام في الملك ستين عاما ثم مات بالفالج، فولي بعده أخوه عمرو بن أبرهة وهو عمرو ذو الأزعار، أمه العيوف ابنة الرائع الجني.

وولي الملك بمأرب شرحبيل بن عمرو بن غالب بن السائب بن عمرو بن يعفر، فاقتتل عمرو وشرحبيل ثم افترقوا، فأقام شرحبيل في الملك سنة ومات، فولي الملك بعده ابنه الهدهاد أبو بلقيس.

ثم مات الهدهاد فوليت بلقيس فقصدها عمرو ذو الأزعار، ثم إنها قتلته وكانت ملكة متوجة، ومات ذو الأزعار بعد أن ملك مائة وخمسا وعشرين سنة،ثم أتى سليمان عليه السلام بعد أن ملكت بلقيس سبع سنين، ثم مات سليمان بعد أن تزوج بلقيس بأربعين عاما. انتهى.

رجعنا إلى المقصد الأول:

قال الشيخ جمال الدين: «وفي قبلة جبل أحد قبور الشهداء، ولا يعلم منها الآن إلا قبر حمزة رضي الله عنه ومعه في القبر ابن أخته عبد الله بن جحش -كما تقدم- وعليه قبة عالية ومشهد محكم البناء بنته أم الخليفة الناصر لدين الله أبي العباس أحمد بن المستضيء سنة تسعين وخمسمائة،وعلى المشهد باب من حديد يفتح كل خميس، وشمال المشهد آرام من حجارة يقال إنها من قبور الشهداء، وكذلك من غربيه أيضا.

وقد ورد أن هذه قبور أناس ماتوا عام الرمادة في خلافة عمر رضي الله عنه ولا شك أن قبور الشهداء حول حمزة رضي الله عنه إذ لا ضرورة أن يبعدوا عنه، وعند رجلي حمزة قبل رجل تركي كان متوليا عمارة المشهد الشريف يقال له: سنقر توفي فدفن هناك، وكذلك في صحن المسجد الشريف قبر دفن فيه بعض الأشراف من أمراء المدينة وتحت جبل أحد من جهة القبلة لاصقا بالجبل مسجد صغير قد تهدم، يقال: إن النبي ﷺ صلى فيه الظهر والعصر يوم أحد بعد انقضاء القتال، وفي جهة القبلة من هذا المسجد موضع

---

(١) زيادة من نسخة تركيا.

منقور في الحجر على قدر رأس الإنسان، يقال إن النبي ﷺ جلس على الصخرة التي تحته وأدخل رأسه فيه،وكذلك شمال المسجد غار في الجبل يقال: إن النبي ﷺ دخله، ولم يرد بذلك كله نقل صحيح فلا يعتمد عليه، وقبلي مشهد حمزة رضي الله عنه جبل صغير يسمى عينين -بفتح العين المهملة وكسر النون الأولى- والوادي بينهما كان عليه الرماة يوم أحد وعنده مسجدان أحدهما مع ركنه الشرقي، يقال: إنه الموضع الذي طعن فيه حمزة، والمسجد الآخر: شمال هذا المسجد على شفير الوادي، يقال: إنه مصرع حمزة، وأنه مشى بطعنته إلى هناك، ثم صرع رضي الله عنه،وبين المشهد والمدينة ثلاثة أميال ونصف ميل أو ما يقاربه وإلى أحد ما يقارب أربعة أميال من المدينة».

وكانت غزوة أحد في السنة الثالثة من الهجرة.

المشهور من غزواته:

وجملة المشهور من غزواته ﷺ اثنان وعشرون غزاة ذكرها الطبري.

الأولى غزوة ودان: حين بلغ الأبواء لسنة من الهجرة وشهرين وعشرة أيام.

الثانية غزا عيرا لقريش: بعد ذلك بشهر وثلاثة أيام.

الثالثة خرج في طلب كرز بن جابر: وكان أغار على سرح المدينة بعد ذلك بعشرين يوما.

الرابعة غزوة بدر: لسنة وثمانية أشهر ولسبع عشر ليلة خلت من رمضان يوم الجمعة.

كان المسلمون يومئذ على عدد قوم طالوت، ثلاثمائة وتسعة عشر، وقيل: وثلاثة عشر، ثلاثة وثمانون من المهاجرين ومائة وسبعون من الخزرج وستون من الأوس.

سمي طالوت لطوله واسمه بالسريانية شاول وبالعبرانية ساول.

وكان الذين عبروا معه النهر ثلاثمائة وثلاثة عشر من ثمانين ألفا وهو نهر بين الأردن وفلسطين عذب يقال له: الأدما.

وكان المشركين ببدر بين التسعمائة والألف وفيها أمده الله بخمسة آلاف من الملائكة مسومين.

وسميت بدر: لأنها كانت بيد رجل كان بها يسمى بدرا حكاه الشعبي.

واستشهد يومئذ من المسلمين أربعة عشر: ستة من المهاجرين وثمانية من الأنصار.

وأول من قتل منهم: حارثة بن سراقة قتله حبان بن العرقة وقيل: أول قتيل ببدر مهجع مولى عمر بن الخطاب، قتله عامر بن الحضرمي.

وشهد رسول الله ﷺ بدرا بسيفه الذي يدعى العضب وانكسر فيها قوسه الذي

يدعى الكتوم، وضربت فيها طبلخانة النصر فهي تضرب إلى قيام الساعة.

ومن العجائب:

إن امرأة شهد لها بدرا سبعة بنون مسلمين، وهي عفراء ابنة عبيد، تزوجها الحارث بن رفاعة فولدت له: معاذا ومعوذا، ثم تزوجها بكير بن عبد ياليل فولدت له إياسا وخالدا وعاقلا وعامرا، ثم عادت إلى الحارث فولدت له: عوفا، وشهدوا كلهم بدرا، واستشهد معاذ ومعوذ وعاقل ببدر، وخالد يوم الرجيع، وعامر ببئر معونة، وإياس يوم اليمامة، والبقية منهم لعوف ويخرج من هؤلاء جواب المسائل: هل تعرفون أربعة إخوة لأب وأم شهدوا بدرا مسلمين؟ ومن هذا الجنس امرأة كان لها أربعة إخوة وعمان شهدوا بدرا، أخوان وعم مع رسول الله ﷺ وأخوان وعم مع المشركين؟ فالمرأة هي أم أبان بنت عتبة بن ربيعة،والأخوان المسلمان: أبو حذيفة بن عتبة، ومصعب بن عمير، والعم المسلم: معمر بن الحارث، والأخوان المشركان: الوليد بن عتبة وأبو عزيز، والعم المشرك: شيبة بن ربيعة.

الخامسة غزوة بني قينقاع.

السادسة غزوة السويق: في طلب أبي سفيان صخر بن حرب.

السابعة غزوة بني سليم بالكدر.

الثامنة غزاة ذي أمر: وهي غطفان ويقال: غزاة أنمار وهذه الأربع غزوات في بقية السنة الثانية.

التاسعة غزاة أحد: في السنة الثالثة.

العاشرة غزاة بني النضير: لسبعة أشهر خلت منها وعشرة أيام.

الحادية عشرة غزوة ذات الرقاع: بعد ذلك بشهرين وأربعة أيام قيل: كانت في السنة الخامسة.

ذات الرقاع موضع سمي به لأنه كان ذا ألوان موضع قريب من نجد وقيل: إن قوما قصدوه فتشققت أقدامهم فجعلوا يلفون عليها الرقاع[1] وقال محمد بن سعد: هو جبل مبقع، صلى فيها رسول الله ﷺ صلاة الخوف[2].

الثانية عشر غزوة دومة الجندل: بعد ذلك بشهرين وعشرين يوما وكانت في السنة

---

(١) أخرجه مسلم (١٤٩) عن أبي موسى رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (٤١٣٦) كتاب المغازي باب غزوة ذات الرقاع من حديث جابر رضي الله عنه ، ومسلم (٣١٠)، ومالك في الموطأ (١/١٨٣) عن جابر رضي الله عنه.

الخامسة، قيل: صلى النبي ﷺ فيها صلاة الخوف وقيل: إنما صلاها في السنة السادسة، وكانت صلاة المغرب.

دومة الجندل: بضم الدال وقد تفتح وأنكره ابن دريد وهي من بلاد الشام قريب من تبوك.

الثالثة عشر غزاة بني المصطلق: من خزاعة بعد ذلك بخمسة أشهر وثلاثة أيام، وهي التي قال فيها أهل الإفك ما قالوا.

الرابعة عشر غزوة الخندق: لأربع سنين وعشرة أشهر وخمسة أيام.

الخامسة عشر غزوة بني قريظة: بعد ذلك بستة عشر يوما.

السادسة عشر غزوة بني لحيان: بعد ذلك بثلاثة أشهر.

السابعة عشر غزوة الغابة: في سنة ست وفيها اعتمر عمرة الحديبية.

الثامنة عشرة غزاة خيبر: لثلاثة أشهر خلت من السنة السابعة وأحد عشر يوما، وذلك بعد عشرين ليلة أو قريبا منها من الحديبية وبعدها بستة أشهر وعشرة أيام واعتمر عمرة القضية.

التاسعة عشر فتح مكة: لسبع سنين وثمانية أشهر وأحد عشر يوما.

العشرون غزاة حنين: بعد ذلك بيوم وفيها أنزل الله الملائكة لنصرة نبيه ﷺ.

الحادية والعشرون غزوة الطائف: في تلك السنة وفيها حج بالناس عتاب بن أسيد.

الثانية والعشرون غزاة تبوك: لستة أشهر خلت من السنة التاسعة وخمسة أيام وفي هذه السنة حج بالناس أبو بكر رضي الله عنه.

تبوك: سميت بذلك لأن النبي ﷺ رآهم يحفرون البركة ولم يهيؤوا فقال: «**ما زلتم تبوكونها**».

وكانت هذه الغزوة في رجب سنة تسع، وبنى رسول الله ﷺ فيها مساجده التي بين المدينة وتبوك كما سيأتي.

وكانت الثلاثة الذين تخلفوا عن هذه الغزوة بقوله تعالى: ﴿ **وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ** ﴾ [التوبة: ١١٨] كعب بن مالك وهلال بن أمية من بني واقف ومرارة بن الربيع وقيل: ابن ربعي العمري وكلهم من الأنصار ذكره المهدوي.

وقال ابن إسحاق، وأبو معشر، وموسى بن عقبة: المشهور أن النبي ﷺ غزا ستا وعشرين غزاة بنفسه،وقيل: سبعا وعشرين غزاة،والبعوث والسرايا خمسون أو نحوها، وقيل: خمس وثلاثون، وقيل: ست وخمسون، وقيل: غزواته ستة وعشرون.

وعن قتادة: غزوات رسول الله ﷺ وسراياه ثلاثا وأربعين.

والسرايا: جمع سرية وهي قطعة من الجيش يوجهها مقدمة الجيش، شرطها أن تكون أربعمائة، حكاه أبو عبيد، وفي كتاب الإكليل: بعوث رسول الله ﷺ تزيد على المائة، وفي كتاب أبي عبد الله بن نصر المروزي: السرايا والبعوث دون الحروب نيفا وسبعين.

قالوا: ولم يقاتل ﷺ إلا في سبع: بدر، وأحد والخندق وبني قريظة والمصطلق، وخيبر والطائف وقيل: قاتل بوادي القرى والغابة وبني النضير.

وقيل: غزواته ﷺ إحدى وعشرون وقيل: أربعة وعشرون وقيل: تسعة عشر، يقال: لا تماروا أهل المدينة في الغزوات ولا أهل الكوفة في الزاني ولا أهل مكة في المناسك.

إشارة:

اعلم أن أفضل العبادات بعد أداء الفرائض الجهاد قال الله تعالى: ﴿ **إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ** ﴾ [التوبة: ١١١] الآية، هذه الآية عامة في كل مجاهد إلى يوم القيامة،وقوله تعالى: ﴿ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ﴾ [التوبة: ١١١] إخبار منه عز وجل أن هذا كان في هذه الكتب، وأن الجهاد أصله من عهد موسى عليه السلام.

قال الحسن: ما على الأرض مؤمن إلا ويدخل في هذه البيعة قيل: إنه لا يكون جهاد في أقطار الأرض إلا وجبريل حاضر فيه.

عن النبي ﷺ: «**وفد الله ثلاثة: الغازي، والحاج، والمعتمر إن دعوه أجابهم وإن استغفروه غفر لهم**»(١).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**والذي نفسي بيده لوددت أني أقاتل في سبيل الله فأقتل ثم أحي فأقتل ثم أحي فأقتل**» فكان أبو هريرة يقولها ثلاثا: أشهد الله(٢).

وقال خالد بن معدان: من اغتاب غازيا كتب في أهل النار.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «**ما من جريح يجرح في الله إلا والله يبعثه يوم القيامة وجرحه يدمي، اللون لون دم والريح ريح مسك**»(٣).

وعنه أيضا قال: قال رسول الله ﷺ «**لا يدخل النار من بكى من خشية الله حتى**

---

(١) أخرجه النسائي (١١٣/٥)، والحاكم في المستدرك (٤٤١/١) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (٧٢٢٧)، ومسلم (١٠٦) ١٤٩٧/٣ عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) أخرجه البخاري (٢٨٠٣)، ومسلم (١٠٥) ١٤٩٦/٣ عن أبي هريرة رضي الله عنه.

ومنها مسجد القبلتين:

عن عثمان بن محمد الأخنسي: أن رسول الله ﷺ زار امرأة من بني سلمة يقال لها: أم بشر في بني سلمة فصنعت له طعاما فحانت الظهر، فصلى رسول الله ﷺ بأصحابه في مسجد القبلتين الظهر، فلما صلى ركعتين أمر أن يتوجه إلى الكعبة، فاستدار رسول الله ﷺ إلى الكعبة فسمي لذلك مسجد القبلتين، وكانت الظهر يومئذ أربع ركعات، منها اثنتان إلى بيت المقدس واثنتان إلى الكعبة وصرفت القبلة يوم الثلاثاء للنصف من شعبان في السنة الثانية من الهجرة.

وقيل: بل صرفت القبلة في مسجد رسول الله ﷺ في صلاة العصر يوم الاثنين في النصف من رجب على رأس سبعة عشر شهرا من الهجرة[١].

وقال ابن المسيب: صرفت قبل بدر بشهرين[٢]، والأول أصح.

قال الحافظ محب الدين: وهذا المسجد بعيد من المدينة، قريب من بئر رومة، وقد تهدم ولم يبق إلا أثاره وموضع المسجد يعرف بالقاع، [والقاع: المكان المستوي.

قلت: وبهذا الوادي سار رسول الله ﷺ ومن معه بالخيل والإبل على ظهر الماء لما أن غزا خيبر، قال علي رضي الله عنه ووجدنا السيول بالقاع][٣] فقدرنا الماء، فإذا هو أربعة عشر قامة، فنزل رسول الله ﷺ فسجد ودعا ثم قال: سيروا على اسم الله فسرنا على الماء، وكل ذلك نظير فلق البحر لموسى عليه السلام.

قال الشيخ جمال الدين: ومسجد القبلتين بعيد عن مسجد الفتح من جهة الغرب على ربية على شفير وادي العقيق وحوله خراب عقيق الحرة وحوله آبار ومزارع وتعرف بالعرض في قبلة مزارع الجرف المعروف بالمسجد المذكور في قرية بني سلمة، ويقال لها: خربا ثم قال: وفي هذا المسجد وهو مسجد بني حرام من بني سلمة رأى رسول الله ﷺ النخامة فحكها بعرجون كان في يده، ثم دعا بخلوق، فجعله على رأس العرجون، ثم جعله على موضع النخامة فكان أول مسجد خلق في الإسلام.

ومنها: مسجد الفضيخ:

روى هشام بن عروة، والحارث بن فضيل أنهما قالا: صلى رسول الله ﷺ في مسجد الفضيخ.

---

(١) أخرجه ابن سعد في الطبقات (١/ ٢٤٢) عن الواقدي.

(٢) أخرجه ابن سعد في الطبقات (١/ ٢٤٢) عن ابن المسيب ﷺ.

(٣) سقط بالأصل وزيادة من نسخة تركيا.

وعن جابر بن عبد الله: أن النبي ﷺ لما حاصر بني النضير ضرب قبته في موضع مسجد الفضيخ وأقام بها ستا، قال جابر: وجاء تحريم الخمر في السنة الثالثة من الهجرة وقيل: في السنة الرابعة وأبو أيوب في نفر من أصحاب رسول الله ﷺ في موضعه معهم راوية خمر من فضيخ، فأمر أبو أيوب رضي الله عنه بعزلاء المزادة، ففتحت فسال الفضيخ فيه فسمي: مسجد الفضيخ(١).

الراوية: هي السطحية وإنما الراوية البعير الذي يستقى عليه، فنقل الاسم إليها لغلبتها عليه، والراوية المزادة أيضا، وقيل: السطحية أصغر من الراوية والمزادة أكبر منها.

والفضيخ: جنس من الخمر، سمي به وهو ما افتضخ من البسر من غير أن تمسسه النار، ويقال له: الفضوخ، وهو من أسماء الخمر ومن أسمائه:

القهوة: والقهوة التي تقطع وفيها أدنى حمرة، والمدامة: وهي التي عتقت والشمول: هي التي تسهر الجماعة من الحسا، والقرقف: وهي التي يرعد عنها صاحبها، والسلسبيل والسلسال والمشعشعة: التي راق مزاجها والراح والكميت: وهي الحمراء، والصهباء: التي عصرت والخندريس والسلافة: وهي أول ما يخرج من العنب، والإسفنط والرحيق والعقار: وهي التي التزمت الدن زمانا، والكلفا والغانية: منسوبة إلى غانة من إفريقية، والسلسل، والسخامية، والزرجون، والخرطوم، والعابق، والصريفية، والمعدية، والمزة، والمادية، والصرخلاية، والطلاء، والسكر والسكركة ويقال له: المزر وهي الغبير، وهذا الاسم بالحبشية، وهي نبيذ الذرة، والصعف شراب اليمن واعيا والحميا والدرياقة، [والعنديل، والورد، والصفراء والحلة، والنافس، والمسطار، والجريال، والمعتقة، والكأس والفارص، والشموس،](٢) والمنصف وهو حلال إن لم يسكر، وهو أن يغلى حتى يذهب نصفه وإن ذهب ثلثاه فهو الطلاء، والخليطين والبتع بالموحدة قبل المثناة نبيذ العسل، والباذق كلمة فارسية وهو الخمر المطبوخ كله، والبخبخ فارسي وهو الذي يسمى الجمهوري وهو عصير تمر يخالطه الماء والسبئة، والجعد نبيذ الشعير.

والخمر من الأسماء التي تذكر وتؤنث كالسلسبيل والطريق والذراع والموسى، والسوق، والعاتق، والعنق، والسلطان، والقليب، والعين، والأذن، واللسان، والعضد والورد، والساق، والعقب، والقدم، واليد، والكف، والأنامل، والأصابع، والضلع، والنفس، واليمين، والشمال، والكرسي، والفخذ، والأضحى، والسلم، والعسل،

---

(١) أخرجه ابن شبة في تاريخ المدينة (١/ ٦٩) عن جابر رضي الله عنه.

(٢) سقط بالأصل وإضافة من نسخة تركيا.

والعنكبوت والصاع، والنحل، والكراع، والطست، والسكين والزوج.

ومما يذكر: الرأس والجبين، والخد، والأنف، والناب، والصدغ، والشارب، والذقن، والظهر، واللحى، والبطن، والصدر.

ومما يؤنث: الساق والأذن والأفخاذ، والكبد، والناجذ، والباع، والكف، والعجز، والعين، والعقب، والسن، والكرش، والورك، والشمال، واليمن، وسائر البلدان، وما في آخره ألف ونون نحو: حلوان، وجرجان، فهو يذكر ويجوز فيها كلها التأنيث.

قال الأوزاعي: يجتنب أو يترك من قول أهل العراق خمس، من قول أهل الحجاز خمس، من قول أهل العراق شرب المسكر والأكل في رمضان عند الفجر، ولا جمعة إلا في سبعة أمصار، وتأخير صلاة العصر حتى يكون ظل كل شيء أربعة أمثاله، والفرار يوم الزحف، ومن قول أهل الحجاز: استماع الملاهي، والجمع بين الصلاتين، من غير عذر، والمتعة بالنساء، والدرهم بالدرهمين، والدينار بالدينارين يدا بيد، وإتيان النساء في أدبارهن.

رجعنا إلى ما كنا بسببه:

قال الحافظ محب الدين: ومسجد الفضيخ قريب من قباء من شرقيه ويعرف بمسجد الشمس.

قال الشيخ جمال الدين: وهو على شفير الوادي على نشز من الأرض مرضوم بحجارة سود، وهو صغير جدا.

ومنها: مسجد بني قريظة:

عن محمد بن عقبة بن أبي مالك قال: صلى رسول الله ﷺ في بيت امرأة من الحضر في بني قريظة، فأدخل الوليد بن عبد الملك ذلك البيت في المسجد حين بناه(١).

قال الحافظ محب الدين: روي عن علي بن رفاعة وعن أشياخ من قومه: أن النبي ﷺ صلى في بيت امرأة من بني قريظة، فأدخل ذلك البيت في مسجد بني قريظة وهو المكان الذي صلى فيه رسول الله ﷺ ببني قريظة، وقيل: إنما أدخل البيت في المسجد عمر بن عبد العزيز حين بنى مسجد قباء(٢).

قال الحافظ محب الدين: وهذا المسجد باق بالعوالي، طوله نحو العشرين ذراعا، وعرضه كذلك، وفيه نحو ستة عشر أسطوانا، فتهدم ووقعت منارته، وأخذت أحجاره،

---

(١) أخرجه ابن شبة في تاريخ الميدنة (١/ ٧٠)، عن محمد بن عقبة ﷺ.

(٢) ذكره ابن النجار في الدرة الثمينة (٢/ ٣٨١) عن علي بن رفاعة.

وقد كان مبنيا على شكل بناء مسجد قباء، وحوله بساتين ومزارع.

قال الشيخ جمال الدين: هذا المسجد شرقي مسجد الشمس بعيد عنه بالقرب من الحرة الشرقية، على بابه حديقة تعرف الآن بحاجزه وقف على الفقراء بين أبيات خراب، هي بعض دور بني قريظة، وهي شمالي باب الحديقة، وطوله نحو من خمسة وأربعين ذراعا، وعرضه كذلك، وبقي أثره إلى العشرة الأول بعد السبعمائة، فجدد وبني عليه حظير مقدار نصف قامة وكان قد نسي فمن ذلك التاريخ عرف.

ومنها: مسجد الجمعة:

وهو الذي أدرك فيه رسول الله ﷺ صلاة الجمعة بعد أن أسس مسجد قباء وهو قادم إلى المدينة.

قال الشيخ جمال الدين: وهذا المسجد على يمين السالك إلى مسجد قباء، شماليه أطم خراب يقال له: المزدلف، أطم عتبان بن مالك، وهو في بطن الوادي كما تقدم وهو مسجد صغير مبني محوط بحجارة قدر نصف القامة وهو الذي كان يحول السيل بينه وبين عتبان إذا سال، ولأن منازل بني سالم بن عوف كانت غربي هذا الوادي على طرف الحرة وآثارهم باقية هنالك، فسأل عتبان رسول الله ﷺ أن يصلي في بيته في مكان يتخذه مصلى ففعل ﷺ.

ومنها: مسجد بني ظفر من الأوس:

عن إدريس بن يونس بن محمد بن أنيس بن فضالة الظفري، عن جده: أن رسول الله ﷺ جلس على الحجر الذي في مسجد بني ظفر، وأن زياد بن عبيد الله أمر بقلعة حتى جاءته مشيخة من بني ظفر فأعلموه أن رسول الله ﷺ جلس عليه فرده، قال: فقل امرأة يصعب حملها تجلس عليه إلا حملت، وعنده أثر في الحجر يقال: إنه أثر حافر بغلة النبي ﷺ من جهة القبلة، وفي غربيه حجر عليه أثر كأنه أثر مرفق، وعلى حجر آخر أثر أصابع، والناس يتبركون بها.

وقال الشيخ جمال الدين: وهذا المسجد شرقي البقيع من طرف الحرة الشرقية، ويعرف اليوم بمسجد البغلة.

ومنها: مسجد بني معاوية بن مالك بن النجار بن الخزرج:

عن ابن عتيك بن الحارث أنه قال: جاءنا عبد الله بن عمر ﵄ في بني معاوية وهي قرية من قرى الأنصار، فقال: هل تدرون أين صلى رسول الله ﷺ في مسجدكم هذا؟ قلت: نعم، وأشرت له إلى ناحية منه، فقال: فهل تدري ما الثلاث التي دعا بها؟ قلت: نعم، قال: فأخبرني بهن، قلت: دعا أن لا يظهر عليهم عدو من غيرهم، فأعطيها وأن لا

يهلكهم بالسنين، فأعطيها، وأن لا يجعل بأسهم بينهم فمنعها، قال: عبد الله بن عمر: صدقت فلن يزال الهرج إلى يوم القيامة(١).

الهرج: القتل، وهو بالحبشية، وقيل: الاختلاط.

قال الشيخ جمال الدين: ويعرف هذا المسجد اليوم بمسجد الإجابة وهو شمال البقيع، وعلى يسار السالك إلى العريض وسط تلول وهي أثر قرية بني معاوية وهو اليوم خراب.

قال الحافظ محب الدين: فتستحب زيارة هذه المواضع وإن لم يعرف أسماؤها لأن الوليد بن عبد الملك كتب إلى عمر بن عبد العزيز: كلما صح عندك من المواضع التي صلى فيها النبي ﷺ فابن عليها مسجدا فالآثار كلها أثر بناء عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه.

وأما مشربة أم إبراهيم ابن سيدنا رسول الله ﷺ.

فروى إبراهيم بن محمد بن أبي يحيى عن يحيى بن محمد بن ثابت: أن النبي ﷺ صلى في مشربة أم إبراهيم عليه السلام(٢).

قال محب الدين: هذا الموضع بالعوالي بين النخل، وهو أكمة قد حوط حولها بلبن، والمشربة: البستان، وأظنه قد كان بستانا لمارية القبطية أم إبراهيم ابن النبي ﷺ.

قال الشيخ جمال الدين: المشربة شمالي مسجد بني قريظة قريبا من الحرة الشرقية في موضع يعرف بالدشت بين نخل يعرف بالأشراف القواسم من بني قاسم بن إدريس بن جعفر أخي الحسن العسكري لأن آل شعيب بن جماز منهم، وصعيب بالقرب من دار بني الحارث بن الخزرج، والتي كان أبو بكر رضي الله عنه نازلا فيه بزوجته حبيبة ابنة خارجة وقيل: مليكة، أخت زيد بن خارجة المتكلم بعد الموت.

وذلك أن زيد بن خارجة توفي في زمان عثمان رضي الله عنه، قيل: خر ميتا في بعض أزقة المدينة فسجى ثم سمعوا جلجلة في صدره، ثم تكلم فقال: أحمد أحمد في الكتاب الأول، صدق صدق أبو بكر الصديق الضعيف في نفسه القوي في أمر الله في الكتاب الأول، صدق صدق عمر بن الخطاب القوي الأمين في الكتاب الأول، صدق صدق عثمان بن عفان على مناهجهم مضت أربع، وبقيت سنتان، أتت الفتن، وأكل الشديد الضعيف، وقامت الساعة، وسيأتيكم خبر بئر أريس وما بئر أريس، وقيل: إنه

---

(١) أخرجه ابن شبة في تاريخ المدينة (١/ ٦٧) عن ابن عتيك ﷺ.

(٢) أخرجه ابن شبة في تاريخ المدينة (١/ ٦٩).

تكلم بين العشاءين، والنساء يصرخن، فقال: انصتوا انصتوا، فحسروا عن وجهه فقال: محمد رسول الله النبي الأمي وخاتم النبيين، كان ذلك في الكتاب الأول صدق صدق، ثم ذكر كما تقدم، ثم قال: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، ثم مات، رواه النعمان بن بشير.

وروي عن عبد الله بن عبيد الله الأنصاري، قال: كنت فيمن دفن ثابت بن قيس بن شماس، وكان قتل يوم اليمامة، فسمعنا حين أدخلناه القبر يقول: محمد رسول الله، أبو بكر الصديق عمر الشهيد، وعثمان البر الرحيم فنظرنا فإذا هو ميت، وثابت هذا هو الذي أجيزت وصيته بعد موته كما قدمنا.

وأعجب من هذا ما روي عن أنس أن شابا من الأنصار، توفي وله أم عجوز عمياء فسجيناه وعزيناها، فقالت: مات ابني، قلنا: نعم، قالت: اللهم إن كنت تعلم أني هاجرت إليك وإلى نبيك رجاء أن تعينني على كل شدة فلا تحملن علي هذه المصيبة، فما برحنا أن كشفنا الثوب عن وجهه فطعم وطعمنا، حكى هاتين الحكايتين القاضي عياض.

ذكر مصلى رسول الله ﷺ مصلى العيد:

عن هشام بن سعيد، عن إبراهيم بن أبي أمية، وعن شيخ من أهل السن: أن أول عيد صلاه رسول الله ﷺ صلاه في حارة الدوس عند بيت ابن أبي الجنوب، ثم صلى العيد الثاني بفناء دار حكيم بن العداء، عند دار جفرة داخلا في البيت الذي بفناء المسجد، ثم صلى العيد الثالث عند دار عبد الله بن درة المزني، داخلا بين الدارين: دار معاوية، ودار كثير بن الصلت ثم صلى العيد الرابع عند أحجار كانت عند الحناطين بالمصلى، ثم صلى داخلا في منزل محمد بن عبد الله بن كثير بن الصلت، ثم صلى حيث صلى الناس اليوم[1].

وروي عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن أول فطر وأضحى جمع فيه رسول الله ﷺ بالمدينة بفناء دار حكيم بن العداء عند أصحاب المحامل[2].

وروي عن محمد بن عمار بن ياسر: أن رسول الله ﷺ كان يسلك إلى المصلى من الطريق العظمى على أصحاب الفساطيط، ويرجع من الطريق الأخرى على دار عمار بن ياسر رضي الله عنه[3].

وروي أيضا عن عائشة بنت سعد بن أبي وقاص، عن أبيها رضي الله عنه: أن

---

(١) أخرجه ابن شبة في تاريخ المدينة (١/١٣٣، ١٣٤).

(٢) أخرجه ابن شبة في تاريخ المدينة (١/ ١٣٤) عن أبي هريرة ﷺ.

(٣) ذكره المطري في التعريف (ص ٥٥) عن محمد بن عمار ﷺ.

رسول الله ﷺ قال: **«ما بين مسجدي هذا إلى مصلاي روضة من رياض الجنة»**(١).

وروي عن عمرة عن عائشة ﵂: أن النبي ﷺ كان يذبح أضحيته بيده إذا انصرف من المصلى، على ناحية الطريق التي كان ينصرف منها، وتلك الطريق والمكان الذي يذبح فيه ﷺ مقابل المغرب مما يلي الطريق بني زريق(٢).

قال الشيخ جمال الدين: وأما طريق العظماء فهي طريق الناس اليوم من باب المدينة إلى المصلى، وهو الذي ذكره وقال فيه: ثم صلى حيث يصلي الناس اليوم، ولا يعرف من المساجد التي ذكر لصلاة العيد إلا الذي يصلى فيه العيد اليوم، قال: وشماليه مسجد وسط الحديقة المعروفة بالعريضي المتصلة بقبة عين الأزرق، ويعرف اليوم: بمسجد أبي بكر الصديق رضي الله عنه، ولعله صلى فيه في خلافته رضي الله عنه، وشمالي الحديقة مسجد أيضا كبير متصل بها يسمى: مسجد علي بن أبي طالب رضي الله عنه، ولم يرد أنه صلى بالمدينة عيدا في خلافته، فتكون هذه المساجد الموجودة اليوم من الأماكن التي صلى فيها رسول الله ﷺ سنة بعد سنة، إذ لا يختص أبو بكر،وعلي ﵄ بمسجدين لأنفسهما ويتركان المسجد الذي صلى فيه رسول الله ﷺ.

قال الشيخ جمال الدين: وليس بالمدينة الشريفة مسجد يعرف غير ما ذكر، إلا مسجد على ثنية الوداع على يسار الداخل إلى المدينة من طريق الشام، ومسجد آخر صغير على طريق السافلة، وهي الطريق اليمنى الشرقية إلى مشهد حمزة رضي الله عنه يقال: إنه مسجد أبي ذر الغفاري رضي الله عنه ولم يرد فيهما نقل يعتمد عليه.

وأما مسجد الضرار:

فهو المسجد الذي بناه المنافقون مضاهاة لمسجد قباء، فلما بنوه أتوا النبي ﷺ وهو يتجهز إلى تبوك، فسألوه أن يصلي لهم فيه، فقال: **«إني على جناح سفر وحال شغل ولو قدمنا إن شاء الله تعالى لأتيناكم فصلينا لكم فيه»**، فلما نزل رسول الله ﷺ بذي أوان بلد بينه وبين المدينة ساعة من نهار مرجعه من تبوك أتاه خبر المسجد، فدعى رسول الله ﷺ مالك بن الدخشم، ومعن بن عدي، أو أخاه عاصما وفي رواية: وعاصم بن عدي ووحشي قاتل حمزة، فقال: انطلقا إلى هذا المسجد الظالم أهله فاهدماه وحرقاه، فخرجا حتى أتيا بني سالم بن عوف فأخذا سعفا من النخل وأشعلاه، ثم دخلا المسجد وفيه أهله فحرقاه وهدماه، وأنزل الله تعالى فيه ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مَسْجِدًا ضِرَارًا﴾

---

(١) أخرجه البخاري في التاريخ الكبير (٢/ ٢٧٧) عن عائشة بنت سعد ﵂.

(٢) ذكره المطري في التعريف (ص ٥٥) عن عائشة ﵂.

[التوبة: ١٠٧] إلى آخر القصة[1].

نزلت هذه الآية في أبي عامر الراهب، لأنه كان خرج إلى قيصر الروم وتنصر، ووعدهم قيصر أنه سيأتيهم فبنوا مسجد الضرار.

وكان الذين بنوه اثني عشر رجلا: خدام بن خالد ومن بيته أخرج المسجد، ومعتب بن قشير، وأبو حبيبة بن الأذعر، وعباد بن حنيف، وجارية بن عامر، وابناه: مجمع وزيد، وعبد الله بن نبتل بن الحارث، وبحزج، وبجاد بن عثمان، ووديعة بن ثابت، وثعلبة بن حاطب مذكور فيهم وفيه نظر، لأنه شهد بدرا قاله ابن عبد البر.

قوله تعالى: ﴿ ضِرَارًا ﴾ [التوبة: ١٠٧] قيل: الضرار الذي لك فيه منفعة وعلى جارك مضرة، والضرار: بالفتح الذي ليس لك فيه منفعة وعلى جارك مضرة، وقيل: هما بمعنى واحد.

وكل مسجد بني على ضرار، أو رياء، أو سمعة: فحكمه حكم مسجد الضرار لا تجوز الصلاة فيه، قال النقاش: فيلزم أن لا يصلى في كنيسة ونحوها، فإنها بنيت على شر.

قال القرطبي: هذا لا يلزم لأن الكنيسة لم يقصد بها الضرر بالعين، وإن كان أصل بنائها على شر، إنما بنوها لعبادتهم، وقد أجمع العلماء على أن من صلى في كنيسة، أو بيعة على موضع طاهر جاز، وذكر أبو داود عن عثمان بن أبي العاص: أن النبي ﷺ أمره أن يجعل مسجد الطائف حيث كانت طوغيتهم.

عثمان بن أبي العاص الثقفي: جملة ما روى تسعة وعشرون حديثا.

قوله تعالى: ﴿ وَكُفْرًا ﴾ [التوبة:١٠٧] قيل: إنهم كفروا بالنبي ﷺ وبما جاء به حكاه القشيري وقيل: كفروا حين اعتقدوا أن لا حرمة لمسجد قباء، ولا لمسجد النبي ﷺ.

قوله: ﴿ وَتَفْرِيقًا بَيْنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [التوبة: ١٠٧] أي: يفرقون به جماعتهم لتختلف أقوام عن النبي ﷺ وقد تفطن مالك رضي الله عنه من هذه الآية، فقال: لا تصلي جماعتان في مسجد واحد بإمامين خلافا لسائر العلماء.

قوله تعالى: ﴿ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ﴾ [التوبة: ١٠٧] يعني: أبا عامر الراهب، مات أبو عامر كافرا بقنسرين بدعوة النبي ﷺ وأبو عامر هذا: هو أبو حنظلة غسيل الملائكة.

قنسرين: قرية بالقرب من حلب بين حماة وحلب على مرحلة من سرمين.

---

(١) ذكـــره الواقدي في مغازيه (٣/ ١٠٤٥)، وابن هشام في السيرة (٢/ ٥٢٩)، والطبري في تاريخه (٢/ ١١٠).

قوله تعالى: ﴿لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا﴾ [التوبة: ١٠٨] قد يعبر عن الصلاة بالقيام، ومنه: من قام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه.

يروى أن النبي ﷺ كان لا يمر بالطريق التي فيها هذا المسجد، وأمر بموضعه أن يتخذ كناسة مزبلة(١).

روى سعيد بن جبير: أن النبي ﷺ لما أرسل ليهدم مسجد الضرار رئي الدخان يخرج منه، وقيل: كان الرجل يدخل فيه سعفة فيخرجها سوداء محترقة(٢).

وعن ابن مسعود أنه قال: جهنم في الأرض، ثم تلا ﴿فَٱنْهَارَ بِهِۦ فِى نَارِ جَهَنَّمَ﴾ [التوبة: ١٠٩].

قال القرطبي: واختلف هل ذلك حقيقة أو مجازا على قولين: أحدهما: أن ذلك حقيقة، وأنه كان يحفر ذلك الموضع الذي انهار فيخرج منه دخان.

قال جابر بن عبد الله: أنا رأيت الدخان يخرج منه(٣).

وقال خلف بن يامين: رأيت في مسجد المنافقين حجرا يخرج منه الدخان.

قال الحافظ محب الدين: هذا المسجد قريب من مسجد قباء، وهو كبير وحيطانه عالية وقد كان بناؤه مليحا.

قال الشيخ جمال الدين: وأما اليوم فلا أثر له، ولا يعرف له مكان وما ذكره الشيخ محب الدين فهو وهم ولا أصل له.

قلت: وقد ذكر الشيخ جمال، وابن النجار هذا المسجد في تاريخيهما وعداه في جملة المساجد التي صلى النبي ﷺ فيها، والنبي ﷺ لم يصل فيه فلذلك أخرنا ذكره.

وأما النقا وحاجر:

المذكور في الأشعار، فاعلم أن:

النقا: من غربي مصلى العيد المذكور إلى منزلة الحجاج، غربي وادي بطحان، والوادي يفصل بين المصلى والنقا من أجل مجاورة المكانين، وفيه يقول بعضهم موريا عن الشيب ومصلى الجنائز.

ألا يـــا ســـاريا في قفـــر عمـــرو   يكابـــد في الـــسرى وعـــرا وســـهلا

(١) ذكره القرطبي في الجامع (٨/٢٥٨).

(٢) ذكره القرطبي في الجامع (٨/ ٢٦٥) عن سعيد بن جبير ﷺ.

(٣) ذكره القرطبي في الجامع (٨/ ٢٦٥) من قول جابر بن عبد الله ﷺ.

بلغت نقا المشيب وجزت عنه وما بعد النقا إلا المصلى

وأما **حاجر**: فهو غربي النقا إلى منتهى الحرة، من وادي العقيق.

قال ابن فارس: والحاجز من الحجر، وهو محبس الماء والجمع حجران.

يحكى عن خير النساج، قال: سمعت إبراهيم الخواص وقد رجع من سفرة، قال: عطشت عطشا شديدا حتى سقطت، فإذا برجل عليه ثياب خضر ينثر على وجهي الماء، فقمت فإذا به على فرس أشهب، فسقاني، وكنت بالحاجر، وأردفني خلفه وسار، ثم قال: ما ترى؟ فقلت: المدينة، فقال: انزل واقرأ على رسول الله ﷺ مني السلام وقل: أخوك الخضر يسلم عليك وفي رواية قل له أخوك رضوان يقرأ عليك السلام حكاه ابن الجوزي.

الفصل الثاني

في ذكر مساجد صلى النبي ﷺ فيها بالمدينة الشريفة ولا يعرف اليوم إلا بعض أماكنها وهي في قرى الأنصار

منها: مسجد بني زريق:

من الخزرج، وهو أول مسجد قرئ فيه القرآن بالمدينة قبل هجرة النبي ﷺ وإن رافع بن مالك الزرقي رضي الله عنه، لما لقي رسول الله ﷺ في العقبة أعطاه ما نزل عليه من القرآن بمكة إلى ليلة العقبة، وذكر: أن النبي ﷺ توضأ فيه ولم يصل، واعجب من اعتدال قبلته.

قال الشيخ جمال الدين: وقرية بني زريق قبلي سور المدينة المشرفة وقبلي المصلى، وبعضها كان من داخل السور اليوم بالموضع المعروف بذوران أو ذي أروان التي وضع لبيد بن الأعصم، وهو من يهود بني زريق السحر في راعوفة بئرها والحديث مشهور[1].

قال الشيخ أبو الفتح: ذي أروان: اسم محلة بني زريق، وهناك بئر تسمى: بئر ذي أروان، والمسجد هناك.

ومسجد بني ساعدة:

من الخزرج رهط سعد بن عبادة، ذكر: أن النبي ﷺ صلى فيه وجلس في السقيفة.

عن عبد المهيمن بن عباس بن سهل بن سعد، عن أبيه، عن جده قال: جلس رسول الله ﷺ في سقيفتنا التي عند المسجد، واستسقى، فخضت له وطبه، فشرب، ثم قال: «زدني» فخضت له أخرى، فشرب، ثم قال: «كانت الأولى أطيب».

وفي هذه السقيفة: كانت بيعة أبي بكر الصديق رضي الله عنه.

---

(١) أخرجه البخاري (٣٢٦٨)، ومسلم (٤٣) ١٧١٩/٤ عن عائشة ﵂.

وقرية بني ساعدة عند بئر بضاعة، والبئر وسط بيوتهم، وشمالي البئر اليوم إلى جهة المغرب بقية أطم من آطال المدينة، يقال إنه في دار أبي دجانة رضي الله عنه الصغرى التي عند بضاعة.

ومسجد عند بيوت المطرفي:

عند خيام بني غفار، روي أن النبي ﷺ صلى فيه وأن تلك المنازل كانت منازل آل أبي رهم كلثوم بن الحصين الغفاري رضي الله عنه(١).

قال الشيخ جمال الدين: وليست الناحية معروفة اليوم.

ومسجد لجهينة ولمن هاجر من بلي:

عن خارجة بن الحارث بن رافع، عن أبيه، عن جده قال: جاء رسول الله ﷺ يعود رجلا من أصحابه من بني الربعة من جهينة يقال له: أبو مريم، فعاده بين منزل بني قيس العطار الذي فيه الأراكة، وبين منزلهم الآخر الذي يلي دار الأنصار، فصلى في المنزل، فقال: نفر من جهينة لأبي مريم: لو لحقت رسول الله ﷺ فسألته أن يخط لنا مسجدا فقال: «احملوني» فحملوه، فلحق النبي ﷺ فقال: «ما لك يا أبا مريم» فقال: يا رسول الله لو خططت لنا مسجدا؟ فجاء إلى مسجد جهينة وفيه خيام لبلى، فأخذ ضلعا أو محجنا فخط لهم به فالمنزل لبلى والخطة لجهينة(٢).

قال الشيخ جمال الدين: وهذه الناحية اليوم معروفة غربي حصن صاحب المدينة والسور القديم بينهما وبين جبل سلع، وعندها أثر باب من أبواب المدينة خراب،ويعرف اليوم بدرب جهينة، والناحية من داخل السور بينه وبين حصن الأمير صاحب المدينة.

ومسجد دار النابغة:

ذكر أن النبي ﷺ صلى فيه أيضا.

قال الشيخ جمال الدين: وهذه الدار غربي مسجد رسول الله ﷺ وهي دار بني عدي بن النجار، ومسجد رسول الله ﷺ وما يليه من جهة المشرق دار غنم بن مالك بن النجار.

ومسجد بني خدرة:

وخدرة: بضم الخاء المعجمة، وسكون الدال المهملة، واسمه: الأبجر بن عوف بن الحارث، وقيل: خدرة أم أبجر، والأول أشهر، وهم بطن من الأنصار، وأبجر بفتح الهمزة

---

(١) ذكره المطري في التعريف (ص ٧٦).

(٢) أخرجه ابن شبة في تاريخ المدينة (١/ ٦٣) عن خارجة بن الحارث ﷺ.

والجيم، وسكون الباء الموحدة.

عن هشام بن عروة: أن النبي ﷺ صلى في مسجد بني خدرة[١].

وعن يعقوب بن محمد بن أبي صعصعة أن رسول الله ﷺ صلى في بعض منازل بني خدرة، فهو المسجد الصغير الذي في بني خدرة مقابل بيت الحية.

قال الشيخ جمال الدين: ودار بني خدرة عند بئر البصة.

ومسجد بني مازن:

عن عمرو بن يحيى بن عمارة عن أبيه، أن رسول الله ﷺ وضع مسجد بني مازن بن النجار بيده وهيأ قبلته ولم يصلِ فيه[٢].

وعن يعقوب بن محمد بن أبي صعصعة أن رسول الله ﷺ صلى في بيت أم أبي بردة في بني مازن.

قال الشيخ جمال الدين: ودار بني مازن قبلي بئر البصة، وتسمى الناحية اليوم: أبا مازن[٣].

والمازن: بيض النمل، وهذا من المسمين بأسماء الهوام كحنش والحنش: كل شيء يصاد من الطير والهوام، وشبث: دابة تكون في الرمل، وجندب: الجرادة، وأرقم: والأرقم الحيات والفرغة: القملة ومنه حسان بن الفريغة مصغرا، والطافر: بيض النمل مرفوع وما عداه من البيض بالضاد الساقطة.

وها أنا أبين لك أول ساقط وهي الفرود من الأعداد، وكل ثان قائم وهي الأزواج من الأعداد: والناضر الأخضر والناظر بالعين، وظل عن الطاعة وظل في النعمة، وفاض بره وفاظ بمعنى فرط، والمض داء والمص رمان، والعض بالأسنان والعظ للزمان، ،البطن قلة الطعام والبظ الإلحاح، والحض حمل السيف على خصمك، والحظ الغليظ، والحض الحث والحظ الجد، والدعض هري اللحم والدعظ النكاح، والغض الكسر، والفض من فض يفض، والقيض القشر والقيظ الحر، والغيض نقص البحر والغيظ غيظ الإنسان.

والفضة الورق والفظة، قطعة في طرف الأحشاء والضلمة السهر والظلمة الليل، والضجة الغوغاء والظجة الضربة، والمرض معروف والمرط الجوع، والضغر الرجل القصير والظفر للإصبع، والنضير التبر والنظير النحاس، والضرب من ضرب يضرب

---

(١) أخرجه ابن شبة في تاريخ المدينة (١/ ٧٦) عن هشام بن عروة ؓ.

(٢) أخرجه ابن شبة في تاريخ المدينة (١/٧٦) عن عمرو بن يحيى ؓ.

(٣) ذكره المطري في التعريف (ص ٧٧) عن يعقوب بن محمد ؓ.

والظرب نوع من النبات، والضر ضد النفع والظر الصخرة، والقارض بالمقراض والقارظ النمام، وعضم مقبض القوس وعظم الأسنان، والضرف عيش والظرف النطق، والحضيرة الجمع والحظيرة من الدار، والضد واحد من الأعداء والظد من الرجال، والضرير الأعمى والظرير الموضع الحزن، والضهر ضهر الصخرة، والظهر ظهر الإنسان، والضن سيمة الأيام والظن الإتهام، واضباده من الكتب واظباده من الذهب، والحضل أصول السعف والحظل المنع، والفاضل من الناس، والفاظل الباقي، والعضل المنع في النكاح والعظل السفاد من الجراد، والتقريض في الهجاء والتقريظ في الثناء، والقريض الشعر والقريظ المدبوغ بالقرظ، والضرب في فحال الإبل والظرب الربا، والضعيف معروف والظعف بنت، والضفرة من الرمل والظفرة في العين، والرضيف الوقت والرظيف مبسم البعير، والعضة كالطلح والعظة المصدر في الوعظ ذكرها الإمام أحمد بن محمد بن أبي المكارم.

ومسجد بني حديلة:

وهو مسجد أبي بن كعب رضي الله عنه، روي عن يوسف الأعرج وربيعة بن عثمان: أن رسول الله ﷺ صلى في مسجد بني حديلة(١).

قال الشيخ جمال الدين: ودار بني حديلة عند بئر حاء شمالي سور المدينة من جهة المشرق، وبنو حديلة، هم: بنو معاوية بن عمرو بن مالك بن النجار بن الخزرج.

ومسجد بني دينار:

ذكر: أن النبي ﷺ صلى في مسجد بني دينار عند الغسالين وأن أبا بكر رضي الله عنه تزوج امرأة من بني دينار بن النجار، فكان رسول الله ﷺ يعوده فكلموه أن يصلي لهم في مكان يصلون فيه، فصلى لهم في هذا المسجد ومسجد بني دينار بين دار بني حديلة ودار بني معاوية أهل مسجد الإجابة المتقدم ذكره أعني مسجد بني معاوية.

فهذه بطون بني النجار كلها، ودورهم هذه المذكورة بالمدينة، وما حولها من جهة الشمال إلى مسجد الإجابة وهم: بنو غنم بن النجار، وبنو عدي بن النجار، وبنو مازن بن النجار، وبنو دينار بن النجار، وبنو معاوية بن النجار، وفيهم قال رسول الله ﷺ **«خير دور الأنصار دور بني النجار»**(٢).

ومسجد بأصل المنارتين:

من طريق العقيق الكبرى، صلى فيه رسول الله ﷺ وهو لا يعرف.

---

(١) ذكره المطري في التعريف (ص ٧٧) عن يوسف الأعرج ﷺ.

(٢) أخرجه البخاري (٣٧٨٩، ٣٧٩٠)، ومسلم (١٧٧) ٤/ ١٩٤٩ عن أبي أسيد ﷺ.

ومسجد بني حارثة:

من الأوس، ذكر: أن النبي ﷺ صلى فيه ودار بني حارثة بيثرب[١].

ومسجد بني عبد الأشهل:

رهط سعد بن معاذ، وأسيد بن حضير ذكر: أن النبي ﷺ صلى فيه وأن أم عامر بن يزيد بن السكن، أتت رسول الله ﷺ بعرق فتعرقه ثم قام فصلى ولم يتوضأ[٢].

وبنو عبد الأشهل: منسوبون إلى عبد الأشهل بن جشم بن الحارث بن الخزرج قال النبي ﷺ **«خير دور الأنصار بنو النجار، ثم بنو عبد الأشهل، ثم بنو الحارث، ثم بنو ساعدة وفي كل دور الأنصار خير»**[٣].

ومسجد بني الحبلى:

وهم رهط عبد الله بن أبي سلول، ذكر أن النبي ﷺ صلى فيه.

ومسجد بني الحارث بن الخزرج:

ذكر: أنه ﷺ صلى فيه.

قال الشيخ جمال الدين: ودار بني الحبلى بين قباء وبين دار بني الحارث، ودار بني الحارث شرقي وادي بطحان، ويعرف اليوم: بالحارث بإسقاط بني.

ومسجد بني أمية بن زيد:

بالعوالي في الكباء عند مال نهيك بن أبي نهيك، ذكر أنه ﷺ صلى فيه.

قال الشيخ جمال الدين: ودارهم شرقي دار بني الحارث وفيهم كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه نازلا بامرأته الأنصارية أم عاصم بنت أو أخت عاصم بن ثابت بن أبي الأفلح رضي الله عنه.

ومسجد بني خدارة:

ذكر أنه ﷺ صلى في مسجد بني خدارة عند الأطم الذي بجرار سعد بن عبادة، ووضع يده ﷺ على الحجر الذي في أطم سعد.

قال الشيخ جمال الدين: وهذه الدار قبلي دار بني ساعدة وبئر بضاعة مما يلي سوق المدينة، وكان سوق المدينة عرصة ما بين المصلى إلى جرار سعد المذكور، وهي جرار كان يستقي الناس فيها الماء، كما ورد عنه بعد وفاة أمه رضي الله عنه.

---

(١) أخرجه ابن شبة في تاريخ المدينة (١/٦٦)، والمطري في تاريخ مكة (ص ٧٨).

(٢) ذكره المطري في التعريف (ص ٧٨).

(٣) أخرجه البخاري (٣٧٨٩، ٣٧٩٠)، ومسلم (١٧٩) ٤/ ١٩٥٠ عن أبي أسيد ﷺ.

ومسجد النور:

صلى ﷺ فيه ولا يعلم اليوم مكانه.

ومسجد بني واقف:

ذكر: أنه ﷺ صلى فيه وهو موضع بالعوالي كانت فيه منازل بني واقف من الأوس، رهط هلال بن أمية الواقفي، أحد الثلاثة الذين خلفوا عن غزوة تبوك، ولا يعرف مكان دارهم اليوم، إلا أنها بالعوالي.

ومسجد في دار سعد بن خيثمة بقباء:

ذكر: أنه ﷺ صلى فيه.

قال الشيخ جمال الدين: ودار سعد بن خيثمة أحد الدور التي قبلي مسجد قباء، يزورها الناس إذا أرادوا قباء، وهناك أيضا دار كلثوم بن الهدم في تلك العرصة، وكان ﷺ نازلا بها حين قدم المدينة، وكذلك أهله ﷺ وأهل أبي بكر رضي الله عنه، حين قدم بهم علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وهن: سودة بنت زمعة، وعائشة وأمها أم رومان، وأختها أسماء بنت أبي بكر ﷺ، وولدت أسماء عبد الله بن الزبير قبل نزولهم إلى المدينة، فكان أول مولود ولد من المهاجرين بالمدينة.

ومسجد التوبة:

صلى ﷺ فيه وهو بالعصبة عند بئر هجيم وهو غير معروف.

قال الشيخ جمال الدين: أما العصبة فهي غربي مسجد قباء فيها مزارع وآبار كثيرة، وهي منازل بني جحجبا بن كلفة، بطن من الأوس.

ومسجد بني أنيف:

صلى ﷺ فيه عن عاصم بن سويد، عن أبيه قال: سمعت مشيخة بني أنيف يقولون: صلى رسول الله ﷺ حين كان يعود طلحة بن البراء رضي الله عنه، قريبا من أطمهم[1].

قال الشيخ جمال الدين: تكون دار بني أنيف وهم بطن من الأوس بين قرية بني عمرو بن عوف بقباء وبين العصبة.

ومسجد الشيخين:

ويسمى مسجد الشيخ صلى ﷺ فيه وهو موضع بين المدينة وبين أحد على الطريق الشرقية مع الحرة وإلى جبل أحد،وذكروا أنه ﷺ من هناك غدا إلى أحد كما قدمنا.

---

(١) ذكره المطري في التعريف (ص ٨٠) عن عاصم بن سويد ﷺ.

ومسجد بني خطمة:

صلى ﷺ فيه

ومسجد العجوز:

ذكر أنه ﷺ صلى في مسجد العجوز ببني خطمة وهي امرأة من سليم.

ومسجد بني وائل:

صلى ﷺ فيه.

قال الشيخ جمال الدين: الظاهر أن منازلهم بالعوالي شرقي مسجد الشمس، لأن تلك النواحي كلها ديار الأوس، وما سفل من ذلك إلى المدينة ديار الخزرج.

ومسجد بني بياضة من الخزرج:

صلى ﷺ فيه وبنو بياضة: بطن من الأنصار ثم من الخزرج.

وجميع من يعرف من الصحابة بياضي اثنان: عبد الله بن جابر وسماه أبوه: عبيد، وعبد الله بن أنمار يعد في أهل الحجاز.

قال المطري: وكانت دار بني بياضة فيما بين دار بني سالم بن عوف من الخزرج بوادي رانوناء، عند مسجد الجمعة إلى وادي بطحان قبلي دار بني مازن بن النجار، لأن رسول الله ﷺ لما صلى الجمعة في بني سالم بن عوف برانوناء، ركب راحلته، فانطلقت به حتى وازنت دار بني بياضة، وتلقاه زياد بن لبيد وفروة بن عمرو، في رجال بني بياضة.

ومسجد بفيفاء الخبار:

ذكر ابن إسحاق في غزوة العشيرة: أن النبي ﷺ سلك على نقب بني دينار، ثم على فيفاء الخبار، فنزل تحت شجرة ببطحاء ابن أزهر، يقال لها: ذات الساق، فصلى عندها، فثم مسجده، وصنع له طعاما عندها، وموضع أثافي البرمة معلومة،واستقى له من ماء يقال له المشيرب(١).

قال الشيخ جمال الدين: فيفاء الخبار غربي الجماوات التي بوادي العقيق، وهي الجبال التي في غربي وادي العقيق، وهي أرض فيها سهولة، وفيها حجارة وحفائر وهو الموضع الذي كانت ترعى فيه إبل الصدقة، ولقاح رسول الله ﷺ لأنه ورد في رواية أنها إبل الصدقة، وفي أخرى: أنها لقاح رسول الله ﷺ وأنها كانت ترعى بذي الجدر، غربي جبل عير على ستة أميال من المدينة، والروايتان صحيحتان، والجمع بينهما: أن النبي ﷺ كانت له إبل من نصيبه من المغنم، وكانت ترعى مع إبل الصدقة، فأخبروه مرة عن إبله،

---

(١) أورده ابن هشام في السيرة (١/ ٥٩٨).

ومرة عن إبل الصدقة، وأن النفر من عكل، أو من عرينة أمرهم رسول الله ﷺ أن يلحقوا بإبل الصدقة يشربوا من أبوالها وألبانها، ففعلوا ثم قتلوا الراعي وكان يسمى يسار، من موالي رسول الله ﷺ واستاقوا الإبل، فبعث في أثرهم عشرين فارسا واستعمل عليهم كرز بن جابر الفهري فأدركوهم فربطوهم وفقدوا واحدة من لقاح رسول الله ﷺ تدعى الحناء، فلما دخلوا بهم المدينة، كان رسول الله ﷺ بالغابة أسفل المدينة، فخرجوا بهم نحوه فلقوه بالزغابة وهو راجع إلى المدينة، وهو موضع معروف اليوم يجتمع فيه سيل قناة، وسيل بطحان، فأمر بهم رسول الله ﷺ فقطعت أيديهم وأرجلهم، وسملت أعينهم وصلبوا هناك.

قال الشيخ محب الدين أحمد بن عبد الله بن محمد الطبري ولم ينقل أنه ﷺ اقتنى من البقر شيئا، وكانت له عشرون لقحة بالغابة، وكان له فيها لقاح غزر: الحناء والسمراء، والعريس، والسعدية، والبغوم، واليسيرة، والدباء، وكانت له لقحة تدعى: بردة أهداها له الضحاك بن سفيان، وكانت له: مهرة أرسلها له سعد بن عبادة من نعم بني عقيل، وكانت له القصواء ابتاعها من أبي بكر رضي الله عنه، وأخرى من بني قشير بثمانمائة درهم وهي التي هاجر عليها وكانت إذ ذاك رباعية وكان لا يحمل إذا نزل عليه الوحي غيرها وهي العضباء والجدعاء وهي التي سبقت فشق على المسلمين فقال ﷺ: «**إن من قدر الله تعالى أن لا يرتفع شيء إلا وضعه**»[1]، وقيل: المسبوقة العضباء، وهي غير القصواء [قيل: لم تسم بذلك لشيء أصابها، وقيل: كان بأذنها شق فسميت به، لأن القصواء][2] المشقوقة الأذن وكان له ﷺ مائة من الغنم.

وقال ابن قتيبة: قرأت في منجاة عزير ربه أنه قال: اللهم إنك اخترت من الأنعام الضانية، ومن الطير الحمامة، ومن النبات الحبلة يعني الكرم ومن البيوت بكة وإيلياء، ومن إيلياء بيت المقدس.

وعن الأسود بن عبد الرحمن عن أبيه عن جده قال: قال رسول الله ﷺ «**ما خلق الله دابة أكرم عليه من النعجة**»[3].

وكانت له ﷺ سبع منائح: عجرة، وزمزم، وسقيا، وبركة وورسة، وإطلال وإطراف وكانت ترعاهن أم أيمن، وكانت له ﷺ شاة يختص بشرب لبنها تدعى غيثة.

---

(١) أخرجه البخاري (٢٨٧٢) عن أنس رضي الله عنه.

(٢) سقط بالأصل، والإضافة من نسخة تركيا.

(٣) أخرجه ابن قتيبة في مختلف الحديث (١/٣١٢).

وكان له ﷺ ديك أبيض ذكره أبو سعيد.

وروى القاسم بن الطيلسان عن رسول الله ﷺ أنه قال: **«ما زلت بالأشواق إلى الديك الأبيض منذ رأيت ديك الله تعالى تحت عرشه ليلة أسري بي، ديكا أبيض زغبه أخضر كالزبرجد إذا خفق خفقت الديوك في الأرض وصرخت لصراخه»**[(١)] الحديث: قال: فاتخذ رسول الله ﷺ ديكا أبيض.

وقال: الديك الأبيض صديقي وصديق صديقي وعدو عدو الله يحرس دار صاحبه عشرا، عن يمينها وعشرا عن يسارها وعشرا بين يديها وعشرا من خلفها[(٢)] فكان رسول الله ﷺ يبيته معه في البيت.

وكان ديك آدم عليه السلام أبيض أفرق أصفر الرجلين كالثور العظيم.

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: أحب الطيور إلى إبليس الطاووس، وأبغضها إلي الديك، والشيطان لا يدخل بيتا فيه ديك أبيض أفرق[(٣)].

وقال قتادة: أكثر الطيور في الجنة الديوك وقال: إن آدم اختار من الطيور الديك والحمامة، ومن المواشي النعجة، ومن الأنعام الناقة، وكان ديك يوسف عليه السلام أبيض عمره خمسمائة سنة.

وعنه ﷺ **«أن الديك إذا صاح يقول: اذكروا الله يا غافلين، والنسر يقول: ابن آدم عش ما شئت آخره الموت، والعقاب يقول: في البعد عن الناس أنس، والقنبر يقول: اللهم العن مبغضي محمد وآل محمد، والخطاف يقول: الحمد لله رب العالمين، والضفدع يقول: سبحانه ربي القدوس، والبلبل يقول: أكلت نصف ثمرة فعلى الدنيا العفاء، والدراج يقول: الرحمن على العرش استوى، والورشان يقول: [لدو للموت وابنوا للخراب، والفاختة تقول: ليت ذا الخلق لم يخلقوا، والطاووس يقول:]**[(٤)] **كما تدين تدان، والهدهد يقول: من لا يرحم لا يرحم، والصرد يقول: اتقوا الله يا مذنبين، والحمامة تقول: سبحان ربي الأعلى ملء سمائه وملء أرضه، والقمري يقول: سبحان ربي الأعلى، والطيطوي يقول: كل حي ميت، وكل جديد بال، والحدأة تقول: كل شيء هالك إلا وجهه، والقطاة تقول: من سكت سلم، والببغاء تقول: ويل لمن الدنيا**

---

(١) ذكره العجلوني في كشف الخفا (٥٦٧/٢) وقال لم يثبت فيه شيء.

(٢) أخرجه الطبراني في الكبير (٧٣٩١) ٨/ ٦٨، عن صفوان بن عسال رضي الله عنه.

(٣) ذكره المتقي في الكنز (٣٥٢٧٣) وعزاه لابن قانع عن أيوب بن عتبة رضي الله عنه.

(٤) سقط بالأصل، وزيادة من نسخة تركيا.

همه، والبازي يقول: سبحان ربي العظيم وبحمده، والحمار يقول: لعنة الله على الظالمين، والغراب يقول: يا معشر الأمم احذروا زوال النعم»[١].

ويروى أن النبي ﷺ صلى في بقيع الزبير صلاة الضحى فقال له أصحابه: إن هذه لصلاة ما كنت تصليها، فقال: «إنها لصلاة رغب ورهب فلا تدعوها»[٢].

وليس هذا المكان اليوم بمعروف.

وروي أيضا: أنه ﷺ خرج إلى بني عبد الأشهل، وبني ظفر وهم بنو عم عبد الأشهل أهل مسجد البغلة المتقدم ذكرها فأتى بخبز ولحم فأكل ثم صلى ولم يتوضأ[٣].

ودار بني عبد الأشهل قبل دار بني ظفر مع طرف الحرة الشرقية وتعرف بحرة واقم، وهي التي كانت فيها وقعة الحرة في أيام يزيد بن معاوية في سنة ثلاث وستين من الهجرة.

وعن إبراهيم بن محمد، عن أبيه، قال: مطرت السماء على عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فقال لأصحابه: هل لكم بنا في هذا الماء الحديث العهد بالعرش لنتبرك به ولنشرب منه، فلو جاء من مجيئه راكب لتمسحنا به، فخرجوا حتى أتوا حرة واقم وشراجها تطرد، فشربوا وتوضؤوا فقال كعب: أما والله يا أمير المؤمنين لتسلين هذه الشراج بدماء الناس كما تسيل بهذا الماء فقال رضي الله عنه: إية الآن دعنا من أحاديثك، قال: فدنا منه ابن الزبير فقال: يا أبا إسحاق ومتى ذلك وفي أي زمان؟ فقال له كعب: إياك يا عبيس أن يكون ذلك على رجلك أو يدك.

وروي أيضا عن كعب الأحبار أنه قال: إنا نجد في كتاب الله حرة بشرق المدينة يقتل فيها مقتلة تضيء وجوههم يوم القيامة كما يضيء القمر ليلة البدر.

وذكر أنه ﷺ صلى في دار أنس بن مالك رضي الله عنه وفي دار الشفاء حكاه ابن الجوزي.

الفصل الثالث
في ذكر المساجد التي صلى فيها ﷺ بين مكة والمدينة

منها: مسجد ذي الحليفة:

وهي محرم الحجاج، وميقات أهل المدينة، قيل: ذي الحليفة ماء من مياه بني جشم،

---

(١) ذكره الدميري في حياة الحيوان (٢/ ١٧٠).

(٢) ذكره المطري في التعريف (ص ٧٥).

(٣) أورده المطري في التعريف (ص ٧٨).

وقيل: هي ماء بين بني جشم بن بكر وبين بني خفاجة العقيلين، بينه وبين المدينة ستة أميال.

وهو منزل رسول الله ﷺ إذا خرج من المدينة إلى الحج أو العمرة.

والمواقيت أربعة:

ذو الحليفة: وهو ميقات أهل المدينة ومن مر بها.

وذات عرق: لأهل العراق وخراسان والمشرق، وهو الجبل المشرف على العقيق الحجازي والقرية المحدثة بها، أحدثها طلحة بن عبد الرحمن بن أبي بكر رضي الله عنه في عهد هشام بن عبد الملك، والعقيق موضع قبيل ذات عرق، وقيل: هو في حرة ذات عرق من الطرف الأقصى، وحد العقيق ما بين بريد النفث إلى غمرة بالغين المعجمة وقيل: ذات عرق موضع بشرقي مكة بينهما مرحلتان بوادي قرن بنجد، سمي بذلك لأن هناك عرقا وهو الجبل الصغير.

والصحيح أن النبي ﷺ بين لأهل المشرق ميقاتا، لأن العراق فتح بعد النبي ﷺ وإنما حد لهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه حين فتح العراق.

وفي أفراد البخاري من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: لما فتح هذان المصران، أتوا عمر بن الخطاب فقالوا: إن رسول الله ﷺ وقت لأهل نجد قرنا، وإنه جور عن طريقنا، فإذا أردنا أن نأتي قرنا شق علينا، قال: فانظروا حذوها من طريقكم، قال: فحد لهم ذات عرق[1].

وروى أبو داود من حديث عائشة رضي الله عنها: أن النبي ﷺ وقت لأهل العراق ذات عرق[2]. قال ابن الجوزي: إسناده ضعيف.

وقد روى البخاري ومسلم في الصحيحين[3] من حديث ابن عمر وابن عباس رضي الله عنهم عن النبي ﷺ [إنه ذكر المواقيت الأربعة ولم يذكر ذات عرق.

وروى مالك، عن نافع، عن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ][4] قال: «**يهل أهل المدينة من ذي الحليفة، ويهل أهل الشام من الجحفة ويهل أهل نجد من قرن**»[5].

---

(١) أخرجه البخاري (٢/١٧٥) عن ابن عمر رضي الله عنهما.

(٢) أخرجه أبو داود (١٧٣٩)، والنسائي (٥/١٢٥) عن عائشة رضي الله عنها.

(٣) أخرجه البخاري (١٥٢٥)، ومسلم (١٢) ٢/ ٨٣٩ عن ابن عمر رضي الله عنهما.

(٤) سقط بالأصل، وزيادة من نسخة تركيا.

(٥) أخرجه البخاري (١٥٢٥)، ومسلم (١٣) ٢/ ٨٣٩، ومالك في الموطأ (١/ ٣٣٠)، عن ابن عمر رضي الله عنهما.

قال ابن عمر رضي الله عنهما: وبلغني أن النبي ﷺ قال: «**ويهل أهل اليمن من يلملم**»[١].

وخرج الترمذي والنسائي، عن ابن عباس رضي الله عنهما، وهو في صحيح البخاري: «**أن النبي ﷺ وقت لأهل المدينة ذي الحليفة ولأهل الشام الجحفة، ولأهل نجد قرن المنازل، ولأهل اليمن يلملم**»[٢].

وخرج الترمذي والنسائي أيضا، عن جابر بن عبد الله عن النبي ﷺ نحوه، وزاد: «ويهل أهل العراق من ذات عرق» وهو في صحيح مسلم[٣].

قال القاضي سند: ونجمع بين هذه الأخبار فنقول: وقت ذلك رسول الله ﷺ ولم يبلغ ذلك عمر، ثم وقت عمر فكان مصيبا لتأقيت النبي ﷺ.

الجحفة ميقات أهل الشام ومصر والمغرب، وسميت الجحفة لأن العماليق أخرجوا بني غسان، وهم إخوة عاد من يثرب، فنزلوا الجحفة وكان اسمها مهيعة فجاءهم سيل، فاجتحفهم أي احتملهم فسميت به، وكانت مسكن مسيلمة الكذاب، وقيل: سكنتها اليهود بعد ذلك، ولذلك دعا النبي ﷺ بنقل الحمى إليها، وهي من مكة على خمسين فرسخا، وقيل: بين مكة والمدينة تحاذي ذي الحليفة.

وقرن: ميقات أهل نجد، ويقال: بتسكين الراء، وفتح راء من الفقهاء من لا يعرب قال ابن زياد: قرن بالتسكين موضع وبفتح الراء حي من اليمن منهم أويس القرني ذكره الجوهري.

ويلملم: ميقات أهل اليمن وقد جمعهم بعض الفضلاء فقال:

عـــرق العـــراق يلملـــم الـــيمن ... ومـــن الحلـــيفة يحـــرم المـــدني

والـــشام جحفـــة إن مـــررت بهـــا ... وأهـــل نجـــد قـــرن فاســـتبن

قال الشيخ جمال الدين: ومسجد ذي الحليفة هو المسجد الكبير الذي هنالك، وكانت فيه عقود في قبلته، ومنارة في ركنه الغربي الشمالي، فتهدم على طول الزمان، وهو مبني في موضع الشجرة التي كانت هنالك، وبها سمي مسجد الشجرة، والبئر من جهة شمالية، وفي قبلة هذا المسجد مسجد آخر أصغر منه ولا يبعد أن يكون ﷺ صلى فيه بينهما مقدار رمية سهم.

---

(١) أخرجه البخاري (١٥٢٥)، ومسلم (١٣) ٢/ ٨٣٩، وأحمد (١/ ٣٣٣)، ومالك (١/ ٣٣١) عن ابن عمر رضي الله عنهما.

(٢) أخرجه البخاري (١٥٢٦)، مسلم (١١، ١٢) ٢/ ٨٣٨، عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٣) أخرجه مسلم (١٨) ٢/ ٨٤٠، عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه.

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أنه قال: بات رسول الله ﷺ بذي الحليفة مبدأه وصلى في مسجدها[(١)].

وعنه أيضا أنه قال: كان رسول الله ﷺ إذا وضع رجله في الغرز وانبعث به راحلته قائمة أهل من ذي الحليفة[(٢)].

يروى أن النبي ﷺ صلى في مسجد الشجرة إلى جهة الأسطوانة الوسطى استقبلها وكان موضع الشجرة التي كان النبي ﷺ صلى إليها وكانت سمرة.

فينبغي للحاج إذا وصل إلى ذي الحليفة أن لا يتعدى في نزوله المسجد المذكور من أربع نواحيه، ومن لم يتحر في ذلك تجاوز الميقات.

وعن ابن عمر رضي الله عنهما: كان رسول الله ﷺ إذا قدم من حج أو عمرة، وكان بذي الحليفة هبط بطن الوادي، وادي العقيق، وإذا ظهر من بطن الوادي، أناخ بالبطحاء التي على شفير الوادي الشرقية عرس حتى يصبح، فيصلي الصبح ليس عند المسجد الذي هناك، ولا على الأكمة التي عليها المسجد، كان ثم خليج يصلي عنده عبد الله في بطنه كثب كان رسول الله ﷺ يصلي عنده، ثم فدحا السيل فيه بالبطحاء، حتى دفن ذلك المكان الذي كان عبد الله يصلي فيه[(٣)].

وأما عمره ﷺ فأربع:

كلها في ذي القعدة[(٤)].

الأولى عمرة الحديبية:

وصده المشركون عنها، ثم صالحوه على أن يعود من العام القابل، فحل إحرامه ونحر سبعين بدنة، وكان ذلك في السنة السادسة، وفيها كانت بيعة الرضوان وفي هذه السنة صلى صلاة الخوف.

النحر سنة ذكاة الإبل ويجوز ذبحها للضرورة، والذبح [سنة ذكاة الغنم ويجوز نحرها للضرورة، وسنة البقر الذبح، والنحر فيها جائز من غير ضرورة، والذبح][(٥)] استيفاء قطع الحلقوم والودجين في قطع واحد، والنحر في اللبة، ولا يجوز ذبح الكافر غير الكتابي، ويجوز ذبح الكتابي.

---

(١) أخرجه البخاري (١/ ١٤١) عن ابن عمر رضي الله عنهما.

(٢) أخرجه مسلم (٢٧) ٢/ ٨٤٥، عن ابن عمر رضي الله عنهما.

(٣) أخرجه البخاري (٤٨٤)، عن ابن عمر رضي الله عنهما.

(٤) أخرجه البخاري (٤١٤٨)، ومسلم (٢١٧) ٢/ ٩١٦ عن أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٥) سقط بالأصل وزيادة من نسخة تركيا.

الثانية عمرة القصية:

بالصاد المهملة ويقال بالمعجمة وهي عمرة القضاء، وهي عمرة القصاص من العام القابل: أحرم بها ﷺ من ذي الحليفة وكان قد تزوج ميمونة الهلالية قبل عمرته، ولم يدخل بها، فلما خرج أتى سرف موضع على عشرة أميال من مكة فعرس بأهله هناك سرف بفتح السين وكسر المهملة.

الثالثة: عمرة الجعرانة:

في سنة ثمان لما فتح مكة خرج إلى الطائف، فأقام عليه شهرا ثم رجع على دجناء اسم عقبة ودجناء بالجيم، ويروى بالحاء المهملة.

قلت: واليوم تعرف بتجناء بالتاء المثناة من فوق والجيم، سلكتها في آخر شهر ربيع الآخر من سنة أربع وخمسين وسبعمائة.

وتحتها من جهة مكة وادي الطود ويقال له: وادي الطاد، وهو أول بلاد بني ريشة، ثم رجع ﷺ على قرن المنازل، ثم على نخلة حتى خرج على الجعرانة، فلحقه أهل الطائف وأسلموا ودخل ﷺ مكة معتمرا ليلة الأربعاء لاثنتي عشرة ليلة بقيت من ذي القعدة، وفرغ من عمرته ليلا، ثم رجع إلى الجعرانة وأصبح بها كبائت ورجع إلى المدينة.

الجعرانة: بتخفيف العين، وفتح الراء من غير تشديد، ومن الرواة من يحرك العين ويشدد الراء، والأكثرون على أنه خطأ، وهي من مكة على تسعة أميال، وقال العسكري: الصواب كسر الجيم وإسكان العين والقول بكسر الجيم والعين وتشديد الراء خطأ.

وعن محمد بن عبد الله بن ميمون يحكي عن الشافعي قال: الجعرانة والحديبية بالتخفيف.

الرابعة: اعتمر مع حجته ﷺ:

ولم يحج ﷺ بعد الهجرة غير حجة واحدة في سنة عشر، وهي حجة الوداع، وحج قبل الهجرة حجتين.

ونزلت فريضة الحج في سنة ست، ولم تفتح مكة إلا في سنة ثمان، فحج فيها بالناس عتاب بن أسيد، وفي السنة التاسعة حج بالناس أبو بكر رضي الله عنه، وفي السنة العاشرة حج ﷺ وهي حجة الوداع ووافقت في اليوم التاسع من ذي الحجة، فبقي الحج بعدها في اليوم التاسع، وإنما كان يوم عرفة يدور في أيام السنة كلها حكاه المحب الطبري في كتابه التشويق إلى البيت العتيق.

ودخل مكة ﷺ صبيحة يوم الأحد من كدى بضم الكاف والقصر من أعلى مكة وثنية كداء بالفتح والمد أسفل مكة.

وقال ابن الجوزي: كداء بالفتح والمد أعلى مكة، وهو الذي يستحب الدخول منه ينحدر منه على المقابر والمحصب.

وكدى بضم الكاف مع القصر أسفل مكة بقرب شعب الشافعيين عند قعيقعان وهو الذي يستحب الخروج منه.

وكدى: بضم الكاف مع تشديد الياء مصغرا، وإنما هو لمن خرج من مكة إلى اليمن، قال: وهذا ضبط المحققين، منهم أبو العباس أحمد بن عمر العذري، فإنه كان يرويه عن أهل المعرفة بمكة حكاه عن الحميدي.

والمحصب والأبطح متصل طرف أحدهما بالآخر، فالمحصب الذي يلي أحد طرفيه منى، والآخر الأبطح، ولذلك لم يفرق الراوي بينهما.

فروي مرة أن النبي ﷺ صلى ورقد بالمحصب، وروي مرة أن النبي ﷺ رقد بالأبطح[1] والمراد واحد، وهما اسمين لواديين بين مكة ومنى.

وكانت الوقفة في تلك السنة بالجمعة، وإذا وافق يوم عرفة جمعة غفر لأهل عرفة حكاه ابن الجوزي.

وكان الحج غير واجب على أهل الشرائع قبلنا وهو الصحيح، وقيل: كان واجبا ولم يكن واجبا قبل الهجرة.

قال ابن إسحاق: لم يبعث الله نبيا بعد إبراهيم عليه السلام إلا وقد حج البيت.

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«من خرج من مكة ماشيا حتى يرجع إلى مكة كتب الله له بكل خطوة سبعمائة حسنة من حسنات الحرم»** قيل له: وما حسنات الحرم؟ قال:. **«بكل حسنة مائة ألف حسنة»** وفي رواية: أن للراكب بكل خطوة سبعون حسنة وللماشي بكل خطوة سبعمائة حسنة[2].

وقد حج إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام ماشيين وحج آدم عليه السلام على رجليه أربعين حجة.

وحج الحسن بن علي رضي الله عنهما على رجليه خمسا وعشرين حجة.

وحج أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى ماشيا مرتين، وحج أبو شعيب ماشيا من نيسابور نيفا وستين حجة، وحج المغيرة بن حكيم نيفا وخمسين حجة حافيا، وحج أبو

---

(١) رواه الفاكهي في أخبار مكة (٤/ ٦٨) عن أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك (١/ ٣٦٠، ٣٦١) عن ابن عباس رضي الله عنهما، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد.

العباس العباسي ثمانين حجة على قدميه، وحج أبو حمزة الصوفي من قزوين ماشيا، وحج حسن أخو سنان الدينوري ستة عشر حجة حافيا.

واعلم أن الحسنات والسيئات يتضاعفان بمكة حتى أنه لو هم فيها الإنسان بسيئة كتبت عليه بخلاف غيرها من البقاع.

وقال الضحاك: إن الرجل يهم بالخطيئة بمكة وهو بأرض أخرى فتكتب عليه ولم يعملها، نسأل الله العصمة.

واعلم أن الملكان الكاتبان من قديم الزمان دليله قول النهشلي، وكان جاهلي:

فلا تحسبين كافرا لك نعمة   على شاهدي يا شاهد الله فاشهد

يريد: على لساني يا ملك الله فاشهد.

قال الغزالي: وقد وكل الله تعالى بكل إنسان مائة وستين ملكا، ولولا ذلك لاختطفته الشياطين، فإذا خلى الإنسان كان معه من العوالم ما لا يعلمه إلا الله تعالى.

رجعنا إلى المقصود:

ومن المساجد التي صلى فيها النبي ﷺ بين مكة والمدينة:

مسجد بشرف الروحاء:

والروحاء من أعمال الفرع عن سالم بن عبد الله، عن أبيه رضي الله عنه قال: صلى رسول الله ﷺ بشرف الروحاء عن يمين الطريق وأنت ذاهب إلى مكة، وعن يسارها وأنت مقبل من مكة.

قال الشيخ جمال الدين شرف الروحاء وهو آخر السيالة، وأنت متوجه إلى مكة، وأول السيالة إذا قطعت فرش ملل وأنت مغرب وكانت الصخيرات الثمام عن يمينك وهبطت من فرش ملل، ثم رجعت على يسارك واستقبلت القبلة فهذه السيالة وكانت قد تجدد فيها بعد النبي ﷺ عيون وسكان، وآخرها الشرف المذكور، والمسجد عنده، وعنده قبور قديمة ثم تهبط في وادي الروحاء مستقبل القبلة، ويعرف اليوم: بوادي بني سالم، بطن من حرب فتمشي مستقبل القبلة وشعب علي رضي الله عنه على يسارك، إلى أن تدور الطريق بك إلى المغرب، وأنت مع أصل الجبل الذي على يمينك، فأول ما يلقاك مسجد على يمينك ويعرف ذلك المكان بعرق الظبية ويبقى جبل ورقان على يسارك.

ومسجد بعرق الظبية:

وهو المتقدم ذكره وكان فيه قبور كثيرة في قبلته فتهدم على طول الزمان صلى فيه رسول الله ﷺ وفي المسجد الآن: حجر قد نقش عليه بالخط الكوفي عند عمارته الميل الفلاني من البريد الفلاني.

قال الزبير حدثنا ابن الحسن، عن أخيه عن كثير بن عبد الله بن عمرو بن عوف، عن أبيه، عن جده قال: أول غزوة غزاها رسول الله ﷺ وأنا معه: غزوة الأبواء، حتى إذا كنا بالروحاء، عند عرق الظبية قال: أتدرون ما اسم هذا الجبل، يعني ورقان هذا حمت اللهم بارك فيه وبارك لأهله فيه، تدرون ما اسم هذا الوادي، يعني وادي الروحاء هذا سجاسج لقد صلى في هذا المسجد قبلي سبعون نبيا ولقد مر بها يعني الروحاء موسى بن عمران ﷺ في سبعين ألفا من بني إسرائيل عليه عباءتان قطوانيتان على ناقة له ورقاء، ولا تقوم الساعة حتى يمر بها عيسى ابن مريم حاجا أو معتمرا، أو يجمع الله له ذلك(١).

وفي رواية أخرى قال: هذا سجاسج واد من أودية الجنة الحديث.

وذكر أبو عبيد البكري: أن قبر مضر بن نزار بالروحاء على ليلتين من المدينة بينهما إحدى وأربعون ميلا، وقيل: أربعون وقيل: عشرة فراسخ وذلك ثلاثون ميلا.

وفي صحيح مسلم: أن ما بين الروحاء والمدينة ستة وثلاثون ميلا(٢).

ومسجد الغزالة:

في آخر وادي الروحاء مع طرف الجبل على يسارك، وأنت ذاهب إلى مكة ولم يبق فيه اليوم إلا عقد الباب صلى فيه رسول الله ﷺ.

وعن يمين الطريق إذا كنت بهذا المسجد وأنت مستقبل النازية موضع كان عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ينزل فيه ويقول: هذا منزل رسول الله ﷺ وكان ثم شجرة وكان ابن عمر رضي الله عنه إذا نزل هذا المنزل وتوضأ يصب فضل وضوءه في أصلها ويقول: هكذا رأيت رسول الله ﷺ يفعل(٣).

وإذا كان الإنسان عند مسجد الغزالة المذكور كانت طريق النبي ﷺ إلى مكة المشرفة على يساره مستقبل القبلة، وهي الطريق المعهودة من قديم الزمان يمر على بئر يقال لها: السقيا، ثم على ثنية هرشى، وهي طريق الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم، والطريق اليوم من طرف الروحاء على النازية إلى مضيق الصفراء.

وفي الصحيحين من حديث ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ.أنه مر بوادي الأزرق فقال: **«أي واد هذا؟»** قالوا: هذا وادي الأزرق قال: **«كأني أنظر إلى موسى عليه السلام هابطا من الثنية وله جؤار إلى الله بالتلبية ثم أتى على ثنية هرشى»** فقال: **«كأني**

---

(١) أخرجه ابن شبة في تاريخ المدينة (١/ ٨٠) عن الزبير رضي الله عنه.

(٢) ذكره المطري في التعريف (ص ٧٢).

(٣) أورده المطري في التعريف (ص ٧٢، ٧٣).

أنظر إلى يونس بن متى عليه السلام على ناقة جعدة عليه جبة من صوف خطام ناقته خلبة مارا بهذا الوادي ملبيا»[١] الخلبة: الليف.

وقد ذكر البخاري وغيره عدة مساجد في أماكن معروفة، لكن المساجد التي صلى فيها اليوم لا تعرف[٢].

فمنها: مسجد الرويثة:

على يمين الطريق المذكور تجده حين تفضي من أكمة دون الرويثة بميلين، تحت صخرة ضخمة قد انكسر أعلاها، فانثنى في جوفها، وهي قائمة على ساق والرويثة معروفة والمسجد غير معروف.

ومسجد بطريق تلعة:

من وراء العرج وأنت ذاهب إلى مكة على يمين الطريق على رأس خمسة أميال من العرج إلى هضبة هناك، وعندها ثلاثة أقبر، ورضم من حجارة بين سلمات هناك، كان عبد الله بن عمر رضي الله عنهما يروح من العرج بعد أن تميل الشمس بالهاجرة، فيصلي الظهر في هذا المسجد والعرج معروف أما المسجد فهو غير معروف.

ومسجد ثنية هرشى:

على يسار الطريق وأنت ذاهب إلى مكة في مسيل دون ثنية هرشى إلى سرحة هي أقرب السرحات إلى الطريق وهي أطولهن، وعقبة هرشى معروفة سهلة المسلك.

ومسجد بالأثاثة:

ولا تعرف.

ومسجد بالمسيل الذي بوادي مر الظهران:

حين تهبط من الصفراء وأنت على يسار الطريق وأنت ذاهب إلى مكة ومر الظهران بطن مر المعروف.

ومسجد بذي طوى:

ووادي طوى بمكة بين الثنيتين وصلى رسول الله ﷺ عند أكمة سوداء تدع من الأكمة عشرة أذرع أو نحوها يمينا، ثم تصلي مستقبل الفرضتين بين الجبل الطويل الذي بينك وبين الكعبة، وليس بمعروف.

---

(١) أخرجه مسلم (٢٦٨)، وابن ماجه (٢/٥٩٦)، وأحمد (١/ ٢١٥) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) ذكره البخاري (٤٨٣- ٤٩٢).

ومسجد بدبة المستعجلة:

وذكر: أن رسول الله ﷺ نزل بالدبة دبة المستعجلة من المضيق واستقى له من بئر الشعبة الصابة أسفل من الدبة، فهو لا يفارقها الماء أبدا.

قال الشيخ جمال الدين: والمستعجلة هي المضيق الذي يصعد إليه الحاج إذا قطع النازية، وهو متوجه إلى الصفراء، وذكر ابن إسحاق أن رسول الله ﷺ نزل بشعب سير وهو الشعب الذي بين المستعجلة والصفراء وقسم به غنائم أهل بدر ولا يزال فيه الماء غالبا.

ومسجد الصفراء:

ذكر ابن زبالة: أن النبي ﷺ صلى فيه، وصلى بمسجد آخر بموضع يسمى: ذات أجدال من مضيق الصفراء، وفي مسجد آخر بذفران، واد معروف يصب في الصفراء من جهة الغرب، وأنهم حفروا بئرا في موضع سجود النبي ﷺ ووجدوا الماء بها فضلا عن العذوبة على ما حولها ببركة النبي ﷺ.

ومسجد البرود:

ذكر أن النبي ﷺ نزل في موضع المسجد الذي بالبرود من مضيق الفرع، وصلى فيه ﷺ.

ومسجد من طريق مبرك:

ذكر: أنه ﷺ صلى فيه في مطلعه من طريق مبرك في مسجد هناك بينه وبين دعان ستة أميال.

الفصل الرابع

في ذكر المساجد التي صلى فيها رسول الله ﷺ بين المدينة وتبوك

لما غزا رسول الله ﷺ غزوة تبوك، بنى في سفرته سبعة عشر مسجدا وقيل: ثمانية عشر.

الأول: مسجد تبوك:

ويسمى مسجد التوبة وهو من المساجد التي بناها عمر بن عبد العزيز.

الثاني: مسجد بثنية مدران:

بفتح الميم وكسر الدال المهملة تلقاء تبوك.

الثالث: مسجد بذات الزراب:

بتشديد الزاي وكسرها، وبعدها راء مهملة، وهو على مرحلتين من تبوك.

الرابع: مسجد بالأخضر:

على أربع مراحل من تبوك.

الخامس: مسجد بذات الخطمي:

بالخاء المعجمة، على خمس مراحل من تبوك.

السادس: مسجد أيضا بآلى:

بفتح أوله وثانيه على خمس مراحل من تبوك.

السابع: مسجد بطرف البتراء:

تأنيث أبتر قال ابن إسحاق: من ذنب كواكب، وقال أبو عبيد البكري: إنما هو كوكب، وهو جبل في تلك الناحية في بلاد بني الحارث بن كعب.

الثامن: مسجد بشق تاراء:

بالتاء المثناة من أعلى.

التاسع: مسجد بذي الحليفة:

قاله ابن إسحاق وابن زبالة.

العاشر: مسجد بالشوشق:

حكاه الحافظ عبد الغني، عن الحاكم.

الحادي عشر: مسجد بصدر حوضي:

بالحاء المهملة، والضاد المعجمة مقصورة.

الثاني عشر: مسجد بالحجر:

الثالث عشر: مسجد بصعيد قرح.

الرابع عشر: مسجد بوادي القرى:

قال الحاكم: مسجد الصعيد هو اليوم مسجد وادي القرى.

الخامس عشر: مسجد بالرقعة:

قال أبو عبيد البكري: أخشى أن يكون بالرقمة بالميم من الشقة، شقة بني عذرة.

السادس عشر: مسجد بذي المروة:

وهي من أعمال المدينة بينها وبين المدينة ثمانية برد.

السابع عشر: مسجد بفيفاء الفحلتين:

وهي أيضا من أعمال المدينة، بها عيون وبساتين لجماعة من أولاد الصحابة رضي الله عنهم، منهم: أزهر بن عوف بن عبد بن الحارث، وبها مات أبوه، وأبواه ابن عم عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه وتولى دفنه بها ابن عمه: حفص بن عمر بن عبد الرحمن بن عوف.

الثامن عشر: مسجد بذي خشب:

بضم الخاء والشين المعجمتين على مرحلة من المدينة، ثم نزل ﷺ بذي أوان ولم يذكر أنه ﷺ صلى فيه وقد تقدم ذكره.

الفصل الخامس

في ذكر المشهور من المساجد التي صلى فيها النبي ﷺ في الغزوات وغيرها

منها مسجد بعصر:

على مرحلة من المدينة صلى فيه ﷺ عند خروجه إلى خيبر.

ومسجد بالصهباء:

والصهباء أدنى من خيبر، صلى به المغرب، وهو معروف، وذكر ابن زبالة: أن رسول الله ﷺ حين وصل خيبر نزل بين أهل الشق وأهل النطاة وصلى إلى عوسجة هناك وجعل حول مصلاه حجارة يعرف بها.

ومسجد بشمران:

ذكر ابن زبالة: أنه ﷺ صلى أيضا على رأس جبل بخيبر يقال له: شمران، فثم مسجده من ناحية سهم بني النزار.

قال المطري: ويعرف الجبل اليوم: بسمران بالسين المهملة يروى أنه ﷺ قال: «**ميلان في ميلين من خيبر مقدس**» وأنه ﷺ قال: «**نعم القريات في سنيات المسيح خيبر**»(١).

وعن سعيد بن المسيب: أن رسول الله ﷺ قال: «**خيبر مقدسة والسوارقية مؤتفكة**»(٢).

وخيبر كانت مسكن اليهود وموضع الخيابرة منها على ثمانية برد من المدينة.

وفي خيبر رد رسول الله ﷺ «**الشمس على علي رضي الله عنه بعد ما غربت حتى صلى العصر**»(٣).

ومسجد ببدر:

كان عند العريش الذي بني لرسول الله ﷺ يوم بدر، وهو معروف اليوم يصلى فيه ببطن الوادي بين النخيل، والعين قريبة منه.

---

(١) ذكره المطري في التعريف (ص ٨٣).

(٢) ذكره المطري في التعريف (ص ٨٣) عن سعيد بن المسيب ﷺ.

(٣) أورده ابن الضياء في تاريخ مكة (ص ٢٢٥).

ومسجد بالعشيرة:

في بطن ينبع معروف اليوم.

ومسجد بالحديبية:

لا يعرف بل تعرف ناحيتها لا غير، وهو بجدة وبين مكة وجدة مثل ما بين مكة والطائف، ومثل ما بين مكة وعسفان، قال مالك: وبينهما أربعة برد.

وقيل: الحديبية اسم بئر، وقيل: موضع على طرف الحرم مما يلي جدة على تسعة أميال من مكة.

قال صاحب صور الأقاليم: بعض الحديبية في الحل وبعضها في الحرم. وهي أبعد الحل إلى البيت العتيق، وليس هي في طول الحرم ولا في عرضه ولكنها في مثل زاوية الحرم، ولذلك صار بينها وبين المسجد أكثر من يوم.

وقد قيل في معرفة حدود الحرم:

وللحرم التحديد من أرض طيبة ثلاثة أميال إذا رمت اتقانه

وسبعة أميال عراق وطائف وجدة عشر ثم تسع جعرانه

وقيل: حد الحرم من طريق المدينة دون التنعيم عند بيوت غفار على ثلاثة أميال، ومن طريق جدة منقطع الأعشاش على عشرة أميال، ومن طريق الطائف على طريق عرفة من بطن نمرة على أحد عشر ميلا وقيل: على سبعة أميال، ومن طريق اليمن إضاءة لين على سبعة أميال، وقيل: على ستة ومن طريق العراق على ثنية خل بالمقطع سبعة أميال وقيل: ثمانية، ومن طريق الجعرانة في شعب آل عبد الله بن خالد بن أسيد على تسعة أميال، ومما يلي عرفة على سبعة أميال.

قال النووي: الحديبية معروفة، وهي بئر قريبة من مكة دون مرحلة، ويجوز فيها تخفيف الياء الثانية وتشديدها، والتخفيف هو الصحيح وهو قول الشافعي رحمه الله تعالى وأهل اللغة، والتشديد قول ابن وهب وأكثر المحدثين.

وكانت الشجرة بالقرب من البئر، ثم إن الشجرة فقدت، وكانت سمرة.

وأما ما يذكر من عوام الحجيج أنها الشجرة التي بين منى ومكة، فخطأ فاحش.

وكانت البيعة تحتها، وأول من بايع أبو سنان وهب بن محصن، وقيل: أبوه أبو سنان المذكور.

وكانوا ألفا وثلاثمائة، وقيل: وخمسمائة وقيل: وأربعمائة، وقيل: وخمسمائة وخمسة وعشرين، وقيل: كان من قريش مائة وأربعة وثمانون، ومن الأنصار ألف وتسعون،

وكانت الخيل مائة وتسعون.

ومسجد بلية:

من أرض الطائف، وبين الطائف وبلية قريب من ثمانية أميال.

قال الشيخ جمال الدين: وهو معروف رأيته، وعنده أثر في حجر يقال: إنه أثر خف ناقة النبي ﷺ وأقاد ﷺ ببحرة الرغا حين نزلها بدم، وهو أول دم أقيد في الإسلام، رجل من بني ليث قتل رجلا من بني هذيل فقتله به.

قال ابن إسحاق: ثم سلك من لية على نخب وهي عقبة في الجبل حتى نزل تحت سدرة يقال لها: الصادرة ثم ارتحل فنزل الطائف، وكان قد نزل قريبا من حصن الطائف، وقتل من أصحابه بالنبل، فانتقل إلى موضع مسجده الذي بالطائف اليوم.

قلت: وهذا الحصن باق إلى الآن بالبناء الجاهلي، وفيه مقدار أربعين بيتا، وفيه بئر، وفيها تنين عظيم يمنعهم البناء إلا أن يذبحوا عنده، وهو بالقرب من مسجد الحجاج بن يوسف، وكان قد بنى هذا المسجد بتربة حمراء يؤتى بها من اليمن، ولم يبق إلا آثاره ومنارته خراب.

قال هشام بن حسان: أحصينا ما قتل الحجاج صبرا فبلغ مائة ألف وعشرين ألف رجل، سوى ما قتل في حروبه، وخرج من سجنه يوم مات ستون ألفا، ما منهم من حل قيدا ولا غير حالا، إلا في بلده الذي كان منه.

هلك بواسط، ودفن بها سنة خمس وتسعين، من العلماء منهم من كفره وهو مجاهد وميمون بن مهران وأبو البختري والشعبي، ومنهم من أطلق اللعنة عليه وأجازها وهو إبراهيم النخعي ومنهم من فسقه وهو الحسن.

ولم يسمع أن أحدا سفك دما أكثر منه، غير ما روي عن عبد الرحمن أبي مسلم المروزي صاحب الدولة العباسية، أنه ظهر سنة تسع وعشرين ومائة ثم سار إلى أبي العباس سنة ست وثلاثين، وقتله المنصور سنة سبع وثلاثين، قالوا: قتل ستمائة ألف صبرا، سوى ما قتل في حروبه، وسفك أبو العباس السفاح ألف ألف دم ومدة ولايته أربع سنين، وهو أول خلفاء بني العباس وابنته ريطة التي ينسب إليها باب ريطة كانت عنده بردة النبي ﷺ التي لبسها الخلفاء، والقضيب، والمخضرة، وكان قد دفنهما مروان لئلا يصل إليهما أحد بعده، فلما قتل مروان أظهرهما خصيا له فبعثا إلى أبي العباس.

ومسجد رسول الله ﷺ بالطائف:

في وسط المسجد المعروف اليوم: بمسجد عبد الله بن عباس، وفي ركن المسجد الكبير منار عال بني في أيام الناصر لدين الله أحمد بن المستضيء وخلفه تحت المنارة بئر

ينزل فيها إلى الماء بدرج قريب الأربعين درجة، نزلتها في سنة أربع وخمسين وسبعمائة.

ومسجد رسول الله ﷺ في هذا الجامع بين قبتين صغيرتين، يقال إنهما بنيتا في موضع قبتي زوجتيه ﷺ اللتين كانتا معه: زينب بنت جحش وأم سلمة ﵄، وبين القبتين محراب، وكذلك قدام القبتين أيضا محراب، ولا يبعد أن يكون ﷺ صلى في المحرابين.

وللمسجد العباسي أربعة أروقة في قبلته، وله ثلاثة أبواب في يمينه ويساره ومؤخره وفي ركنه الأيمن القبلي قبر سيدنا عبد الله بن عباس، ابن عم سيدنا رسول الله ﷺ وعلى قبره لبن ساج على بنيان طوله من الأرض ثلاثة أشبار، وعرضه بطول القبر عشرة أشبار، وقليل عرض القبر ستة أشبار، وقليل، أمر بعمله الإمام المقتفي لأمر الله في سنة سبع وأربعين وخمسمائة، كذا مكتوب في الخشب.

أمه لبابة بنت الحارث، أخت ميمونة زوج النبي ﷺ ولد بمكة قبل الهجرة بثلاث سنين، وتوفي بالطائف سنة ثمان وستين وقد أضر.

قال ميمون بن مهران: شهدت جنازة سيدنا عبد الله بن العباس بالطائف فلما وضع ليصلي عليه، جاء طائر أبيض حتى دخل في أكفانه فالتمس فلم يوجد فلما سوى عليه بالتراب سمعنا صوتا ولم نر شخصا يقول ﴿ يَـٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلِى فِى عِبَـٰدِى ﴿٢٩﴾ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى ﴾ [الفجر: ٢٧-٣٠].

جملة ما روى: ألف وستمائة وستون حديثا أخرج له منها في الصحيحين مائتان وأربعة وثلاثون حديثا المتفق عليه منها: خمسة وسبعون وانفرد البخاري، بمائة وعشرة ومسلم بتسعة وأربعين.

وعنده في القبة: ثلاثة قبور، وقدامها إلى القبلة ثلاثة أخرى على يمين الداخل من الباب، على إحدى تلك القبور، هذا قبر زبيدة توفيت في جمادى الأخرى من سنة خمس وستين وثلاثمائة.

قلت: الظاهر أن هذه غير زبيدة بنت جعفر امرأة هارون الرشيد، فقد ذكر المسعودي في مروج الذهب أن زبيدة بنت جعفر توفيت سنة ست عشرة ومائتين، في خلافة المأمون، اسمها أمة العزيز وهي ابنة عمة الرشيد وزوجته وأم الأمين، وهي التي بنت الآبار والبرك والمصانع بمكة وحفرت العين المعروفة بعين المشاش، بالحجاز، وأجرتها من مسافة اثني عشر ميلا إلى مكة، وأنفقت عليها ألف ألف مثقال وسبعمائة ألف مثقال، وأدخلتها مكة وفرقتها في شوارعها، وهي العين التي جددها جوبان بعد العشرين وسبعمائة، ثم انقطعت في عشرة أربعين أو هي الآن مقطوعة.

قيل: كانت زبيدة تلبس الثوب الموشى بخمسين ألف دينار، وكان دخلها كل يوم

عشرة آلاف درهم، حجت من العراق ماشية في أيام الرشيد.

رؤيت بعد موتها فقيل: ما فعل الله بك؟ فقالت: غفر لي بأول معول ضرب في طريق مكة، وفي رواية: عقبة الجمرة، وفي رواية قالت: ما نفعني إلا ركعات كنت أصليها في كل ليلة قبل السحر، قال الرائي: ورأيت على وجهها أثر صفرة، فسألتها عنها، قالت: دفن بالقرب منا رجل يعرف ببشر المريسي، كان يعتقد خلق القرآن، فزفرت عليه جهنم، فلم يبق أحد من أهل المقبرة إلا اصفر وجهه.

فائدة:

لم يعلم أحد تولى الخلافة من أبوه هاشمي وأمه هاشمية غير ثلاثة علي بن أبي طالب رضي الله عنه وابنه الحسن والأمين.

وهارون الرشيد: هو ابن المهدي بن المنصور بن محمد بن عبد الله بن العباس، هو أول من لعب بالشطرنج والنرد من خلفاء بني العباس، وأول خليفة لعب بالصولجة، ورمى بالنشاب، ولعب بالأكرة والطاب، أمه الخيزران هي أم أخيه الهادي كان في أيامه ببغداد مائة ألف حمام، لكل حمام خمسة أنفس على القليل، جملتها خمسمائة ألف رجل.

وكان فيها من بعده في أيام الموفق ستين ألف حمام، كان الموفق يطبق دفتره على مائة ألف مرتزق، وكان ببغداد بعد الموفق في أيام المقتدر تسعة وعشرون ألف حمام، خلف المقتدر يوم مات نيف وتسعون ألف ألف دينار قال الحاكم: لم يبلغني أن أحدا من الصحابة توفي ببغداد.

يروى عنه ﷺ أنه قال: تبنى مدينة بين دجلة ودجيل وقطربل والصراة تجبى إليها خزائن الأرض يخسف بها[1] يعني بغداد.

توفي الرشيد بطوس غازيا سنة ثلاث وتسعين ومائة، وولي الخلافة سنة سبعين ومائة وفي هذه الليلة توفي أخوه الهادي، وفيها ولد المأمون، فكانت من العجائب توفي خليفة وقام خليفة وولد خليفة.

ومن العجائب أيضا:

إنه سلم على الرشيد بالخلافة عمه سليمان بن المنصور، وعم أبيه المهدي وهو العباس بن محمد، وعم جده المنصور وهو عبد الصمد بن علي ،قال له عبد الصمد: يا أمير المؤمنين هذا مجلس فيه أمير المؤمنين وعم أمير المؤمنين وعم عمه، وعم عم عمه، وذلك أن سليمان عم الرشيد والعباس عم سليمان، وعبد الصمد عم العباس.

---

(١) ذكره القاضي عياض في الشفا (١/٢٢٦).

ومن العجائب:

إن عبد الصمد هذا حج بالناس سنة خمسين ومائة، وقد حج قبله يزيد بن معاوية سنة خمسين، وهما في النسب إلى آل عبد مناف سواء لأن عبد الصمد هو: ابن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف، ويزيد هو: ابن معاوية بن صخر بن حرب بن أمية بن عبشمس بن عبد مناف، وكان عبد الصمد أسنانه قطعة واحدة.

ومن العجائب:

أخوان وثلاثة إخوة وأربعة إخوة كلهم ولي الخلافة، فالأخوان: السفاح والمنصور، والهادي والرشيد والواثق والمتوكل، والمسترشد والمقتفي، والثلاثة: الأمين والمأمون والمعتصم بنو الرشيد، والمكتفي والمقتدر والقاهر بنو المعتضد، والراضي والمتقي والمطيع بنو المقتدر، والأربعة بنو عبد الملك بن مروان.

روى الفقيه أبو الخير عن عيسى ابن مريم عليه السلام أنه قال: من قال عند روية الجنازة لا إله إلا الله العافي بعد قدرته: لا إله إلا الله الباقي، بعد فناء خلقه لا إله إلا الله كل شيء هالك إلا وجهه له الحكم وإليه ترجعون غفر الله ذنبه.

ومن العجائب:

ثلاثة نسوة كلهن ولدن خليقتهن:

الأولى: ولادة ابنة العباس، تزوجها عبد الملك بن مروان، فولدت له الوليد وسليمان، فوليا الخلافة.

الثانية: شاه فرند ابنة فيروز بن يزدجرد تزوجها الوليد بن عبد الملك فولد له يزيد وإبراهيم فوليا الخلافة.

الثالثة: الخيزران ولدت للمهدي الهادي والرشيد فوليا الخلافة.

ومن العجائب:

إن عبد الله بن عمرو بن عثمان كان له أربعة بنات: عبدة، وعائشة وأم سعيد، ورقية، تزوجهن أربعة من الخلفاء، عبدة تزوجها الوليد بن عبد الملك وعائشة تزوجها سليمان بن عبد الملك، وأم سعيد تزوجها يزيد بن عبد الملك ورقية تزوجها هشام بن عبد الملك.

وقيل: إن أعرق الناس في الخلافة: عاتكة بنت يزيد بن معاوية بن أبي سفيان أبوها وجدها خلفاء، وأخوها معاوية بن يزيد خليفة وزوجها عبد الملك بن مروان خليفة، وأربابها الوليد، وسليمان وهشام خلفاء حكاه الأصمعي.

وروى الحافظ أبو علي أحمد بن محمد البردائي: أن رجلا من نيسابور ادعى أنه كانت امرأة تجلس بين اثنا عشر رجلا كل منهم خليفة وكل منهم لها محرم، قال أبو علي: فعلمت أنها فاطمة بنت عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص واسم أبي العاص أبان بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف، وأنهم ثلاثة عشر خليفة وكل منهم لها محرم وأسقط القائل منهم رجلا، وأنا أبين ذلك: فأبوها عبد الملك بن مروان خليفة وإخوتها الوليد وسليمان ويزيد وهشام بنو عبد الملك كلهم خلفاء وجدها لأبيها مروان بن الحكم خليفة وهي عمة ثلاث خلفاء الوليد بن يزيد بن عبد الملك ويزيد بن الوليد بن عبد الملك وإبراهيم بن الوليد بن عبد الملك، وجدها لأمها خليفة وهو يزيد بن معاوية بن أبي سفيان، لأن أمها عاتكة بنت يزيد بن معاوية كان لها اثنا عشر محرما خلفاء:

يزيد أبوها، ومعاوية جدها، ومعاوية بن يزيد أخوها، وعبد الملك زوجها، ومروان حموها، ويزيد بن عبد الملك ابنها، والوليد بن يزيد ابن ابنها، والوليد وهشام وسليمان بنو عبد الملك بنو زوجها، ويزيد وإبراهيم ابنا الوليد ابنا ابن زوجها [وهو معاوية بن يزيد، وزوجها عمر بن عبد العزيز، ولدت له: عبد الملك بن عمر، وكانت عاتكة أتمت المسألة عن ثلاثة عشر ذكر، غير أنها عاتكة بنت يزيد بن معاوية.][1]

واعلم أن بغداد أبو جعفر المنصور:

هو الذي خطها وكان يرتاد كل يوم من قطربل إلى موضع المدينة فسأله راهب عن حاله، فقال: إني أريد أن ابني هنا مدينة فقال له: إنا نجد صاحبها يقال له مقلاص، فقال أبو جعفر: أنا والله كنت أدعى وأنا صبي في الكتاب بمقلاص.

وضرب اللبن وقال لأبي سهل بن نوبخت المنجم: اختر لي يوما أضع فيه الأساس، فاختار له، ثم قال: احكم الآن فقال: يتم بناؤها وتعمر ثم تخرب بعد موتك، ليس بصحراء ولكن دون العمران الأول.

ووضع المنصور أول لبنة بيده وذلك بعد ما أخبر المنصور بأن المشتري في القوس في طالعها يدل على طول بنائها وكثرة عمارتها وانصباب الدنيا إليها، وقال له: لا يموت بها خليفة أبدا، وقيل: لا يموت بها خليفة من بني العباس، فلم يمت بها خليفة، وقيل: مات بها الأمين، واستكمل بناؤها في سنة تسع وأربعين ومائة، ومات المنصور سنة ثمان وخمسين ومائة.

---

(١) سقط بالأصل وزيادة من نسخة تركيا.

والآن نقصد ما نحن بصدده:

قال الشيخ جمال الدين: ورأيت بالطائف شجرات سدر يذكر أنهن من عهد رسول الله ﷺ فمنهن واحدة دور جذرها خمسة وأربعون شبرا وأخرى تزيد على الأربعين وأخرى سبعة وثلاثون.

سمعت والدي رحمه الله تعالى يقول: ذرعت جذر واحدة منهن فكان ستة وثلاثون ذراعا.

قال الشيخ جمال الدين: يذكر أن ناقته ﷺ دخلت من بينهما وهو ناعس.

قال رحمه الله تعالى: رأيتها سنة ست وتسعين وستمائة وحملت من ثمرها إلى المدينة ثم دخلت الطائف في سنة تسع وعشرين وسبعمائة فرأيتها قد وقعت ويبست وجذرها ملقى لا يمسها أحد لحرمتها.

قلت: ورأيت بوج قرية من قرى الطائف سدرة محاذية للحبرة قريبة أيضا يذكر أن النبي ﷺ جلس تحتها حين أتاه عداس بالطبق فيه العنب وأسلم، وقالوا: سحره محمد والقصة مشهورة ورأيت غارا في جبل هناك عند آخر الحبرة تحته العين، يذكر أنه جلس فيه رسول الله ﷺ وذلك الوادي جميعه محرم كحرمة مكة، لا ينفر صيده ولا يعضد شجره.

فائدة ويستحب الصلاة في مكة في ثمانية عشر موضعا:

موضع مولد رسول الله ﷺ ومنزل خديجة رضي الله عنها وهي دار سكنى النبي وفي دار الأرقم دار الخيزران ومسجد بأعلى مكة عند أول الردم عند دار جبير بن مطعم صلى فيه رسول الله ﷺ ومسجد بأعلى مكة يقال له: مسجد الجن، ويقال له: مسجد البيعة بالقرب من منى، ومسجد بأعلى مكة يقال له: مسجد الشجرة يقابل مسجد الجن يقال: إنه ﷺ دعا شجرة فأقبلت تخط الأرض حتى وقفت بين يديه ثم أمرها فرجعت. ومسجد عبد الصمد بن علي لأنه بناه، ومسجد إبراهيم عن يمين الموقف بعرفة غير مسجد عرفة الذي يصلي فيه الإمام، ومسجد الكبش بمنى ومسجد بأجياد فيه موضع يقال له المتكي ومسجد بأبي قبيس يقال له مسجد إبراهيم وقيل: هو لرجل يسمى إبراهيم وليس بالخليل، ومسجد بأعلى مكة عند سوق الغنم بايع رسول الله ﷺ عنده يوم الفتح، ومسجد العقبة حيث بايع الأنصار، ومسجد بذي طوى تحت سمرة وبنته زبيدة، ومسجد الجعرانة، ومسجد التنعيم كان ﷺ قال لعبد الرحمن بن أبي بكر الصديق: «**اعمر أختك من التنعيم فإذا هبطت بها الأكمة فأمرها فلتحرم**»، وهذا الموضع معروف الآن أكمة حمراء، وعلى

جبل حراء وعلى جبل ثور ذكرها ابن الجوزي[(١)].

قال القاضي عبد الوهاب، والصلاة في جميع المساجد متساوية أو متقاربة الفضيلة فأما المساجد الثلاثة فإن الصلاة في كل واحد منها بألف فيما سواه.

وأول المساجد: المسجد الحرام، ثم المسجد الأقصى، قال ﷺ وبينهما أربعين سنة[(٢)] وهذا إشارة إلى قوله تعالى: ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا ﴾ [آل عمران: ٩٦].

وبكة: مكة، وقيل: بكة موضع البيت والمطاف ومكة البلد، وقيل: البيت وحده، وقيل: مكة ما بين الجبلين ومكة الحرم.

ولمكة أسامي منها: مكة، وبكة والناسة بالنون والسين المهملة والباسة بالباء الموحدة والبلد، والحرم، والحرام والرأس بفتح الهمزة، والرأس بسكونها وكوثى بالمثلثة، وأم رحم بالراء والحاء بمهملتين وأم القرى، وأم كوثى، والبلد الحرام، والبلد الأمين والمسجد الحرام، حكاه ابن مسدي، وأم الرحمن ذكره ابن العربي، وقال غيره: وتسمى القرية: فالقرية، والبلد الحرام، والبلد الأمين، ومكة، وأم القرى فمما أتى التنزيل بها.

قال الزجاج: ومكة لا تنصرف لتأنيثها وهي معرفة.

واتفق العلماء: أن مكة اسم لجميع البلدة وقالوا: بكة اسم للبقعة التي فيها الكعبة قاله ابن عباس، وقيل: بكة ما حول البيت ومكة ما وراء ذلك قاله عكرمة، وقيل: بكة اسم للمسجد والبيت ومكة اسم للحرم كله، قاله الأزهري.

وقال الضحاك: مكة هي بكة، وصححه ابن قتيبة وقال: الميم تبدل بالباء مثال ضرب لازم ولازب.

سميت الكعبة لتربيعها وقيل: لعلوها ومن الخواص قيل: إذا كتب بالدم على الجبين مكة وسط الدنيا والله رؤوف بالعباد انقطع الدم.

---

(١) أورده الأزرقي في أخبار مكة (٢/١٩٨- ٢٠٣).

(٢) أخرجه البخاري (٤/١٤١)، ومسلم (٢٠١) (١/٣٧٠) عن أبي ذر رضي الله عنه.

الباب الثامن/في ابتداء خلقه ﷺ وشرف نسبه وطهارة مولده

وذكر أسمائه وصفاته وذكر وفاته ووفاة صاحبيه

أبي بكر وعمر رضي الله عنهما وذكر نبذة من فضائلهما

وفيه اثنا عشر فصلا

الفصل الأول

في ابتداء خلقه ﷺ

لما خمر الله تعالى طينة آدم عليه السلام حين أراد خلقه، أمر جبريل عليه السلام أن يأتيه بالقبضة البيضاء التي هي قلب الأرض وبهاؤها ونورها، ليخلق منها محمدا ﷺ فهبط جبريل عليه السلام في ملائكة الفراديس، وملائكة الصفح الأعلى، فقبض قبضة من موضع قبر رسول الله ﷺ وهي يومئذ بيضاء نقية، فعجنت بماء التسنيم ورعرت حتى صارت كالدرة البيضاء، ثم غمست في أنهار الجنة، وطيف بها في السموات والأرض، والبحار، فعرفت الملائكة حينئذ محمدا ﷺ وفضله قبل أن تعرف آدم وفضله، ثم عجنت بطينة آدم عليه السلام بعد ذلك قاله الثعلبي.

وعن علي رضي الله عنه: أن الله تعالى حين شاء بتقدير الخليقة وذرأ البرية وإبداع المبدعات، نصب الخلق في صورة كالهباء قبل دحو الأرض ورفع السماء، وهو في ملكوته وتوحد جبروته، فأساح نورا من نوره، فلمع قبس من ضيائه، فسطع ثم اجتمع النور في وسط تلك الصورة الخفية، فوافق ذلك صورة نبينا محمدا ﷺ فقال الله جل جلاله: أنت المختار المنتخب وعندك مستودع نوري وكنوز هدايتي، من أجلك أسطح البطحاء، وأمزج الماء، وأرفع السماء، وأجعل الثواب والعذاب، والجنة والنار، ثم أخفى الله الخليفة في نخبته وغيبها في مكنون علمه، ثم نصب العوالم وسط الزمان، ومزج الماء وسطح الأرض، وأنشأ الملائكة من أنوار ابتدعها، وقرن بتوحيده نبوة محمد ﷺ فلما خلق آدم وأودعه نور محمد ﷺ فلما غشي حواء انتقل النور إليها فوضعت شيئًا فانتقل النور إليه فلم يزل ينتقل إلى أن وصل عبد الله بن عبد المطلب ثم إلى رسول الله ﷺ.

ويروى أن أول ما خلق الله عز وجل نور محمد ﷺ فجزأه أربعة أجزاء فخلق من الجزء الأول العرش، ومن الثاني القلم، ومن الثالث اللوح، ثم جزأ الجزء الرابع أربعة أجزاء: فخلق من الأول: العقل، ومن الثاني: المعرفة، ومن الثالث: نور الشمس والقمر والإبصار والأنهار، وجعل الجزء الرابع تحت ساق العرش، فلما خلق آدم عليه السلام أودعه ذلك الجزء ونقله من صلبه إلى صلب أبي محمد ﷺ حكاه صاحب كتاب «الدر المنظم».

الفصل الثاني
في ذكر شرف نسبه ﷺ

عن علي رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ [التوبة: ١٢٨] قال: «نسبًا وأصلاً وحسبًا، ليس في آبائي من لدن آدم سفاح كلنا نكاح»[١].

قال ابن الكلبي: كتبت للنبي ﷺ خمسمائة أم فما وجدت فيهن سفاحا ولا شيئا مما كانت عليه الجاهلية.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّٰجِدِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٩] قال: من نبي إلى نبي حتى أخرجك نبيا.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أيضا: أن قريشا كانت نورا بين يدي الله تعالى قبل أن يخلق آدم بألفي عام، يسبح ذلك فتسبح الملائكة بتسبيحه ثم خلق آدم فألقى ذلك النور في صلبه فقال رسول الله ﷺ **«فأهبطني الله إلى الأرض في صلب آدم، وجعلني في صلب نوح وقذف بي في صلب إبراهيم حين (قذف به في النار)[٢] ثم لم يزل الله تعالى ينقلني من الأصلاب الكريمة والأرحام الطاهرة حتى أخرجني من أبوي لم يلتقيا على سفاح قط»**[٣]

وإلى ذلك أشار العباس بن عبد المطلب بقوله:

من قبلها طبت في الظلال وفي مستودع حيث يخصف الورق

قال ابن قتيبة: يعني في ظلال الجنة، حيث يخصف الورق، أي حين خصف على آدم وحواء من ورق الجنة وكان ورق التين ثم قال:

ثم هبطت البلاد لا بشر أنت ولا مضغة ولا علق

يريد أن آدم هبط البلاد، فهبطت في صلبه وأنت إذ ذاك لا بشر لا مضغة ولا دم ثم قال:

بل نطفة تركب السفن وقد ألجم نسرا وأهله الغرق

يريد أنك نطفة في صلب نوح حين ركب الفلك، ونسر: الصنم الذي كان يعبده

---

(١) ذكره القاضي عياض في الشفا (٩/١)، والقرطبي في الجامع (٣٠١/٨).

(٢) زيادة من نسخة تركيا.

(٣) حديث ابن عباس ذكره القاضي في الشفا (٤٨/١) وابن الجوزي في الوفا (٣٥/١).

قومه كما سنبينه ثم قال:

تنقل من صالب إلى رحم إذا بدا حالم بدا طبق

يريد أنه ينقل في الأصلاب والأرحام، فجعله طيبا وهابطا للبلاد وراكبا للسفن من قبل آن يخلق في صلب آبائه ثم قال:

وردت نار الخليل مكتتما فيها زمانا ولست نخترق

يريد أنه كان في صلب إبراهيم عليه السلام يوم ألقي في النار، ثم قال:

حتى احتوى بيتك المهيمن من خندف علياء تحتها النطق

وأنت لما ولدت أشرقت الأ رض وضاءت بنورك الأفق

فنحن في ذلك الضياء وفي النو ر وسبل الرشاد تخترق

اعلم أن:

ودا، وسواع، ويغوث، ويعوق، ونسرا كلها أصنام عبدت من زمان بارد من مهلائيل، ثم إن الطوفان طمها، ثم أخرجها الشيطان لمشركي العرب.

وكان ود على صورة رجل وسواع على صورة امرأة ويغوث على صورة أسد، ويعوق على صورة فرس، ونسر على صورة نسر، قاله الواقدي: وود أول صنم معبود حكاه الماوردي.

وكان ود بعد قوم نوح لكلب بدومة الجندل، وسواع لهذيل بساحل البحر الأحمر، وقيل: برهاط ويغوث لعكسف بن مزاحم بالجرف من سبأ وكان من رصاص، ويعوق لهمدان، وقيل: لكهلان من سبأ ثم توارثه بنو الأكبر حتى صار لهمدان، ونسرا كان لذي الكلاع من حمير بحضرموت.

وقيل: ود بفتح الواو صنم لقوم نوح، وبضمها صنم لقريش.

وكان أصحاب الرس يعبدون الجواري، وأهل أرمينية يعبدون الأوثان وأهل أذربيجان يعبدون النيران، وبعث الله إلى أهل الرس ثلاثين [١] نبيا في شهر واحد فقتلوهم، وكانوا أيضا يعبدون شجرة صنوبر، والجبهة، والسبحة والنخة كانت آلهة تعبد في الجاهلية.

واللات والعزى ومناة كانت أصناما (من حجارة في جوف الكعبة)[٢].

---

(١) في الأصل ثلاثون وهو خطأ نحوي والصواب ما أثبتناه.

(٢) زيادة من نسخة تركيا .

قال صاحب كتاب: ذخر المستقبل: أن مناة لقضاعة وأهل المدينة ثالث لك بثنية قيد والعزى لجميع العرب بنخلة الشامية، وذو المراء للأزر بالراء واللات لثقيف بالطائف، فهم لمزينة بثنية ذات حليلين ويغوث لمذحج وقيل: يغوث لمراد بالجرف، ويعوق لهمدان بخيوان، وسعدًا لكنانة بالساحل مما يلي جدة والفلس لطيئ بجبلهم والحلال لبني فزارة وأجيش لمرة، وزعبل لبني حنيفة وعرض لبكر بن وائل والأقيصر لقضاعة وبيت رئام باليمن، والمخلصة بجشم وبجيلة بتنا وهي مروة بيضاء.

وهؤلاء آلهة، والإله يقع على كل معبود بحق أو باطل، ثم غلب على المعبود بحق كغلبة النجم على الثريا، والسنة على عام القحط، والبيت على الكعبة والكتاب على كتاب سيبويه.

وعن ابن عمر ﷺ أنه ﷺ قال: **«إن الله تعالى اختار خلقه، فاختار منهم بني آدم، ثم اختار بني آدم، فاختار منهم العرب، ثم اختار العرب، فاختار منهم قريشا، ثم اختار قريشا، فاختار منهم بني هاشم، ثم اختار بني هاشم فاختارني فلم أزل خيارا من خيار ألا من أحب العرب فبحبي أحبهم، ومن أبغض العرب فببغضي أبغضهم»** [١].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **«بعثت من خير قرون بني آدم قرنا فقرنا حتى كنت من القرن الذي كنت منه»** [٢].

الجماعة من الناس يسمون قرنا، لأنهم اقترنوا في زمان واحد، أي اجتمعوا وقيل: القرن اسم للزمان، وهو مائة سنة، وقيل: ثمانين والتعمير ستون سنة وقيل: سبعون وقيل: أربعون حكاه أبو عبد الله الكوسي.

فائدة:

ذكر مالك في الموطأ في أحد الأحاديث الأربعة التي لا توجد إلا فيه أن رسول الله ﷺ رأى أعمار أمته لا يبلغوا من العمل ما بلغ غيرهم في طول العمر فأعطاه الله ليلة القدر، التي هي خير من ألف شهر [٣].

اختلف العلماء في ليلة القدر، هل هي باقية، أو رفعت؟ فقيل: هي من خصائص النبي ﷺ ثم رفعت لموته وقيل: إنها باقية، وأن أمة النبي ﷺ داخلين في ذلك التخصيص وهو الأظهر.

---

(١) أخرجه البيهقي في دلائل النبوة (١/١٧١)، والحاكم في المستدرك (٤/٧٣) عن ابن عمر ﷺ.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (٣٥٥١)، وأحمد في المسند (٢/٣٧٣) عن أبي هريرة ﷺ.

(٣) أخرجه مالك في الموطأ (١/٣٢١).

وسميت ليلة القدر: لأن الله تعالى يقدر فيها ما يكون في السنة كلها ومعنى التقدير هنا: إبرازه للملائكة وإعلامهم بما يفعلون في جميع السنة.

واختلف هل هي في جميع السنة أم في رمضان على قولين وقيل: إنها ليلة النصف من شعبان، وهو موافق لمن قال: إنها يقدر فيها ما يكون في السنة، فإن تلك الليلة هي المراد بقوله تعالى: ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾ [الدخان: ٤] وقيل: إنها تدور به في السنة.

قال سيدنا عبد الله بن أبي جمرة في كتاب بهجة النفوس وهو الأظهر، لأنه يجمع بين الأقوال وهذه الليلة خير من ألف شهر، والعمل الذي عليه العلماء المراد العمل (فيها) [١].

وروي عنه عليه السلام: أن الشمس تطلع صبيحتها بيضاء نقية لا شعاع لها [٢]. وهكذا يجدها أهل المراقبة إلى هلم جرا هذا منقول من سلف إلى خلف إلى زماننا هذا، فلو رفعت لما رئي من تلك العلامات شيء هذا لفظ ابن أبي جمرة قال:ولم يزل جل أهل الخير والصلاح من الصدر الأول إلى هلم جرا يعاينونها عيانا، فبطل القول برفعها مرة واحدة، قيل: هي في رمضان مطلقًا، وقيل: في العشر الأواسط منه، وقيل: في العشر الأواخر منه، وقيل: أول ليلة منه قاله أبو رزين العقيلي، وقيل: ليلة سبعة عشر منه وهو اختيار الحسن وابن إسحاق وابن الزبير وهي الليلة التي كانت صبيحتها على وقعة بدر، وقيل: ليلة تسع عشر، وقيل: ليلة ثمانية عشر، قاله الحسن ومالك بن أنس الفقيه لأن مالك بن أنس اثنان أحدهما هذا، والثاني كوفي يروي عن هانئ بن حزام عن عمر بن الخطاب.

وقيل: ليلة إحدى وعشرين وهو اختيار الشافعي[٣]، وجاء في الحديث، أنه عليه السلام انصرف وعلى جبينه أثر الماء والطين من صبيحة إحدى وعشرين [٤].

الجبين: موضع السجود، وقيل: الجبهة موضع السجود والجبينان يكتنفانها.

وقيل: ليلة ثلاث وعشرين، وهو مذهب عبد الله بن أنيس، وقيل: ليلة خمس وعشرين، وهو مذهب أبي بكرة، وأبي سعيد الخدري، وقيل: ليلة سبع وعشرين قاله علي، وأبي وابن عباس، ومعاوية وعائشة وابن حنبل [٥].

وروي عن ابن عباس أنه استدل على ذلك بشيئين أحدهما أن الله تعالى خلق

---

(١) زيادة من نسخة تركيا .

(٢) أخرجه مسلم (٢٢٠) (٢/٨٢٨) وأبو داود (٢/٥١) عن أبي بن كعب ﷺ.

(٣) أخرجه الترمذي (٧٩٢).

(٤) أخرجه البخاري (١٠١٨، ٢٠٢٧)، ومالك في الموطأ (١/ ٣١٩).

(٥) أخرجه مسلم (٢٠٧، ٢٢٠، ٢٢١)، وأبو داود (٢/٥٣) والترمذي (٣/١٥٩).

الإنسان على سبعة أصناف يشير إلى قوله ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن سُلَـٰلَةٍ ﴾ [المؤمنون: ١٢] الآية. ثم جعل رزقه في سبعة أصناف يشير إلى قوله تعالى: ﴿ أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا ﴾ [عبس: ٢٥] الآيات ثم يصلي الجمعة على رأس سبعة أيام والسموات سبعا والأرض سبعا، ولا أرى ليلة القدر إلا السابعة والعشرون، الثاني: أنه قال: ﴿ سَلَـٰمٌ هِىَ ﴾ [القدر: ٥] الكلمة السابعة والعشرون قال علي رضي الله عنه أنها كذلك [1]

وقيل: ليلة القدر تسعة أحرف، وقد كررت في السورة ثلاث مرات، فهي في تكرارها سبع وعشرون حرفا، ففي هذا تنبيه على أنها ليلة سبع وعشرين.

وقيل: هي تنتقل في العشر الأواخر، وهو قول مالك، والشافعي والأوزاعي وأبي ثور، وأبي قلابة، وأحمد.

وقيل: ليلة تسع وعشرين، قاله علي، وعائشة، ومعاوية، وأبي، وابن عمر رضي الله عنهم.

وقيل: إنها في الأشفاع قال الحسن: ارتقبت الشمس ليلة أربع وعشرين سنة فرأيتها تطلع بيضاء لا شعاع لها.

قال ابن أبي جمرة: وألف شهر مبلغها من الأيام ثلاثون ألفا ومن الليالي مثلها مجموعها ستون ألفا من الدهر.

وأما على بحث سيدي أبو محمد المرجاني فذلك يفضل الدهر كله، واستدل على أن الأعداد تنقسم على أربعة أقسام آحاد، وعشرات ومئين وألوف، فذكر الألف التي ليس بعدها عدد، فدل على أن لا نهاية لفضلها.

وأخفيت للاجتهاد، كما أخفيت ساعة الجمعة وساعة الليل والصلاة الوسطى والاسم الأعظم، وقد قيل: إن ساعة الجمعة بعد صلاة العصر، وساعة الليل في الثلث الأخير، والصلاة الوسطى صلاة الصبح، وقيل العصر والاسم الأعظم قوله تعالى: ﴿ سَلَـٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴾ [يس: ٥٨] وإلى ذلك أشار البوني.

وسورة القدر أول سورة أنزلت بالمدينة.

وعن ابن مسعود: أن ليلة القدر إذا كانت في يوم من هذه السنة، كانت في العام المقبل في يوم آخر.

وقد ذكرت قوانين ذكرها العلماء في معرفتها في غير هذا الكتاب من مصنفاتي سمط اللآلئ الدرية وأسلوب الجواهر البحرية.

---

(١) ذكره القرطبي في الجامع (٢٠/١٣٦).

والصحيح أن جميع ما قننوه باطل، لقول بعضهم عن بعض المشايخ أنه رآها سبع سنين متوالية ليلة سبع وعشرين، وقول بعضهم: رصدتها أربعا وعشرين سنة، فلم أرها إلا ليلة اثنين وعشرين.

الفصل الثالث
في ذكر طهارة مولده الشريف ﷺ

حكى الشهرستاني، أن كاهنة بمكة يقال لها: فاطمة بنت مر الخثعمية قرأت الكتب فمر بها عبد المطلب ومعه ابنه عبد الله يريد أن يزوجه آمنة بنت وهب، فرأت نور النبوة في وجه عبد الله، فقالت: هل لك أن تغشاني وتأخذ مائة من الإبل؟ فعصمه الله من إجابتها فلما حملت منه آمنة برسول الله ﷺ أتى فاطمة فقال لها: «**هل لك فيما قلت**» فلم تر ذلك النور في وجهه فقالت له: قد كان ذلك مرة فاليوم لا [١].

وحملت به ﷺ آمنة في أيام التشريق في شعب أبي طالب عند الجمرة الوسطى وقيل: حملت به في رجب، وكانت ليلة الجمعة، وقيل: حملت به في دار وهب بن عبد مناف، ورأت حين حملت به أنه خرج منها نور رأت منه قصور بصرى من أرض الشام، بصرى بضم الباء الموحدة وسكون الصاد مدينة من حوران بالشام، وقيل: مدينة بنسا والبصرة.

وآمنة هي: بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب.

واختلف في مولده ﷺ فقيل: ولد بمكة عام الفيل، حكاه محب الدين الطبري وقيل: بعده بثلاث وعشرين سنة، قاله عبيد بن عمير الكلبي، وقيل: بعده بثلاثين عاما، وقيل: بأربعين عاما، والأول أصح، وقيل بعد خمسين يوما من الفيل، وقيل: بعد قدوم أصحاب الفيل بشهرين، وكان لعشرين من نيسان، وقيل: بعد قدومهم بخمس وخمسين ليلة، وقيل: ولد بعد موت أبيه في يوم الاثنين، الثاني عشر من شهر ربيع الأول ولم يذكر ابن إسحاق غيره، ووافق من شهور الروم العشرين من شباط في السنة الثانية عشرة من ملك أنو شروان.

وحكى الطبري: أن مولده ﷺ كان لاثنين وأربعين سنة، من ملك أنو شروان وحكاه الشهرستاني، وقيل: يوم الاثنين لليلتين خلتا من شهر ربيع الأول، وقيل: لثمان وصححه كثير من العلماء، وقيل: لعشر خلون منه حكاه ابن الجوزي، وقيل: لثمان عشرة منه، وقيل: أول اثنين منه غير تعيين، وقيل: لاثني عشر ليلة خلت من شهر ربيع الأول، حكاه الطبري وولد ﷺ بمكة المشرفة ليلا.

---

(١) ذكره ابن هشام في السيرة (١/١٥٥-١٥٦)، وابن سعد في الطبقات (١/٩٥، ٩٦).

قال الزبير بن بكار: ولد ﷺ في الدار التي صارت لمحمد بن يوسف أخي الحجاج بن يوسف وقيل: إنه ﷺ ولد في شعب بني هاشم.

وروي أنه ﷺ ولد في الدار التي كانت في الزقاق المعروف بزقاق المولد، وكانت الدار في مهاجر رسول الله ﷺ في يد عقيل بن أبي طالب ثم في أيدي ولده، لأن رسول الله ﷺ لم يعرض للدار بعد أن فتح مكة، ثم إن محمد بن يوسف الثقفي أخا الحجاج اشترى تلك الدار من ولد عقيل فأدخل البيت في دار بناها وسماها البيضاء، وهي تعرف بدار ابن يوسف فكان البيت في الدار إلى أن حجت الخيزران، فأخرجت البيت وجعلته مسجدا يصلي الناس فيه رجاء بركته ﷺ وموضع مسقطه ﷺ في هذا المسجد معروف إلى الآن.

قالت أم عثمان بن أبي العاص: شهدت ولادة آمنة برسول الله ﷺ وكان ليلا فما شيء أنظر إليه من البيت إلا نور، وإنني لأنظر إلى النجوم تدنو وإني أقول لتقعن علي، ولما وضعته تركت عليه في ليلة ولادته جفنة فانقلبت عنه، فكانت من آياته.

ويروى: أنه ولد ﷺ مرجلا، فخرجت رجلاه أولا، وفي بعض الروايات أنه ﷺ ولد مختونا مقطوع السرة نظيفا ما به قذر.

يروى أن ثلاثة عشر نبيا ولدوا مختونين: آدم، وشيث، ونوح، وإدريس، وسام، ولوط، ويوسف، وموسى، وشعيب، وسليمان، ويحيى، وعيسى، ومحمد ﷺ وعليهم أجمعين.

وقال محمد بن حبيب الهاشمي: هم أربعة عشر، فذكر المذكورين إلا إدريس، وسام، ويحيى، وذكر هود، وصالح، وزكريا وحنظلة بن صفوان نبي أصحاب الرس.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: أن عبد المطلب ختن النبي ﷺ يوم سابعة وجعل له مأدبة وسماه محمدا ﷺ.

وروي عن فاطمة أنها كانت تختن ولدها يوم السابع، وأنكره مالك،وقال: ذلك من عمل اليهود، وقال الليث: يختن الصبي ما بين تسع إلى عشر.

وكان ﷺ يدفن سبعة أشياء من الإنسان: الشعر، والظفر، والدم، والحيض والسن، والقلفة ، والبشمة.

وأصبحت أصنام الدنيا كلها يوم مولد رسول الله ﷺ منكوسة وأصبح عرش إبليس قد سقط.

عن يحيى بن عروة عن أبيه أن نفرا من قريش، منهم ورقة بن نوفل، وزيد بن عمرو بن نفيل، وعبد الله بن جحش، وعثمان بن الحويرث كانوا عند صنم لهم قد

اجتمعوا إليه يوما، واتخذوا ذلك اليوم عيدا في كل سنة يعظمونه وينحرون عنده الجزور فرأوه مكبوبا على وجهه، فأنكروا ذلك وردوه إلى حاله، فانقلب انقلابا عنيفا، فردوه فانقلب ثالثا، فقال عثمان بن الحويرث:

أيـا صـنم العـيد الـذي صف حوله ... صـناديد وفـد مـن بعيد ومن قرب
تنكـست مقلـوباً فمـا ذاك قـل لنا ... بغـاك سـفيه أو تكوسـت بالعـتب
فـإن كـان مـن ذنـب أتيـنا فإننا ... نـبوء بإقـرار ونلـوي عـن الذنب
وإن كـنت مغلـوباً تكوسـت صاغراً ... فمـا أنـت في الأوثـان بالسيد الرب

ثم ردوا الصنم على حاله، فهتف بهم هاتف بصوت جهير وهو يقول:

تـردى لمولـود أنـارت لـنوره ... جمـيع فجاج الأرض بالشرق والغرب
وخـرت لـه الأوثـان طراً فأرعدت ... قلـوب ملـوك الأرض طراً من الرعب
ونـار جمـيع الفرس باخت وأظلمت ... وقـد بات شاه الفرس في أعظم الكرب
وصـارت عـن الكهـان بالغيب جنها ... فـلا مخـبر مـنهم بصدق ولا كذب
فـيا لقـصي ارجعـوا عـن ضلالكم ... وهـبوا إلى الإسـلام والمنزل الرحب

فلما سمعوا ذلك خلصوا نجيا، وخرجوا يضربون في الأرض يبتغون دين الحنيفية، دين إبراهيم عليه السلام، فأما ورقة: فتنصر وقرأ الكتب، وأما عثمان بن الحويرث، فصار إلى قيصر وتنصر، وأما زيد بن عمرو: فخرج حتى بلغ الرقة من أرض الحيرة، فلقي بها راهبا، فأخبره أنه أظل زمان نبي يخرج من مكة يبعث بدين الحنيفية، فرجع يريد مكة، فعدت عليه لخم فقتلوه.

ولما كانت الليلة التي ولد فيها رسول الله ﷺ، وكان بمكة يهودي فحضر مجلس قريش وقال: ولد في هذه الليلة نبي بين كتفيه علامة فيها شعرات متواترات كأنها عرف وثن، فوجدوا قد ولد لعبد المطلب غلاما سموه محمدا، فأخبروا اليهودي، فأتى ونظره وقال: ذهبت النبوة من بني إسرائيل يا معشر قريش، والله ليسطون بكم سطوة يخرج خبرها من المشرق إلى المغرب، وكان في القوم هشام بن المغيرة، والوليد بن المغيرة، وعبيدة بن الحارث، وعتبة بن ربيعة فعصمه الله تعالى منهم.

وسمع هاتف من الجن يهتف على جبل الحجون وهو يقول شعرا:

فأقـسم مـا أنثـى من الناس أنتجت ... ولا ولـدت أنثـى مـن الناس واحده

كمـا ولـدت زهـرية ذات مفخـر مجـنة لـوم للقـبائل ماجـده

وارتجس إيوان كسرى، فسقطت منه أربعة عشر شرفة، وكتب له صاحب اليمن يخبره أن بحيرة ساوة غاضت تلك الليلة، وكتب إليه صاحب الشام أن وادي سماوة انقطع تلك الليلة وكتب إليه صاحب طبرية أن الماء لم يجر في بحيرة طبرية تلك الليلة، وكتب إليه صاحب فارس أن النيران خمدت تلك الليلة، ولم تخمد قبل ذلك بألف سنة، فقال الموبذان لكسرى: وأنا قد رأيت في مثل هذه الليلة إبلا صعابا، تقود خيلا عرابا قد قطعت دجلة وانتشرت في بلادنا، فقال: أي شيء يكون هذا يا موبذان؟ قال: حادثة تكون من ناحية العرب، فكتب إلى النعمان بن المنذر: أن ابعث إلي رجلا عالما أسأله، فوجه إليه عبد المسيح بن عمرو بن بقيلة الغساني، فلما قدم أخبروه، فقال: علم ذلك عند خال لي يسكن مشارف الشام، يقال له: سطيح، فجهزوه إليه فلما قدم عليه وجده قد احتضر، فسلم عليه، فلم يرد جوابا، فقال عبد المسيح شعرا:

أصـم أم يـسمع غطـريف الـيمن يـا فاضـل الخطـة أعـيت من ومن

أم فـاز فـاز لم بـه شـاو العـنن أتـاك شـيخ الحـي مـن آل سـنن

وأمـه مـن آل ذئـب مـن جحش أزرق ممهـي الـناس صـرار الأذن

أبـيض فـضفاض الـرداء والـبدن رسـول قـيل العجـم يسرى للوسن

فرفع سطيح رأسه، وأخبر عبد المسيح بما اتفق وبرؤيا الموبذان، ثم قال: يا عبد المسيح إذا كثرت التلاوة، وبعث من تهامة صاحب الهراوة، وفاض وادي السماوة، وفاضت بحيرة ساوة، وخمدت نار فارس، فليس الشام لسطيح شاما، يملك منهم ملك وملكات بعدد الشرفات، وكل ما هو آت آت، ثم قضى سطيح، ورجع عبد المسيح إلى كسرى، وأخبره بقول سطيح، فقال: إلى أن يملك منا أربعا عشر ملكا قد كانت أمور، فملك منهم عشرة ملوك في أربع سنين، وزال ملكهم عند يزدجرد الرابع عشر بعد اثنتي عشرة سنة.

وذكر المسعودي: أن سطيح نبيا أضاعه قومه فانظروه وقال في تاريخه «مروج الذهب» سطيح هو: ربيع بن ربيعة بن مسعود بن مازن بن غسان، يدرج سائر جسده كما يدرج الثوب، لا عظم فيه إلا جمجمة رأسه وكانت إذا لمست باليد أثرت للين عظمها.

إشارة على قصة أصحاب الفيل المتقدم ذكرها:

وذلك أن أبرهة بن الصباح، بنى بصنعاء كنيسة للنصارى ليعدل بالعرب عن حج

الكعبة إليها، فدخل إلى هيكلها بعض بني كنانة من قريش فأحدث فيها ليلا، فبعث إلى النجاشي، يمده بالفيل والجيش ليغزو قريشا ويهدم الكعبة، وقيل: إن تجارا من قريش نزلوا بفناء بيعة للنصارى وأوقدوا نارا، فاحترقت البيعة، فأنفذ النجاشي جيشه، والفيل مع أبرهة بن الصباح، وأبي مكسوم، وحجر بن شراحيل، والأسود بن مقصود وكان النجاشي هو الملك وأبرهة صاحب جيشه على اليمن وأبرهة هو الأشرم، فبرك منهم الفيل بالمغمس ومات أبو رغال، بالمغمس وهو قائد الفيل.

قيل: كانت الفيلة اثني عشر، وقيل: ثمانية، وأقبل عليهم الطير من ناحية البحر يوم الاثنين، فألقت على القوم حجارة فأهلكتهم ورجع أبرهة إلى اليمن إلى أن دخل صنعاء، وسقط عليه حجر فمات.

ثم أخذ بنو عبد المطلب أموالهم، فكانت أول أموال بني عبد المطلب قال الله تعالى: ﴿تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ﴾ [الفيل: ٤] قال ابن قتيبة: معناه بالفارسية: حجارة من طين وقال ابن عباس: سجيل آجر وسجين جبس، وكان على كل حجر اسم صاحبه، وكانت على قدر العدسة، وقيل على قدر رأس الرجل.

ثم إن النجاشي آمن بالنبي ﷺ واسمه أصحمة بن أبحر ومعناه عطية، والنجاشي لقب كمثل تبع لملك اليمن، والخنشوار لملك الهياطلة والأفشين لملك أشروسنة، والأخشيد لملك مصر، وخاقان للترك، وكسرى لفارس وقيصر للروم معناه: الكبير واسمه هرقل، وفرعون للقبط، والفنس للنصارى، والفرنسيس للإفرنج، وقيل: النجاشي اسم لكل من ملك الحبشة، وكسرى اسم لكل من ملك فارس، وبطليموس اسم لكل من ملك اليونان، وقيطوراء اسم لكل من ملك اليهود، والجالوت اسم لكل من ملك البربر.

والنجاشي: بفتح النون وقال الأخفش: بكسرها مات بالحبشة، وخرج رسول الله ﷺ إلى البقيع وصلى عليه صلاة الغائب في الساعة التي توفي فيها[1].

سؤال: إن قيل كيف منع أصحاب الفيل من الكعبة قبل مصيرها قبلة ومنسكا، ولم يمنع الحجاج من هدمها، وقد صارت قبلة ومنسكا حتى أحرقها ونصب المنجنيق عليها؟

فالجواب: إن فعل الحجاج كان بعد استقرار الدين، فاستغنى عن آيات تأسيسه، وأصحاب الفيل كانوا قبل ظهور النبوة فجعل المنع آية لتأسيس النبوة ومجيء الرسالة، على أن رسول الله ﷺ قد أنذر بهدمها فصار الهدم آية بعدما كان المنع آية.

---

(١) أخرجه البخاري (١٢٤٥)، ومسلم (٦٢) ٢/ ٦٥٦ ، ومالك في الموطأ (١/ ٢٢٦) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

المنجنيق: أول من استخرجه إبليس كما استخرج المنشار حين قتل زكريا عليه السلام.

وقد عاصر رسول الله ﷺ في زمان نبوته وبعد هجرته جماعة شاهدوا الفيل منهم: حكيم بن حزام وحويطب بن عبد العزى، ونوفل بن معاوية لأن كل واحد من هؤلاء عاش مائة وعشرين سنة، منها ستين في الجاهلية وستين في الإسلام فأما حكيم بن حزام فإنه ولد في جوف الكعبة.

الفصل الرابع

في ذكر أسماء النبي الأسنى ﷺ وما خصه الله به من أسمائه الحسنى

اعلم أن أسماءه عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام وأكمله وأتمه حازت أوائلها حروف المعجم ما خلا اللام، ومنها معرب ومعجم.

عن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ **«لي خمسة أسماء: أنا محمد، وأنا أحمد، وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر، وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي، وأنا العاقب»**(1).

وقد سمى الله تعالى أمته في كتب أنبيائه بالحمادين فحق له أن يسمى محمدا وأحمدا.

وخص لفظة أحمد فيما بشره عيسى عليه السلام تنبيها على أنه أحمد منه ومن الذين كانوا من قبله قال الله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَـٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ﴾ [الصف: ٦].

وحمى سبحانه أن يتسمى أحد قبل زمانه بأحمد أو محمد فأما أحمد قطعا وأما محمد فلم يسم به أحد من العرب ولا غيرهم إلا بعد أن شاع قبيل وجوده ﷺ أن نبيا يبعث اسمه محمد فسمى قوم قليل من العرب أبنائهم بذلك رجاء أن يكون أحدهم وهم: محمد بن أحيحة بن الجلاح الأوسي ومحمد بن مسلمة الأنصاري، ومحمد بن براء البكري، ومحمد بن سفيان بن مجاشع وهو أول من تسمى محمدا، ومحمد بن حمران الجعفي، ومحمد بن خزاعي السلمي ومحمد بن سعادة، وقيل: أول من تسمى محمدا: محمد بن اليحمد من الأزد.

وقد سماه الله تعالى أحمد في كتاب شعيا بن أموص، من أنبياء بني إسرائيل فقال في الفصل السادس عشر منه لتفرح لك البادية العطش، ولتبتهج البراري والفلوات ولتسر وتزهو مثل الوعل فإنها ستعطى بأحمد على كتفه محاسن لبنان، ويكمل أحسن الدساكر

---

(١) أخرجه البخاري (٣٥٣٢)، ومسلم (١٢٥) (٢/١٨٢٨) عن محمد بن جبير رضي الله عنه.

والرياض وسترون جلال الله تعالى بها الأنبياء، قال شعيا: وسلطانه على كتفه يريد علامة نبوته وهذه صفة محمد ﷺ ويأويه الحجاز.

وكذلك أتى اسمه في التوراة فقال: «أسدده لكل جميل وأهب له كل خلق كريم، وأجعل السكينة لباسه، والبر شعاره، والتقوى ضميره، والحكمة مقوله والصدق والوفاء طبيعته، والعفو والمعروف خلقه، والعدل سيرته، والحق شريعته، والهدى أمامه، والإسلام ملته، وأحمد اسمه أهدي به بعد الضلالة وأعلم به بعد الجهالة، وأرفع به بعد الخمالة، وأسمي به بعد النكرة، وأكثر به بعد القلة، وأغني به بعد العيلة، وأجمع به بعد الفرقة، وأولف به بين قلوب مختلفة وأهواء مشتتة وأمم متفرقة، وأجعل أمته خير أمة أخرجت للناس، واسمه في الإنجيل أحمد وفي التوراة حامد».

قال أهل التاريخ: وأول من تسمى بعد النبي ﷺ أحمد: أحمد أبي الخليل بن أحمد، وأول من تسمى بعده محمدا: محمد بن حاطب الجمحي تسمى بذلك في حياته ﷺ وتوفي بمكة سنة أربع وسبعين.

قوله عليه الصلاة والسلام «**وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر**» يعني محو الكفر مما زوي له من الأرض ووعد أنه يبلغه ملك أمته وقيل: المحو عاما بمعنى الظهور والغلبة واسمه في التوراة الماحي .

قوله: «**وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي وعلى عقبي**» أي على زماني ليس بعدي نبي [(١)].

وسمي عاقبا: لأنه عقب غيره من الأنبياء، ومعناه: آخر الأنبياء.

وقوله عليه السلام: «**لي خمسة أسماء**» قيل إنها موجودة في الكتب المتقدمة[(٢)].

وروي عنه ﷺ «**لي عشرة أسماء**» ذكر منها طه ويس[(٣)] حكاه السلمي عن الواسطي وجعفر بن محمد وذكره غيره: لي عشرة أسماء فذكر الخمسة المتقدمة قال: «**وأنا رسول الرحمة ورسول الراحة ورسول الملاحم، وأنا المقفي قفوت النبيين، وأنا قيم**»[(٤)] والقيم: الجامع الكامل.

قال القاضي عياض كذا وجدته ولم أروه وأرى أن صوابه «قثم» بالمثلثة كما

(١) ذكره عياض الشفا (١/١٤٦).

(٢) أورده عياض في الشفا (١/١٤٦).

(٣) أخرجه عياض في الشفا (١/ ١٤٦).

(٤) أخرجه أحمد في المسند (٤/٨١، ٨٤، ٣٩٥، ٥/٤٠٥)، والبيهقي في الدلائل (١/١٢٥، ١٥٧، ٤/٣٣٨)، وابن سعد في الطبقات (١/١٠٤)

ذكرناه عن الحربي وهو أشبه بالتفسير، وقد وقع في كتب الأنبياء قال داود عليه السلام: «اللهم ابعث لنا محمدا مقيم السنة بعد الفترة»، فقد يكون القيم بمعناه، وروى النقاش عنه ﷺ: «**لي في القرآن سبعة أسماء: محمد وأحمد ، ويس، وطه، والمدثر، والمزمل، وعبد الله**».

وفي حديث عن جبير بن مطعم: هي ستة: محمد وأحمد وخاتم، وحاشر، وعاقب وماح.

وعن أبي موسى الأشعري: أنه كان عليه السلام يسمي لنا نفسه أسماء فيقول: «**أنا محمد وأحمد، والمقفى ، والحاشر، ونبي التوبة، ونبي الملحمة**» وفي رواية «ونبي الملاحم» ويروى المرحمة والراحة وكل صحيح [(١)].

قال القاضي عياض: معنى المقفى معناه: العاقب وأما نبي الرحمة والتوبة والمرحمة والراحة فقال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الأنبياء: ١٠٧] وقال: ﴿ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْمَرْحَمَةِ ﴾ [البلد: ١٧]وأما رواية: نبي الملحمة فإشارة إلى ما بعث به عليه السلام من القتال والسيف، والملاحم من الحرب أيضا، وفي رواية الحربي أنه ﷺ قال: «**أتاني الملك فقال: أنت قثم والقثوم الجامع للخير**» وقيل: اسمه هو في بيت آله ﷺ معلوم وقيل: القثم كثير العطاء.

وقد سماه الله تعالى في آية واحدة سبعة أسماء فقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۝ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴾ [الأحزاب: ٤٥، ٤٦] يعني شاهدا على أمتك وعلى جميع الأمم،ومبشرا لمن آمن بك، ونذيرا لمن كفر بك، وداعيا إلى طاعة الله وسراجا منيرا، نورا وضياء لمن آمن بك ﴿ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ﴾ [الأحزاب: ٤٧] وهي الجنة.

قيل: إن الله تعالى ذكر نبيه ﷺ في القرآن في ألف موضع رواه من جملة منها: المزمل، والمدثر، وأحمد، وأبطحي، وإمام، وأول ، وآخر، وأمين، وأمي، والمذكر، وأذن، وبار، وبيان، وبرهان، وباطن، وبشير، والرسول، ونبي، وشاهد، ومبشر، ونذير، وسراج، ومنير، ورؤوف، ورحيم، ومحمد، وحامد، ومحمود، وقاسم، وعاقب ، وحاشر، وهادي، ومهتدي، وطس، وحم، وصفي، ومصطفى، ومرتضى، ومجتبى، وناصر، وقائم، وحافظ وشهيد، وعادل، وحجيم، وحجة، ومؤمن، وعليم، ومطيع، وواعظ، وصادق وقرشي، وهاشمي، ومكي، ومدني، وعزيز وحريص ويتيم وعائل وغني، وجواد، وعالم وفتاح وطاهر ومطهر وخطيب وفصيح ومتقي وسابق، ومقتضي ومهلل وشفيع ومشفع،

---

(١) أخرجه مسلم (١٢٦) (١٨٢٨/٤)، وابن سعد في الطبقات (١٠٤/١) عن أبي موسى ﷺ.

وطيب، ومطيب وطاهر وحليم، وشكور ورقيب ومبين وولي، وحرمي وزكي ومهدي وكليم، وتام وحافظ ومذكور وناطق ومصدوق، ورشيد، ومرشد، ومصدق وسلام ومنذر وعبد وكريم، ومحلل، ومحرم وواضع ورافع ومجيد وثاني اثنين، ومنصور وخير ونقيب وعلي ومهاجر وعامر ومبارك ورحمة وناهي، ومتوسط وشفاء وفصيح،وشافع وتقي، وقريب، ومنيب، وفاتح وعظيم.

ومن ألقابه ﷺ وسماته في القرآن عدة كثيرة حسبما ذكرنا.

وقال أبو بكر بن العربي: ومن أسمائه عليه الصلاة والسلام، قائد الغر المحجلين، وحبيب الله وخليل الرحمن، وصاحب الحوض المورود، وصاحب الشفاعة والمقام المحمود وصاحب الوسيلة، والفضيلة والدرجة الرفيعة والرأفة والرحمة، وصاحب التاج والمعراج واللواء والقضيب، وراكب البراق، والناقة، والنجيب، وصاحب الحجة، والسلطان والخاتم والبرهان، وصاحب الهراوة، والنعلين، وروح الحق، وقدم الصدق، ورحمة للعالمين، ونعمة الله، والعروة الوثقى والصراط المستقيم، والنجم الثاقب، وداعي الله وأبي القاسم ورسول رب العالمين، والمصلح والمهيمن، وسيد ولد آدم، وسيد المرسلين وإمام المتقين، والحق المبين وخاتم النبيين والرؤوف الرحيم والنبي الأمي.

ومعنى صاحب القضيب: أي صاحب السيف، وقع مفسرا في الإنجيل قال: «معه قضيب من حديد يقاتل به وأمته» كذلك ويحتمل أنه القضيب الممشوق وقيل: العصا المذكورة في حديث الحوض: «**أزول الناس عنه بعصاي**»(١) قاله القاضي عياض.

والهراوة: هي في اللغة العصا، والتاج: العمامة ولم تكن حينئذ إلا للعرب، ونهى ﷺ عن الاقتعاط وأمر بالتلحي، والاقتعاط: أن يدير العمامة ويترك التحنك وصاحب الحجة والسلطان، وخاتم النبوة وسلطانه على كتفه.

ومن أسمائه ﷺ في الكتب الإلهية: المتوكل، والمختار، ومقيم السنة، والمقدس، وروح الحق ومعناه: البارقليط، في الإنجيل، حكاه عياض.

وقال ثعلب: البارقليط الذي يفرق بين الحق والباطل، والمتوكل هو اسمه ﷺ في التوراة.

عن عطاء بن يسار قال: لقيت عبد الله بن عمرو بن العاص، قلت: أخبرني عن صفة رسول الله ﷺ قال: «أجل إنه والله الموصوف في التوراة ببعض صفته في القرآن ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَـٰكَ شَـٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴾ [الأحزاب: ٤٥، ٤٦] وحرز للأميين، أنت

---

(١) أخرجه مسلم (٣٧) ١٧٩٩.

عبدي ورسولي سميتك: المتوكل لست بفظ، ولا سخاب في الأسواق، ولا يدفع السيئة بالسيئة ولكن تعفو وتغفر ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء بأن يقول لا إله إلا الله، ويفتح بها أعينا عميا، وأذانا صما وقلوبا غلفا»[١] رواه البخاري.

وروى الدارمي مثله في مسنده عن ابن سلام، وروي عن كعب أيضا مثله[٢].

وفي الزبور: اسمه «فلاح»، وتفسيره يمحق الله به الباطل، وهو عبادة الأوثان.

وفي التوراة: «طاب طاب»، ومعناه: طيب طيب، وقيل: معناه إنه ما ذكر رسول الله ﷺ بين قوم إلا طاب ذكره بينهم.

ومن أسمائه ﷺ في الإنجيل «حبيطا» وتفسيره يفرق الله به الحق من الباطل، ومن أسمائه عليه السلام في الكتب السالفة، «ماذا ماذا» ومعناه: طيب طيب، وقيل: هي في صحف إبراهيم عليه السلام، «موذ موذ» حكاه عياض.

وفي كتب الروم: «التلقيط»، و«المنحمنا»، و«البرقليطس»، و«روح القسط».

قال القاضي عياض: ويسمى بالسريانية «مشفح» و«المنحمنا»، واسمه ﷺ في التوراة «أحيد»، روي ذلك عن ابن سيرين، وقيل: «أخيذ» بالذال المعجمة ومعناه أنه سيأخذ أمته عن النار،وروي أن النبي ﷺ في التوراة: «أخير» ومعناه آخر الأنبياء ومن أسمائه ﷺ في الكتب السالفة «حمطايا» وقيل: «حمطانا» بالنون و«الخاتم» و«الحاتم» حكاه كعب الأحبار قال ثعلب: فالخاتم الذي ختم الأنبياء والحاتم بالحاء المهملة أحسن الأنبياء خلقا وخلقا.

وفي مزمور أن الله أظهر من صيفون نبيا من مكة أكليلا محمودا فسماه «الإكليل المحمود».

وفي بعض الصحف المنزلة: «اسمه أجير»، يعني أنه يجير أمته من النار.

واسمه ﷺ بالسريانية: «سرحنطليس» وهو البرقليطس وفي صحف إبراهيم عليه السلام، «طاب طاب» يعني طيبا طيبا، واسمه ﷺ في التوراة: «موصل» أي مرحوما وفي الزبور: «فارق» يعني فرق بين الحق والباطل، وفي الإنجيل أيضًا «آخرايا» يعني: آخر الأنبياء واسمه ﷺ في السموات «محمود» وفي صحف شيث عليه السلام: «أخو ماخ ماخ»، يعني صحيح الإسلام، وقال المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام: «سيأتيكم روحا بأرقليطا» يعني محمد ﷺ .

---

(١) أخرجه البخاري (٤٨٣٨)، والبيهقي في دلائل النبوة (١/ ٢٧٤) عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما.

(٢) أخرجه الدارمي (١/٥) عن عبد الله بن سلام رضي الله عنه.

وذكر النيسابوري وغيره أسماء له ﷺ منها «الغيث».

وعن علي رضي الله عنه، ذكر له أسماء منها: «مأمون» وسمي ﷺ في الكتب السالفة أيضا: «ماذ» و«حمياط» و«برقليط»، حكاه صاحب الدر المنظم.

ومن أسمائه ﷺ «جاعل السنة»، قال داود في الزبور، «اللهم ابعث جاعل السنة، حتى يعلم أنه بشر»، أي: ابعث نبيا يعلم الناس أن المسيح بشر لعلم داود عليه السلام أن قوما سيدعون في المسيح ما ادعوه وهذا هو محمد ﷺ.

وفي الإنجيل قال المسيح عليه السلام للحواريين: إني ذاهب وسيأتيكم البارقليط روح الحق الذي لا يتكلم من قبل نفسه إلا كما يقال له وهو يشهد علي وأنتم تشهدون لأنكم «معي من قبل الناس فكل شيء أعده الله يخبركم به».

وفي نقل آخر: «أن البارقليط لا يجيئكم ما لم أذهب: فإذا جاء وبخ العالم على الخطيئة ولا يقول من تلقاء نفسه شيئا، ولكنه مما يستمع به يكلمكم ويسوسكم بالحق ويخبركم بالحوادث والغيوب».

وفي نقل آخر عنه: «إن البارقليط روح الحق الذي يرسله ربي باسمي ويعلمكم كل شيء وإني سائل أن يبعث إليكم بارقليط آخر يكون معكم إلى الأبد وهو يعلمكم كل شيء وهو يشهد لي».

وفي نقل آخر عنه: إن البشير ذاهب والبارقليط بعده يجيء لكم بالأسرار ويقيم لكم كل شيء وهو يشهد لي كما شهدت له فإني لأجيئكم بالأمثال وهو يأتيكم بالتأويل والبارقليط بلغتهم لفظ من الحمد وقد قال النبي ﷺ «**أنا أحمد وأنا محمود وأنا محمد**»(١).

وسماه الله تعالى: صدقا فقال: ﴿ وَكَذَّبَ بِٱلصِّدْقِ إِذْ جَآءَهُۥٓ ﴾ [الزمر: ٣٢] وسماه رسولا كريما فقال: ﴿ إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴾ [الحاقة: ٤٠] وسماه نورا فقال: ﴿ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴾ [المائدة: ١٥] وسماه تعالى نعمة فقال: ﴿ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا ﴾ [النحل: ٨٣] وسماه تعالى عبد الله فقال: ﴿ وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ ﴾ [الجن: ١٩] وهو الصراط المستقيم حكاه أبو الحسن عن الماوردي.

عن أبي العالية والحسن البصري، وحكى مكي عنهما نحوه وقال: هو رسول الله ﷺ وصاحباه أبو بكر وعمر رضي الله عنهما، وحكى السمرقندي مثله عن أبي العالية في قوله ﴿ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴾ [الفاتحة: ٧].

---

(١) أورده الماوردي في أعلام النبوة ص (١٣٧)، وابن الجوزي في الوفا (١/١٦٧).

وحكى أبو عبد الرحمن السلمي في قوله تعالى: ﴿ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ ﴾ [البقرة: ٢٥٦] أنه محمد ﷺ وقيل: الإسلام وقيل: التوحيد.

وقال سهل في قوله تعالى: ﴿ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ﴾ [النحل: ١٨] قال: نعمة الله محمد ﷺ وهو قدم صدق قاله قتادة والحسن وزيد بن أسلم في قوله تعالى: ﴿ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ ﴾ [يونس: ٢].

واختلف في معنى يس فقيل: اسم للنبي ﷺ وحكى أبو عبد الرحمن السلمي، عن جعفر الصادق رضي الله عنه: أنه أراد يا سيد مخاطبة لنبيه ﷺ.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما معناه: يا إنسان أراد محمدا ﷺ وقال: وهو قسم، وهو من أسماء الله عز وجل.

وقال الزجاج: قيل: معناه يا محمد وقيل: يا رجل.

وعن ابن الحنفية قال: يس: يا محمد وقال ابن عباس رضي الله عنهما: يس: يا إنسان بلغة طيئ وقال ابن عطاء : بالسريانية.

ومن قرأ سورة يس حين يصبح لم يزل في فرح إلى أن يمسي حكاه يحيى بن أبي كثير.

وقال سهل بن عبد الله في قوله تعالى: ﴿ الٓمٓ ﴾ [البقرة: ١]: إن الألف الله تعالى، واللام جبريل، والميم محمد صلوات الله عليه، وحكاه السمرقندي ولم ينسبه إلى سهل.

وقال ابن عطاء في قوله: ﴿ قٓ ۚ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْمَجِيدِ ﴾ [ق: ١] قال: اقسم بقوة قلب حبيبه محمد ﷺ حيث حمل الخطاب ولم تؤثر فيه المشاهدة لعلو حاله، فهو عليه السلام صاحب تمكين وموسى عليه السلام صاحب تكوين إذ أثر فيه وقيل: إنه اسم الله تعالى ، وقيل: جبل.

وقال جعفر الصادق رضي الله عنه في قوله تعالى: ﴿ وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴾ [النجم: ١] إنه محمد ﷺ.

وقال ابن عطاء في قوله تعالى: ﴿ وَٱلْفَجْرِ ۝ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ﴾ [الفجر: ١، ٢] الفجر: محمد ﷺ لأن منه تفجر الإيمان، وقوله تعالى: ﴿ إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴾ [الحاقة: ٤٠] قيل الرسول الكريم هنا: محمد ﷺ وقيل: جبريل وقوله تعالى: ﴿ طه ﴾ [طه: ١] قيل: هو اسم من أسمائه عليه الصلاة والسلام وقيل: اسم الله تعالى، وقيل: معناه يا رجل، قاله: مجاهد والحسن، وعطاء، وقيل: يا إنسان وقال الواسطي: أراد يا طاهر يا هادي.

وسماه الله تعالى رجلا، والرجل في القرآن على أربعة عشر وجها.

الأول: محمد ﷺ ﴿ أَنْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ ﴾ [يونس: ٢].

الثاني والثالث: يوشع بن نون وكالب بن يوقنا ﴿ قَالَ رَجُلَانِ ﴾ [المائدة: ٢٣].

الرابع: نوح عليه السلام في الأعراف: ﴿ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ ﴾ [الأعراف: ٦٣].

الخامس: هود عليه السلام في الأعراف ﴿ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ ﴾ [الأعراف: ٦٩].

السادس: الوثن: ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَآ أَبْكَمُ ﴾ [النحل: ٧٦].

السابع والثامن: يمليخا وقمطس ﴿ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ ﴾ [الكهف: ٣٢] .

التاسع: جزقيل عليه السلام ﴿ وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ ﴾ [القصص: ٢٠] ﴿ وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ ﴾ [غافر: ٢٨].

العاشر: جميل بن معمر ﴿ مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِى جَوْفِهِۦ ﴾ [الأحزاب: ٤].

الحادي عشر: حبيب النجار ﴿ وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ ﴾ [يس: ٢٠]

الثاني عشر: المؤمن ﴿ وَرَجُلًا سَلَمًا ﴾ [الزمر: ٢٩].

الثالث عشر: موسى عليه السلام ﴿ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا ﴾ [غافر: ٢٨].

الرابع عشر: الوليد بن المغيرة وأبو مسعود الثقفي ﴿ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴾ [الزخرف: ٣١].

وسماه الله تعالى نبيا ورجلا في الفصل الحادي عشر من السفر الخامس عن موسى عليه السلام: «إن الرب إلهكم قال: إني أقيم لهم نبيا مثلك من بين إخوتهم أجعل كلامي على فمه وأيما رجل لم يسمع كلماتي التي يؤديها عني ذلك الرجل باسمي فأنا أنتقم منه» ومعلوم أن أخا بني إسرائيل هم بنو إسماعيل وليس منهم من ظهر كلام الله تعالى على فمه غير محمد ﷺ.

ومن أسمائه ﷺ «الفاتح»، و«الضحوك» وهو صفته في التوراة قال ابن فارس: إنما سمي الضحوك لأنه كان طيب النفس فكها.

ومن أسمائه ﷺ أيضا: القتال.

وسماه الله تعالى: الملك «وزريايال»، في كتاب زكريا بن يوحنا، من أنبياء بني إسرائيل، فقال: رجع الملك الذي ينطق على لساني وأيقظني كالرجل الذي يستيقظ من نومه وقال لي: ما الذي رأيت فقلت: رأيت منارة من ذهب وكفة على رأسها، ورأيت على الكفة سبع سرج، لكل سراج منها سبعة أفواه، وفوق الكفة شجرتا زيتون، إحداهما عن يمين الكفة والأخرى عن يسارها فقلت للملك الذي ينطق على لساني، ما هذه يا سيدي فرد الملك علي وقال لي: أما تعلم ما هذه؟ فقلت: ما أعلم فقال لي: هذا قول

الرب في زريايال، يعني محمدا ﷺ وهو يدعو باسمي وأنا استجيب له بالنصح والنصير، وأصرف عن الأرض أنبياء الزور والأرواح النجسة لا بقوة ولا بعزة، ولكن بروحي، بقول الرب القوي، ويعني بشجرتي الزيتون الدين والملك، وزريايال هو محمد ﷺ ولا يبعد أن كون شجرتا الزيتون هما أبو بكر وعمر رضي الله عنهما.

وقد سماه الله تعالى ملكا في كتاب دانيال، من أنبياء بني إسرائيل عليهم السلام فقال: رأيت على أصحاب السماء كهيئة إنسان جاءنا فانتهى إلى عتيق الأيام، وقدموه بين يديه فخوله الملك والسلطان والكرامة أن تعبد له جميع الشعوب والأمم واللغات، سلطانه دائم إلى الأبد، له يتعبد كل سلطان ويمضي ألفان وثلاثمائة ينقضي عقاب الذنوب، يقوم ملك منيع الوجه في سلطانه عزيز القوة لا تكون عزته تلك بقوة نفسه وينجح فيما يريد، ويجوز في شعب الأطهار، ويهلك الأعداء، ويوفي بالحق الذي لم يزل قبل العالمين.

قال الإمام ناصر الدين الشهرستاني: وفي هذا دليل على أمرين أحدهما: صدق الخبر لوجوده على حقه، والثاني: صحة نبوته لظهور الخير في صفته ﷺ.

واسمه ﷺ «صيلون» في زبور داود عليه السلام فقال فيه: «فسبحان الذي هيكله الصالحون يفرح إسرائيل بخالقه ونبوة صيلون من أجل أن الله اصطفى له أمته وأعطاه النصر وسدد الصالحين منهم بالكرامة يسبحونه على مضاجعهم فيكبرون الله بأصوات مرتفعة بأيديهم سيوف ذوات شفرتين لينتقموا من الأمم الذين لا يعبدونه يوثقون ملوكهم بالقيود وأشرافهم بالأغلال»، ومعلوم أن سيوف العرب هي ذوات الشفرتين ومحمد ﷺ هو المنتقم بها من الأمم.

واسمه ﷺ «رسول» في كتاب عويديا من أنبياء بني إسرائيل قال فيه: «قد سمعنا خبرا من قبل الرب وأرسل رسولا إلى الشعوب فمن يتقدم إليه بالحرب أيها الساكن في بحر الكهف ومحله في الموضع الأعلى لأن يوم الرب قريب من جميع الشعوب كما صنعت كذلك يصنع بك»، وهذا أمر مرموز في نبوته عليه السلام.

وقد وردت عجائب في إثبات اسمه محمد ﷺ آثار عجيبة تدل على ثبات وضع الهيئة في الأزل، قال أبو عبد الله بن مالك: دخلت بلاد الهند، فسرت إلى مدينة يقال لها: نميلة أو قميلة فرأيت شجرة كبيرة تحمل ثمرا كمثل اللوز له قشر، فإذا كسرت خرج منها ورقة خضراء مطوية مكتوب عليها بالحمرة: لا إله إلا الله محمد رسول الله ، وأهل الهند يتبركون بها ويستسقون بها إذا منعوا الغيث.

قال القاضي عياض: وذكر السمنطاور أنه شاهد في بعض بلاد خراسان مولود ولد على أحد جنبيه مكتوب : لا إله إلا الله، وعلى الآخر: محمد رسول الله وذكر الإخباريون: أن

ببلاد الهند وردا أحمرا مكتوبا عليه بالأبيض: لا إله إلا الله محمد رسول الله.

وذكر الخطيب في تاريخه: أن الفتح بن شخرف لما غسل بعد موته وجد مكتوب على فخذه لا إله إلا الله فتوهموا أنها كتبت، فإذا هي عرق تحت الجلد قال: فقلب، فإذا على جنبه الأيمن مكتوب، خلقه الله.

وكذلك وجد على فخذ الإمام مالك رحمه الله مكتوب حجة الله على خلقه حكاه صاحب كتاب حلل المقالة على شرح الرسالة.

وأما ما خصه الله تعالى به من أسمائه الحسنى:

فمن أسمائه تعالى لمحمد الحميد ومعناه المحمود، وقيل: معناه الحامد، وسمي النبي ﷺ محمدا وأحمد، فمحمد بمعنى محمود، وكذلك وقع في زبر داود أن الله أظهر من صيفون أكليلا محمودا، وصيفون: العرب، والأكليل: النبوة، ومحمود هو: محمد ﷺ.

وقد سمي محمدا ومحمودًا في كتاب حبقوق عليه السلام من أنبياء بني إسرائيل فقال: جاء الله من طور سيناء واستعلن القدس من جبال فاران وانكشف لبهاء محمد وانخسفت من شعاع المحمود وامتلأت الأرض من محامده لأن شعاع منظره مثل النور يحفظ بلده بعده وتسير المنايا أمامه وتصحب سباع الطير أجناده قام فمسح الأرض وتأمل الأمم وبحث عنهم فتضعضعت الجبال القديمة وأبصعت الروابي الدهرية وتزعزع سور أرض مدين ولقد جاز المساعي القديمة قطع الرأس من بيت الأيثم ودمغت رؤوس سلاطينه بغضبه، ومعلوم أن محمدا وأحمد صريح في اسمه ﷺ وهما يتوجهان إلى من انطلق عليه اسم المحمد، وهو بالسريانية، «موشيحا»، أي محمد ومحمود، ولهذا إذا أراد السرياني أن يحمد الله تعالى قال: شريحا لإلهنا.

وأحمد بمعنى أكبر من حمد وأجل من حمد، وقد أشار إلى نحو هذا حسان بن ثابت في البيت الثالث من قوله:

أغــــر علـــــيه للنـــــبوة خـــــاتم	**مـــن الله مـــشهود يلـــوح ويـــشهد**
وضــم الإلــه اســم الــنبي مع اسمه	**إذا قـــال في الخمـــس المـــؤذن أشهد**
وشـــق لـــه مـــن اسمـــه لـــيجله	**فـــذو العـــرش محمـــود وهـــذا محمد**

وهذا معنى قوله: ﴿ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴾ [الشرح: ٤] حكاه البغوي والواحدي عن مجاهد.

ومن أسمائه تعالى: الرؤوف الرحيم، وهما بمعنى متقارب، وسماه في كتابه بذلك فقال: ﴿ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [التوبة: ١٢٨].

ومن أسمائه تعالى: الحق المبين، ومعنى الحق: المتحقق الموجود والمتحقق أمره، وكذلك المبين أي البين، وسمي النبي ﷺ بذلك فقال ﴿ حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ وَرَسُولٌ مُّبِينٌ ﴾ [الزخرف: ٢٩].

ومن أسمائه تعالى: النور، ومعناه: ذو النور أي خالقه، وسماه نورا فقال: ﴿ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ ﴾ [المائدة: ١٥].

ومن أسمائه تعالى: الشهيد، ومعناه: العالم، وقيل: الشاهد على عباده يوم القيامة، وسماه شهيدا وشاهدا فقال تعالى: ﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا ﴾ [الأحزاب: ٤٥] وقال: ﴿ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ [البقرة: ١٤٣].

ومن أسمائه تعالى الكريم، ومعناه: الكثير الخير، وسماه كريما بقوله تعالى: ﴿ إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴾ [الحاقة: ٤٠] قيل: محمد، وقيل: جبريل عليهما السلام.

ومن أسمائه تعالى العظيم، ومعناه: الجليل الشأن وقال في النبي ﷺ ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [القلم: ٤].

ووقع في أول سفر من التوراة عن إسماعيل: «وسيلد عظيما لأمة عظيمة وهو عظيم وعلى خلق عظيم»، وكذلك سمي عظيما في سفر لإبراهيم عليه السلام.

وسمي عظيما في كتاب نوال بن بوتال عليه السلام كما سيأتي عند اسمه العزيز.

ومن أسمائه تعالى: الجبار، ومعناه: المصلح وقيل: القاهر، وقيل: العلي العظيم الشأن، وقيل: الكبير المتكبر، وسمي النبي ﷺ في كتاب داود عليه السلام: «بجبار» فقال: «تقلد أيها الجبار سيفك فإن ناموسك وشرائعك مقرونة بهيبة يمينك»، ومعناه في حق النبي ﷺ إما لإصلاحه الأمة بالهداية والتعليم، أو لقهره أعداءه أو لعلو منزلته على البشر، ونفى تعالى عنه في القرآن جبرية التكبر التي لا تليق به، فقال: ﴿ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ ﴾ [ق: ٤٥].

ومن أسمائه تعالى: الخبير، ومعناه، المطلع بكنه الشيء وقيل: معناه المخبر، وقال تعالى: ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا ﴾ [الفرقان: ٥٩] قال القاضي بكر بن العلاء: المأمور بالسؤال هو غير النبي ﷺ والمسؤول الخبير هو النبي ﷺ وقيل السائل: النبي ﷺ والمسؤول الله تعالى، فالنبي ﷺ خبير بالوجهين.

ومن أسمائه تعالى: الفتاح ومعناه الحاكم، وقيل: الفاتح أبواب الرزق وسماه تعالى بالفاتح في حديث الإسراء الطويل من رواية الربيع بن أنس، عن أبي العالية وغيره، عن أبي

هريرة، وفيه من قول الله تعالى، «**وجعلتك فاتحا وخاتما**»(١)، وفيه من قول النبي ﷺ في ثنائه على ربع وتعديد مراتبه، ورفع لي ذكري وجعلني فاتحا خاتما.

ومن أسمائه تعالى: الشكور، ومعناه : المثيب على العمل القليل، وقيل: المثني على المطيعين، وقد وصف النبي ﷺ نفسه فقال: «**أفلا أكون عبدا شكورا**»(٢).

ومن أسمائه تعالى: العليم، والعالم، والعلام، وعالم الغيب والشهادة ووصف نبيه ﷺ بذلك فقال: ﴿ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ﴾ [النساء: ١١٣] وقال: ﴿ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا۟ تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ١٥١].

ومن أسمائه تعالى: الأول والآخر، ومعناهما: السابق للأشياء قبل وجودها والباقي بعد فنائها، وتحقيقه أنه ليس له أول ولا آخر، وقال عليه السلام: «**كنت أول الأنبياء في الخلق وآخرهم في البعث**»، وفسر بهذا قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَـٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ ﴾ [الأحزاب: ٧] فقدم محمد ﷺ وقوله عليه السلام، «**أنا أول من تنشق عنه الأرض وأول من يدخل الجنة، وأول شافع وأول مشفع**» وهو خاتم النبيين وآخر الرسل ﷺ(٣).

ومن أسمائه تعالى: القوي وذو القوة المتين، ومعناه: القادر وقد وصفه الله تعالى بذلك فقال: ﴿ ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ﴾ [التكوير: ٢٠] وقيل: محمد، وقيل جبريل عليه السلام.

ومن أسمائه تعالى: الصادق، وورد في الحديث اسمه ﷺ بالصادق المصدوق.

ومن أسمائه تعالى: الولي والمولى ومعناهما: الناصر، وقد قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ﴾ [المائدة: ٥٥]. وقال تعالى: ﴿ ٱلنَّبِىُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الأحزاب: ٦] وقال عليه السلام: «**أنا ولي كل مؤمن**»، وقال: «**من كنت مولاه فعلي مولاه**»(٤).

ومن أسمائه تعالى: العفو، ومعناه: الصفوح، وقد وصف به نبيه ﷺ في القرآن والتوراة وأمره بالعفو،فقال تعالى: ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ ﴾ [الأعراف: ١٩٩] وقال تعالى: ﴿ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱصْفَحْ ﴾ [المائدة: ١٣] وقال في التوراة: ليس بفظ ولا غليظ ولكن

---

(١) أورده عياض في الشفا (١/١٥٢).

(٢) أخرجه البخاري (٤٨٣٦)، ومسلم (٧٩، ٨٠) (٤/٢١٧١).

(٣) أخرجه ابن ماجه في سننه (٢/١٤٤٠)، وأورده عياض في الشفا (١/١٥٣)، والقرطبي في الجامع (١٤/١٢٧).

(٤) أخرجه الترمذي (٣٧١٣) والحاكم في المستدرك (٣/١١٠) عن زيد بن أسلم ﷺ.

يعفو ويصفح.

ومن أسمائه تعالى: الهادي؛ أي: الموفق ، وجاء في تفسير ﴿ طه ﴾ [طه: ١] يا طاهر يا هادي، وقال تعالى: ﴿ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [الشورى: ٥٢] وذلك في حقه عليه السلام بمعنى الدلالة.

ومن أسمائه تعالى: المؤمن، المهيمن، قيل: هما بمعنى واحد، ومعنى المؤمن في حقه تعالى: المصدق وعده عباده والمصدق قوله الحق والمصدق لعباده، والمهيمن، بمعنى الأمين مصغرا منه، فقلبت الهمزة هاء،وقد قيل: إن قولهم في الدعاء «آمين» إنه اسم من أسماء الله تعالى، ومعناه معنى المؤمن المهيمن بمعنى الشاهد، والنبي ﷺ أمين ومهيمن، ومؤمن قال تعالى ﴿ مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ﴾ [التكوير: ٢١] وكان ﷺ يعرف بالأمين وشهر به قبل النبوة وبعدها وسماه العباس في شعره مهيمنا بقوله:

ثم احتوى بيتك المهيمن من خندف علياء تحتها النطق

قيل: المراد يا أيها المهيمن، قاله العتبي، والقشيري، وقال تعالى: ﴿ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [التوبة: ٦١] وقال عليه السلام: «أنا أمنة لأصحابي» (١) فهذا بمعنى المؤمن.

آمين: فيه لغتان: القصر والمد، ومعناه:افعل وقيل: كذلك يكون وقيل: هي كلمة عبرانية أو سريانية، وقيل: معناه يا أمين، أي يا الله، وأفضل الدعاء يوم عرفة آمين، وقيل: هي دعاء قال تعالى لموسى وهارون: ﴿ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا ﴾ [يونس: ٨٩] وإنما كان الداعي موسى وهارون يؤمن عليه.

ومن أسمائه تعالى: القدوس، ومعناه: المنزه عن النقائص ووقع اسمه عليه السلام في كتب الأنبياء، «المقدس»، أي: المطهر من الذنوب كما قال تعالى: ﴿ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ﴾ [الفتح: ٢].

ومن أسمائه تعالى: العزيز، ومعناه: الممتنع، وقال تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ ﴾ [التوبة: ٢١].

وقد وصف الله تعالى نفسه: بالبشارة والنذارة، فقال تعالى: ﴿ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ ﴾ [التوبة: ٢١] وسماه مبشرا وبشيرا ونذيرا.

وسمي ﷺ عظيما عزيزا في كتاب نوال بن بوتال عليه السلام من أنبياء بني إسرائيل

(١) أخرجه مسلم (٢٠٧) (١٩٦١/٤).

فقال: «مثل الصبح المتسلط على الجبال نبعث عظيم عزيز لم يكن مثله إلى أبد الأبد، أمامه نار تتأجج وخلفه لهب ويلتهب، الأرض بين يديه مثل فردوس عدن فإذا جاء فيها وغيرها» وهذا نعته ﷺ.

ومن أسمائه تعالى فيما ذكر: «طه»، و«يس»، وذكر أيضا أنها من أسمائه ﷺ.

ما جاء في كنيته والتكني بها

وفضل من تسمى بمحمد وأحمد

كنيته ﷺ أبا القاسم وهي المشهورة:

وعن أنس قال: «لما ولد إبراهيم عليه السلام جاءه جبريل فقال له: السلام عليك يا أبا إبراهيم»[١].

واختلف في التكني بأبي القاسم سواء كان اسمه محمدا أو غيره ومذهب مالك: أنه يجوز التكني بأبي [٢] القاسم لمن اسمه محمد ولغيره، ويجعل النهي خاصا بحياته ﷺ وقيل: لا يجوز لمن اسمه محمد ويجوز لغيره. ومذهب مالك أقوى.

قال الحاكم: إنما أباح جمعها لعلي رضي الله عنه وحرمها على أمته، وذلك أن ابن الحنفية كان يسمى محمدًا ويكنى أبا القاسم.

ما جاء في فضل الاسمين: محمد وأحمد:

عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ «**يوقف عبدان بين يدي الله تعالى فيأمر بهما إلى الجنة فيقولان: ربنا بما استوجبنا الجنة ولم نعمل عملا يجازينا الجنة؟ فيقول ربنا سبحانه: عبدي ادخلا الجنة فإني آليت على نفسي أن لا أدخل النار من اسمه أحمد ولا محمد**» [٣].

وعن أبي أمامة، عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**من ولد له مولود فسماه محمدا حبا في وتبركا باسمي كان هو ومولوده في الجنة**»[٤].

وروى واثلة بن الأسقع قال: قال رسول الله ﷺ «**من ولد له ثلاثة من الولد ولم يسم أحدهم محمدا فقد جهل**» [٥] «الجاهلين»، وفي رواية «فقد جفاني».

---

(١) ذكره عياض في الشفا (١/١٤٩) وابن الجوزي في الوفا (١/١٠٥) عن أنس رضي الله عنه.

(٢) خطأ نحوي والصواب ما أثبتناه.

(٣) ذكره ابن الجوزي في الموضوعات (١/١٥٧) عن أنس رضي الله عنه، وقال: لا أصل له.

(٤) أخــرجه ابن الجوزي في الموضوعات (١/١٥٧) عن أبي أمامة رضي الله عنه، وقال: في إسناد هذا الحديث من قد تكلم فيه، وذكره الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة (١/٣١٩) وقال: موضوع.

(٥) أخرجه الطبراني في الكبير ص (١٠٨) وابن عدي في الضعفاء (٦/٢١٠٧).

وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ «**لا يدخل الفقر بيتا فيه اسمي**»[١].

وعنه أيضا عليه الصلاة والسلام: «**إذا كان يوم القيامة نادى مناد من قبل الله عز وجل: ألا من اسمه محمدا فليقم فإذا اجتمعوا بين يدي الله عز وجل أمر بهم إلى الجنة كرامة لاسم النبي ﷺ**» [٢].

وروي عن سريج بن يونس قال: «**إن لله ملائكة سياحين عيادتها** -أو قال: عبادتها- **على كل دار فيها أحمدًا أو محمدًا إكراما منهم لمحمد ﷺ**» [٣].

وعن علي رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: «**ما من أهل بيت فيهم اسم نبي إلا بعث الله تبارك وتعالى إليهم ملكا يقدسهم بالغداة والعشي**» [٤] انتهى.

الفصل الخامس
في ابتداء تنبئته ﷺ

لما تفرع الملك عن إبراهيم ، واختصت النبوة بولده انحازت إلى إسحاق فصارت في بني إسرائيل، فبدأت بموسى، وانختمت بعيسى عليه السلام فلما كثر ولد إسماعيل، استولت قحطان على الملك، وانحازت النبوة إلى ولد عدنان، فأول من أسس لهم مجدا معد بن عدنان، حين اصطفاه بختنصر بعد أن هم بقتله حين غزا بلاد العرب، وأنذره نبي في زمانه بأن النبوة في ولده.

وتقدم ولده نزار عند ملوك الفرس، واجتباه بشتاسب ملك الفرس وكان اسمه خلدان وكان مهزول البدن فقال له الملك: يا نزار ، وهو بلغتهم يا مهزول، فغلب عليه الاسم فسمي نزار وكان لنزار أربعة أولاد مضر، وربيعة، وأنمار، وإياد، فتفرقت القبائل منهم، فاختص ولد مضر بن نزال بالحرم فتناصروا بسيوفهم، حتى استولت قريش على الحرم بعد جرهم وخزاعة لأن جرهم كانوا جبابرة.

ثم إن قصي وكان اسمه زيد، قسم مكة بين قريش أرباعا، وهو أول من بنى الكعبة بعد إبراهيم وإسماعيل صلوات الله عليهم أجمعين وبنى دار الندوة للتحاكم والتشاور وهي أول دار بنيت بمكة [٥].

وقريش هم ولد النضر بن كنانة بن خزيمة وقيل: بل هم بنو فهر بن مالك،وكل

---

(١) أخرجه ابن عدي في الكامل (٢١٦٩/٦) وابن الجوزي في الموضوعات (١٥٦/١).

(٢) ذكره عياض في الشفا (١٠٥/١) عن جعفر بن محمد عن أبيه.

(٣) ذكره عياض في الشفا (١٠٤/١) عن سريج بن يونس.

(٤) أخرجه الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد (٢٤٠/١٤) .

(٥) أورده الماوردي في أعلام النبوة (١٧٢).

قرشي مضري، وقريش شعبة من مضر، وكل هاشمي قرشي وهاشم شعبة من قريش، وكل علوي هاشمي [١].

ثم أفضت رياسة قريش بعد قصي إلى ابنه عبد مناف، وكان اسمه المغيرة فدفعته أمه إلى مناف أعظم أصنام مكة، فغلب عليه: عبد مناف، فولد له: هاشم وعبد شمس توأمين في بطن، وخرج أحدهما وأصبعه ملصقة بجبهة الآخر، فلما أزيلت دمي موضعها ثم ولد له:نوفل، ثم المطلب [٢].

وكان أصغرهم هاشما، واسمه عمرو فسمي هاشما لأنه أول من هشم الثريد، وهو أول من سن الرحلتين لقريش: رحلة الشتاء والصيف [٣].

ثم مات هاشم بغزة من أرض الشام، وهو أول من مات من ولد عبد مناف، ثم مات عبد شمس بمكة فقبر بأجياد ثم مات نوفل بسلمان من طريق العراق، ومات المطلب بردمان من أرض اليمن [٤].

وكان هاشم قد تزوج بيثرب من الخزرج بسلمى بنت عمرو النجارية فولد له بيثرب عبد المطلب، وكان اسمه: شيبة الحمد وانتقلت عنه الرياسة إلى أخيه المطلب، وقدم وأخذ شيبة الحمد من يثرب وأردفه خلفه، وقال: عبدي، فسمي عبد المطلب، وكفله المطلب إلى أن مات، فوثب عليه عمه نوفل بن عبد مناف، فكتب عبد المطلب إلى أخواله بني النجار يسألهم النصرة على عمه، فقدم عليه ثمانون رجلا ونصروه وانتقلت الرياسة إليه [٥].

وهو الذي احتفر بئر زمزم واستخرج منها غزالي الكعبة وحجر الركن، وكان ألقاهم فيها عامر بن الحارث الجرهمي [٦].

وولد لعبد المطلب عشرة ذكور، أحدهم عبد الله أبو النبي ﷺ [٧].

وكان قد نذر متى رزق عشرة ذكور ذبح أحدهم للكعبة، فلما كملوا ضرب بينهم

---

(١) أورده الماوردي في أعلام النبوة ص (١٧٣)، وابن كثير في البداية (٢/١٨٦).

(٢) أورده الماوردي في أعلام النبوة (١٧٥) وانظر الطبري: تاريخ الرسل (٢/٢٥٤).

(٣) أورده الماوردي في أعلام النبوة (١٧٦) وانظر: ابن سعد: الطبقات (١/٧٥).

(٤) أورده الماوردي في أعلام النبوة (١٧٧) وابن هشام السيرة (١/١٣٧).

(٥) أورده الماوردي في أعلام النبوة ص (١٧٧) وابن هشام في السيرة (١/١٤٢).

(٦) أورده الماوردي في أعلام النبوة ص (١٧٩) والطبري في تاريخ الرسل (٢/٢٥١).

(٧) أورده الماوردي في أعلام النبوة ص (١٧٩) وابن هشام في السيرة (١/١٠٨)، وابن سعد في الطبقات (١/٩٢، ٩٣).

القداح، فخرج الذبح على عبد الله، فأراد ذبحه، ثم إنه فدي بمائة من الإبل، فنحرها عنه، فجرت السنة في الدية بمائة من الإبل إلى يومنا هذا [(١)].

فكان عبد الله يعرف بالذبيح، ولذلك قال النبي ﷺ **«أنا ابن الذبيحين»** [(٢)] يعني إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام وأباه عبد الله بن عبد المطلب، وإسماعيل اسم سرياني، وعبراني، وهو بالعربي، «يطيع الله».

اختلف العلماء في الذبيح من ولد إبراهيم عليه السلام:

فذهب خلق كثير إلى أنه إسحاق: منهم علي بن أبي طالب، والعباس، وابن مسعود، وأبو ذر، وأبو موسى، وأنس، وأبو هريرة ، وكعب الأحبار، ووهب، ومسروق وعبيد بن عمير، ومقاتل بن سليمان، وجابر بن عبد الله، ومعاوية، وعكرمة، ويوسف بن مهران، ومجاهد،وسعيد، وقتادة، وعبد الله بن شقيق، وكعب القرظي، والحسن، وابن سابط، وأبو عثمان النهدي وأبو صالح السمان، والقاسم بن أبي بردة، وأبو ميسرة، وروي عن الزهري واختاره مالك، والليث بن سعد المصري، ومحمد بن جرير الطبري وابن قتيبة[(٣)].

وذهب جماعة إلى أنه إسماعيل: منهم ابن عمر وعبد الله بن سلام والحسن البصري، وسعيد بن المسيب، والشعبي، ومجاهد، ومحمد بن كعب القرظي، وابن سابط، ومخدم، والزهري، وعمر بن عبد العزيز، والكلبي والسدي واختاره المتكلمون كالقاضي أبو بكر بن الطيب، وأبو الحسن الأشعري ، وأبو بكر بن فورك، وأبو المعالي وأبو عبد الله النحوي وهو الذي تميل النفس إليه [(٤)].

واختلفت الرواية عن ابن عباس: فروى عنه عكرمة أنه إسحاق، وروى عنه عطاء، ومجاهد، والشعبي، وأبو الجوزاء، ويوسف بن مهران أنه إسماعيل، وروى عنه سعيد بن جبير كالقول الأول، وعن أحمد روايتان.

وقيل هو إسحاق.

روي عن جماعة منهم عمر بن الخطاب، رواه عنهم صفوان بن عمرو وغيره، وعلي بن أبي طالب، رواه عنه أبو الفضل وغيره، وابن مسعود في رواية أبي الأحوص عنه، والعباس بن عبد المطلب في رواية الأحنف عنه وابن عباس رواه عنه ابن جبير وعكرمة

---

(١) كذا ورد عند الماوردي في أعلام النبوة ص (١٨٢، ١٨٣) وانظر: ابن هشام السيرة (١/١٥١-١٥٥) الطبري، تاريخ الرسل (١/٢٤١).

(٢) ذكره ابن حجر في فتح الباري (١٠/٣٧٨).

(٣) ذكره الطبري في تاريخ الرسل (١/٢٦٤)، وابن كثير في البداية (١/١٤٩).

(٤) ذكره ابن حجر في فتح الباري (١٠/٣٧٨)، وابن كثير في البداية (١/١٧٩).

ويوسف بن مهران.

وقال آخرون: أنه إسماعيل منهم عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، رواه عنه مجاهد ومعاوية في رواية أخرى عنه، وابن عباس في رواية أبي الطفيل ومخدم والزهري ويوسف بن مهران رواه عنه علي وابن يزيد.

وقال الأصمعي: سألت أبا عمرو بن العلاء، فقال: يا أصمعي أين عقلك متى كان إسحاق بمكة؟ إنما كان إسماعيل وهو الذي بنى الكعبة مع أبيه، ودليله أن الله تعالى وصف إسماعيل بالصبر [1] فقال تعالى: ﴿ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا ٱلْكِفْلِ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ [الأنبياء: ٨٥] ومنها تعليق قرني الكبش في الكعبة، وكان الذبيح بمكة، ولو كان إسحاق كان الذبيح بالشام [2].

وذكر وهب بن منبه في كتاب التيجان: أن إبراهيم عليه السلام سار إلى بيت المقدس من مكة بإسماعيل وهاجر فلما نزل بيت المقدس أمر بذبح إسماعيل فأخذ بيده وطلع به جبل الطور ليذبحه، ثم فدي بالكبش على جبل الطور، وبعد قصة الذبح ولد إسحاق.

قال القاضي عياض: وابتلي إسحاق بالذبح وهو ابن سبع سنين [3].

وكان عمر إسماعيل مائة وسبعا وثلاثين سنة،ودفن بالحجر عند قبر أمه هاجر وقيل: آجر [4].

وتوفيت هاجر ولإسماعيل عشرين سنة، وهي بنت تسعين [5].

وبنت هاجر بيتا لإسماعيل بمكة، فكان بيت رسول الله ﷺ الذي بمكة .

امرأة إسماعيل السيدة: رعلة بنت مضاض بن عمرو الجرهمي وهي التي أمسكها [6] والتي طلقها كانت امرأة من عملاق [7]، وكان له اثنا عشر ذكرا: نابت وقيدر، وأدبيل، ومنشي، ومسمع، وماش، ومرمي، وأدد، وصليما، ونطق، ومنسب وقيدما.

وامرأة إسحاق رفقاء بنت بتويل، ولدت له: عيصا، ويعقوب توأمان بعد أن مضى

---

(١) ذكره ابن كثير في البداية (١/١٧٩).

(٢) ذكره ابن كثير في البداية (١/١٤٩).

(٣) ذكره الطبري في تاريخ الرسل (١/٢٤٩).

(٤) ذكره ابن هشام في السيرة (١/٥)، والطبري في تاريخ الرسل (١/٣١٤).

(٥) ذكره ابن سعد في الطبقات (١/٥٢).

(٦) ذكره ابن سعد في الطبقات (١/٥١)، والطبري في تاريخ الرسل (١/٣١٤).

(٧) ذكره ابن سعد في الطبقات (١/٥١)، والمسعودي في مروج الذهب (١/٣٦٦).

من عمره ستون سنة وعاش مائة وثمانين سنة.

ومات يعقوب وعيصا في يوم واحد، ودفن يعقوب في الأرض المقدسة عند أبيه إسحاق عليه السلام .

وفدي عليه السلام بتيس هبط عليه من ثبير، وقيل: بكبش من الجنة قد رعى بها أربعين خريفا [1]، وقيل: هو الكبش الذي قربه ابن آدم عليه السلام، وقيل: لم يكن من نسل وإنما تكون بالتكوين، وقيل: كبش أقرن أملح لم يكن له عظم ولا عرق، وإنما كان لحما جميعه، وقيل: كان وعلا [2] والوعل: التيس الجبلي .

ذكر نسب رسول الله ﷺ :

هو محمد بن عبد الله، **أم عبد الله**: فاطمة بنت عمرو بن عائذ، **ابن عبد المطلب**، أمه سلمى بنت عمرو بن زيد من الأنصار، **ابن هاشم**: واسمه عمرو المعلى، أمه عاتكة بنت مرة بن هلال، **ابن عبد مناف**، اسمه المغيرة أمه حبى بنت حليل من خزاعة، **ابن قصي** وقيل: قصيم أمه فاطمة بنت سعد من أزد شنوءة، **ابن كلاب** أمه هند بنت سرير، **ابن مرة**، أمه وحشية بنت شيبان، **ابن كعب**، أمه ماوية بنت كعب بن ألقين، **ابن لؤي**، أمه سلمى بنت عمرو من خزاعة، **ابن غالب**، أمه ليلى بنت الحارث، **ابن فهر**، واسمه عامر، أمه عاتكة ابنة عدوان، **ابن مالك**، أمه برة بنت فهم، **ابن النضر بن كنانة**، واسمه علي أمه هند بنت قيس، **ابن خزيمة**، وسمي خزيمة لأنه جمع قبائل العرب أمه سلمى بنت أسد، **ابن مدركة** وسمي مدركة لأنه أدرك الإبل وأخذها من يد القوم، واسمه عامر، أمه خندف بنت عامر، **ابن إلياس**، سمي إلياس؛ لأنه ولد بعد إياس أمه وأبيه من الولد، أمه جنفا بنت إياد، **ابن مضر**، وكل مضري عربي، ومضر شعبة من العرب، **ابن نزار**، وسمي نزارا؛ لأنه لما ولد قرب أبوه في ذلك اليوم ألف جمل، **ابن معد**، سمي معد لأنه في عمره لم يرفع سرجه عن ظهر فرسه، وهو الذي أقام أعلام مكة وحج الأنبياء معه، **ابن عدنان**، وسمي عدنان لحسنه أمه البهاء بنت يعرب، وإلى عدنان النسب المتفق عليه، **ابن أدد** وقيل: أد بن مقوم بن ناحور بن تيرح وقيل: تارح بن يعرب، وهو أول من تكلم بالعربية بعد إبراهيم عليه السلام ابن يشجب، ويقال: أشجب ويقال : يشحب بالحاء المهملة ابن نابت، ويقال نبت بن إسماعيل بن إبراهيم وقال الكلبي: هو يعرب بن الهميسع بن نبت بن إسماعيل.

---

(١) ذكره الطبري في تاريخ الرسل (١/٢٧٧).

(٢) ذكره ابن كثير في البداية (١/١٤٩).

وقيل: هو أد بن أدد بن هميسع بن مقوم بن ناحور بن نبت بن قيدار وقيل: قيدر بغير ألف ابن إسماعيل بن إبراهيم، وقيل: ابن أدد بن مقوم بن ناحور بن تيرح بن يشجب بن يعرب بن إسماعيل بن إبراهيم ، واسم يعرب يمن وبه سميت اليمن لأنه كان يسكنها ولم يكن يمن قبل قيل: أتى آت فقال له: هلا جعلت نفقا في الجبل الأغر من أرض برهوت، في غربي الأرض فإنه معدن عقيان والفرش فيه فإنه معدن لجين، ثم إنه يرى ويستخرج معادن الجوهر واللجين والعقيق والجزع.

وقيل: ابن أدد بن أد بن زند بن يقدر بن يقدم بن الهميسع بن النبت بن قيدر بن إسماعيل بن إبراهيم، نقله السمرقندي من خط علي بن عبيد الكوفي صاحب ثعلب، وقيل: ابن أد بن زند بن البراء بن أعراق الثرى.

وروي عن أم سلمة عن النبي ﷺ قالت: وزند هو الهميسع ويرى هو: نبت، وأعراق الثرى: هو إسماعيل [1] وقيل: آدم عليه السلام.

ووجد في نسب معد: الذي أثبته باروخ بن ناريا كاتب أرميا النبي عليه السلام، ولأرميا مع معد أخبار قال: إنه معد بن عدنان بن أدد بن الهميسع بن سلامان بن عوص بن برو بن متساويل بن أبي العوام بن ناسل بن حراء بن يلدرام بن بدلان بن كالح بن فاجم بن ماحي بن عسقا بن عنق بن عبيد بن الرعا بن حمران بن يس بن نيري بن بجري بن يلخي بن أرعوا بن عنفا بن حسان بن عيصوا بن أقتاد بن إيهام بن معصر بن ناجب بن رزاح بن سماي بن مر بن عوص بن عوام بن قيدر بن إسماعيل، بن إبراهيم عليه السلام حكاه المسعودي .

وإبراهيم عليه السلام بالعبراني: إبراهام بعثه الله تعالى من مدينة كوثى، وهو أول من لبس السراويل، وهو بالفارسية: شروال، وجاريته قنطوراء هي أم الترك.

وإبراهيم عليه السلام أول نبي بعد نوح عليه السلام، وكان يتكلم بالعبرانية وكذلك بنوه: إسماعيل، وإسحاق، وذلك أن إبراهيم عليه السلام، لما هاجر من كوثى، وخرج من النار عبر على الفرات ولسانه سرياني فغير لسانه، فقيل عبراني حيث عبر الفرات، فبعث نمرود في أثره وقال: لا تدعو من يتكلم السريانية إلا أتيتموني به، فوجدوا إبراهيم يتكلم بالعبرانية، فتركوه ولم يعرفوه.

اختتن بالقدوم وقيل موضع يقال له القدوم، بالقدوم، وختن إسماعيل عليه السلام

---

(١) أخـــرجه ابن سعد في الطبقات (١/٥٦)، والبيهقي في الدلائل (١/١٧٨) والحاكم في المستدرك (٢/٤٦٥).

لثلاثة عشرة شهرا وإسحاق لسبعة أيام، وكان له يوم اختتن ثمانون سنة، وقيل: مائة وعشرون، وعاش بعدها ثمانين سنة، وقيل: مات إبراهيم عليه السلام، وعمره مائتي سنة، وقيل: مائة وخمسة وسبعون ودفن عند قبر سارة في مزرعة حبرون، ووجد على قبره حجر مكتوب فيه:

إلهــــي جهـــــولا أملــــه يمـــوت مـــن جـــاء أجلـــه

ومـــن دنـــا مـــن حـــتفه لم تغـــن عـــنه حـــيله

وكـــيف يبقـــى آخـــر مـــن مـــات عـــنه أولـــه

وكان عمره يوم ألقي في النار: ابن ستة عشرة سنة، وبردت النار تلك الليلة، وفي ذلك الصباح في سائر أقطار الأرض، فلم ينتفع أحد في الدنيا بنار، وسموا تلك الليلة نيروزا ، والنيروز بالسرياني عيد، وكان استدلاله بالكواكب وهو ابن خمسة عشر شهرا، وأنزل عليه عشرون صحيفة بالخط السرياني.

وأمه عليه السلام: نوني بنت كرنبا بن كوثى، من بني أرفخشد وكرنبا هو الذي أجرى نهر كوثى.

وإبراهيم هو: ابن آزر، واسم آزر تارخ بالخاء المعجمة، وقيل: المهملة ومن نقطها أخطأ وقيل: آزر اسم صنمه، وقيل: معناه المعوج، حكاه سليمان البقمي، وقيل: هو بالقبطية، وقيل: بالفارسية الشيخ الهرم، وقيل: اسم صنم أيوب.

وكانت أرض آزر كوثى في سواد الكوفة، ومات آزر على كفره بأرض حران، وعمره مائتين وخمسين سنة.

وهو ابن ناحور، وقيل: ناحر، وولد له: تارح بعد أن مضى من عمره سبع وعشرون سنة، وناحر اسم عبراني، مات وعمره مائة وستة عشر عاما.

وهو ابن شاروع: بالشين المعجمة، وقيل: بالمهملة وقيل: ساروغ ذكره السمرقندي، بالسين المهملة والغين المعجمة، وقيل: بالعكس، وقيل: هما معجمتان ويجوز فتح الراء وكسرها، وقيل: السارغ، وقيل: أسرغ -حكاه قتادة- شاروغ اسم عربي عاش مائتين وثمانين سنة.

وهو ابن أرغوا، وقيل: أرعوا، وقيل: الراع، عاش مائتين وسبعة أعوام.

ابن فالغ: وقيل فالخ وهو أخو هود عليه السلام وكان فالغ بجبل الجودي يوم تكلم أبوه غابر بالعربية، فلم يتكلم بها، عاش مائتي سنة وسبعا وستين سنة، وفالغ عبراني تفسيره قاسم، وقيل: سرياني تفسيره بالعربي وكيل.

ابن غابر: بالغين المعجمة، وقيل: بالمهملة وقيل: عبير، وقيل: يعبر، وقيل: هو هود، وقيل: هو وصي شالخ.

ابن شالخ: وقيل: الشالخ، وولد لشالخ، عابر بعد أن مضى من عمره ثلاثون سنة، وشالخ باللسان العربي تفسيره وكيل، عاش ثلاثمائة سنة وثلاث سنين.

ابن أرفخشد: وقال قتادة: الفخشد وقيل: بدل أرفخشد قينان، وقيل: الراقد، وأرفخشد تفسيره بالعربي مصباح مضيء وهو اسم سرياني، واسمه بالعبراني آل فخشاد، وهو وصي سام قبل الطوفان بثمانية وسبعين سنة، وعاش أربعمائة سنة وثمانٍ وثلاثين سنة.

ابن سام بن نوح: وفي رواية لما وصل إلى أرغوا قال ابن الرانح بن القاسم: الذي قسم الأرض بين أهلها، ابن يعبر بن السائح بن الرافد بن السائم وهو سام، ومولد سام قبل الطوفان بثمانية وسبعين سنة، وعاش خمسمائة سنة، وحفرة سام هي جب يوسف عليه السلام، وقيل: عاش سام أربعة آلاف سنة، وهو وصي نوح عليه السلام، وقيل: وصي نوح ابنه نون بن نوح حكاه وهب.

نوح عليه السلام: أمه بتنوس بنت بركابيل بن محويل بن أخنوخ بن قين بن آدم عليه السلام، وهو أول رسول أرسله الله تعالى إلى الأرض حكاه ابن عساكر.

نزل الطوفان بعد مضي ستمائة سنة من عمره، وقيل: دعا قومه تسعمائة سنة وخمسين سنة وكان له قبل دعائه ثلاثمائة وخمسين سنة، وعاش بعد الطوفان ثلاثمائة وخمسين سنة، وقيل: عاش بعد الطوفان خمسمائة.

وأرسل الطوفان لثلاث عشرة خلت من رجب، وركب نوح عليه السلام الفلك لعشرين خلون من رجب، وصام نوح شهر رجب في السفينة، وجرت بهم السفينة إلى يوم عاشوراء حكاه عكرمة.

وقيل: أقام على الماء نحو السنة، وقيل: أربعين يوما، وقيل: أربعين سنة، قاله وهب في كتاب التيجان، وقيل: أمطر أربعين يوما وغاض الماء بعد مائة وخمسين يوما حكاه الشهرستاني.

وكان يوم عاشوراء يوم الجمعة، وصامه نوح، ومن معه من الوحش، وقيل: إن يوم القيامة يكون يوم عاشوراء ويوافق يوم الجمعة، وأرست السفينة على الجودي، وكان خشبها من جبل لبنان وعملها بدمشق، وأول ما حمل فيها النملة، وقيل: الوزة، وآخر ما حمل الحمار، ولم يكن في الأرض قبل الطوفان نهر ولا بحر، ومياه البحر بقية الطوفان.

وحمل في السفينة ثمانية أنفس: نوح وزوجته غير التي عوقبت وبنوه الثلاث

وزوجاتهم، وقيل: كانوا سبعة وأسقط امرأة نوح، قيل: كانوا ثمانين، وقيل: سبعين.

وعنه عليه الصلاة والسلام قال: «**بقي من خشبها** -يعني السفينة- **شيء أدركه أوائل هذه الأمة**»[١].

والجودي: بأرض الجزيرة شمالا ويسمى الناظر، وقيل هو جبل قردي بقرب الموصل، وقيل: هو طور زيتا، وقيل: الجودي اسم لكل جبل ويقال: إنه من جبال الجنة.

وحمل نوح عليه السلام جسد آدم معه في السفينة.

وكان مولد نوح عليه السلام بعد موت آدم عليه السلام بثمانمائة سنة وست وعشرين سنة، ولم يعقب أحد ممن كان معه بالسفينة، وإنما عقب أولاده قال الله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ﴾ [الصافات: ٧٧] وهم: سام ، وحام، ويافث.

عن هشام بن محمد الكلبي: أن أسماء نساء بني نوح عليه السلام إذ كتب في زوايا برج الحمام نمت الفروخ وسلمت من الآفات، قال هشام: وقد جربته فوجدته كذلك، واسم امرأة سام: محلت محو، وامرأة حام، آدنف فشا، وامرأة يافث ردفت بيث.

تسمية ولد سام:

أرفخشد، وإرم، وبنون كثيرة فولد إرم: عوص، وولد عوص: عاد الأكبر، وولد عاد: غاثر بن آرم، وثمود وطسم بن لاوذ بن عابر بن إرم، وجديس بن لاوذ وعملاق وفارس بن لاوذ وجرجان وأميم وعويلم والأسود بن لاوذ بن إرم وبنو أرفخشد هم نخلة النسب.

وولد حام:

كوش وأم كوش هي التي وطأها في السفينة، فولد كوش الحبشة، وولد مازيع بن حام كنعان بن مازيع، ويقال: كنعان بن حام، ومازيع بن كنعان، فولد يرفد بن مازيع ونوبة بن مازيع، وولد حام قوط بن حام وسيد وقزان وعامر كلهم بنو حام.

وولد يافث:

علجان وعرجان وبرجان، فولد علجان يأجوج ومأجوج والترك والخزر وولد عرجان هم الصقالبة وقرط وبشكنس حكاه وهب.

وقيل: ولد حام أربعة، ذكرين وأنثيين، فمنهم: النوبة، والزنج، والبربر، والسند، والهند، وجميع السودان.

ويافث سار إلى المشرق، فولد له خمسة: جومر، وتيرش، وموعج، وماشج،

---

(١) ذكره القرطبي في الجامع (٤١/٩) والسيوطي في الدر المنثور (٦٧٦/٧).

وسقويل، فمن جومر: الصقالبة والروم، ومن تيرش، جميع الترك، ومن ماشج: جميع أصناف العجم، ومن موعج، يأجوج ومأجوج.

وولد سام خمسة: أرفخشد، وربيعة ومضر وأنمار، وبلاد اليمن من أولاده وعمليق أبو العمالقة، وطسم وجديس وجاشم وليثم وأسود بن سام هو أبو النسناس وهم قوم يكونون باليمن في بلاد حضرموت ولهم عين واحدة ورجل واحدة، وعوثم بن سام أبو العادية الأولى عملق وتلمع والسليخا ولا عقب لهم والأرم بن سام.

وبعد الطوفان بستمائة سنة وسبعين كان تبلبل الألسن فافترقت اثنان وسبعون لسانا في اثنين وسبعين أمة، منها وفي ولد سام تسعة عشر، وفي ولد حام، سبعة عشر، وفي ولد يافث ستة وثلاثون، وكان سببه، وقوع الصرح الذي بناه هامان لفرعون، وكان طول الصرح إلى السماء، خمسة آلاف ذراع، وقيل: فرسخين، كان فيه خمسون ألف بناء فتبلبلت الألسن ومات ألف ألف.

ومن مولد الخليل إلى تبليل الألسن أربعمائة سنة وإحدى عشرة سنة، ومن مولده أيضا إلى مولد موسى أربعمائة وخمس وعشرون سنة، وأخرج بني إسرائيل من مصر بعد ثمانين سنة، ودبر أمرهم أربعين سنة، ومات وله مائة وعشرون سنة، ومن هبوط آدم إلى مجيء الطوفان على ما قاله اثنان وسبعون حبرا، من بني إسرائيل، نقلوا التوراة إلى اليونانية، بينهما ألفان ومائتان واثنان وأربعون سنة، وإلى وفاة موسى عليه السلام ثلاثة آلاف وثمانمائة وثمانية وستون سنة.

وقال آخرون: من بني إسرائيل القيمين على التوراة العبرانية التي يتداولها جمهور اليهود في وقتنا: أن من هبوط آدم إلى مجيء الطوفان ألفان وستمائة وست وخمسون سنة، ومن انقضاء الطوفان إلى تبلبل الألسن مائة وإحدى وثلاثون سنة، ومن التبلبل إلى مولد الخليل مائة وإحدى وستون سنة، ومن مولده عليه السلام إلى وفاة موسى عليه السلام خمسمائة وخمس وأربعون سنة، فصار من هبوط آدم إلى وفاة موسى ألفين وثمانمائة وتسع وأربعون سنة.

ومن وفاته عليه السلام إلى ابتداء ملك بختنصر تسعمائة وثمان وسبعون سنة، وإلى ملك الإسكندر ألف وأربعمائة وثلاث عشرة سنة.

وولد عيسى لسبعمائة وتسع وثلاثين سنة من ملك بختنصر ولثلاثمائة وأربع سنين من ملك الإسكندر، ومن ملك بختنصر إلى ابتداء الهجرة ألف وثلاثمائة وتسع وستون سنة، ومن ملك الإسكندر إلى ابتداء الهجرة تسعمائة وخمس وستون سنة، فكان بين موسى عليه السلام وابتداء الهجرة ألفان وثلاثمائة وسبع وأربعون سنة، ومولد عيسى بعد

ألف وسبعمائة وسبع عشرة سنة من موت موسى، وقيل: بعد ستمائة وثلاثون سنة من ابتداء الهجرة.

روى الكلبي، عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن الناس خرجوا من السفينة ببابل ثم ضاقت بهم حتى نزلوا موضع بابل اثنا عشر فرسخا في مثلها، وكان سورها عند النيل، وبابها عند باب وردان، فملكهم يومئذ نمرود بن كنعان بن حام، فلما كفروا بلبل الله ألسنتهم على اثنين وسبعين لسانا، وفهم الله تعالى العربية عمليق، وأميم،وطسم بن لوذ بن سام، وعاد، وعبيل ابني عوص بن إرم بن سام، وثمود وجديس ابني جابر بن رام بن سام، وبني قنطوراء بن عابر بن شالح، فخرجت عاد وعبيل، فنزلت عاد الشحر ونزلت عبيل يثرب، وأقبلت العماليق وأميم، فنزلت العماليق صنعاء وأميم أبار وهو أبار بن أميم، ومضت طسم وجديس فنزلت اليمامة ونزلت ثمود بالحجر ثم تحولت العماليق فنزلوا بمكة والمدينة في يثرب، وهو يثرب بن نابته بن مهلائيل بن رام بن عوص بن إرم، فأقبلت العماليق فاجتزت عبيل من يثرب فأسكنوهم الجحفة.

وقيل: لما تبلبلت الألسن سلبوا اللسان السرياني، إلا أهل الجودي وأجرى جبريل على لسان كل أمة لغة، وأفصح عابر بالعربية وابنا هود وفالغ يتكلمون بالجودي بالسرياني، وتكلم مع عابر جميع إخوته وبنو عمه، ما خلا الفرس، فإنها تكلمت بالعجمي وأما عاد وثمود وطسم وجديس، وعملاق، وراشب فتكلموا مع ابن عمهم بالعربية، وأول من تكلم باللسان العربي: عزقيل بن ساروم بن خامور بن شامخ بن أرفخشد، وأول من جرت الفارسية على لسانه: شاغور بن خامور بن باقر بن سام، وأول من جرت الحبشية على لسانه: شلخب بن باداد بن باهاش بن شوعان بن كوش بن حام بن نوح، وهذه أصول الألسن.

قال الشعبي: وكلام الناس يوم القيامة بالسرياني.

عن الحسن البصري قال: إن نوحا لما ركب السفينة، أوحى الله تعالى إليه: يا نوح إن خفت الغرق فهللني ألف مرة، ثم سلني النجاة انجك ، ومن معك، فعصفت عليهم الريح فلم يأمن الغرق ولم يلحق أن يهلل، فقال: بالسريانية: هو هو هو ألفا ألفا ألفا يا هادي، فهدت الريح، فقال: إن كلاما نجاني الله به من الغرق حقيق بأن لا يفارقني، فنقش على خاتمه: لا إله إلا الله ألف مرة يا رب أصلح.

ونوح عليه السلام هو ابن لامك، وقيل: لمك وقيل: ملكان، ولمك اسمه بالعربي، واسمه بالعبراني، لامخ، وكذلك بالسرياني، وتفسيره متواضع، بنى المصانع وتجبر واحتجب، عاش سبعمائة سنة وثمانين سنة اسم أمه منشاخا.

ابن متوشلخ: بالخاء المعجمة،ويقال بالمهملة وضبطه: بفتح الواو والتاء والشين، وسكون اللام والخاء، وقيل: بدل متوشلخ، مثوب، ومتوشلخ عبراني تفسيره بالعربي: مطلق واسمه بالسرياني: منشالخ تفسيره بالعربي مات الرسول.

ابن أخنوخ: بخاءين معجمتين، وقيل: الأولى مهملة، وقيل: خنوخ بمعجمتين، وقيل: بإهمال الأولى وإسقاط الألف، وقيل: أهنخ -حكاه قتادة- وخنوخ اسمه في التوراة عبراني، تفسيره بالعربي: إدريس وأخنوخ اسمه سرياني، وأنزل في التوراة أنه حي إلى موت جميع الخلق وجميع الملائكة ويذوق الموت حتما مقضيا وأنه عاش في الأرض ثلاثمائة وخمس وستين سنة، ثم رفعه تعالى إلى السماء السابعة، فهو مع الملائكة.

وإدريس أمه تسمى: أسوت، وقيل: ولد في حياة آدم عليه السلام وقد مضى من عمر آدم ستمائة واثنتان وعشرون سنة، أنزل عليه ثلاثون صحيفة.

وكان من الملوك على زمنه: طهمورث ملك الأقاليم كلها.

وعاش أبوه بعد ارتفاعه أربعمائة وخمس وثلاثين سنة، وفي الصحيح: أنه في السماء الرابعة.

وبين إدريس ونوح كانت الجاهلية الأولى وهو أول من كتب بيده من أهل الأرض، كان يكتب بالسريانية ولد بعد مائة واثنتين وستين سنة من عمر بارد بن يارد.

ابن يارد: وقيل: ابن يرد قاله قتادة وقيل: ابن الزيد، واسمه في التوراة بارد عبراني تفسيره بالعربي: ضابط، واسمه في الإنجيل سرياني بردا، تفسيره بالعربي: هبيط أي هبط في الآباء، وفي زمانه عبدت الأصنام، ولد بعد مائة وخمس وستين من عمر مهلائيل، ومات وله تسعمائة واثنتان وستون سنة، فكان قيامه بالأمر بعد مهلائيل مائتين واثنتين وخمسين سنة.

ابن مهلائيل: وقيل: مهلائل حكاه السمرقندي ومهلائيل عبراني، تفسيره: مهروج،واسمه بالسرياني في الإنجيل، ملائيل تفسيره فسيح الله.

ولد بعد مائة وخمس وسبعين سنة من عمر قينان ومات مهلائيل وله ثمانمائة وخمس وسبعون سنة، وقيل: عمره تسعمائة وعشرين سنة.

ابن قينان: وقيل: قنان، وقيل: فتيان بالفاء والتاء المثناة من فوق بعدها ياء مثناة من أسفل، وقيل: فينان، وقيل: فاين -حكاه قتادة- وقينان بالعبراني تفسيره: مستوى وكذلك بالسرياني وقيل تفسيره بالعربي: عيسى وأتى اسمه في الإنجيل قينان.

قام بالأمر بعد مائة وتسعين سنة من عمر أنوش، ومات قينان وله تسعمائة وعشرة سنين، فكان قيامه بالأمر بعد أنوش مائة وتسعين سنة.

ابن أنوش: وقيل: ذانوس، قاله ابن الأزرق بن الطلاق واسمه عبراني تفسيره بالعربي: إنس بكسر الألف وسكون النون وبالسرياني: أنوش بفتح الألف والشين، تفسيره بالعربي: صادق قام بالأمر ولشيت تسعمائة وخمسون سنة، وكان قيامه بالأمر بعد شيث عليه السلام مائتين وثمانية وثمانين سنة، وهو أول من غرس النخل، وزرع الحب، وبوب الكعبة ونبأه الله تعالى -قاله ابن الطلاق- وأنزل عليه عشر صحائف وأنزل عليه الميزان، قبض عن تسعمائة وخمس سنين.

ابن شيث وقيل: شث، وتفسيره هبة الله، وقيل: تفسيره خلف، وشايث تفسيره بالعربي: نصب، لأن عليه نصبت الدنيا وعلى ذريته.

ولد بعد مائتين وثلاثين سنة من عمر آدم عليه السلام، ومات وله تسعمائة واثنا عشرة سنة، فكان قيامه بالأمر بعد آدم مائتين واثنا عشر سنة.

واختلف في نبوته، وأنزل عليه خمسين صحيفة، وقيل: ثلاثين، وقيل عشرة، وبنى الكعبة بالطين، وحج، وولدته حواء منفردًا وكانت تلد ذكرا وأنثى في كل بطن، فولدته مفردا يعني: بدلا من هابيل.

ابن آدم عليه السلام: ويكنى أبا محمد بالنبي ﷺ يكنى أيضا أبا البشر.

وفي رواية قال: إدريس بن الرائد بن مهلهل بن قنان بن الطاهر بن هبة بن آدم، فالرائد هو: يارد، ومهلهل هو: مهلائيل، وقنان هو: قينان والطاهر هو: أنوش وهبة هو شيث.

وآدم عبراني، وقيل: عربي، خلقه الله تعالى من قبضة قبضها من جميع الأرض، فجاء بنوه على قدر الأرض ذوو ألوان.

يروى أنه قال: يا رب لم سميتني آدم؟ قال: لأني خلقتك من أديم الأرض وأديم الأرض وجهها [(١)].

وخلق الله حواء من ضلعه الأيسر [(٢)] وقال ابن جبير خلقها من مثل ما خلق آدم، وهو قول تفرد به [(٣)].

وسميت حواء: لأنها خلقت من حي، وخلقت قبل دخولها الجنة.

واختلف في الشجرة التي أكلها: فقيل: شجرة الكافور أو الحناء، أو الكرمة، أو

---

(١) ذكره الطبري في تاريخ الرسل (١/٩٠، ٩١).

(٢) ذكره القرطبي في الجامع (٣/٥) والطبري في تاريخ الرسل (١/١٠٤).

(٣) أورده الماوردي في أعلام النبوة ص (٤٢).

النخلة، أو السنبلة، أو الحُبْلَة [١]، أو التين، أو الحنطة، وكانت حلوة.

وأهبط على جبل لبنان، أو الجودي، أو سرنديب على جبل يقال له: بوذ أو واسم جبل بالهند، وحواء بجدة، وإبليس على ساحل بحر أيلة بفتح الألف وقيل: بيسان، أهبطت والحية بالبرية، وقيل: بأصبهان، والطاووس بأرض كابل، فأهبط آدم من باب التوبة، وحواء من باب الرحمة، وإبليس من باب اللعنة والطاووس من باب الغضب، والحية من باب السخط، وكان وقت العصر.

وقيل: أهبط آدم بين الظهر والعصر من باب يقال له: المبرم، حذاء البيت المعمور، وقيل: من باب المعراج وأهبط إبليس برست بيسان، والطاووس بالبحر.

ومكث في الجنة نصف يوم من أيام الآخرة، وذلك بخمسمائة عام، ومكث على جبل الهند مائة سنة يبكي وأنبت الله العشب من دموعه، منه الدارصيني يعني: القرفة والفلفل والقرنفل.

وكان رأسه يمس السحاب، فصلع فتوارثه ذريته، وخفضت قامته إلى ستين ذراعا بذراعه.

وحج أربعين حجة، وكانت خطوته مسيرة ثلاثة أيام، ونزل معه الحجر الأسود، وعصا موسى، وهي من آس الجنة، وكان الحجر أشد بياضا من الثلج فسودته خطايا بني آدم.

قال قاضي القضاة عز الدين ابن جماعة في منسكه: رأيت الحجر سنة ثمان وستمائة وبه نقطة ظاهرة لكل أحد، ثم حججت بعد ذلك، فرأيت البياض قد نقص، بحيث إني لم أره في سنة ست وثلاثين إلا بعسر.

قلت: وها هي باقية إلى الآن.

واجتمع آدم وحواء بجمع أعني المزدلفة فلذلك سميت ليلة جمع وتعارفا بعرفات فلذلك سميت عرفات.

وهو أول من ضرب الدينار والدرهم، وكان أمردا وإنما نبتت اللحى لذريته.

وأنزلت عليه حروف المعجم في إحدى وعشرين ورقة، وأنزل عليه عشر صحائف وجميع الصحف مائة وأربعة كتب: على آدم عشر، وعلى شيث خمسين، وعلى إدريس ثلاثين، وعلى إبراهيم عشرة، والتوراة، والإنجيل والزبور، والفرقان نزل بها جبريل عليه السلام.

---

(١) بالضم: الكرم أو أصل من أصوله ويحرك، وثمر السلم الشباك والتمر أو ثمر العضا.

وعنه ﷺ أنه قال: «**نزلت صحف إبراهيم أول ليلة من رمضان، والتوراة لست مضين من رمضان والإنجيل لثلاث عشرة ليلة خلت من رمضان، والزبور لثماني عشرة ليلة خلت منه، والقرآن لأربع وعشرين منه، وبين نزول أول القرآن وآخره عشرون سنة**» (١).

وفي رواية: أن الإنجيل نزل لثماني عشرة ليلة خلت منه، والزبور لاثنتي عشرة ليلة خلت منه (٢).

وكان آدم من المصطفين دون المرسلين، ولم يمت حتى بلغ ولده، وولد ولده أربعون ألفا، وقيل: صلى خلفه ألف رجل غير بني بنيه، وورد أن الله تعالى يشفعه من ذريته في مائة ألف ألف وعشرة آلاف ألف من ذريته.

والفرس يسمون آدم: كيومرث، وقيل: بل هذا بالهندية، بعض الفرس يسميه: ميشان، والترك تسميه: أسنوعير،وبعضهم يسميه: بليقون، واسمه في توراة موسى: آدم ، والسرياني كالعربي: آدم.

وقال ابن عباس: تكلم آدم بسبعمائة ألف لغة أفضلها العربية (٣).

وكان القمح في زمنه كبيض النعام، ولم يزل إلى أيام إدريس ثم نقص منه قليلا ثم نقص أيام فرعون، ثم نقص أيام إلياس، فصار كبيض الدجاج ثم نقص أيام عيسى، ثم نقص أيام يحيى، فصارت في أيام بختنصر كالبندق، وكذلك كانت في أيام العزير عليه السلام، فلما مات قالت اليهود: عزير ابن الله، صار قدر الحمص، ثم صار إلى ما يرى ويوشك أن يصير إلى قدر الجاروس، قاله كعب الأحبار.

وماتت حواء قبل آدم بعامين، وعمرها تسعمائة سنة وتسع وعشرون سنة، وقيل: ماتت بعده بعامين، وقيل: بست سنين.

مات آدم يوم الجمعة،ووافق من شهر السريان العشرين من نيسان، وقيل: مات لعشر من أبريل، مات على الجبل الذي أهبط عليه، وصلى عليه شيث وكبر عليه ثلاثين.

وحمله نوح في السفينة، قيل: وحمل حواء معه،ودفنه ببيت المقدس بعد الطوفان.

وقيل: صلت عليه الملائكة وحفروا له بجبل أبي قبيس، ثم حمله نوح، ثم رده إلى مكانه بالجبل، وقيل: قبر آدم في مشارف الفراديس.

---

(١) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى (١٨٨/٩).

(٢) ذكرها ابن كثير في البداية (٧٢/٢) وابن الضياء في تاريخ مكة ص (٥٠).

(٣) ذكره ابن الضياء في تاريخ مكة ص (٥٠).

قلت: الظاهر أنه يعني آدم بالشام لأنها كانت أرضه أعني دمشق وبها مقبرة الفراديس.

وقيل: دفنته الملائكة بمسجد الخيف حكاه ابن الجوزي في ترياق الذنوب، وهو مسجد صلى فيه سبعون نبيا كلهم مخطمون رواحلهم بالليف ويروى أنه قبر سبعون نبيا تحت منارته ويروى أن أربعمائة نبي ماتوا بالقمل.

وآدم الآن في سماء الدنيا، قال البغوي: ولا يسمى أحد خليفة الله تعالى بعد آدم عليه السلام، وانقرض نسل آدم بالطوفان إلا نسل شيث.

فائدة:

قال الطوسي: وبلغني أن من كتب للمطلقة: آدم وحواء وضعت.

قلت: وسبب ذلك مناسبة المثلث للاسمين، وذلك أن الشكل المثلث من خاصيته تسهيل الولادة وطبيعته ١٥ وذلك عدد اسم حواء، وجميع ما في عدله أعني جميع ضلوع الوفق ٤٥ لأنه من ضرب خمسة عشر في ثلاثة بخمسة وأربعين، وذلك مبلغ عدد اسم آدم، ومتى نزلت عدد اسم آدم التي في خمسة وأربعين في المثلث، حتى يصير كل ضلع منه خمسة وأربعين خرج على ترتيب الوضع الطبيعي، غير أنه زادت فيه العشرات لا غير.

فيصير على هذه الهيئة مثاله:

١٢	١٩	١٤
١٧	١٥	١٣
١٦	١١	١٨

وهنا إشارة لطيفة ظهرت لي، ولم أر من نبه عليها وهو : أن عدد اسم حواء، بل أيضا ونسبة الحروف موجود في ذلك الضلع الأسفل من الشكل المثلث، وذلك نسبة قول من قال: إنها خلقت من ضلع آدم القصيري فانظر إلى هذه المناسبة التشكيلية ما ألطفها.

وكان آدم عليه السلام حراثًا، وشيث مجاهدا، وإدريس خياطا ونوح نجارا وصالح وإبراهيم حراثان، وإسماعيل قناصا، وإسحاق ويعقوب راعيين، ويوسف ملكا، وأيوب وشعيب وموسى رعيانا، وهارون وزيرا، وإلياس نساجا، وداود زرادا، وسليمان ملكا، ويونس زاهدا، وزكريا نجارا،ويحيى زاهدا، وعيسى سائحا، ومحمد ﷺ مجاهدا، روي عن ابن عباس.

الفصل السادس

في ذكر نبذة من أحواله ﷺ بعد ولادته

لما ولد ﷺ كان في حجر جده عبد المطلب، فاسترضعته امرأة من بني سعد بن

بكر يقال لها: حليمة بنت أبي ذؤيب عبد الله السعدية وهي أم عبد الله وأنيسة أخوا رسول الله ﷺ من الرضاعة وكانت تحت الحارث بن عبد العزى ثم أخذته ﷺ معها إلى بلدها، ثم رجعت به إلى أمه حين شق جبريل فؤاده ﷺ وذلك بعد أن أرضعته سنتين.

ثم أرضعته ثويبة جارية عمه أبي لهب، وأرضعت معه حمزة رضي الله عنه.

قالوا: وهذا لا يصح لأن حمزة رضي الله عنه أسن من رسول الله ﷺ بأربع سنين أو سنتين فتكون أرضعتهما في زمانين، وأرضعت معه أبا سلمة عبد الله بن عبد الأسد المخزومي بلبن ابنها مسروح.

وقيل: أرضعته ثويبة أياما قبل أن تقدم حليمة وكانت أرضعت قبله حمزة وأرضعت بعده أبا سلمة -المذكور- ثم أرضعته حليمة وردته بعد سنتين وشهرين، وقيل: أرضعته حليمة خمسة سنين ويومين، ثم بقي عند والدته سنة، ثم حملته إلى المدينة،وقيل: أرضعت معه أبا سفيان بن الحارث.

وحليمة هي: بنت عبد الله بن الحارث السعدية من بني سعد بن بكر بن هوازن بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان.

وحضنت رسول الله ﷺ أم أيمن الحبشية حتى كبر فأعتقها ﷺ وزوجها زيد بن حارثة فولدت له أسامة، وكان ورثها من أبيه، واسمها بركة.

روت عن رسول الله ﷺ خمسة أحاديث ولم يخرج لها في الصحاح من شيء.

وهي التي شربت بول رسول الله ﷺ فقال لها: «**لن تشتكي وجع بطنك أبدا**» [(١)]

وكذلك شرب مالك بن سنان دمه ﷺ يوم أحد فقال ﷺ «**لن تصيبه النار**» [(٢)].

ومات أبو النبي ﷺ بيثرب وذلك أنه لما حملت آمنة برسول الله ﷺ بعث به عبد المطلب يمتار تمرا منها، فمات بها، وقيل: مات بموضع يعرف بالأبواء بين مكة والمدينة، والأبواء: بالباء الموحدة مقصور، بينه وبين الجحفة خمسة فراسخ أو ستة، سمي بذلك لأن السيول تبوء به، وهو من المدينة على ثلاثين ميلا، وقيل: مات عبد الله بمكة حكاه الشهرستاني، وقيل: مات والنبي ﷺ حملا في بطن آمنة، وقيل: بعد أن أتى عليه ﷺ ثمانية وعشرون شهرا، وقيل: سبعة أشهر، وقيل: شهران، والأول أصح ومات عبد الله وعمره خمسا وعشرين سنة، حكاه ابن الجوزي [(٣)].

---

(١) ذكره عياض في الشفا (١/٤١) ، وابن عبد البر في الاستيعاب (٤/١٧٩٤).

(٢) ذكره عياض في الشفا (١/٤١) ، وابن هشام في السيرة (٢/٨٠).

(٣) ذكره ابن الجوزي في المنتظم (٢/٢٤٣-٢٤٥).

فلما بلغ ﷺ أربع سنين وقيل: ستا ماتت أمه وذلك أنه بقي عند آمنة سنة بعد أن أحضرته حليمة، ثم حملته إلى المدينة لزيارة أخواله من بني عدي بن النجار، ومعه حاضنته أم أيمن، فنزلت به في دار النابغة لرجل من بني النجار فأقامت شهرا، ثم انصرفت به إلى مكة.

وقيل: بقي معها بالمدينة ستة أشهر، ثم رجعت به إلى مكة فتوفيت بالأبواء، فنقلته جدته أم أمه إلى مكة، بعد موت أمه بخمسة أيام ونقل الشهرستاني أن أمه آمنة ماتت بالمدينة.

وعن ابن بريدة عن أبيه قال: كنت مع رسول الله ﷺ إذا وقف على عسفان فنظر يمينا وشمالا فأبصر قبر أمه آمنة، فتوضأ ثم صلى ركعتين .. الحديث [(١)] وفيه، واستأذنت ربي أن استغفر لها فزجرت، ثم ركب راحلته، فما سار إلا هنيئة حتى قامت الناقة بثقل الوحي، فأنزل الله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓاْ﴾ [التوبة: ١١٣] الآية.

وقد روي الشيخ الحافظ مفتي الحرمين، أعلم العلماء محب الدين أبو جعفر أحمد بن عبد الله بن محمد بن أبي بكر الطبري المكي الشافعي في اختصار السيرة له: بإسناده إلى هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ نزل الحجون كئيبا حزينا فأقام به ما شاء الله عز وجل ثم رجع مسرورا قال: «**سألت ربي عز وجل فأحيا لي أمي فآمنت بي ثم ردها**» .

وروى السهيلي: أن الله تعالى أحيا له أبويه فآمنا به ثم عاد[(٢)].

ولم يزل ﷺ في حجر جده عبد المطلب بعد موت أمه، حتى بلغ ثمان سنين وشهرين وعشرة أيام، فتوفي جده عبد المطلب، فوليه عمه أبو طالب، وكان أخا عبد الله لأبويه

فلما بلغ ﷺ اثنتي عشرة سنة وشهرين وعشرة أيام، خرج مع عمه أبي طالب إلى الشام في تجارة له وقيل: خرج معه وهو ابن تسع سنين فلما بلغ بصرى، فرآه بحيرى الراهب، بفتح الباء الموحدة وكسر الحاء المهملة فعرفه بصفته فجاء،وقال: هذا رسول رب العالمين، وقال: إنكم حين أقبلتم من العقبة لم يبق حجر ولا شجر إلا سجد له ولا يسجد إلا لنبي وإنا لنجده في كتبنا وقال لأبي طالب: لئن قدمت به إلى الشام لتقتله اليهود

---

(١) أخرجه ابن سعد في الطبقات (١/١١٧) والبيهقي في دلائل النبوة (١/١٨٩).

(٢) ذكره ابن هشام في السيرة (١/١٧٩)، والطبري في تاريخ الرسل (٢/٢٢٩).

فرد به ﷺ.

ويروى أن بحيرى التفت فإذا سبعة نفر قد أقبلوا من الروم، فاستقبلهم وقال: ما جاء بكم؟ قالوا: جئنا فإن هذا النبي خارج في هذا الشهر فلم يبق طريق إلا بعث إليه ناس، ونحن آخر من بعث إلى طريقك هذا، فقال لهم: هل خلفتم خلفكم أحدا هو خير منكم قالوا: لا فقال: أفرأيتم أمرا أراد الله تعالى أن يقضيه هل يستطيع أحد من الناس رده؟ قالوا: لا، قال: فارجعوا فرجعوا [1].

ثم بعد ذلك بانثني عشرة سنة وتسعة أشهر وستة أيام سافر ﷺ بتجارة خديجة رضي الله عنها إلى الشام مع ميسرة غلام خديجة ونزلا تحت شجرة فنظر إليهم راهب، وقال: ما نزل تحت هذه الشجرة قط إلا نبي وهو نسطور الراهب.

ثم باع ﷺ واشترى ورجع بعد ذلك بشهرين وأربعة وعشرين يوما.

وتزوج خديجة رضي الله عنها، وكان عمره خمسا وعشرين سنة،وقيل إحدى وعشرين سنة، وقيل: ثلاثين، وقيل: أربعين، وأصدقها اثني عشرة أوقية ذهب، فبقيت عنده قبل الوحي خمسة عشر سنة، وبعده إلى ما قبل الهجرة بثلاث سنين وقيل: بأربع، وقيل: بخمس فماتت ولرسول الله ﷺ تسع وأربعين سنة وثمانية أشهر، ولم يصل عليها.

ولما بلغ ﷺ خمسا وثلاثين سنة، جددت قريش بنيان الكعبة بعد أن خطفت الحية التي كانت بها.

وأول من ابتدأ في هدمها عند العمارة: الوليد بن المغيرة، وتحاضنت قريش الكعبة، فكان شق البيت لبني عبد مناف وزهرة، وما بين الركن الأسود والركن اليماني لبني مخزوم وتيم وقبائل من قريش، وكان شق الحجر وهو الحطيم لبني جمح وبني سهم.

وبنوا وتنازعوا فيمن يضع الحجر في موضعه، وجعلوا أمرهم لأول من يدخل عليهم من باب المسجد، فدخل النبي ﷺ فوضعه في ثوب، وأخذت كل قبيلة بناحية من الثوب، ورفعوه ثم وضعه ﷺ بيديه الكريمتين وعمره إذ ذاك خمسا وثلاثين سنة، وكان ذلك بعد عام الفجار بخمس عشرة سنة.

فأول من بني البيت العتيق الملائكة، وذلك قبل آدم بألفي عام، وذلك حين قالوا: ﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا ﴾ [البقرة: ٣٠] حكاه المحب الطبري، ثم بناه آدم عليه السلام وحواء تعينه حكاه وهب، ثم بناه شيث بالحجارة والطين، ثم بناه إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام.

ثم غلبت عليه جرهم بعد نابت بن إسماعيل، وانهدم فبنته العماليق ثم بنته جرهم بعد

---

(١) ذكره الطبري في تاريخه (٢/٢٧٨، ٢٧٩).

العماليق ثم بناها قصي بن كلاب بن مرة، وقيل: إنه أول من جددها بعد إبراهيم عليه السلام، ثم بناها عبد المطلب، ثم بنتها قريش هذا البناء المذكور.

ثم بناها عبد الله بن الزبير سنة أربع وستين بعد الهجرة،وأدخل الحجر فيها، وجعل لها بابين، وذلك حين حاصر الحصين بن نمير السكوني عبد الله بن الزبير، وقذفوا البيت بالمنجنيق.

ثم هدمها الحجاج بالمنجنيق وبناها،وأخرج الحجر منها، وذلك سنة أربع وستين، فهي الآن على ما بنى الحجاج.

وأما الركنان فعلى قواعد إبراهيم لم يغيرا وطولها في السماء سبعة وعشرون ذراعا، ومن الحجر الأسود إلى الركن العراقي خمس وعشرون ذراعا، ومن الركن العراقي إلى الغربي أحد وعشرون، ومنه إلى اليماني خمس وعشرون، ومنه إلى الحجر الأسود عشرون ذراعا .

فلما بلغ ﷺ أربعين سنة ويوما، وقيل: وعشرة أيام، بعثه الله تعالى بشيرا ونذيرا، وأتاه جبريل بغار حراء، ثم أخبر ورقة بن نوفل بذلك فقال: هذا الناموس الذي أنزل على موسى(١).

واختلف في إيمان ورقة، فقيل: لم يحصل له إيمان، لأنه لم يبلغ زمن الرسالة وقيل: بل حصل به الإقرار بالرسالة وهذا الذي يمكنه في ذلك الوقت وأمر ﷺ بالإنذار يوم الاثنين من شهر رمضان، قيل: كان الثامن عشر من رمضان وقيل: الرابع والعشرين، وهو ابن أربعين سنة وقيل: ابن ثلاث وأربعين لعشرين سنة مضت من ملك كسرى وقيل: لست عشر مضت من ملكه.

ثم نزل عليه جبريل لتلقي النبوة، فأراه الطهور، فتوضأ وصلى جبريل وصلى النبي ﷺ بصلاته وخديجة أول من توضأت بعده ﷺ.

ولم يشرع من العبادات بمكة إلا الطهارة والصلاة، وأول ما فرض من العبادات بالمدينة صيام رمضان في شعبان من السنة الثانية من الهجرة.

ولما أتم الله أمر نبوته ﷺ كان لا يأتي على حجر ولا شجر إلا سلم عليه السلام عليك يا رسول الله، وهذا نظير قوله تعالى لداود عليه السلام: ﴿ يَـٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ ﴾ [سبأ: ١٠].

وعن جابر بن سمرة قال: قال رسول الله ﷺ: **«إن بمكة الآن لحجرا كان يسلم**

---

(١) ذكره ابن هشام في السيرة (٢٣٨/١)، والطبري في تاريخ الرسل (٣٠٢/٢).

علي ليالي بعثت إني لأعرفه الآن»[(١)].

قيل: هو الحجر الأسود ركن البيت العتيق، وقيل: الحجر المستطيل بباب دار أبي سفيان بزقاق الحجر.

قلت: وهذا الحجر على الدار باق إلى اليوم.

وكان الوحي يوم الجمعة السابع والعشرين، من شهر رجب وذلك بعد بناء الكعبة بخمس سنين، وقيل: كان نبوته ﷺ يوم الاثنين لثمان خلون من ربيع الأول.

وبعد الوحي بخمس سنين كان حصار الشعب، وذلك أنه لما صدع بالنبوة شدت القوم حتى حصروه وأهل بيته وخرج ﷺ من الحصار وله تسع وأربعون سنة .

وبعد خروجه من الحصار بثمانية أشهر وأحد وعشرون يوما، مات عمه أبو طالب وكان موت خديجة بعده بثلاثة أيام.

وبعد ذلك بثلاثة أشهر وستة أيام سافر ﷺ إلى الطائف، ومعه مولاه زيد بن حارثة رضي الله عنه فأقام بالطائف ثمانية وعشرون يوما، ورجع إلى مكة.

ولما بلغ إحدى وخمسين سنة، وتسعة أشهر، أسري به من بين زمزم والمقام إلى بيت المقدس، ثم عرج به إلى السماء، وذلك بعد الطائف بسنة وستة أشهر وستة أيام فكانت إقامته بمكة بعد النبوة، عشر سنين وقيل: اثنا عشر سنة، وقيل: ثلاثة عشر، وقيل: خمسة عشر، وهاجر ﷺ إلى المدينة وعمره ثلاثا وخمسين سنة.

وقيل: أتي بالبراق وهو أبيض طويل فوق الحمار ودون البغل، يضع حافره عند منتهى طرفه، فركبه ثم أتى بيت المقدس، ثم صلى ركعتين ثم عرج فوجد آدم في سماء الدنيا، ووجد عيسى ويحيى بالسماء الثانية، ثم وجد يوسف عليه السلام بالسماء الثالثة، ووجد إدريس في الرابعة، ووجد هارون في الخامسة، ثم وجد موسى بالسادسة، ووجد إبراهيم عليه السلام بالسابعة ثم ذهب به إلى سدرة المنتهى، فأوحى الله إليه ما أوحى، وفرض عليها خمسون صلاة ثم سأل الله التخفيف على أمته، فجعلها خمسا.

وكان الإسراء بالجسد وفي اليقظة،وهو قول ابن عباس،وجابر، وأنس وحذيفة،وعمر، وأبي هريرة، ومالك بن صعصعة، وأبي حبة البدري وابن مسعود، والضحاك، وابن جبير، وقتادة، وابن المسيب، وابن شهاب، وابن زيد، والحسن، وإبراهيم، ومسروق ، ومجاهد، وعكرمة، وابن جريج وهو دليل قول عائشة وهو قول الطبري، وابن حنبل وهو قول أكثر المتأخرين من الفقهاء والمحدثين والمتكلمين والمفسرين

---

(١) أخرجه الترمذي (٥/٥٥٣) ومسلم في صحيحه (٢) (١٧٨/٢) عن جابر بن سمرة ﷺ.

ذكره القاضي عياض.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه رأى ربه بعينه. [(١)]

وقال الماوردي قيل إن الله تعالى قسم كلامه ورؤيته بين موسى ومحمد فرآه محمد ﷺ مرتين وكلمه موسى مرتين [(٢)].

وكان الحسن يحلف بالله: لقد رأى محمد ربه، وسأل مروان أبا هريرة هل رأى محمد ربه قال: نعم [(٣)].

وحكى النقاش عن أحمد بن حنبل أنه قال: أنا أقول بحديث ابن عباس بعينه رآه رآه حتى انقطع نفسه نفسه يعني نفس أحمد وقاله: أبو الحسن الأشعري وجماعة من أصحابه [(٤)].

وقال القاضي عياض: ووقف بعض مشايخنا في هذا القول، وقال: ليس عليه دليل واضح ولكنه جائز أن يكون [(٥)].

ثم هاجر ﷺ إلى المدينة وعمره ثلاثا وخمسين سنة، فكانت مدة إقامته بالمدينة الشريفة بعد الهجرة تسع سنين وأحد عشر شهرا وعشرين يوما، فاتفق فيها ما اتفق منه ذكر الغزوات وغيرها مما تقدم ذكره وهذا تنبيه على بعض ذلك أنموذجا،وجميع ما ذكرته في كتابي هذا أنموذجا مختصرا لمن يبنى على مثاله وينسج على منواله.

---

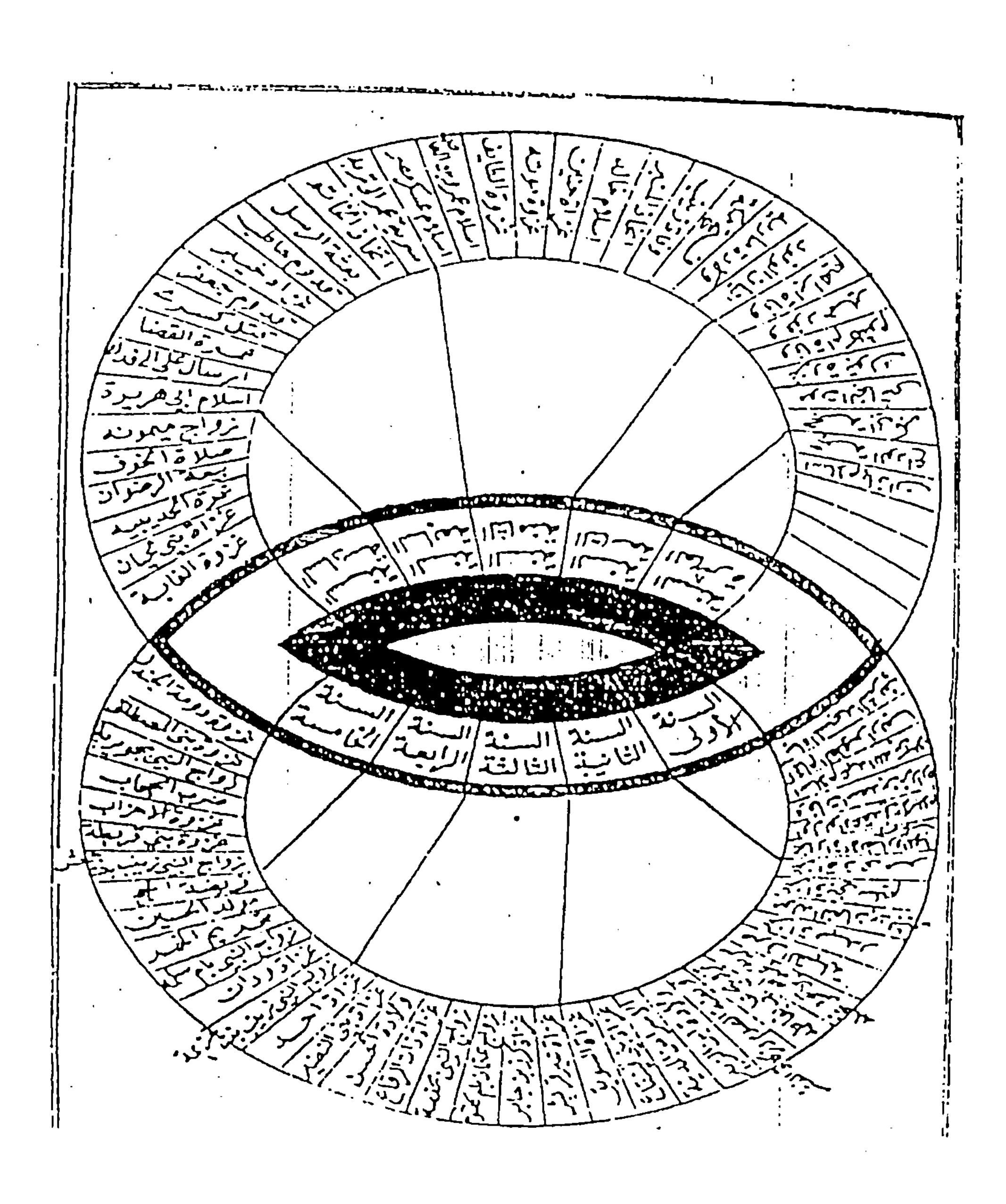
(١) ذكره عياض في الشفا (١/ ١٢٠) والهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ١١٧) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) ذكر عياض في الشفا (١/ ١٢٠) قول الماوردي.

(٣) ذكر عياض في الشفا (١/ ١٢٠) قول الحسن وأبي هريرة رضي الله عنهما

(٤) ذكر عياض في الشفا (١/ ١٢٠) قول أحمد بن حنبل رضي الله عنه.

(٥) ذكره عياض في الشفا (١/ ١٢١).


السنة الأولى
السنة الثانية
السنة الثالثة
السنة الرابعة
السنة الخامسة
إسلام أبي هريرة
زواج ميمونة
صلاة الخوف
بيعة الرضوان
غزوة الغابة
ضرب الحجاب
غزوة الأحزاب

الفصل السابع
فيما ورد في صفته

عن الحسن بن علي رضي الله عنهما قال: سألت خالي هند بن أبي هالة -وأبو هالة هو زوج خديجة رضي الله عنها- عن حلية رسول الله ﷺ وكان وصافا وأنا أرجو أن يصف لي منها شيئا أتعلق به قال: كان رسول الله ﷺ فخما مفخما يتلألأ وجهه تلألؤ القمر ليلة البدر، أطول من المربوع، وأقصر من المشذب، عظيم الهامة، رجل أشعر، إن انفرقت عقيقته فرق وإلا فلا، يجاوز شعره شحمه أذنيه إذا هو وفره، أزهر اللون، واسع الجبين، أزج الحاجبين، سوابغ من غير قرن بينهما، عرق يدره الغضب، أقنى العرنين، له نور يعلوه ويحسبه من لم يتأمله أشم، كث اللحية، أدعج سهل الخدين، ضليع الفم، أشنب، مفلج الأسنان، دقيق المسربة، كأن عنقه جيد دمية، في صفاء الفضة، معتدل قامة الخلق، بادنا متماسكا سواء البطن والصدر، مسيح الصدر، بعيد ما بين المنكبين ضخم الكراديس، أنور المتجرد، موصول ما بين اللبة والسرة بشعر يجري كالخيط، عاري الثديين مما سوى ذلك، أشعر الذراعين والمنكبين وأعالي الصدر، طويل الزندين رحب الراحة، شثن الكفين والقدمين، وسائر الأطراف، أو قال سائل الأطراف، سبط القصب، خمصان الأخمصين، مسيح القدمين ينبو عنهما الماء، إذا زال زال تقلعا، ويخطو تكفوء، ويمشي هونا، ذريع المشية إذا مشي كأنما ينحط من صبب وإذا التفت التفت جميعا، خافض الطرف، نظره إلى الأرض أطول من نظره إلى السماء، جل نظره الملاحظة يسوق أصحابه، ويبدأ من لقيه بالسلام.

قلت: صف لي منطقه، قال: كان رسول الله ﷺ متواصل الأحزان، دائم الفكرة ليست له راحة، ولا يتكلم في غير حاجة، طويل السكوت يفتتح الكلام، ويختمه بأشداقه ويتكلم بجوامع الكلم فصلا لا فضول فيه ولا تقصير، دمثا ليس بالجافي ولا المهينب، يعظم النعمة وإن دقت ولا يذم شيئا لم يكن يذم ذواقا ولا يمدحه ولا يقام لغضبه إذا تعرض للحق بشيء حتى ينتصر له ولا يغضب لنفسه ولا ينتصر لها، إذا أشار بكفه كلها، وإذا تعجب قلبها، وإذا تحدث اتصل بها فضرب بإبهامه اليمنى راحته اليسرى، وإذا غضب أعرض وأشاح، وإذا فرح غض طرفه، جل ضحكه التبسم، ويفتر عن مثل حب الغمام.

تفسير غريب هذا الحديث:

قوله المشذب: أي البائن الطول في نحافة.

ورجل الشعر: الرجل هو الذي كأنه مشط فتكسر قليلا ليس بسبط ولا جعد.

والعقيقة: شعر الرأس.

أزهر اللون: نيره وقيل حسنه.

والحاجب الأزج: المقوس الطويل الوافر الشعر.

الأقنى: السائل الأنف المرتفع وسطه.

والأشم: الطويل قصبة الأنف.

والأدعج: الشديد سواد الحدقة.

والضليع:الواسع.

والشنب: رونق الأسنان وماؤها.

والفلج: فرق بين الثنايا.

والمسربة: خيط الشعر الذي بين الصدر والسرة.

وبادن: ذو لحم.

ومتماسك: معتدل الخلقة يمسك بعضه بعضا.

ومسيح: لعلها بالسين المهملة وفتح الميم يعني عريض.

الكراديس: رؤوس العظام.

شثن الكفين والقدمين: غليظ لحمهما.

طويل الزندين: عظيم الذراعين.

وسائل الأطراف: أي طويل الأصابع.

ورحب الراحة: أي واسعها.

خمصان الأخمصين: أي متجافي أخمص القدم وهو الموضع الذي لا تناله الأرض من وسط القدم.

مسيح القدمين: أي أملسهما.

والتقلع: رفع الرجل بقوة.

يخطو تكفؤًا: الميل إلى سنن الممشى.

والهون: الرفق والوقار.

والذريع: الواسع الخطو.

ويفتتح الكلام ويختمه بأشداقه: أي لسعة فمه.

وأشاح: مال وانقبض.

حب الغمام: البرد.

وعن النعمان السني كان من أحبار يهود اليمن قدم على رسول الله ﷺ فقال له: كان أبي يختم على سفر يقول لي: لا تقرأه على يهود حتى تسمع بنبي خرج من يثرب، قال: ففتحته، فإذا فيه، إنك خير الأنبياء وأمتك خير الأمم، اسمك أحمد ﷺ وأمتك

الحمادون قربانهم دماؤهم وأناجيلهم صدورهم لا يحضرون قتالا إلا وجبريل معهم يتحنن الله عليهم كتحنن النسر على فراخه، قال: ثم قال لي:إذا سمعت به فاخرج إليه وآمن به وصدقه.

والنعمان هذا: هو الذي قتله الأسود العنسي، وقطعه عضوا عضوا وهو يقول: أشهد أن محمدا رسول الله ﷺ وأنك كذاب مفتري على الله.

وأنشد الأمير العاصمي لنفسه شعرا:

يا جاعلاً سنن النبـ　　　ـي شعاره ودثاره

متمسكاً بحديثه　　　متتبعاً أخباره

سنن الشريعة خذ بها　　　متوسماً آثاره

وكذا الطريقة فاقتبس　　　في سبلها أنواره

هو قدوة لك فاتخذ　　　في السنتين عياره

قد كان يقري ضيفه　　　كرماً ويحفظ جاره

ويجالس المسكين يؤ　　　ثر قربه وجواره

الفقر كان رداءه　　　والجوع كان شعاره

يلقى بغرة ضاحك　　　مستبشراً زواره

بسط الرداء كرامة　　　لكريم قوم زاره

ما كان مختالاً ولا　　　مرحاً يجر إزاره

قد كان يركب بالرد　　　يف من الخضوع حماره

في مهنة هو أو صلا　　　ة ليله ونهاره

فتراه يحلب شاة منز　　　له ويوقد ناره

ما زال كهف مهاجر　　　يه ومكرماً أنصاره

براً بمحسنهم مقيـ　　　لا للمسيء عثاره

يهب الذي تحوي يدا　　　ه لطالب إيثاره

زكى عن الدنيا الد　　　نية ربه مقداره

جعـــل الإلـــه صـــلاته الأ زكـــى علـــيه نـــثاره

فاختـــر مـــن الأخـــلاق مـــا كـــان الرســـول اختـــاره

لـــتعد ســـنيا بـــل ويـــو شـــك أن تـــبوأ داره

الفصل الثامن
في ذكر وفاته ﷺ

قال الله تعالى: ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴾ [الزمر: ٣٠] حكى أبو معاذ عن النحويين الأولين، أن الميت بالتخفيف الذي فارقه الروح وبالتشديد الذي لم يكن مات بعد وهو يموت.

فأخبره تعالى إنه ميت إشارة إلى قوله: ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴾ [الرحمن: ٢٦].

ثم إن الله تعالى خيره بين البقاء واللقاء فاختار اللقاء، ثم إنه تعالى خيره أيضا حين بعث إليه ملك الموت، على أن يقبض روحه أو ينصرف ولم يخير قبله نبي، ولا رسول ، ألا ترى إلى موسى عليه السلام حين قال له ملك الموت: أجب ربك فلطمه ففقأ عينه، ولو أتاه على وجه التخيير لما بطش به، وقول ملك الموت حين رجع: إنك أرسلتني إلى عبد لا يريد الموت.

قال الإمام أبو إسحاق الثعلبي: وقصة موسى وملك الموت لا يردها إلا كل مبتدع ضال يؤيده قوله عليه الصلاة والسلام: «**إن ملك الموت كان يأتي الناس عيانا، حتى أتى موسى ليقبضه، فلطمه ففقأ عينه، فجاء ملك الموت بعد ذلك خفية**»[1]، وكذلك قصته مع داود عليه السلام: حين غلقت عليه أبوابه، فرأى ملك الموت عنده، فقال له: ما أدخلك داري بغير إذني؟ فقال: أنا الذي أدخل على الملوك بغير إذن، فقال: فأنت ملك الموت؟ قال: نعم، قال: جئت داعيا أم ناعيا؟ قال: بل ناعيا، قال: فهلا أرسلت إلي قبل ذلك لأستعد للموت؟ فقال: كم أرسلت إليك فلم تنتبه، قال: ومن كان رسلك؟ قال: يا داود أين أبوك أين أمك أين أخوك؟ قال: ماتوا، قال: أفما علمت أنهم رسلي، وأن النوبة تبلغك.

قال محمد بن عبد الله الكسائي: مسكن ملك الموت سماء الدنيا اسمه عزرائيل، له من الأعوان على عدد الخلائق، رجلاه في تخوم الأرض، ورأسه في السماء عند آخر

---

(١) أخرجه البخاري (٣٤٠٧)، ومسلم (١٥٨) ٤/١٨٤٣ عن أبي هريرة ﷺ.

الحجب، ووجه في اللوح المحفوظ له ثلاثمائة وستون عينا في كل عين ثلاثة أعين، ومثلها ألسن، ومثلها أيد، ومثلها أرجل،وله أربعة أجنحة قال الله تعالى: ﴿ أُوْلِيٓ أَجْنِحَةٖ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ﴾ [فاطر: ١].

قال البغوي: منهم من له جناحان، ومنهم من له ثلاثة أجنحة، ومنهم من له أربعة أجنحة.

ورأى النبي ﷺ جبريل في خلقته الأولى له ستمائة جناح.

وقال ﷺ: «**دخلت الجنة فرأيت جعفرا يطير مع الملائكة وجناحاه مضرجان بالدم**» [(١)].

فلذلك سمي جعفر الطيار، وجعفر ذو الجناحين وكان قتل في غزوة مؤتة، فقطعت يداه ثم قتل، وجد فيه نيف وتسعون طعنة.

قال الشيخ أبو المكارم: وكونهم مضرجان بالدم، أي مصبوغ القوادم وفي الجناح عشرون ريشة، أربع قوادم ، وأربع مناكب، وأربع أباهر، وأربع خواف، وأربع كلا نسقا واحدا من أول الجناح إلى آخره.

قال السهيلي: ليسا كأجنحة الطير، وريشه ولكنها عبارة عن صفة ملكية وقوة روحانية أعطيها جعفر كما أعطيتها الملائكة وقد قال الله تعالى لموسى ﴿ وَٱضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ ﴾ [طه: ٢٢] فعبر عن العضد بالجناح إلى آخره، وليس ثم طيران، فكيف بمن أعطي قوة الطيران، إنما هي صفات لا تنظر بالفكر ولا ورد أيضا في بيانها خبر فيجب الإيمان بها.

قال العلماء:

وابتدأ برسول الله ﷺ وجعه يوم الخميس، في ليال بقين من صفر، وقيل: في أول ربيع الأول، في السنة الحادية عشر من الهجرة، ومدة مرضه اثني عشر يوما، وقيل أربعة عشر، وكان مرضه بالصداع واشتد وجعه في بيت ميمونة فدعى نساءه واستأذنهن في أن يمرض في بيت عائشة، فأذن له فخرج يمشي بين رجلين، من أهل بيته، الفضل بن العباس وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهما، وخرج للخطبة نهار الخميس، فصلى على أصحاب أحد، واستغفر لهم، ثم أمر بسد الأبواب اللافظة في المسجد إلا باب أبي بكر .

قالت عائشة رضي الله عنها: اضطجع في حجري فدخل عبد الرحمن بن أبي بكر وفي يده سواك أخضر، قالت: فنظر رسول الله ﷺ في يده نظرا، عرفت أنه يريده، قالت: فقلت:يا

(١) أخرجه ابن سعد في الطبقات (٤/٣٩)، والهيثمي في مجمع الزوائد (٦/١٦١).

رسول الله أتحب أن أعطيك هذا السواك؟ قال: «نعم» قالت: فأخذته فمضغته له حتى لينته، ثم أعطيته إياه قالت: فاستن به كأشد ما رأيته استن بسواك قط، ثم وضعه، ووجدت رسول الله ﷺ يثقل في حجري، فذهبت أنظر في وجهه فإذا بصره قد شخص وهو يقول: «بل الرفيق الأعلى في الجنة»، فقلت: خير ما اخترت والذي بعثك بالحق[1] قيل: كان هذا السواك المذكور جريدة خضراء.

وروى ابن أبي مليكة قال: لما كان يوم الاثنين خرج رسول الله ﷺ عاصبا رأسه إلى صلاة الصبح، وأبو بكر يصلي بالناس، فلما خرج رسول الله ﷺ تفرج الناس، فعرف أبو بكر أن الناس لم يصنعوا ذلك إلا لرسول الله ﷺ فنكص عن مصلاه، فدفع رسول الله ﷺ في ظهره، وقال: «صل بالناس»، وجلس رسول الله ﷺ إلى جنبه، فصلى قاعدا، عن يمين أبي بكر، فلما فرغ من صلاته أقبل على الناس وكلمهم رافعا صوته، حتى خرج صوته من باب المسجد يقول: «**يا أيها الناس، سعرت النار، وأقبلت الفتن كقطع الليل المظلم، وإني والله ما تمسكون علي بشيء أني لم أحل إلا ما أحل القرآن، ولم أحرم إلا ما حرم القرآن**»، فلما فرغ رسول الله ﷺ من كلامه قال أبو بكر: يا نبي الله أراك قد أصبحت بنعمة الله وفضل كما نحب، واليوم يوم ابنة خارجة أفآتيها؟ قال: «**نعم**» ودخل رسول الله ﷺ وخرج أبو بكر إلى أهله بالسنح [2].

وخرج على رضي الله عنه من عند رسول الله ﷺ ،فقال المسلمون : يا أبا الحسن، كيف أصبح رسول الله ﷺ ؟ قال: أصبح بحمد الله بارئا، قال: فأخذ العباس بيده، ثم قال: يا علي أنت والله عبد العصا بعد ثلاث، أحلف بالله لقد عرفت الموت في وجه رسول الله ﷺ كما كنت أعرفه في وجوه بني عبد المطلب، فانطلق بنا إلى رسول الله ﷺ ، فإن كان هذا الأمر فينا عرفناه، وإن كان في غيرنا أمرناه فأوصى بنا الناس، فقال: والله لا أفعل، والله لئن منعناه لا يؤتيناه أحد بعده، فتوفي رسول الله ﷺ حين اشتد الضحى من ذلك اليوم[3].

قيل: إن الصلاة التي صلاها رسول الله ﷺ، وهو جالس عن يمين أبي بكر أنها صلاة الظهر . قاله ابن وضاح وأبو عبد الله بن عتاب .

وذكر ابن الجوزي: أن جبريل عليه السلام أتى النبي ﷺ قبل موته بثلاثة أيام،فقال:

---

(١) أخرجه البخاري (٤٤٣٨)، وأحمد (٦/٤٩) عن عائشة رضي الله عنها.

(٢) أخرجه البيهقي في الدلائل (٧/٢٠١) وابن هشام في السيرة (٢/٦٥٣) عن ابن أبي مليكة رضي الله عنه.

(٣) أخرجه البخاري (٤٤٤٧)، وابن هشام في السيرة (٢/٦٥٤) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

يا أحمد إن الله تعالى أرسلني إليك يسألك عما هو أعلم به منك، يقول لك : كيف تجدك؟ فقال «**أجدني يا جبريل مغموما، وأجدني يا جبريل مكروبا**» وأتاه في اليوم الثاني فأعاد السؤال، فثنى الجواب ثم قال في اليوم الثالث مثل ذلك، وهو يجيب كذلك، فإذا ملك الموت يستأذن، فقال: يا أحمد هذا ملك الموت يستأذن عليك، ولم يستأذن على آدمي قبلك، ولا يستأذن على آدمي بعدك، فقال: «**ائذن له**»، فدخل فوقف بين يديه فقال: إن الله أرسلني إليك، وأمرني أن أطيعك في ما تأمرني، فإن أمرتني أن أقبض نفسك قبضتها، وإن أمرتني أن أتركها تركتها، قال: «**وتفعل يا ملك الموت؟**» قال كذلك أمرت أن أطيعك، فقال جبريل: يا أحمد إن الله قد اشتاق إليك، قال : «**امض لما أمرت به يا ملك الموت**» فقال جبريل: السلام عليك يا رسول الله هذا آخر موطئي الأرض، إنما كنت حاجتي من الدنيا(١).

فتوفي ﷺ مستندا إلى ظهر عائشة، في كساء ملبد، وإزار غليظ وتوفي ﷺ عن أثر السم، لقوله عليه الصلاة والسلام في وجعه الذي مات فيه : «**ما زالت أكلة خيبر تعاودني فالآن أوان قطع أبهري**»(٢).

قال ابن إسحاق : إن كان المسلمون ليرون أن رسول الله ﷺ مات شهيدا مع ما أكرمه الله تعالى به من النبوة .

وذلك أن يهودية أهدت للنبي ﷺ بخيبر شاة مصلية، سمتها فأكل رسول الله ﷺ ، وأكل القوم، فقال رسول الله ﷺ : « **ارفعوا أيديكم فإنها أخبرتني أنها مسمومة** » فمات بشر بن البراء، وأمر باليهودية فقتلت، وقيل : لم يقتلها ، والأول أصح .

واختلف أئمة أهل النظر في هذا الباب: فقيل هو كلام يخلقه الله تعالى في الشاة الميتة، أو الحجر، أو الشجر، وحروف وأصوات يحدثها الله فيها ويسمعها منها دون تغيير أشكالها ونقلها عن هيئتها، وهو مذهب الشيخ أبي الحسن، والقاضي أبي بكر، وذهب قوم آخرون إلى إيجاد الحياة بها أولا ثم الكلام بعده، وحكى هذا الشيخ أبي الحسن وكل مجتهد إذ لم يجعل الحياة شرطا لوجود الحروف والأصوات، إذ لا يستحيل وجودها مع عدم الحياة بمجردها، فأما إذا كانت عبارة عن الكلام النفسي فلا بد من شرط الحياة لها، لأنه

---

(١) أخرجه ابن سعد في الطبقات (٢/ ٢٥٨، ٢٥٩)، والبيهقي في دلائل النبوة (٧/٢١٠، ٢١١) عن محمد بن علي مرسلاً.

(٢) أخرجه البخاري (٤٤٢٨)، والبيهقي في دلائل النبوة (٧/١٧٢) عن عائشة ﵂، وأحمد (٦/١٨) عن أم مبشر ﵂.

لا يوجد كلام النفس إلا من حي، حكاه القاضي عياض .

توفي ﷺ يوم الاثنين، حين اشتد الضحى لاثنتي عشر ليلة خلت من ربيع الأول، وقيل لليلتين خلتا منه، ودفن ليلة الأربعاء وقيل : ليلة الثلاثاء، وكانت وفاته ﷺ في سنة تسعمائة وثلاث وثلاثين من سني ذي القرنين. حكاه المسعودي في مروج الذهب وقد بلغ من العمر ثلاث وستين سنة، وقيل خمسا وستين، وقيل: ستين والأول أصح، روى الثلاثة مسلم[١]، والثلاثة صحيحة، فقول من قال: ثلاثا وستين فهو على أصله ومن قال ستين، فقد أسقط الكسر فإنهم كانوا في ذلك الزمان لا يذكرون الكسر، وقول من قال: خمسة وستين، حسب السنة التي ولد فيها ﷺ والتي توفي فيها.

قال الحاكم: اختلفت الرواية في سن رسول الله ﷺ ولم يختلفوا أنه ولد عام الفيل، وأنه بعث وهو ابن أربعين سنة، وأنه أقام بالمدينة عشرا، وإنما اختلفوا في مقامه بمكة بعد البعث فقيل: عشرًا وقيل [اثني عشر][٢] وقيل: ثلاثة عشر، وقيل: خمسة عشر. وسجي ﷺ ببردة حبرة، وقيل: إن الملائكة سجته[٣].

وكذب بعض أصحابه بموته دهشة، منهم عمر بن الخطاب، وأخرس بعضهم فما تكلم إلا بعد الغد، منهم عثمان بن عفان، وأقعد آخرون منهم علي بن أبي طالب رضي الله عنهم.

قلت: والحكمة في ذلك أنه لما كان عمر أبلغ الناس نظرا، وأعلاهم فراسة صحيح تخيل الفكر، عظيم قياسه، أدهش حتى لم يتخيل بموت المختار عليه الصلاة والسلام ولما كان عثمان حوى اتقان الفصاحة، وله في القول على من سواه رجاحة، أخرس بانطلاق حجب الأستار، ولما كان علي سيف الله القاطع، وعليه اسم القوة واقع، أقعد عن مد خطوات الأقدار ولم يكن أثبت في القياس من أبي بكر رضي الله عنهم.

وبقي رسول الله ﷺ في بيته يوم الاثنين، وليلة الثلاثاء فلما كان يوم الثلاثاء أقبل الناس على جهاز رسول الله ﷺ فسمعوا من باب الحجرة حين ذكروا غسله: لا تغسلوه فإنه طاهر مطهر، ثم سمعوا بعده غسلوه فإن ذلك إبليس وأنا الخضر.

وقال: إن في الله عزاء عن كل مصيبة، وخلفا من كل هالك، ودركا من كل فائت فبالله فثقوا وإياه فارجعوا فإن المصاب من حرم الثواب ثم كلمهم مكلم من ناحية البيت:

---

(١) أخرجه مسلم (١١٤، ١١٥) ٤/١٨٢٥، عن أنس بن مالك ﷺ، و(١١٤، ١١٥، ١١٩، ١٢٢) ٤/ ١٨٢٧ عن ابن عباس ﷺ.

(٢) ما بين المعكوفين زيادة من نسخة تركيا.

(٣) ذكره ابن سعد في الطبقات (٢/ ٢٦٤).

غسلوا رسول الله ﷺ وعليه ثيابه.

وكانوا قد اختلفوا في ذلك فغسلوه ﷺ في قميصه وكانوا لا يريدون أن يقلبوا منه عضوا إلا انقلب بنفسه، وإن معهم لخفيفا كالريح يصوت بهم ارفقوا برسول الله ﷺ فإنكم ستكفونه.

وتولى غسله علي، والعباس، والفضل وقثم ابنا العباس يقلبونه معه، وأسامة بن زيد وشقران موليا رسول الله ﷺ يصبان الماء وسيأتي ذكر مواليه ﷺ آخر هذا الفصل، وأوس بن خولي الأنصاري، ممن حضر غسله ﷺ.

يروى عن علي رضي الله عنه قال: أوصاني النبي ﷺ **«لا يغسله غيري، فإنه لا يرى أحد عورتي إلا طمست عيناه»** [١].

وسطعت منه ﷺ ريح لم يجدوا مثلها قط.

وكفن ﷺ في ثلاثة أثواب بيض سحولية من كرسف، ليس فيها قميص ولا عمامة[٢].

الكرسف: القطن، وسحول: بضم السين وفتحها بلدة معروفة.

وكان في حنوطه ﷺ المسك، ثم وضع على سريره في بيته، ودخل الناس يصلون عليه أرسالا أفذاذا، الرجال ثم النساء ثم الصبيان ولم يؤمهم أحد بوصية منه ﷺ قال فيها: **«أول من يصلي عليَّ خليلي وحبيبي جبريل، ثم ميكائيل ثم إسرافيل، ثم ملك الموت مع ملائكة كثيرة»** [٣].

قيل: فعل ذلك ﷺ ليكون كل منهم في صلاة، وقيل: ليطول وقت الصلاة فيلحق من يأتي من حول المدينة.

واختلفوا في مكان الدفن، فقائل يقول: بالبقيع، وقال قائل: عند منبره وقال قائل: في مصلاه فجاء أبو بكر رضي الله عنه فقال: إن عندي من هذا خبرا وعلما، سمعت النبي ﷺ يقول: **«ما قبض نبي إلا دفن حيث توفي»**[٤] فحول فراشه، وحفر له موضعه، وكان بالمدينة أبو عبيدة بن الجراح يضرح كحفر أهل مكة، وكان أبو طلحة يلحد لأهل المدينة، فبعث العباس خلفهما رجلين وقال: اللهم خر لرسول الله ﷺ فجاء أبو طلحة

---

(١) أخرجه ابن سعد في الطبقات (٢/٢٧٨)، والبيهقي في الدلائل (٧/٢٤٤).

(٢) أخرجه البخاري (١٢٦٤)، ومسلم (٤٥) ٢/ ٦٤٩ عن عائشة رضي الله عنها.

(٣) أخرجه ابن سعد في الطبقات (٢/٢٥٦)، والبيهقي في الدلائل: (٧/٢٣٢).

(٤) أخرجه مالك في الموطأ (١/ ٢٣١)، وابن سعد في الطبقات (٢/ ٢٩٢) عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه.

فلحد لرسول الله ﷺ[١].

ودفن ﷺ من وسط الليل، ليلة الأربعاء، ونزل قبره ﷺ علي والعباس، وقثم والفضل ابنا العباس،وشقران مولى رسول الله ﷺ وأوس بن خولي، وبسط شقران تحته في القبر قطيفة حمراء كان يفرشها ﷺ وقيل: كان يتغطى بها، وقيل: إن عبد الرحمن بن الأسود نزل معهم، وكذلك عبد الرحمن بن عوف، وأطبق أسامة على قبره ﷺ سبع لبنات نصبن نصبا.

ولما دفن رسول الله ﷺ جاءت فاطمة ﵂، فوقفت على قبره، وأخذت قبضة من تراب القبر الشريف، فوضعته على عينها وبكت، وأنشأت تقول:

ماذا على من شم تربة أحمد ... أن لا يشم مدى الزمان غواليا

صبت على مصائب لو أنها ... صبت على الأيام عدن لياليا

وتوفيت بعده ﷺ بستة أشهر، قاله: جعفر بن محمد، وقيل: ثمانية أشهر، وقيل: ثلاثة أشهر، وقيل: سبعون يوما وكان ﷺ أخبرها أنها أول أهله لحوقا به[٢] فكان كذلك.

وقبض ﷺ عن مائة ألف وأربعة وعشرين ألفا من الصحابة، رضوان الله تعالى عليهم أجمعين، قاله أبو موسى، وقال أيضا: شهد مع رسول الله ﷺ حجة الوداع أربعون ألفا من الصحابة، ممن روى عنه، وسمع منه وشهد معه تبوك سبعون ألفا.

قال القرطبي: المعروف من طريقة أهل الحديث أن كل مسلم رأى رسول الله ﷺ فهو من الصحابة وكذلك قال البخاري.

وعن سعيد بن المسيب: أنه كان لا يعد الصحابي إلا من أقام مع رسول الله ﷺ سنة أو سنتين، وغزا معه غزوة أو غزوتين.

والتابعي: من صحب الصحابي، وقد قيل: اسم التابعين ينطلق على من أسلم بعد الحديبية كخالد بن الوليد وعمرو بن العاص، وهو أحد رسل النبي ﷺ ورسله ﷺ أحد عشر، كما سيأتي في آخر الفصل ومن دانى خالد بن الوليد وعمرو بن العاص من مسلمة الفتح، لما ثبت أن عبد الرحمن بن عوف شكى إلى النبي ﷺ خالد بن الوليد فقال: النبي ﷺ لخالد: **«دعوا لي أصحابي فوالذي نفسي بيده لو أنفق أحدكم كل يوم مثل أحد ذهبا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه»**[٣].

---

(١) أخرجه مالك في الموطأ (١/ ١٣٢) عن عروة ﵁، وابن ماجه (١٦٢٨) عن ابن عباس ﵄.

(٢) أخرجه البخاري (٣٧١٥، ٣٧١٦)، ومسلم (٩٧، ٩٩) ٤/١٩٠٤ عن عائشة ﵂.

(٣) أخرجه الإمام أحمد في مسند (٥٤/٣)، القرطبي في الجامع (٢٩٧/١٦) عن أبي سعيد ﵁.

ومن العجب عد الحاكم أبا عبد الله النعمان وسويداء ابني مقرن المزني في التابعين، عندما ذكر الإخوة من التابعين، وهما صحابيان شهدا الخندق(١).

وأول **طبقات الصحابة:** قوم أسلموا بمكة مثل أبي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم.

الطبقة الثانية: أصحاب دار الندوة.

الطبقة الثالثة: المهاجرة إلى الحبشة.

الطبقة الرابعة: أصحاب العقبة.

الطبقة الخامسة: أصحاب العقبة الثانية.

الطبقة السادسة: أول المهاجرين الذين وصلوا إلى رسول الله ﷺ وهو بقباء قبل أن يدخل المدينة.

الطبقة السابعة: أهل بدر.

الطبقة الثامنة: الذين هاجروا بين بدر والحديبية.

الطبقة التاسعة: أهل بيعة الرضوان.

الطبقة العاشرة: المهاجرة بين الحديبية والفتح.

الطبقة الحادية عشر: الذين أسلموا يوم الفتح.

الطبقة الثانية عشرة: صبيان وأطفال رأوا رسول الله ﷺ يوم الفتح وفي حجة الوداع،وعدوهم في الصحابة، منهم: السائب بن يزيد وعبد الله بن ثعلبة وأبو الطفيل وأبو جحيفة.

وانقرض عصر الصحابة فيما بين تسعين إلى مائة، قال إبراهيم الفيروزآبادي.

وأفضل التابعين: الفقهاء السبعة المتقدم ذكرهم وعلقمة والأسود، وقيس، وأبو عثمان،ومسروق، وكان قد سرق فسمي مسروقا وسيد التابعين من النساء: حفصة بنت سيرين، وعمرة بنت عبد الرحمن وأم الدرداء.

وعن الحاكم قال: طبقة تعد من التابعين، ولم يصح سماع أحد منهم من الصحابة منهم: إبراهيم بن سويد النخعي وليس بإبراهيم بن يزيد النخعي الفقيه وبكير بن أبي السمط وبكير بن عبد الله الأشج. قال: وطبقة عدادهم عند الناس في أتباع التابعين، وقد لقوا الصحابة منهم: أبو الزناد عبد الله بن ذكوان لقي عبد الله بن عمر، وأنسا، وهشام بن عروة وقد أدخل على عبد الله بن عمر، وجابر بن عبد الله وموسى بن عقبة وقد أدرك

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك (٣/ ٢٩٢- ٢٩٥).

أنس بن مالك، وأم خالد بنت خالد بن سعيد.

وفي الصحابة طبقة تسمى بالمخضرمين وهم الذين أدركوا الجاهلية وحياة رسول الله ﷺ وأسلموا ولا صحبة لهم وهم: أبو رجاء العطاردي، وأبو وائل الأسدي، وسويد، وأبو عثمان النهدي وغيرهم.

قال الحاكم: قرأت بخط مسلم بن الحجاج ذكر من أدرك الجاهلية ولم يلق النبي ﷺ ولكن صحب الصحابة بعد النبي ﷺ منهم أبو عمرو الشيباني سعد بن إياس، وسويد بن غفلة الكندري، وشريح بن هانئ الحارثي، ويسير بن عمرو، وعمرو بن ميمون الأودي، والأسود بن يزيد النخعي، والأسود بن هلال المحاربي، والمعرور بن سويد، وعبد خير بن يزيد الخيواني، وشبيل بن عوف، ومسعود بن حراش، ومالك بن عمير، وأبو عثمان النهدي، وأبو رجاء العطاردي، وغنيم بن قيس، وأبو رافع الصائغ. وأبو الحلال العتكي، وخالد بن عمير العدوي، وثمامة بن حزن القشيري وجبير بن نفير الحضرمي.

وآخر من مات بمكة من الصحابة: عبد الله بن أبي أوفى سنة ست ثمانين وآخر من مات بالمدينة من الصحابة: سهل بن سعد الساعدي سنة إحدى وتسعين [وقيل: ثلاث وتسعين][1] وقيل: ست وتسعين وقيل: ثمان وتسعين، وآخر من مات بالشام: عبد الله بن بشر سنة ثمان وثمانين، وآخر من مات بالبصرة: أنس بن مالك سنة إحدى وتسعين وقيل: ثلاث وتسعين وآخر من بقي بالكوفة، أبو جحيفة وآخر من بقي بمصر: عبد الله بن الحارث بن جزء حكاه الواقدي.

وقال ابن الجوزي: آخر من مات بمكة: عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، وقيل: آخر من مات بها ممن رأى النبي ﷺ أبو الطفيل عامر بن واثلة ، وقيل هو آخر من مات ممن رأى النبي ﷺ مطلقا، وأول من مات بالكوفة: خباب وجميع من في الصحابة خباب خمسة أنفس وآخر من مات بها: عبد الله بن أبي أوفى، وآخر من مات بخراسان من الصحابة، بريدة بن الحصيب سنة ست وستين.

وعن عبد الله بن بريدة عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ **«ما من أحد من أصحابي يموت بأرض إلا بعث قائدا ونورا لهم يوم القيامة»** [2] انتهى.

ولما توفي ﷺ رثاه حسان بن ثابت رضي الله عنه فقال:

بطيبة رسم للنبي ومعهد ... منير وقد تعفو الرسوم وتهمد

(١) ما بين المعكوفين زيادة من نسخة تركيا.

(٢) أخرجه الترمذي (٣٨٦٥)، وقال: هذا حديث غريب.

ولا تمتحي الآيات من دار حرمه ... بها منبر الهادي الذي كان يصعد
وواضح آثار وباقي معالم ... وربع له فيه مصلى ومسجد
بها حجرات كان ينزل وسطها ... من الله نور يستضاء ويوقد
معارف لم تطمس على العهد أيها ... أتاها البلى فالآي منها تجدد
عرفت بها رسم الرسول وعهده ... وقبرا بها واراه في الترب ملحدا
ظللت بها أبكي الرسول فأسعدت ... عيون ومثلاها من الجن تسعد
يذكرن آلاء الرسول وما أرى ... لها محيصاً نفسي فنفسي تبلد
مفجعة قد شفها فقد أحمد ... فظلت لآلاء الرسول تعدد
وما بلغت من كل أمر عشيره ... ولكن لنفسي بعد ما قد توجد
أطالت وقوفاً تذرف العين جهدها ... على طلل القبر الذي فيه أحمد
فبوركت يا قبر النبي وبوركت ... بلاد ثوى فيها الرشيد المسدد
وبورك لحد منك ضمن طيباً ... عليه بناء من صفيح منضد
تهيل عليه الترب أيد وأعين ... عليه وقد غارت بذلك أسعد
لقد غيبوا علماً وحلماً ورحمة ... عشية علوه الثرى لا يوسد
وراحوا بحزن ليس فيهم نبيهم ... وقد وهنت منهم ظهور وأعضد
يبكون من تبكي السموات يومه ... ومن قد بكته الأرض فالناس أكمد
وهل عدلت يوماً رزية هالك ... رزية يوم مات فيه محمد؟
تقطع فيه منزل الوحي عنهم ... وقد كان ذا نور يغور وينجد
يدل على الرحمن من يقتدي به ... وينقذ من هول الخزايا ويرشد
إمام لهم يهديهم الحق جاهداً ... معلم صدق إن يطيعوه يسعدوا
عفو عن الزلات يقبل عذرهم ... وإن يحسنوا فالله بالخير أجود
وإن ناب أمر لم يقوموا بحمله ... فمن عنده تيسير ما يتشدد

فبينا هم في نعمة الله بينهم ... دليل به نهج الطريقة يقصد
عزيز عليه أن يجوروا عن الهدى ... حريص على أن يستقيموا ويهتدوا
عطوف عليهم لا يثني جناحه ... إلى كنف يحنو عليهم ويمهد
فبينا هم في ذلك النور إذ غدا ... إلى نورهم سهم من الموت مقصد
فأصبح محموداً إلى الله راجعاً ... يبكيه حق المرسلات ويحمد
وأمست بلاد الحرم وحشا بقاعها ... لغيبة ما كانت من الوحي تعهد
قفاراً سوى معمورة اللحد ضافها ... فقيد يبكيه بلاط وغرقد
ومسجده فالموحشات لفقده ... خلا له فيها مقام ومقعد
وبالجمرة الكبرى له ثم أوحشت ... ديار وعرصات وربع ومولد
فابكي رسول الله يا عين عبرة ... ولا أعرفنك الدهر دمعك يجمد
وما لك لا تبكين ذا النعمة التي ... على الناس منها سابغ يتغمد
فجودي عليه بالدموع وأعولي ... لفقد الذي لا مثله الدهر يوجد
وما فقد الماضون مثل محمد ... ولا مثله حتى القيامة يفقد
أعف وأوفى ذمة بعد ذمة ... وأقرب منه نائلاً لا ينكد
وأبذل منه للطريف وتالد ... إذا ضن معطاء بما كان يتلد
وأكرم صيتاً في البيوت إذا انتمى ... وأكرم جداً أبطحيا يسود
وأمنع ذروات وأثبت في العلا ... دعائم عز شاهقات تشيد
وأثبت فرعاً في الفروع ومنبتاً ... وعوداً غذاه المزن فالعود أغيد
رباه وليداً فاستتم تمامه ... على أكرم الخيرات رب ممجد
تناهت وصاة المسلمين بكفه ... فلا العلم محبوس ولا الرأي يفند
أقول ولا يلقى لما قلت عائب ... من الناس إلا عازب العقل مبعد
وليس هواي نازعاً عن ثنائه ... لعلي به في جنة الخلد أخلد

مـع المـصطفى أرجـو بذاك جواره   وفي نـيل ذاك الـيوم أسـعى وأجهد

حسان هو: ابن ثابت بن المنذر بن حرام بن عمرو بن زيد بن عدي بن النجار بن ثعلبة بن عمرو الأنصاري الخزرجي، يكنى أبا عبد الرحمن، وأبا الحسام لمنافحته عن رسول الله ﷺ.

عاش ستين سنة في الجاهلية وستين في الإسلام، وكانت عذبة لسانه تجاوز أرنبة أنفه.

وانتدب لهجو المشركين ثلاثة من الأنصار: حسان، وكعب بن مالك، وعبد الله بن رواحة.

وكان رسول الله ﷺ يقول لحسان: «**اهجهم فروح القدس معك**»[1] يعني جبريل.

توفي بالمدينة سنة خمسين، قاله ابن الصلاح، وقيل: توفي قبل الأربعين وقيل: سنة أربع وخمسين، ولم يختلفوا أنه عاش مائة وعشرين سنة. والآن نورد ما ذكرنا من:

ذكر موالي رسول الله ﷺ ونتبعهم برسله ﷺ

الموالي أحد وثلاثون على أصح الأقوال:

الأول: أسامة بن زيد بن حارثة بن شراحيل الكلبي:

أمه أم أيمن تقدم ذكرها وكان يقال له: حب رسول الله ﷺ وابن حب رسول الله ﷺ.

توفي بوادي القرى، وقيل: بالجرف، وحمل إلى المدينة، سنة أربع أو ثمان أو تسع وخمسين.

وفي الصحابة أسامات أربعة: هذا وأسامة بن أجدري، وأسامة بن شريك، وأسامة بن عمير.

وجميع ما يأتي في الحديث اسمه أسامة بن زيد ستة: هذا أحدهم وهو صحابي، الثاني: التنوخي روى عنه زيد بن العلم، الثالث: الليثي روى عن [نافع و][2] الزهري، الرابع: الكلبي روى عن زهير بن معاوية، الخامس الشيرازي روى عن [الفضل بن الحباب، السادس: أسامة بن زيد مولى لعمر بن الخطاب روى][3] عن أبيه.

وجميع ما روى أسامة مائة وثمانية وعشرون حديثا، أخرج له في الصحيحين تسعة

---

(١) رواه ابن عبد البر في الاستيعاب (١/٣٤٥) عن أبي هريرة ﷺ.

(٢) ما بين المعكوفين زيادة من نسخة تركيا.

(٣) ما بين المعكوفين زيادة من نسخة تركيا.

عشر، المتفق عليه منها خمسة عشر، وانفرد البخاري بحديثين ومسلم بحديثين.

الثاني: شقران:

واسمه صالح بن عدي وقيل: يعيش، ورثه ﷺ من أبيه، وقيل: اشتراه من عبد الرحمن بن عوف وأعتقه وكان حبشيا.

وقيل: إن عبد الرحمن وهبه لرسول الله ﷺ وقيل: أخذه من الفرس وهو آخر الموالي موتا.

الثالث: زيد بن حارثة بن شراحيل، أبو أسامة:

وهبته خديجة رضي الله عنها للنبي ﷺ بعد أن تزوجها وأعتقه.

وقيل: هو من سبي العرب أعتقه رسول الله ﷺ فقيل زيد ابن رسول الله ﷺ حتى نزلت: ﴿ٱدۡعُوهُمۡ لِأٓبَآئِهِمۡ﴾ [الأحزاب: ٥].

وهو أول من أسلم من الموالي، قتل في سرية مؤتة من أرض الشام وفي الصحابة أربعون زيدا.

الرابع: ثوبان بن بجدد:

يكنى أبا عبد الله كان له نسب في اليمن، وهو من سبي اليمن، اشتراه ﷺ وأعتقه.

وقيل: يقال له ثوبان بحدر، وقيل: ابن جحدر.

أصله من اليمن، وقيل: من النمر، وقيل: من حمير، وقيل: من سراة بين اليمن ومكة.

مات سنة أربع وخمسين بحمص وفي الصحابة ثوبان ثلاثة أنفس.

جملة ما روى مائة وثمانية وعشرون حديثا، انفرد بالإخراج عنه مسلم فأخرج له عشرة أحاديث، وقيل: إنه روى مائة وسبعة وستين حديثا.

الخامس أبو كبشة:

من مولدي مكة وقيل: من مولدي أرض دوس، اسمه: سليم ابتاعه ﷺ فأعتقه وتوفي في أول يوم استخلف فيه عمر رضي الله عنه.

السادس: أنيسه:

من مولدي السراة اشتراه ﷺ وأعتقه.

السابع: رباح الأسود:

نوبي اشتراه ﷺ من وفد عبد القيس وأعتقه.

كان بواب رسول الله ﷺ حين آلى على نسائه أن لا يدخل عليهن شهرا.

الثامن: يسار:

نوبي أصابه ﷺ في بعض غزواته.

وهو الذي قتله العرنيون واستاقوا اللقاح ودفن بالمدينة قيل: ليس في كلام العرب اسم في أوله ياء مكسورة إلا قولهم: يسار لليد ويسار أيضا بالكسر والفتح.

التاسع: أبو رافع:

اسمه أسلم، وقيل: إبراهيم، وقيل: هرمز، وقيل: ثابت، وقيل: يزيد.

كان قبطيا للعباس فوهبه للنبي ﷺ فأعتقه حين بشره بإسلام عمه العباس رضي الله عنه وقيل: كان لسعيد بن العاص، زوجه ﷺ سلمى مولاته توفي سنة خمس وثلاثين جملة ما روى ثمانية وستون حديثا.

العاشر: أبو مويهبة:

من مولدي مزينة اشتراه ﷺ وأعتقه وله رواية عنه.

[الحادي عشر: فضالة:

نزل الشام ومات بها.][1]

الثاني عشر: رافع:

كان مولى لسعيد بن العاص، فورثه ولده، فأعتقه بعضهم وتمسك بعضهم فجاء رافع إلى رسول الله ﷺ يستعينه فوهب له، وكان يقول: أنا مولى النبي ﷺ وفي الصحابة عشرون رافعا.

الثالث عشر: مدعم:

أسود وهبه له رفاعة بن زيد الجذامي، قتل بوادي القرى.

الرابع عشر: كركرة:

كان نوبيا، أهداه له هوذة بن علي الحنفي، فأعتقه.

الخامس عشر: زيد بن نولا:

جد هلال بن يسار.

السادس عشر: عبيد.

السابع عشر: طهمان.

الثامن عشر: مابور القبطي:

أهداه له المقوقس.

---

(١) ما بين المعكوفين زيادة من نسخة تركيا.

التاسع عشر: واقد.

العشرون: أبو واقد الليثي:

واسمه الحارث بن عوف، مات بمكة سنة ثمان وستين، وليس في الصحابة أبو واقد إلا هذا وآخر لا غير.

الحادي والعشرون: هشام.

الثاني والعشرون أبو ضميرة:

كان مما أفاء الله على رسوله فأعتقه.

الثالث والعشرون: حنين.

الرابع والعشرون: عسيب:

واسمه أحمر، وعسيب كنيته.

الخامس والعشرون: أبو عبيد.

السادس والعشرون: سفينة:

واسمه عمير، وقيل: مهران، وقيل: سبية وقيل رباح كان لأم سلمة فأعتقته وشرطت عليه أن يخدم رسول الله ﷺ، توفي في ولاية الحجاج وجملة ما روى أربعة عشر حديثا انفرد بالإخراج عنه مسلم فأخرج له حديثا واحدا.

السابع والعشرون: أبو هند:

ابتاعه ﷺ عند منصرفه من الحديبية وأعتقه ﷺ.

الثامن والعشرون: انجشه.

التاسع والعشرون: أنسة:

كان حبشيا أعتقه ﷺ بالمدينة.

الثلاثون: أبو لبابة:

كان لبعض عمات النبي ﷺ فوهبته له فأعتقه.

الحادي والثلاثون: رويفع:

سباه ﷺ من هوازن وأعتقه.

قال محب الطبري: فهؤلاء المشهورون وقيل: إنهم أربعون.

وقال ابن الجوزي: أربعة وأربعون فذكر.

سلمان الفارسي:

وقيل له: سلمان الخير وسلمان الخيل، ولا يشكون أن عمره مائتان وخمسون سنة، وقيل: ثلاثمائة وخمسين أدرك وصي عيسى عليه السلام.

وكان أميرا على زهاء ثلاثين ألفا من المسلمين، اشتراه ﷺ بثلاثمائة نخلة وأربعين أوقية.

أصله فارسي من رامهرمز، من قرية بأصبهان يقال لها: جبي وتسمى اليوم جيان.

توفي في مدائن سنة اثنتين وثلاثين، أو خمس وثلاثين، أو ست وثلاثين مروياته ستون حديثا، وفي الصحابة ستة أسمهم سلمان.

يروى أن النبي ﷺ قال: «**سلمان منا أهل البيت**»[1].

وأفلح:

وكان يقال له: مولى أم سلمة، وهو الذي قال له رسول الله ﷺ «**ترب وجهك**»[2].

وأكيدر هو: ابن عبد الملك الكندي، صاحب دومة الجندل، وكان أكيدر نصرانيا وأسلم.

وأيمن ابن أم أيمن وأبو ضميرة: آخر غير المذكور الأول.

وأبو رافع: أيضا غير المذكور الأول.

وأبو التيمي أثيلة وأبو الحمراء،وسابق، ونفيع:

وهو أبو بكرة بن الحارث أمه سمية، وهو أخو زياد لأمه فلما حاصر رسول الله ﷺ الطائف نادى مناديه: أي عبد نزل إلينا من الحصن فهو حر فتدلى أبو بكرة في بكرة توفي سنة إحدى وخمسين.

وعبيد الله بن أسلم، وأبو لقيط وذكوان وسالم وسليم وسعد:

روى عن سعد أبو عثمان النهدي.

وكيسان ونبيه ووردان والفاكه بن سعد:

ويكنى أبو عقبة، من فارس، والصحيح أنه من موالي الأنصار.

وموالياته ﷺ سبع وقيل: أحد عشر:

الأولى سلمى أم رافع:

الثانية بركة أم أيمن: ورثها عن أبيه، وكانت حاضنته وهي أم أسامة بن زيد، واسمها من الأسماء المشتركة فيها الرجال والنساء، فمن النساء: بركة أم عطاء بن أبي رباح، ومن الرجال: بركة بن الوليد روى عن ابن عباس، وبركة بن نشيط روى عن

---

(١) ذكره ابن الجوزي في صفة الصفوة (١/٥٣٥).

(٢) ذكره ابن هشام في السيرة (٢/٥٢٦)، وابن سعد في الطبقات (٢/١٦٦).

عثمان بن أبي شيبة، وكذلك أسماء بنت عميس، وأسماء بن حارثة، وكذلك بريدة اسم امرأة في الصحابيات وليس في الصحابة غيرها، وبريدة بن الحصيب ليس في الصحابة غيره.

وكذلك جويرية بن مسهر روى عن علي رضي الله عنه، وجويرية بن بشير روى عن الحسن وجويرية بن أسماء روى عن نافع، ومن [النساء:][1] جويرية أم المؤمنين ﷺ، وجويرية بنت أبي جهل أسلمت وبايعت.

وكذلك الرباب بنت البراء، والرباب بنت حارثة، والرباب بنت كعب أم حذيفة، والرباب بنت النعمان عمة سعد بن معاذ كلهن صحابيات مبايعات وهنا تابعي يقال له: رباب سمع من ابن عباس رضي الله عنه.

وعلية بن يزيد صحابي، وعلية بنت المهدي، وعصيمة حليف الأنصار من بني أسد، وعصيمة حليف لهم من أشجع، وعصيمة بنت حبار، وعصيمة بنت أبي الأقلح مبايعتان.

وهند بنت حارثة، وهند بن أبي هالة صحابيات وهند أم سلمة زوج النبي ﷺ ﷺ، ومعها خمسة عشر من الصحابيات اسمهن هند.

قال ابن الجوزي وأبلغ من هذا أن يتساوى اسم الرجل والمرأة واسم أبيهما مثل: أمية بن أبي الصلت روى حديثه ابن إسحاق وأمية بنت أبي الصلت، وأمية بن عبد الله حدث عن ابن عمر، وأمية بنت عبد الله تروي عن عائشة، وعمارة بن حمزة من ولد عكرمة، وعمارة بنت حمزة وقيل: هي أمامة وهي التي اختصم فيها: علي وجعفر وزيد، وفضالة بن الفضل حدث عن أبي بكر بن عياش، وفضالة بنت الفضل روى عنها عبد الرحمن بن جبلة، وهند بن المهلب، روى عنه أبو همام محمد بن الزبرقان وهند بنت المهلب بن أبي صفرة وكانت امرأة الحجاج بن يوسف حدثت عن أبيها، هبة الله بن أحمد شيخ متأخر روى عن المخلص، وهبة الله بنت أحمد حدثت عن أحمد بن محمود القاضي ومن هذا ما يتشابه في الخط ويتباين في اللفظ مع تساوي النسب مثل: بسرة بنت صفوان صحابية، وبسرة بن صفوان بن جميل الدمشقي حدث عن إبراهيم بن سعد وروى عنه البخاري وجمرة بن عبد الله جماعة وجمرة بنت عبد الله لها صحبة، وحنتمة بن عبد الرحمن بن أبي سبرة الكوفي روى عن ابن عمر، وحنتمة بنت عبد الرحمن المخزومي أخت أبي بكر بن عبد الرحمن الفقيه.

---

(١) زيادة من نسخة تركيا.

ومما يقع فيه الإشكال فيظن أنه سقط منه حرف: إسحاق بن الأزرق، وإسحاق الأزرق فالأول: مصري يقال له إسحاق بن الأزرق الحمراوي روى عن الليث بن سعد والثاني: أبو محمد إسحاق بن يوسف الواسطي الأزرق، يروي عن الثوري والأعمش،وعياش بن الأزرق [وعباس الأزرق][1] فالأول: بالشين المعجمة ويكنى أبا النجم، روى عنه جعفر الفرياني، والثاني بصري بالسين المهملة روى عن جعفر الفرياني روى عنه عبد الصمد بن عبد الوهاب.

الثالثة من مواليه ﷺ مارية القطبية:

الرابعة: ريحانة بنت عمرو القريظية: اصطفاها رسول الله ﷺ من سبي بني قريظة.

الخامسة: ميمونة بنت سعيد.

السادسة: خضرة.

السابعة : رضوى.

هذا ما ذكره محب الطبري، ومن قال إنهن إحدى عشرة، زاد فيهم أميمة وميمونة بنت أبي عسيب، وأم ضميرة، وأم عياش رضي الله عنهن.

وأما ذكر رسله فهم إحدى عشرة:

الأول: حاطب بن أبي بلتعة عمرو بن عمير بن سلمة اللخمي:

بعثه إلى المقوقس، ملك مصر والإسكندرية فقال خيرا ولم يسلم وأهدى للنبي ﷺ مارية، وأختها سيرين، وبغلته الشهباء المسماة بالدلدل مات سنة ثلاثين.

الثاني: شجاع بن وهب الأسدي:

بعثه إلى الحارث بن أبي شمر الغساني ملك البلقاء فرمى بالكتاب وقال: أنا سائر إليه وعزم على ذلك فمنعه قيصر.

الثالث: دحية بن خليفة الكلبي:

بعثه إلى قيصر، ملك الروم فهم بالإسلام ولم توافقه الروم فخافهم على ملكه فأمسك.

الرابع: سليط بن عمرو العامري:

بعثه إلى اليمامة إلى هوذة بن علي الحنفي فأكرمه ولم يسلم.

الخامس: عبد الله بن حذاقة السهمي:

بعثه إلى كسرى، ملك فارس فمزق كتاب النبي ﷺ وكتب في الوقت إلى عامل له

---

(١) زيادة من نسخة تركيا.

باليمن يسمى باذان، أن أحمل إلى هذا الذي يذكر أنه نبي فبعث إليه فيروز الديلمي مع جماعة من أصحابه، وبعث معه كتابا يكتب فيه ما كتب به كسرى، فأتى فيروز إلى النبي ﷺ وقال له: إن ربي يعني كسرى أمرني أن أحملك إليه، فاستنظره ليلة، فلما كان من الغد قال له رسول الله ﷺ: **«أخبرني ربي أنه قتل ربك البارحة- سلط عليه ابنه شيرويه على سبع ساعات من الليل- فأمسك ريثما يأتيك الخبر»** فعاد فيروز إلى باذان، وأخبره بذلك، ثم ورد الخبر بذلك فأسلم باذان وفيروز ومن معهما من الأبناء[(١)].

يروى أن كسرى بينما هو في بيت إيوانه الذي لا يدخل عليه فيه أحد، فلم يرعه إلا وملك قائم على رأسه وبيده عصا، فقال له: أتسلم أو أكسر هذه العصا، فقال: بهل بهل، فانصرف عنه فتغيظ عل حجابه، حتى إذ كان العام القابل أتاه في تلك الساعة، فقال له كأول مرة، فأجابه بمثل ذلك، فخرج عنه فتغيظ كسرى على حجابه، فلما كان العام الثالث أتاه في مثل تلك الساعة فقال له: أتسلم أو أكسر هذه العصا؟ فقال: بهل بهل، فكسرها، ثم خرج فلم يكن إلا تهور ملكه وقتله.

كان في قصره اثنتا عشرة ألف جارية، منهن ثلاثة آلاف جارية للاستمتاع والباقي للغناء والخدمة وفي داره ثلاثة آلاف رجل يقومون بخدمته وكان له ألف فيل إلا فيل ومن الخيل والبغال خمسون ألفا، وأمر أن يحصى ما اجتبى من خراج بلاده في سنة ثمانية عشرة من ملكه [فكان ستمائة ألف ألف درهم وعدد على ابنه شيرويه بعد قبضه عليه أنه قال: أمرنا في سنة ثلاثين من ملكنا][(٢)]، بإحصاء ما في بيوت المال سوى ما عزلنا ما لا بدّ منه فكان من الورق أربعمائة ألف بدرة يكون فيها ألف ألف ألف مثقال وستمائة ألف ألف مثقال.

مات عبد الله بن حذافة بمصر في خلافة عثمان رضي الله عنه.

السادس: عمرو بن أمية الضمري:

أرسله إلى النجاشي فأسلم، وذكر: أنه لا يزال يرى النور على قبره.

السابع: عمرو بن العاص.

بعثه إلى ملكي عمان جيفر وعبد ابني الجلندي فأسلما.

الثامن: المهاجر من أبي أمية المخزومي:

بعثه إلى الحارث الحميري، أحد مقاولة اليمن.

---

(١) أورده الماوردي في أعلام النبوة (٩٦، ٩٧) وذكره البيهقي في الدلائل (٤/٣٩٠، ٣٩١).

(٢) زيادة من نسخة تركيا.

التاسع: العلاء بن الحضرمي:

بعثه إلى المنذر بن ساوي العبدي، ملك البحرين فأسلم.

العاشر : أبو موسى الأشعري:

بعثه إلى اليمن، توفي سنة اثنتين وخمسين، وقيل: اثنتين وأربعين، وقيل: أربع وأربعين، وقيل: ثلاثا وستين.

جملة ما روى ثلاثمائة وستون حديثا، منها في الصحيحين ثمانية وستون، المتفق عليه منها تسعة وأربعين، وانفرد البخاري بأربعة ومسلم بخمسة.

ولي أبو موسى لخمسة أئمة: للنبي ﷺ وللخلفاء الأربعة.

وكذلك روح بن حاتم عمل لخمسة من الأئمة: للسفاح، والمنصور وللهادي وللمهدي وللرشيد.

ووجه رسول الله ﷺ رسله في المحرم سنة سبع وخرج ستة منهم في يوم واحد وأصبح كل رجل منهم يتكلم بلسان القوم الذين بعث إليهم.

الحادي عشر: معاذ بن جبل:

بعثه ﷺ مع أبي موسى الأشعري.

جملة ما روى مائة وسبعة وخمسون حديثا.

الفصل التاسع
في وفاة أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه

هو عبد الله بن أبي قحافة، عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن عبد بن لؤي.

كان اسمه في الجاهلية عبد الكعبة، فسماه النبي ﷺ عبد الله [(١)]

وسمي عتيقا: لأنه نظر إليه رسول الله ﷺ فقال: «**هذا عتيق الله من النار**» [(٢)] وقيل: اسم سمته به أمه، وقيل: سمي به لجمال وجهه [(٣)].

وقال الحاكم: أول لقب ذكر في الإسلام: لقب أبي بكر، والصحيح أن عتيق لقبه وقيل اسمه حكاه ابن عساكر.

وسمي صديقا لأنه لم يكذب قط قاله ابن المبارك وقال أبو محجن الثقفي في ذلك:

---

(١) ذكره ابن هشام في السيرة (٣/٦١) والطبري في تاريخ الرسل (٣/٤٢٤).

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك (٣/٦١)، والطبراني في المعجم الكبير (١/٦)، وأبو يعلي في المطالب العالية (٤/٢٦).

(٣) ذكره ابن عبد البر في الاستيعاب (٣/٩٦٣) ومحب الدين الطبري: الرياض النضرة (١/٦٥).

وسميت صديقاً وكل مهاجر سواك يسمى باسمه غير منكر

سبقت إلى الإسلام والله شاهد وكنت جليساً بالعريش المشهر

وبالغار إذ سميت بالغار صاحباً وكنت رفيقاً للنبي المطهر

والصديق اسم سماه النبي ﷺ [وقيل: أنزله الله تعالى، وروي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه كان يحلف بالله أن الله تعالى أنزل اسم أبي بكر من السماء: الصديق(١)](٢).

ولد بعد سنتين من عام الفيل وأربعة أشهر، وقيل: إلا أياما ومولده بمكة معروف إلى اليوم وقيل: ولد بمنى.

أمه أم الخير سلمى بنت صخر بن عامر، ماتت مسلمة وأسلم أبوه عثمان يوم الفتح.

فأبو بكر، وأبوه عثمان، وابنه عبد الرحمن، وابنه محمد بن عبد الرحمن كلهم صحابيون، وليس في الصحابة أربعة صحابيون على نسق واحد غيرهم.

وصحب ﷺ من المهاجرين: أنيس بن مرثد، وأبوه مرثد، وجده أبو مرثد، ولا يعرف رجل واحد له ولأبيه ولجده صحبة غيره.

وهو خليفة رسول الله ﷺ ولا يسمى أحد خليفة الله بعد آدم وداود عليهما السلام وقال بعضهم: يجوز ونسبوا قائله إلى الفجور.

وقال ﷺ: «**يكون بعدي اثنا عشر خليفة، أبو بكر لا يلبث إلا قليلا**»(٣).

ويروي صاحب كتاب نظم الدرر أن أبا بكر رأى رؤيا كأن القمر سقط على الكعبة وتقطع ولم يبق دار بمكة إلا دخلتها قطعة [ووقعت في حجره قطعة ثم خرجت القطع](٤) والتأمت ورجع من حيث جاء، ففتح حجره فوجد القطعة فيه، فقصمها على بحيرى الراهب، فعبرها له ببعث النبي ﷺ وخلافته بعده قال: فكتمها ستة عشر سنة فلما بعث ﷺ جئته فقال: ما دليلك على الرؤيا التي رأيت بمكة وفسرها لك بحيرى.

وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما، عن أبيه أن النبي ﷺ نظر إلي مقبلا يعني

---

(١) أخرجه البخاري في التاريخ الكبير (٩٩/١)، والحاكم في المستدرك (٦٢/٣).

(٢) زيادة من نسخة تركيا.

(٣) أخرجه ابن عدي في الكامل (١٥٢٤/٤) والطبراني في المعجم الكبير (٧/١) وأبو نعيم في معرفة الصحابة (١٥٥/١).

(٤) زيادة من نسخة تركيا.

العباس عن نفسه فقال: «**هذا عمي أبو الخلفاء الأربعين أجود قريشا كفا، وإن من ولده السفاح والمنصور والمهدي، يا عم بي فتح الله ذا الأمر وبرجل من ولدك يختمه**»[١].

ويروى عنه ﷺ أنه قال: «**الخلافة ثلاثون سنة ثم يصير ملكا عضوضا**»[٢].

قال إمام الحرمين: وكانت أيام الخلفاء هذا القدر، يعني أبا بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله تعالى عنهم.

قلت: فالنبي ﷺ ابتدأ نبوته من سابع عشر من رجب سنة أربعين من الفيل، مدتها عشر سنين بعد الهجرة.

أبو بكر رضي الله عنه.

ولي الخلافة لليلتين بقيتا من ربيع الأول سنة إحدى عشرة، مدتها سنتان، وثلاثة أشهر وعشر ليال.

عمر رضي الله عنه:

ولي في جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة من الهجرة، مدتها عشر سنين وستة أشهر.

عثمان رضي الله عنه:

ولي من المحرم سنة أربع وعشرين من الهجرة، مدتها اثنتا عشرة سنة إلا اثنا عشر يوما.

علي رضي الله عنه:

ولي ثاني عشر الحجرة سنة خمس وثلاثين،ومدتها أربع سنين وتسعة أشهر.

الحسن بن علي رضي الله عنهما:

ولي لسبع عشرة خلت من رمضان سنة أربعين، مدتها أربعة شهور، وقيل: ستة شهور.

معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما:

ولي في ربيع الأول سنة إحدى وأربعين، مدتها تسع عشرة سنة وثلاثة شهور.

يزيد بن معاوية:

ولي في رجب سنة ستين، مدتها ثلاث سنين وتسعة شهور.

معاوية بن يزيد:

ولي في نصف ربيع الأول سنة أربع وستين، مدتها أربعون يوما وقيل شهر.

---

(١) أخرجه ابن الجوزي في الموضوعات (٢/٣٧).

(٢) أخرجه الترمذي (٢٢٢٦)، وأحمد (٥/٢٢٠) والبيهقي في الدلائل: ٦/٣٤٢.

عبد الله بن الزبير:

ولي في رجب سنة أربع وستين أيام قلائل.

وبويع: لمروان بن الحكم أبي [1] عبد الملك:

ولي في رجب سنة أربع وستين، مدتها سنة وشهران.

عبد الملك بن مروان أبو الوليد:

ولي في رمضان سنة خمس وستين، مدتها إحدى وعشرين سنة وشهرا.

الوليد بن عبد الملك أبو العباس:

ولي في جمادى سنة ست وثمانين مدتها تسع سنين وثمانية شهور.

سليمان بن عبد الملك أبو أيوب:

ولي في جمادى الآخرة سنة ست وتسعين، مدتها سنتان وثمانية شهور.

عمر بن عبد العزيز أبو حفص:

ولي في صفر سنة تسع وتسعين، مدتها سنتان وخمسة شهور.

يزيد بن عبد الملك أبو خالد:

ولي في رجب سنة إحدى ومائة مدتها [أربع سنين وشهرا.

هشام بن عبد الملك أبو الوليد:

ولي في شعبان سنة خمس ومائة مدتها][2] تسع عشرة سنة وتسعة أشهر.

الوليد بن يزيد بن عبد الملك أبو العباس:

ولي في ربيع الآخر سنة خمس وعشرين ومائة، مدتها سنة وثلاثة أشهر.

يزيد بن الوليد بن عبد الملك:

ولي في جمادى الآخر سنة ست وعشرين ومائة، مدتها ستة شهور وأيام.

إبراهيم بن الوليد أبو إسحاق:

ولي في ذي الحجة سنة ست وعشرين ومائة، مدتها شهران، وقيل: سبعون يوما.

مروان بن محمد بن مروان بن الحكم:

ولي في صفر سنة سبع وعشرين ومائة، مدتها خمس سنين وشهران.

عبد الله أبو العباس السفاح:

ولي في ربيع الآخر سنة اثنتين وثلاثين ومائة، مدتها أربع سنين وثمانية شهور.

---

(١) في الأصل أبو وهو خطأ والصواب ما أثبتناه.

(٢) زيادة من نسخة تركيا.

عبد الله أبو جعفر المنصور:

ولي سنة ست وثلاثين ومائة، مدتها اثنان وعشرون سنة.

محمد أبو عبد الله المهدي:

ولي أول ذي الحجة سنة ثمان وخمسين ومائة، مدتها عشر سنين وشهر.

موسى أبو محمد الهادي:

ولي في المحرم سنة تسع وستين ومائة، مدتها سنة وخمسة شهور.

هارون الرشيد أبو جعفر:

ولي في ربيع الأول سنة سبعين ومائة، مدتها ثلاثا وعشرين سنة وشهران.

محمد أبو عبد الله الأمين:

ولي في جمادى الأول سنة ثلاث وتسعين ومائة، مدتها أربع سنين وسبعة شهور.

عبد الله أبو العباس المأمون:

ولي في المحرم سنة ثمان وتسعين ومائة، مدتها عشرون سنة وستة شهور.

محمد أبو إسحاق المعتصم:

ولي في رجب سنة ثمان عشرة ومائتين، مدتها ثمان سنين وثمانية شهور.

وفي تاريخه عجب: ولد سنة ثمان وسبعين ومائة، وعمره ثمان وأربعين سنة، كان ثامن أولاد الرشيد، ملك ثمان سنين وثمانية شهور وثمانية أيام، وخلف ثمانية بنين وثمان بنات، ومن العين ثمانية ألف ألف دينار،ومن الورق ثمانية وعشرين ألف ألف درهم، وثمانية آلاف غلام، وثمانية عشر ألف دابة، وفتوحه المشهورة ثمانية، وتوفي لثمان بقين من شهر ربيع الأول، وقيل غير ذلك والله أعلم.

هارون أبو جعفر الواثق:

ولي في ربيع الأول سنة سبع وعشرين ومائتين، مدتها خمس سنين وتسعة شهور.

جعفر أبو الفضل المتوكل:

ولي سنة ثلاث وثلاثين ومائتين، مدتها أربع عشرة سنة وتسعة شهور.

محمد أبو جعفر المنتصر:

ولي في شوال سنة سبع وأربعين ومائتين، مدتها ستة شهور.

أحمد أبو العباس المستعين:

ولي في ربيع الآخر سنة ثمان وأربعين ومائتين، مدتها ثلاث سنين وتسعة شهور.

محمد أبو عبد الله المعتز:

ولي في المحرم سنة اثنتين وخمسين ومائتين، مدتها ثلاث سنين وسبعة شهور.

محمد أبو عبد الله المهتدي:

ولي في شعبان سنة خمس وخمسين ومائتين مدتها سنة واحدة.

أحمد أبو العباس المعتمد:

ولي في رجب سنة ست وخمسين ومائتين، مدتها ثلاث وعشرون سنة وشهرا.

أحمد أبو العباس المعتضد:

ولي في رجب سنة تسع وسبعين ومائتين، مدتها تسع سنين وتسعة شهور.

علي أبو محمد المكتفي:

ولي في ربيع الآخر سنة تسع وثمانين ومائتين، مدتها ست سنين وسبعة شهور.

جعفر أبو الفضل المقتدر:

ولي في ذي القعدة سنة خمس وتسعين ومائتين، مدتها أربع وعشرون سنة وأحد عشرة شهرا.

محمد أبو المنصور القاهر:

ولي في شوال سنة عشرين وثلاثمائة، مدتها سنة وسبعة شهور.

محمد أبو العباس الراضي:

ولي في جمادى الأولى سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة، مدتها ست سنين وعشرة شهور.

إبراهيم أبو إسحاق المتقي:

ولي في ربيع الأول سنة تسع وعشرين وثلاثمائة، مدتها أربع سنين.

عبد الله أبو القاسم المستكفي:

ولي في صفر سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة [مدتها سنة وأربعة شهور.

الفضل أبو القاسم المطيع:

ولي في جمادى الآخرة سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة](١) مدتها تسع وعشرون سنة وخمسة شهور.

أبو بكر عبد الكريم الطائع:

ولي في جمادى الآخر سنة ثلاث وستين وثلاثمائة، مدتها سبع عشرة سنة وسبعة أشهر.

---

(١) زيادة من نسخة تركيا.

أحمد أبو العباس القادر:

ولي في شعبان سنة إحدى وثمانين وثلاثمائة، مدتها إحدى وأربعون سنة وثلاثة شهور.

عبد الله أبو جعفر القائم:

ولي في ذي الحجة سنة اثنتين وعشرين وأربعمائة، مدتها ست وأربعون سنة وثمانية شهور.

عبد الله أبو القاسم المقتدي:

ولي في شعبان سنة سبع وستين وأربعمائة، مدتها تسع عشرة سنة وخمسة شهور.

أحمد أبو العباس المستظهر:

ولي في المحرم سنة سبع وثمانين وأربعمائة، مدتها خمس وعشرون سنة وشهران.

الفضل أبوالمنصور المسترشد:

ولي في ربيع الأول سنة اثنتي عشرة وخمسمائة، مدتها ست عشرة [1] سنة وأحد عشر شهرا.

منصور أبو جعفر الراشد:

ولي سنة تسع وعشرين وخمسمائة، مدتها سنة وثلاثة شهور.

محمد أبو عبد الله المقتفي:

ولي في ربيع الأول سنة ثلاثين وخمسمائة، مدتها خمس وعشرون سنة وثلاثة شهور.

يوسف أبو المظفر المستنجد:

ولي في رجب سنة خمس وخمسين وخمسمائة،مدتها عشر سنين وتسعة شهور.

الحسن أبو محمد المستضيء:

ولي في ربيع الآخر سنة ست وستين وخمسمائة، مدتها تسع سنين وسبعة أشهر.

أحمد أبو العباس الناصر لدين الله :

ولي في ذي الحجة سنة خمس وسبعين وخمسمائة، مدتها ست وأربعون سنة وستة أشهر.

محمد أبو نصر الظاهر:

ولي في شعبان سنة اثنتين وعشرين وستمائة، مدتها عشرة شهور، وقيل: ثمانية شهور.

---

(١) في الأصل ستة عشر وهو خطأ، والصواب ما أثبتناه.

منصور أبو جعفر المستنصر:

ولي في ربيع الآخر سنة ثلاث وعشرين وستمائة، مدتها سبع عشرة سنة وثمانية شهور.

عبد الله أبو أحمد المستعصم:

ولي في جمادى الأول سنة أربعين وستمائة مدتها خمس عشرة سنة وتسعة شهور.

انتهى المقصد.

رجعنا إلى ما نحن بسببه:

ذكر محمد بن جرير الطبري: أن اليهود سمت أبا بكر في أرزة، وقيل: أكل هو والحارث بن كلدة خزيرة أهديت لأبي بكر، فقال الحارث: ارفع يدك، إن فيها سم سنة، وأنا وأنت نموت في يوم واحد، فماتا في يوم واحد عند انقضاء سنة.

وقيل: توفي من لدغة الحريش ليلة الغار، وقيل: كان به طرف من السل، قاله الزبير بن بكار.

ومرض خمسة عشر يوما، وكان في داره التي قطع له رسول الله ﷺ وجاه دار عثمان رضي الله تعالى عنه.

توفي رضي الله عنه بين المغرب والعشاء من ليلة الثلاثاء لثمان ليال بقين من جمادى الآخرة [سنة ثلاث عشرة من الهجرة وهو الأشهر.

وقال ابن إسحاق:توفي يوم الجمعة، لسبع ليال بقين من جمادى الآخرة][1] وقيل: توفي في جمادى الأول حكاه الحاكم وقيل: يوم الاثنين لليلتين بقيتا من جمادى الآخرة.

وكانت خلافته سنتين وثلاثة أشهر وخمس ليال، وقيل: ثمانية أيام،وقيل: سبعة عشر يوما.

استوفى بخلافته سن رسول الله ﷺ.

ولما ولي الخلافة: استعمل عمر بن الخطاب رضي الله عنه على الحج. ثم حج من قابل ثم اعتمر في رجب سنة اثنتين عشرة.

وتوفي أبو بكر قبل أبي قحافة، فورث أبو قحافة منه السدس ورده على ولد أبي بكر، ومات أبو قحافة في المحرم سنة أربع عشرة من الهجرة، وهو ابن سبع وتسعين سنة.

وغسل أبا بكر رضي الله عنه زوجته أسماء بوصية منه، وابنه عبد الرحمن يصب عليها الماء.

---

(١) زيادة من نسخة تركيا.

وحمل على السرير الذي حمل عليه رسول الله ﷺ وصلى عليه عمر رضي الله عنه وجاه المنبر، ودفن إلى جنب رسول الله ﷺ بوصية منه، وألصق لحده بلحد رسول الله ﷺ ودخل قبره عمر، وعثمان،وطلحة وعبد الرحمن بن أبي بكر رضي الله تعالى عنهم.

أسماء امرأة أبي بكر رضي الله عنه، أسلمت بمكة قديما، وبايعت وهاجرت إلى الحبشة مع زوجها جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه فولدت هناك عبدالله، ومحمدا،وعونا ثم قتل عنها فتزوجها أبو بكر فولدت له محمدا، ثم توفي عنها ثم تزوجت عليا رضي الله عنه، فولدت له يحيى وعونا ثم توفيت سنة ثمان وثلاثين، جملة ما روت ستون حديثا.

وجملة ما روى أبو بكر رضي الله عنه مائة حديث واثنان وأربعون حديثا أخرج له منها في الصحيحين ثمانية عشر المتفق عليها ستة،وانفرد البخاري بإحدى عشر، ومسلم بواحد.

وجملة من في الصحابة اسمه عبد الله مائتان وعشرون، ليس فيهم عبد الله بن عثمان سوى أبو بكر وآخر من بني أسد لم يرو شيئا.

وكان قاضيه عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وكاتبه عثمان، زيد بن ثابت وعبد الله بن الأرقم.

وأولاده جملة منهم: أسماء ذات النطاقين، وعائشة ﵄، وعبد الرحمن وهو شقيق عائشة، وعبد الله أمه وأم أسماء من بني عامر بن لؤي وأم كلثوم مات وهي حملا ومحمدا قتله معاوية بن خديج وطيف برأسه وهو أول من طيف به في الإسلام.

نبذة من بعض فضائله رضي الله عنه:

هو أول من جمع القرآن وتنزه عن شرب الخمر في الجاهلية والإسلام وشهد جميع المشاهد مع رسول الله ﷺ وأسلم على يديه من العشرة خمسة: عثمان،وطلحة والزبير، وسعد، وعبد الرحمن.

وهو أول الناس إسلاما: قاله ابن عباس رضي الله عنه واستدل بقول حسان رضي الله عنه:

إذا تذكرت شجواً من أخي ثقة ... فاذكر أخاك أبا بكر بما فعلا

خير البرية أتقاها وأعدلها ... بعد النبي وأوفاها بما حملا

الثاني التالي المشهور مشهده ... وأول الناس حقا صدق الرسلا

وهو قول محمد بن المنكدر، وربيعة بن عبد الرحمن، وصالح بن كيسان، وسعد بن إبراهيم، وعثمان بن محمد الأخنسي، وهو قول أسماء ابنة أبي بكر، وإبراهيم النخعي

[وجابر وزيد بن أسلم.

وقيل: علي رضي الله عنه أول الناس إسلاما][(١)] وبلال بعده قاله: زيد بن أرقم، وأبي ذر، والمقداد، وجابر، وزيد بن أسلم، وأبو عبد الله الحاكم.

وقيل: أول الناس إسلاما خديجة رضي الله عنها، قاله الزهري وقتادة، وابن إسحاق وروي عن ابن عباس.

وادعى الثعلبي اتفاق العلماء على ذلك، وقال: إنما اختلفوا فيمن أسلم بعدها.

وقيل: أول من أسلم وصلى أبو بكر قاله ابن عباس، وأبو أمامة الباهلي.

وقيل: أولهم إسلاما زيد بن حارثة،وذكر معمر نحو ذلك عن الزهري، وهو قول سليمان بن يسار، وعروة بن الزبير، وعمران بن أنس.

وقيل: أول من أسلم من الرجال أبو بكر، ومن الصبيان: علي ومن الموالي: زيد ومن العبيد: بلال ومن النساء: خديجة، ومن الأنصار جابر بن عبد الله رضي الله عنهم.

روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أن أبا بكر رضي الله عنه لما كان مع النبي ﷺ في الغار [عطش فشكى ذلك إلى رسول الله ﷺ فقال له رسول الله ﷺ: «**اذهب إلى صدر الغار**][(٢)] **فاشرب**» قال أبو بكر: فانطلقت إلى صدر الغار فشربت ماء أحلى من العسل، وأبيض من اللبن، وأزكى رائحة من المسك، ثم عدت إلى رسول الله ﷺ فقال: «**أشربت؟**» فقلت: بلى شربت يا رسول الله، فقال: «**ألا أبشرك؟**» فقلت: بلى فداك أبي وأمي يا رسول الله قال: «**إن الله أمر الملك الموكل بأنهار الجنة أن يخرق نهرًا من الجنة – جنة الفردوس– إلى صدر الغار ليشرب منه أبو بكر**» قال أبو بكر: أولي عند الله هذه المنزلة؟ قال: «**نعم، وأفضل والذي بعثني بالحق نبيا لا يدخل الجنة مبغضك ولو كان له عمل سبعين نبيا**» [(٣)] خرجه الشيخ أبو عبد الله بن النعمان في مصباح الظلام.

وعن أنس رضي الله عنهما قال: لما كانت ليلة الغار قال أبو بكر: يا رسول الله دعني أدخل قبلك، فإن كان فيه حية أو شيء كانت بي قبلك قال: «**ادخل**» فدخل أبو بكر وجعل يتلمس بيده فكلما رأى جحرا قال بثوبه هكذا فشقه فألقمه الحجر، حتى فعل ذلك بثوبه أجمع قال: فبقي جحر فوضع عقبه عليه، ثم دخل رسول الله ﷺ فلما أصبح قال له

---

(١) زيادة من نسخة تركيا.

(٢) زيادة من نسخة تركيا.

(٣) ذكره محب الدين الطبري في الرياض النضرة (٩٥/١) والسيوطي في الدر المنثور (٢٠١/٤) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

النبي ﷺ: «**وأين ثوبك يا أبا بكر**» فأخبره بالذي صنع، فرفع النبي ﷺ يديه وقال: «**اللهم اجعل أبا بكر معي في درجتي يوم القيامة**» فأوحى الله عز وجل إليه: إن الله قد استجاب لك [١].

وروى الزهري بسنده أن رسول الله ﷺ قال لحسان: هل قلت في أبي بكر شيئا؟ فقال: نعم، فقال: قل وأنا أسمع فقال:

وثاني اثنين في الغار المنيف وقد ... طاف العدو به إذ صعد الجبلا

وكان حب رسول الله قد علموا ... من البرية لم يعدل به رجلا

فضحك رسول الله ﷺ حتى بدت نواجذه ثم قال: «**صدقت يا حسان هو كما قلت**»[٢].

ونقل عن الإمام أبي الحسن أحمد بن محمد الزبيري في كتابه معالي الفرش إلى عوالي العرش، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: اجتمع المهاجرون والأنصار عند رسول الله ﷺ فقال أبو بكر: وعيشك يا رسول الله، لم أسجد لصنم قط، فغضب عمر بن الخطاب وقال: يقول ذلك وقد كان في الجاهلية كذا وكذا سنة، فقال أبو بكر: إن أبا قحافة أخذ بيدي وانطلق بي إلى مخدع فيه الأصنام، فقال: إن هذه آلهتك الشم العلا فاسجد لها، وخلاني وذهب، فدنوت من الصنم، وقلت: إني جائع فأطعمني، فلم يجبني، وأنا عار فاكسني، فلم يجبني، فأخذت صخرة، فقلت: إني ملق عليك هذه الصخرة، فإن كنت إلها فامنع نفسك، فلم يجبني فألقيت عليه الصخرة فخر لوجهه وأقبلت إلى أبي، فقال: ما هذا يا بني؟ فقلت: هذا الذي ترى، فانطلق بي إلى أمي فأخبرها، فقالت دعه هذا الذي ناجاني الله عز وجل فيه، فقلت: يا أماه وما الذي ناجاك به؟ فقالت: ليلة أصابني المخاض لم يكن عندي أحد، فسمعت هاتفا يهتف وهو يقول: يا أمة الله -على التحقيق- أبشري بالولد العتيق اسمه في السماء الصديق، لمحمد صاحب ورفيق، فلما انقضى كلامه نزل جبريل على رسول الله ﷺ فقال: «صدق أبو بكر» فصدقه ثلاث مرات .

وقد شبهه ﷺ بميكائيل رأفة ورحمة، وبإبراهيم عفوا ووقارا، وكان عنده يوم أسلم أربعون ألفا أنفقها على رسول الله ﷺ.

وقال عليه الصلاة والسلام: أبو بكر مني وأنا منه،وأبو بكر أخي في الدنيا

---

(١) أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء (١/٢٣)، عن أنس بن مالك ﷺ.

(٢) ذكره ابن سعد في طبقاته (٣/١٧٤)، وابن عبد البر في الاستيعاب (٣/٩٦٤).

والآخرة[١].

وقال عليه الصلاة والسلام: «أبو بكر عتيق في السماء، عتيق في الأرض»[٢].

وقال عليه الصلاة والسلام: «حب أبي بكر وشكره واجب على كل مسلم» [٣].

وقال عليه الصلاة والسلام: «خلق الله الأرواح قبل الأجساد بألفي عام، وأمرت بالطاعة لي، فأول روح آمن بي وصدقني روح أبي بكر، وأول روح آمن بي وسلم علي من النساء عائشة» [٤].

وقال عليه الصلاة والسلام: «رأيت ليلة أسري بي حول العرش مكتوبا آية الكرسي إلى قوله: ﴿ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ﴾ [البقرة: ٢٥٥] محمد رسول الله قبل أن يخلق الشمس والقمر بألفي عام،وأبو بكر على أثره» [٥].

وقال عليه الصلاة والسلام: «قلت لجبريل وهو راكب على فرسه حيزوم: ماذا أقول إذا رجعت إليهم -يعني قريش- قال: يا محمد تخبرهم بما عاينت قلت: يا جبريل إذا يكذبوني، ولا يصدقوني، قال: حدثهم فإن كذبوك، فإن أبا بكر يصدق قولك فإنه مكتوب عند الله صديقا» [٦].

وقال عليه الصلاة والسلام: «كل الناس يحاسبون إلا أبا بكر الصديق»[٧].

وقال عليه الصلاة والسلام: «لكل نبي رفيق، وإن رفيقي في الجنة أبو بكر الصديق» .

وقال عليه الصلاة والسلام: «لو كنت متخذا خليلا من أمتي لاتخذت أبا بكر خليلا ولكن أخي في الدين وصاحبي في الغار وصاحبكم خليل الله» [٨] الخليل : هو الصديق.

---

(١) ذكره الديلمي في الفردوس (٤٣٧/١) والسيوطي في الجامع برقم (٥٦)، وقال المناوي في فيض القدير (٩١/١).

(٢) ذكره الديلمي في الفردوس (٤٣٨/١) .

(٣) ذكره الخطيب في تاريخ بغداد (٤٥٢/٥) .

(٤) ذكره الديلمي في الفردوس (١٨٧/٢) .

(٥) ذكره الديلمي في الفردوس (٢٥٥/٢)، والسيوطي في اللآلي (٢٩٨/١).

(٦) ذكره الديلمي في الفردوس (٢٢٥/٣)، والمتقي الهندي في كنز العمال (٣٢٦١١).

(٧) ذكره الديلمي في الفردوس (٢٢٦٦/٣) وابن الجوزي في العلل (١٨٥/١).

(٨) أخرجه البخاري (٣٦٥٦) عن ابن عباس رضي الله عنهما، ومسلم في صحيحه (٣) (١٨٥٥/٤) عن ابن مسعود رضي الله عنه.

وقال عليه الصلاة والسلام: «**لما كانت الليلة التي ولد فيها أبو بكر رضي الله عنه أقبل ربكم علي جنة عدن فقال: وعزتي وجلالي لا أدخلك إلا من أحب هذا المولود**» [١].

وقال عليه الصلاة والسلام: «**لما أن عرج بي إلى السماء فوقفت بين يدي رب العزة، فقال لي: يا أحمد على من تركت أهل أرضي، فقلت: على أبي بكر الصديق، فقال: إنما هو أحب العباد إلي بعدك فاقرءه مني السلام**» [٢].

وقال عليه الصلاة والسلام: «**لما عرج بي سألت ربي أن يجعل الخليفة من بعدي علي بن أبي طالب ارتجت [السموات وهتف بي]**[٣] **الملائكة، فقالوا: يا محمد إن الله تعالى يفعل ما يشاء الخليفة من بعدك أبو بكر الصديق**» [٤].

وقال عليه الصلاة والسلام: «**إن الله تعالى أمر الملائكة أن تتخلل في السماء كما تخلل أبو بكر بالعبادة في الأرض**».

وقال عليه الصلاة والسلام: «**يا أبا بكر، ألا أبشرك إن الله عز وجل يتجلى لك يوم القيامة خاصة وللناس عامة**» [٥].

وقال عليه الصلاة والسلام: «**يا أبا بكر إن الله أعطاني ثواب من آمن بي منذ خلق الله آدم، وأعطاك ثواب من آمن بي منذ بعثني إلى أن تقوم الساعة**»[٦].

وكان نقش خاتمه رضي الله عنه: نعم القادر الله، وقيل: سجد عبد ذليل لرب جليل[٧].

قلت: وقد اتصل جدي وسيدي أبو محمد عبد الله المرجاني بشعرات من لحية جدي الأكبر أبي بكر الصديق رضي الله عنه وبقطعة من قصعة أنس بن مالك التي أعطاها النبي ﷺ له، منحهما إياه السلطان الشهيد المرحوم سيف الدين الملك المنصور قلاوون الصالحي، وأعرض عليه مالا جزيلا وأغصبه على أخذه، فقال: قبلته، ولكن أودعه لي في بيت مال المسلمين إلى وقت الحاجة إليه، فكتب عليه، وداعة المرجاني وحمل، وأحضرت

---

(١) ذكره الديلمي في الفردوس (٤٢٥/٣) عن ابن عمر رضي الله عنهما.
(٢) ذكره الديلمي في الفردوس (٤٢٩/٣) عن أبي هريرة رضي الله عنه.
(٣) زيادة من نسخة تركيا.
(٤) أخرجه ابن الجوزي في الموضوعات (٣١٦/١).
(٥) أخرجه ابن الجوزي في الموضوعات (٣٠٦/١).
(٦) رواه بجامع المسانيد للخوارزمي (٨٢/٢).
(٧) انظر الطبري تاريخ الرسل (٤٢٧/٣) ابن عبد البر: الاستيعاب: (٩٧٧/٣).

أم السلطان الملك الناصر ولدها محمد، وشكت إليه ضعفه دون أخوته، فقال لها: هذا ولدي وأخبرها بأنه هو المتولي للملك بعد أبيه، فلما مات الملك المنصور، وتولى الملك الناصر محمد المذكور وهرب إلى الكرك ونهبت مصر رجع الملك الناصر إلى مصر ودخلها على غفلة من أهلها، ولم يفتحها إلا بوادعة المرجاني المذكورة.

توفي رحمة الله عشية يوم الجمعة الحادي والعشرين من ربيع الآخر من شهور سنة تسع وتسعين وستمائة بتونس، ودفن يوم السبت بعد صلاة الظهر وقد صلى عليه إمام الجامع الأعظم عبد الملك بن أحمد بن علي القيس عرف بالعزعاز، ودفن بالجبل المعروف بالزلاج قبل تونس.

قيل له يوما وأولاده مجتمعون بين يديه ما هذا إلا عش، فقال: ومن بعد ذا العش عش، ومن بعد العش عش، وإني قد آمنت منهم، بيعت حوائجه بعد موته وهي الثياب، والإبريق، والمسبحة بتسعة عشر ألف مثقال، ووضعت في صندوق ووضعت عند قاضي تونس، فسرقت تلك الليلة، وأرسل إلينا بمكة عمي محمد بن عبد الله المذكور كتابا من تونس صورة ما فيه تقرر عندنا من مسعود خادم الشيخ أنه ذكر عن الوالد رحمه الله قال: لقيت رجلا بمكة شرفها الله تعالى وأظنه قال: أنه جاء من اليمن، فأحسن إليه سيدنا الوالد إحسانا كثيرا، فلما سافر قال مسعود للوالد رحمه: يا سيدي رأيتك عملت مع هذا الرجل عملا ما رأيتك عملته مع أحد، فقال له الوالد رحمه الله: هذا ابن عمتي نلتقي معه في ثالث جد، أو قال في رابع جد وما قمت له بحق، وهو من ذرية عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق رضي الله عنه، ثم قال رحمه الله: وقد اجتمعت بجماعة من الشرفاء، وأن سيدي قال لهم: أنا منكم، فقال بعضهم: يا سيدي كيف أنت منا؟ فقال: والدتي شريفة، وهي من ذرية الحسن بن علي رضي الله عنهما، فجمع والحمد لله بين القرب والقرابة، فإنه جاء عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه في الصديق: هو أقرب قربة إلى رسول الله ﷺ وقال في علي رضي الله عنه: هو أقرب قرابة إلى رسول الله ﷺ، قال: والقربة روح ونفس، والقرابة لحم ودم.

وكذلك اتصل جدي أبو محمد بسكين ضربت من سيف خالد بن الوليد رضي الله عنه، وذلك أن بعض أجدادنا القدماء إما الرابع وإما الخامس شك والدي رحمة الله تعالى كان إمام جامع الزيتونة وجدوا حوضا من حجر في منارة الجامع فيه سيف مكتوب عليه: هذا سيف خالد بن الوليد الذي اشتراه رسول الله ﷺ بستة عشر درهما لخالد بن الوليد، فرفع خبره إلى السلطان في ذلك الوقت، فأمر أن تضرب منه ثلاثة سكاكين، أحدها: أخذها السلطان والثانية: علقت في الجامع، والثالثة: أرسلت لجدنا إمام الجامع، فانتقلت

إلى أن وصلت لسيدي أبو محمد، ثم كانت بعده عند والدي رحمه الله، فسرقت منه، انتهى.

حضر خالد بن الوليد مائة زحف، ومات على فراشه بحمص، ودفن بقرية على ميل من حمص سنة إحدى وعشرين وقيل: اثنتين وعشرين، جملة ما روى اثنا عشر حديثا.

حمص بلدة بالشام أصح بلاد الشام بين دمشق وحماة، وهي من أعمال دمشق ليس بها عقارب ولا حيات، أحجارها سود كلها، وهي صغيرة جدا رأيتها في سنة سبع وخمسين وسبعمائة.

الفصل العاشر
في ذكر وفاة عمر رضي الله عنه

هو الفاروق أبو حفص عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى بن رباح بن عبد الله بن قرط بن رزاح بن عدي بن كعب، القرشي العدوي.

أسلم سنة ست من النبوة أمه حنتمة بنت هاشم بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم.

ولد بعد الفيل بثلاث عشرة سنة، ومولده معروف بمكة من أسفلها على الجبل الذي بين كداء وكدي وهو من المهاجرين الأولين.

خرج يطوف بالسوق بعد حجته فلقيه أبو لؤلؤة فيروز الفارسي: غلام المغيرة بن شعبة، وكان نصرانيا، وقيل: مجوسيا فقال: أعدي علي المغيرة بن شعبة، فإن علي خراجا كثيرا، قال: فكم خراجك؟ قال: درهمان في كل يوم، قال: فأي شيء صناعتك؟ قال: نقاش، نجار، حداد، قال: فما أرى خراجك كثيرا على ما تصنع من الأعمال، ثم قال له: وبلغني أنك قلت: لو أردت أن أعمل رحا تطحن بالريح لفعلت، قال: نعم، قال: فاعمل لي رحا، قال: لئن سلمت لأعملن لك رحا يتحدث بها من بالمشرق والمغرب، ثم انصرف فقال عمر رضي الله عنه: لقد توعدني العلج آنفا، ثم أتى عمر منزله فجاءه كعب الأحبار فقال: يا أمير المؤمنين اعهد فإنك ميت في ثلاثة أيام، فقال: وما يدريك؟ فقال: أجده في كتاب الله التوراة فقال عمر: آلله إنك لتجد عمر بن الخطاب في التوراة؟ قال: اللهم لا، ولكن أجد صفتك وحليتك، وأنه قد فني أجلك، فلما كان من الغد جاءه كعب فقال: يا أمير المؤمنين ذهب يوم وبقي يومان، ثم جاءه بعد ذلك فقال: ذهب يومان وبقي يوم وليلة وهي لك إلى صبيحتها فلما كان الصبح خرج عمر إلى الصلاة، ودخل أبو لؤلؤة في الناس، في يده خنجر له رأسان نصابه في وسطه، فضرب عمر ست ضربات،

إحداهن تحت سرته، وهي التي قتلته وسقط عمر، وظهر العلج لا يمر على أحد يمينا أو شمالا إلا طعنه حتى طعن ثلاثة عشر رجلا مات منهم سبعة وقيل: ستة فطرح عليه رجل من المسلمين برنسا واحتضنه من خلفه، فنحر العلج نفسه، وأخذ عمر بيد عبد الرحمن بن عوف فقدمه فصلى بالناس بـ ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾ و﴿ قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴾ وحمل عمر إلى منزله ودخل عليه المهاجرون والأنصار يسلمون عليه، ودخل في الناس كعب فلما نظر إليه عمر أنشأ يقول:

وأوعدني كعب ثلاثا أعدها ... ولا شك أن القول ما قاله كعب

وما بي حذار الموت إني لميت ... ولكن حذار الذنب يتبعه الذنب

طعن يوم السبت غرة المحرم سنة أربع وعشرين بعد حجته تلك السنة، وقيل: طعنه يوم الاثنين لأربع ليال بقين من ذي الحجة سنة ثلاث وعشرين، وقيل: لثلاث ليال بقين من ذي الحجة، وبقي ثلاثة أيام بعد الطعنة ثم توفي.

واستأذن عائشة ﵂ أن يدفن مع صاحبيه فأذنت له.

وقالوا له: أوصي واستخلف، فقال: ما أجد أحدا أولى ولا أحق بهذا الأمر من هؤلاء النفر الذي توفي رسول الله ﷺ وهو عنهم راض، فسمى عثمان وعليا، والزبير، وطلحة وسعدا، وعبد الرحمن بن عوف، فهم أهل الشورى.

وتوفي وسنه يومئذ ثلاثة وستون سنة، وقيل: ستون، وقيل: إحدى وستون، وقيل: ست وستون، وقيل: خمس وستون، وقيل: خمس وخمسون.

ونزل قبره عثمان، وعلي، وعبد الرحمن بن عوف، والزبير، وسعد بن أبي وقاص، وقيل: صهيب، وابنه عبد الله بن عمر عوضا عن الزبير وسعد.

تولى الخلافة سنة ثلاث عشرة من الهجرة، لثمان بقين من جمادى الآخرة وقيل: بويع له في رجب، وقيل: في ذي الحجة من السنة المذكورة فكانت مدة خلافته عشر سنين وستة أشهر وأربعة أيام.

وهو أول من سمي أمير المؤمنين لا خلاف في ذلك، وأما ما توهمه بعض الجهلة في مسيلمة فخطأ وقيل: أول من تسمى بذلك عبد الله بن جحش حكاه ابن الجوزي.

وصلى عليه صهيب بن سنان الرومي وجاه المنبر.

وصهيب: هو الذي قال فيه ﷺ «**صهيب سابق الروم، وسلمان سابق فارس،**

وبلال سابق الحبشة»[1].

مات صهيب بالمدينة في شوال سنة ثمان وثلاثين أو تسع وثلاثين.

جملة ما روى عمر رضي الله عنه سبعمائة وسبعة وثلاثون حديثا أخرج له منها في الصحيحين، إحدى وثمانون، المتفق عليه منها ثمانية وسبعون، وانفرد البخاري بثمانية ومسلم بخمسة.

وجملة من في الصحابة اسمه عمر ثمانية، كلهم رووا عن رسول الله ﷺ وليس فيهم عمر بن الخطاب سواه.

وجملة من يجيء في الحديث عمر بن الخطاب سبعة: وهو أحدهم، الثاني: كوفي روى عنه خالد الواسطي، الثالث: راسبي روى عنه سويد، الرابع: إسكندراني روى عن ضمام، الخامس: عنبري روى عن أبيه، السادس: بصري روى عن معتمر، السابع: سجستاني روى عن محمد بن يوسف، وقال أبو نعيم: في الصحابة سبعة عشرة عمر.

ولما دفن عمر رضي الله تعالى عنه قالت عاتكة ابنة زيد بن عمرو بن نفيل،امرأة عمر بن الخطاب ترثاه:

وفجعني فيروز لا در دره	بأبيض تال للكتاب منيب
رؤوفًا على الأدنى غليظاً على العدا	أخي ثقة في النائبات مجيب
متى ما يقل لا يكذب القول فعله	سريع إلى الخيرات غير قطوب

وقيل: هذا الشعر ينسب إلى الشماخ بن ضرار وإلى أخيه مزرد بن ضرار وهو في عمر رضي الله تعالى عنه.

عاتكة: امرأته تزوجها عبد الله بن أبي بكر فقتل عنها، ثم عمر فقتل عنها، ثم الزبير فقتل عنها، ثم توفيت سنة إحدى وأربعين.

وأنشد بعضهم:

قتلوه مظلوما لدا محرابه	من غير ما ذنب سوى الأحقاد
ثم استحلوا عقيلة ماله	ونسوا جميلاً بينهم ووداد

ولما دفن رضي الله عنه لزمت عائشة ﵂ ثيابها، الدرع والخمار والإزار وقالت: إنما كان أبي وزوجي، فلما دخل معهما غيرهما لزمت ثيابي، وابتنت حائطا بينها وبين

(١) أخرجه أحمد في فضائل الصحابة (٢/٩٠٩) عن الحسن ﵁، وابن عبد البر في الاستيعاب (٢/ ٧٢٩) وابن الجوزي في صفة الصفوة (١/٤٣٧) عن أنس بن مالك ﵁.

القبور، وبقيت في بقية البيت من جهة الشام [(١)].

ويروى عنها: أنها رأت في المنام أنه سقط في حجرها وروي في حجرتها ثلاثة أقمار، فذكر ذلك لأبي بكر، فقال: خيرا، قال يحيى بن سعيد: فسمعت بعد ذلك أن رسول الله ﷺ لما دفن في بيتها قال أبو بكر: هذا أحد أقمارك يا بنية وهو خيرها[(٢)].

نبذة من بعض فضائله رضي الله عنه:

كان أدم شديد الأدمة طوالا كث اللحية، أصلع.

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: رأيت عمر رضي الله عنه في المنام بعد وفاته، فقلت له: يا أمير المؤمنين من أين أقبلت؟ قال: من حضرة ربي عز وجل، فسألته: ماذا فعل الله بك؟ قال: أوقفني بين يديه، فسألني ثم قال: يا عمر تناديك امرأة على شاطئ الفرات، قد هلك من شياهها شاة تقول: واعمراه واعمراه والمرأة تستغيث بك فلا تجيبها؟ فقلت: وعزتك وجلالك ما علمت بذلك وأنت أعلم مني، فقال لي: وقد كان يجب عليك وإني أرعد من تلك المسألة إلى هذا الوقت قال ابن عباس رضي الله عنهما: ثم ماذا؟ قال: رددت إلى مضطجعي، فهبط علي منكر ونكير فقالا لي: من ربك ومن نبيك؟ فقلت لهما: أما تستحيان مني ولمثلي تقولان هذا وجذبتهما إلي، وقلت: الله ربي وضجيعي نبي، وأنتما من ربكما؟ فقال نكير لمنكر: والله يا أخي ما ندري نحن المبعوثون إلى عمر أم عمر المبعوث إلينا، فرفع رسول الله ﷺ رأسه من لحده فقال لهما: هو عمر بن الخطاب هو أعرف بربه منكما[(٣)].

سمعت والدي رحمه الله يقول: سمعت خليل المالكي إمام المالكية بالحرم الشريف يقول: من استدام على قراءة سورة الملك مرة كل يوم لم ير الملكان.

سمعت والدي رحمه الله يقول: لما توفيت امرأة الشيخ أبو محمد رضي الله عنه، أرسل بقميصه وقال: اجعلوه من جملة أكفانها، ففعلوا فلما دفنت أتى الشيخ رحمه الله الدار وأخرج تمرا ودقيقا وأمرهم بعمل كعك وقال: هذا شكران السلامة قالت امرأة: وما ذاك يا سيدي، قال: لما أتاها الملكان نظر إليها وقال أحدهما للآخر: ارجع بنا فإن عليها قميص المرجاني فرجعا ولم يسألاها فكان والدي رحمه الله يحتفظ على جبة من صوف كانت عنده من لباس والده، وأعطى لنا منها قطعة لكل شخص وقال: إذا أنا مت كفنوني

---

(١) ذكره ابن النجار في الدرة الثمينة (٢/ ٣٩١).

(٢) أخرج هذه الرؤيا ابن سعد في الطبقات (٢/ ٢٩٣)، والبيهقي في دلائل النبوة (٧/ ٢٦٢).

(٣) أورد قول ابن عباس رضي الله عنهما ابن الضياء في تاريخ مكة (ص ٢٣٧).

فيها ففعلت.

وفي أيام عمر بن الخطاب رضي الله عنه كانت وقعة فحل واليرموك وأنطاكية ، وأجلى هرقل إلى القسطنطينية والقادسية والمدائن وجلولاء ونهاوند وإزعاج كسرى من مملكته إلى خراسان واستيلاء المسلمين على ديار غزة، وبنيت في أيامه البصرة والكوفة، والفسطاط.

وقتل رضي الله عنه وعماله على مكة: نافع بن عبد الحارث، وعلى الطائف، سفيان بن عبد الله، وعلى الكوفة: المغيرة بن شعبة، وعلى البصرة أبو موسى الأشعري، وعلى مصر: عمرو بن العاص، وهو الذي بنى الفسطاط.

ومن العجائب: أب وابن تقارب ما بينهما في السن: عمرو بن العاص، كان بينه وبين ابنه عبد الله ثلاثة عشرة سنة، وأخوان تباعد ما بينهما في السن: موسى بن عبيد الله الذي يروي عنه الحكايات، وأخوه محمد بن عبيد الله [فإن عبد الله أسن من موسى](1) بثمانين سنة ولا يذكر مثلهما.

وافتتحت مصر سنة عشرين، والإسكندرية سنة إحدى وعشرين وأرض مصر محدودة مسيرة أربعين ليلة في مثلها وطولها من الشجرتين اللتين بين رفح والعريش إلى أسوان وعرضها من برقة إلى أيلة.

وكان اسم مصر فيما تقدم مقدونية وكان خراجها في أيام فرعون ستة وتسعون ألف ألف دينار، وجبى مصر عبد الله بن الخشاب في أيام بني أمية ألفي ألف وسبعمائة ألف [وثلاثة وعشرون ألفا وثمانمائة وسبع وثلاثون دينارا، وحمل منها موسى بن عيسى في زمان بني العباس ألفي ألف ومائة ألف](2) وثمانون ألف دينار.

ومصر هي أرض القيراط أجمع الشارحون على ذلك.

حكى الشيخ شهاب الدين فضل الله عن الطحاوي في مشكل الآثار أن الإشارة وقعت إلى كلمة عوراء يستعملها المصريون فقط في المسابة فيقولون أعطيت فلانا قراريط أي أسمعته المكروه.

وكورة مصر كثيرة منها: أسوان، وأخميم، والإسكندرية والقلزم والطور، وأيلة.

وكان في زمانه على حمص: عمير بن سعد، وعلى دمشق: معاوية وعلى صنعاء يعلى بن منبه: وعلى الجند عبد الله بن أبي ربيعة، وعلى البحرين: عثمان بن أبي العاص.

---

(١) الإضافة هنا للضرورة.

(٢) سقط من الأصل والإضافة من نسخة تركيا.

والبحرين: من ناحية نجد وليست من الحجاز، وبحرها اللآلئ ومخاليفها : الخط والقطيف، والأردة، وهجر وقردق ، وبينونة وزارة وجواثا، وسابور، ودارين وغابة.

وبنى البصرة في زمانه عتبة بن غزوان، قيل: عدت أنهار البصرة أيام بلال بن أبي بردة فزادت على مائة ألف نهر وعشرين ألف نهر تجري فيها الزواريق، وبها نخل متصل إلى عبادان نيف وخمسين فرسخا في أرض لا جبال بها، وبها نهر يعرف بنهر الأبلة [طوله أربع فراسخ بين البصرة والأبلة، والأبلة][(١)] مدينة إلى جنب البصرة، وهي من كورة دجلة يقال لها: كورة ديمسميسان.

وكتابه رضي الله عنه: زيد بن ثابت، وعبد الله بن أرقم، وحاجبه: يرفأ مولاه ومؤذنه: سعد القرظ.

وهو أول من اتخذ الدرة وأول من تولى خطة القضاء.

وأنجز الله في خلافته عظيم ما وعد الله به رسوله ﷺ من الفتوح، لأنه ﷺ أخبر ببلوغ ملك أمته ما زوي له منها، وبلغ ملكهم من أول المشرق إلى بلاد السند، والترك، إلى آخر بلاد الغرب من سواحل البحر المحيط بالأندلس، وبلاد البربر[(٢)]، ولم يتسعوا في الجنوب والشمال كل الاتساع.

وقال القاضي عياض: زويت له عليه الصلاة والسلام الأرض، فرأى مشارقها ومغاربها وسيبلغ ملك أمته ما زوي له منها، فكذلك كأنه امتدت به المشارق والمغارب، وما بين أرض الهند أقصى المشرق إلى بحر طنجة، حيث لا عمارة وراءه وذلك ما لم تملكه أمة من الأمم، ولم يمتد في الجنوب، ولا في الشمال مثل ذلك.

وفي زبور داود عليه السلام أن نبينا عليه الصلاة والسلام يجوز من البحر إلى البحر، ومن لدن الأنهار إلى منقطع الأرض.

وقد روي عن العباس بن الوليد معنعنة عن ثوبان قال له رسول الله ﷺ **«زويت الأرض لي مشارقها إلى مغاربها: وأعطيت الكبريت الأحمر والأبيض»**[(٣)] إلى آخر الحديث، وهذا معناه: أنه أعطي علم الصنعة، عمل إكسير الحمرة والبياض، وأعطي أيضا من القوة ما أن يلقيه على الحجارة فتصير ذهبا، وهو معنى قوله: **«أجعل لك جبال مكة ذهبا تسير معك حيث ما سرت»**.

---

(١) سقط من الأصل والإضافة من نسخة تركيا.

(٢) أخرجه الترمذي (٤٣١/٤)، وأحمد (٢٣٣/٢).

(٣) أخرجه مسلم (٢٨٨٩)، والترمذي (٢١٧٦)، وأبو داود (٤٢٥٢)، وأحمد في المسند (٢٧٨/٥، ٢٨٤).

وكان ﷺ قد فتح في حياته الحجاز واليمن وجميع جزيرة العرب، وما دانى ذلك من الشام والعراق.

ويروى أن النيل امتسك في زمانه رضي الله عنه فسألوا القبط عن ذلك، فقالوا: كنا إذا وقف مداده عمدنا إلى جارية من بنات ملوكنا، فألقيناها في عرضه فيمد، وما لم نفعل فلا يمد، فكتب بذلك إلى عمر رضي الله عنه فكتب كتابا فيه: بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى نيل مصر سلام عليك، فإني أحمد الله إليك، الذي لا إله إلا هو، أما بعد: فإن كنت تجري بحولك وقوتك فلا حاجة لنا بك، وإن كنت تجري بحول الله وقوته فجر على بركة الله والسلام، وكتب إلى عمرو بن العاص، وهو أمير مصر يومئذ يأمره أن يلقي كتابه في عرض النيل، ففعل فمد النيل.

ومخرج النيل من جبل القمر، وسمي جبل القمر لبياضه، لأنه لا يزول الثلج عليه، ولكثرة النداوة أيضا، لأن النداوة من تأثير القمر، فإذا خرج من جبل القمر صب في بحيرتي خلف خط الاستواء، ويطيف بأرض النوبة ويجيء إلى مصر، فيصب بعضه بدمياط في البحر الرومي.

قال صاحب صور الأقاليم: لا يعلم ابتداء ماء النيل، لأنه يخرج من مغارة من وراء أرض الزنج لا تسلك، ويقال: إنه من الفرات.

وقيل: الفرات والنيل نهران يخرجان من تحت سدرة المنتهى، وسدرة المنتهى شجرة على حد السماء السابعة، وعروقها وأغصانها تحت الكرسي، لها كل ورقة تغطي الدنيا، ونبقها مثل قلال هجر، يخرج من أصلها نهران ظاهران، ونهران باطنان، الباطنان في الجنة، والظاهران النيل والفرات[1].

وفي الحديث: سدرة المنتهى صبر الجنة، والصبر أعلى الشيء وفيه لغة: بصر الجنة من المقلوب كالجذب والجبذ، والصاعقة والصاقعة، وما أطيبه وأيطبه، وربض ورضب، وانبض في القوس وانضب، ولعمري ولرعمي، واضمحل وامضحل، وعميق ومعيق، وسبسب وبسبس، وملكت الشيء ومكلته إذا أخطأته وأسير مكبل ومكلب، وسحاب مكفهر ومكرهف، وناقة ضمرز وضرزم إذا كانت مسنة، وطريق طامس وطاسم، وقفا الأثر وقاف الأثر، وتاعها البعير والناقة وتعاها بلغة اليمن أي جاءه وقوس عطل [وعلط لا

(١) أخرجه البخاري (٣٢٠٧، ٣٣٩٣، ٣٤٣٠، ٣٨٨٧)، ومسلم (١٦٤) حديث الإسراء والمعراج وسدرة المنتهى كلاهما عن قتادة عن أنس عن مالك بن صعصعة ﷺ.

وتر عليها، وجارية فتين وفنيت قليلة الدر، وشرخ الشباب وشخره أوله ولحم خنز][1]، وحزن وحنز، وتنح عن لقم الطريق ولمق الطريق، وجرجمة وجمجرة وهو الشديد، ونفحته بيدي ونحفته إذا ضربته، وهجهجت بالفرس وجهجهت، وبطيخ وطبيخ، وماء سلسال ولسلاس وملسلس ومسلسل إذا كان صافيا، ودقم فاه بالحجر ودمقه،وفثأت القدر وثفأتها إذا سكنت غليانها وكبكبت الشيء وبكبكته [إذا طرحت بعضه على بعض][2]، وثكم الطريق وكثمه وجهه، وجارية قبعة وبقعة وهي التي تظهر وجهها ثم تخفيه، وكعبرته بالسيف وبعكرته إذا ضربته، ولفت الشيء وفلته، حكاه ابن الجوزي.

وتبتدئ الزيادة في نيل مصر في السابع والعشرين من أيار، وفيه تغور جميع الأنهار إلا النيل، وفي إحدى وعشرين من تشرين الأول يفرغ النيل.

وأما سيحون فإنه بالهند وجيحون نهر ببلخ ويخرج جيحون من بلاد التبت حتى يمر ببلخ والتبت بضم التاء الأولى والباء الموحدة المضمومة أيضا وآخرها كأولها، ثم يمر بالترمذ وخوارزم حتى يصب إلى بحر جرجان.

وسيحان قال الشارحون نهر بالشام، وكذلك جيحان الأول من السيح والثاني من جحن والنون فيه أصلية وسيحان نهر بالبصرة.

وفي الحديث عنه ﷺ قال: «**أربعة أنهار في الأرض من الجنة الفرات، والنيل ، وسيحون،وجيحون**».

وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه، عنه ﷺ مثله وقال: سيحان وجيحان الفرات، والنيل [3].

وعن كعب قال: أربعة أنهار من الجنة وضعها الله في الأرض سيحان، وجيحان والفرات، والنيل، سيحان نهر الماء في الجنة، وجيحان نهر اللبن في الجنة، والنيل نهر العسل في الجنة، والفرات نهر الخمر في الجنة[4]، وقال ابن لهيعة: الدجلة نهر اللبن في الجنة.

وكان نقش خاتمه رضي الله عنه: كفى بالموت واعظا يا عمر.

ومتى هاج الريح وذكر اسمه رضي الله عنه برد الريح.

وسمعت من بعض حكماء الهند قالوا: إذا كتبت اسمه رضي الله عنه على فخذك لم تحتلم، قال: ولي سنتين لم أغتسل منها.

---

(١) سقط من الأصل، والإضافة من نسخة تركيا.

(٢) سقط من الأصل، والإضافة من نسخة تركيا.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه (١٦) (٢١٨٣/٤)، وأحمد (٢٨٩/٢) عن أبي هريرة ﷺ.

(٤) أخرجه الخطيب في تاريخ بغداد (٥٥/١) عن كعب ﷺ.

وسمعت من الأستاذ الكبير ابن سيد الناس النويري يقول من قرأ كل ليلة قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُواْ﴾ [الأعراف: ٢٠١] إلى هذا الحد لم يحتلم، قال: ولي خمس عشرة سنة لم أغتسل من الاحتلام، أو قال: خمس وعشرون سنة شكيت في ذلك وهذا من خصائصه رضي الله عنه كما روى يعقوب بن أحمد قال: سمعت عبد الرحمن بن محمد مولى بني أمية يقول: زاد نيل مصر حتى خشي الناس الغرق، قال: فوقفت عليه، وقلت: بحرمة عمر بن الخطاب عليك إلا سكنت فسكن.

عن أبي هريرة وعقبة بن عامر أن النبي ﷺ قال: **«لو كان بعدي نبي لكان عمر بن الخطاب»**[(١)].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: **«قد كان في الأمم قبلكم محدثون، فإن يكن في هذه الأمة أحد فعمر بن الخطاب»** [(٢)].

وقال عليه الصلاة والسلام: **«اتقوا غضب عمر فإن الله تعالى يغضب إذا غضب عمر»** [(٣)].

وقال عليه الصلاة والسلام: **«حب عمر براءة من النار»** [(٤)].

وقال عليه الصلاة والسلام: **«ضرب الله الحق على لسان عمر وقلبه»** [(٥)].

وقال عليه الصلاة والسلام: **«قال لي جبريل: اقرأ عمر السلام وأعلمه أن رضاه حكم وأن سخطه عذاب»** [(٦)].

وقال عليه الصلاة والسلام: **«قال لي جبريل: ليبك الإسلام [من بعد موتك]**[(٧)] **على موت عمر»** [(٨)].

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٦٨٦)، وأحمد في فضائل الصحابة (١/٣٥٦)، والحاكم في المستدرك (٣/٨٥) عن أبي هريرة وعقبة بن عامر رضي الله عنهما.

(٢) أخرجه الترمذي (٣٦٩٣)، والحاكم في المستدرك (٣/٨٦) ابن عبد البر في الاستيعاب (٣/ ١١٤٧).

(٣) أخرجه الخطيب في تاريخ بغداد (٥/٤٣٠) عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

(٤) ذكره الألباني في ضعيف الجامع برقم (٢٦٧٩).

(٥) أخرجه أحمد في فضائل الصحابة (١/٣٥٨) ، الترمذي (٣٦٨٢) ، وذكره ابن عبد البر في الاستيعاب (٣/١١٤٧).

(٦) ذكره السيوطي في تاريخ الخلفاء (١١٨).

(٧) زيادة في الحديث عن المخطوط.

(٨) أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء (٢/١٧٥) عن أبي بن كعب رضي الله عنه.

وقال عليه الصلاة والسلام: «من أحب عمر فقد أحبني ومن أبغض عمر فقد أبغضني» [١].

وقال عليه الصلاة والسلام: «الشيطان لم يلق عمر منذ أسلم إلا خر لوجهه» [٢].

وقال عليه الصلاة والسلام: «أول من يعطى كتابه بيمينه من هذه الأمة عمر بن الخطاب وله شعاع كشعاع الشمس» [٣].

وقال عليه الصلاة والسلام: «بينا أنا نائم والناس يعرضون علي وعليهم قمص، فمنها ما يبلغ الثديين ومنها ما يبلغ دون ذلك، وعرض علي عمر وعليه قميص يجره، قالوا: فما أولت ذلك يا رسول الله» قال: «الدين» [٤].

وقال عليه الصلاة والسلام: «نزل علي جبريل يوم أسلم عمر فأخبرني أن الملائكة استبشرت بإسلام عمر» [٥].

وقال ابن مسعود: ما زلنا أعزة منذ أسلم عمر [٦].

وأسلم عمر رضي الله عنه بعد أربعين رجلا وأحد عشر امرأة [٧].

الفصل الحادي عشر

ما جاء في أن النبي ﷺ وأبو بكر، وعمر ﷺ وعيسى عليه السلام، خلقوا من طينة واحدة وأن كل مخلوق يدفن في تربته التي خلق منها

عن أنيس بن أبي يحيى قال: لقي رسول الله ﷺ جنازة في بعض سكك المدينة، فسأل عنها، فقالوا: فلان الحبشي، فقال رسول الله ﷺ: «سيق من أرضه وسمائه إلى التربة التي خلق منها» [٨].

سكك المدينة، يعني أزقتها، سميت بذلك لاصطفاف الدور فيها كطريق النخل

---

(١) أخرجه ابن عدي في الكامل (١/١٩١) عن أبي سعيد الخدري ﷺ.

(٢) أخرجه الطبراني في الكبير (٢٤/٣٠٥) والهيثمي في مجمع الزوائد (٩/٧٠).

(٣) أخرجه الخطيب في تاريخ بغداد (١١/٢٠٢) ، وابن الجوزي في الموضوعات (١/٣٢٠) عن زيد بن ثابت ﷺ.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه (١/١٢) ومسلم في صحيحه (١٥) (٤/١٨٥٩)، وأحمد في المسند (٣/٨٦) عن أبي سعيد الخدري ﷺ.

(٥) أخرجه ابن سعد في طبقاته (٣/٢٦٩) وذكره ابن الجوزي في المنتظم (٤/١٣٤).

(٦) ذكره السيوطي في تاريخ الخلفاء ص (١١٤).

(٧) أورده ابن سعد في الطبقات (٣/٢٦٩)، وابن عبد البر في الاستيعاب (٣/١١٤٥).

(٨) أخرجه الحاكم في المستدرك (١/٣٦٧) عن أبي سعيد ﷺ، وأحمد في فضائل الصحابة (١/٣٦٠) ابن النجار في الدرة الثمينة (٢/٣٩١).

المأبورة التي قد لقحت، وفي الحديث: سكة مأبورة هي الطريق المستوية المصطفة من النخل.

قال الحافظ محب الدين بن النجار: فعلى هذا طينة النبي ﷺ التي خلق منها من المدينة وطينة أبي بكر وعمر رضي الله عنهما من طينة النبي ﷺ وهذه منزلة رفيعة.

قلت: في قوله تعالى: ﴿ مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ ﴾ [طه: ٥٥] إشارة إلى رد الإنسان إلى طينة المبدأ، التي منها النشأة الأولى، فالإنسان يدفن في مكان أخذ تربته على حد الموازنة، فلا يقال لأهل البقيع: إنهم من تربة النبي ﷺ وإنما لهم شركة في الأرض المأخوذ منها: دليله ما روي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ **«ما من مولود إلا وفي سرته من تربته التي خلق منها، فإذا رد إلى أرذل العمر رد إلى تربته التي خلق منها حتى يدفن فيها وإني وأبا بكر وعمر خلقنا من تربة واحدة، وفيها ندفن»** الدليل ما روي عنه ﷺ أنه قال: **«ما من مولود يولد إلا وقد ذر عليه من تراب حفرته»** [1] قلت: هذا الحديث أتى على حد الموازنة، ومن دفن منه جزء بأرض ودفن بأرض أخرى يمكن أن يقال: خلق من تربتين من أرضين،وقيل: لا يمكن وليست تربته إلا ما حازت عجب الذنب منه، لأنها فيما يظهر لي أنها تربة حفرته: دليله بقاؤها ومنها ينبت في النشأة الثانية.

ولم يسمع بمثل ما جرى لعميد الملك الكندري أبو نصر محمد بن منصور استوزره السلطان طغرل بك السلجوقي، وهو أول وزير للدولة السلجوقية وكان من أصحاب إمام الحرمين، قتله ألب أرسلان في سنة ست وخمسين وأربعمائة، وأريق دمه بمرو الروذ ودفن جسده بقرية كندر، وجمجمته بنيسابور، ومذاكيره بخوارزم وحشيت سوقه بالتبن ونقلت إلى كرمان.

ألب أرسلان عضد الدولة محمد بن شجاع بن ميكائيل بن سلجوق الملك، بلغ عسكره مائتي ألف فارس، وبلغ ملكه حلب من أقاصي المشرق، توفي سنة خمس وستين وأربعمائة، وتولى الملك بعده ولده تاج الدولة تتش. وقتل سنة ثمان وثمانين وأربعمائة وتولى الملك آخر الدولة السلجوقية سنجر بن ملكشاه بن ألب أرسلان، وهب في مجلس لهو سبعمائة ألف دينار. واجتمع عنده من الجوهر ألف رطل وثلاثون رطلا، توفي سنة اثنتين وخمسين وخمسمائة، وبموته انقرضت دولة بني سلجوق، وأول ملوكهم طغرل بك.

---

(١) أخرجه السيوطي في اللآلئ (١/٣١٠) عن ابن مسعود رضي الله عنه، والمتقي في كنز العمال (٣٢٦٧٣)، وابن الضياء في تاريخ مكة (٢٣٨).

ومن قبلهم انقرض ملك السامانية، وكان لمحمود بن سبكتكين الملك، وهو الذي عقد الجسر على جيحون، وأنفق في ذلك ألفي ألف دينار، ولم يحظ بطائل فأغرم وزيره خمسين ألف ألف دينار، وهو الذي كان أشار عليه بذلك، قبض على ملك السامانية وأقام الخطبة للقادر بالله، وبلغ محمود إلى قلعة لملك الهند، فجاءه رسول الملك يحمل على نعش، فصالحه على خمسمائة فيل، وثلاثة آلاف ومائة منا فقرة، فبعث محمود إلى ملكهم قباء وعمامة وسيفا، ومنطقة وفرسا، وخفا وخاتما، وأمره أن يقطع إصبعه وهي علامة الوثيقة بينهم ، فلبس الملك الخلعة، وقطع الإصبع الصغرى.

وفتح محمود قلعة نهام وبيت أصنامهم وكانت ذهبا قيمتها تزيد على عشرين ألف ألف دينار.

مات محمود سنة [إحدى وعشرين وأربعمائة وانقرض ملك السامانية في سنة][1] تسع وثمانين وثلاثمائة، وكان ملكهم مائة سنة وسنتين وآخر ملوكهم الحارث بن منصور بن نوح بن منصور بن نوح وأبوه الساماني نوح بن منصور الملك ثم قبض على الحارث وأجلس عبد الملك أخوه، فقصدهم محمود المذكور انتهى.

قال سيدنا عبد الله بن أبي جمرة، إن الملك إذا جاء لتصوير المولود في بطن أمه، نصب له سبعون من جدوده على ما رواه أبو داود، ثم يلقي الله سبحانه شبهه على من يشأ منهم، ويكون الجنين في البطن معتمدا بوجهه على رجليه وبراحتيه على رأسه، وأنفه بين ركبتيه، وعيناه على ركبتيه، وظهره إلى وجه أمه، وبعد أربعين يوما من حمله يؤتى بتراب تربته ويعجن به وينفخ فيه الروح بعد مائة وعشرين يوما، ويتنفس بنفس أمه، وعند ولادته يقدم رأسه، وقد يقدم الرجلان في كثير من الناس، وتلد المرأة من واحد إلى عشرة، وخلق الله في كل شخص ثلاثمائة وستين عظما، وقيل: مائتنان وأربعون سوى السمسانية، وعروق القبض والبسط ثلاثمائة وستون، والعين سبع طبقات وأربع وعشرون عضلة، والعضال خمسمائة وتسع وعشرون.

وعنه ﷺ قال: «**ماء الرجل أبيض، وماء المرأة أصفر فإذا اجتمعا فعلا مني الرجل مني المرأة [جاء][2] ذكرا بإذن الله تعالى وإذا علا مني المرأة مني الرجل [جاء][3] انثى بإذن الله تعالى**»[4].

---

(١) زيادة من نسخة تركيا. (٢) زيادة من نسخة تركيا.

(٣) زيادة من نسخة تركيا.

(٤) أخرجه البخاري (٣٢٣/٤) عن أنس ﷺ، ومسلم (٣٤) (٢٥٢/١) عن ثوبان ﷺ.

قال أهل السير: وفي بيت عائشة ﵂، موضع قبر في السهوة الشرقية، قال سعيد بن المسيب: فيه يدفن عيسى ابن مريم عليه السلام مع النبي.

وعن محمد بن يوسف بن عبد الله بن سلام، عن أبيه، عن جده، قال: يدفن عيسى ابن مريم عليه السلام مع النبي ﷺ وصاحبيه ﵄ ويكون قبره الرابع، فعلى هذا فطينته من طينتهم [(١)].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«إذا أهبط الله تعالى المسيح، فيعيش في هذه الأمة ما يعيش فيموت بمدينتي هذه ويدفن إلى جانب قبر عمر، فطوبى لأبي بكر وعمر يحشران بين نبيين، فانظر إلى هذا الفضل العظيم»** [(٢)].

وفي ذلك قلت:

بدا فضل أصحاب الرسول المؤيد ... بما نالهم من كل خير مؤبد

أبا بكر الهادي إلى الدين والهدى ... أبا حفص مهدي الخلق للدين مرشد

كريمين حازا من علا المجد رفعة ... كلاهم إماما في علا المجد مفرد

سطوا بسيوف النصر أفنو بحدها ... سحاب بدا ساط من الكفر أسود

أنيلوا بفضل الله ما لم يناله [(٣)] ... سواهم لهم فضلا نبا عنه تعدد

لهم رفعة في الدين تسموا تجليا ... تزيد لهم في كل يوم تجدد

ويوم يقوم الناس للرب يحشروا ... إلى بعثهم من بين عيسى وأحمد

فناهيك هذا الفضل كن مترضيا ... عليهم متى ما عشت دائم تسعد

وقلت أيضا:

تأمل ضجيعي سيد الخلق أحمد ... محمد الهادي الشفيع المطهر

أبو بكر المهدي إلى دين أحمد ... ومن بعده الفاروق للدين يعمر

حووا كل فخر معه كل فضيلة ... وليس لها حد فتقوا وتحصر

---

(١) أخرج الترمذي (٣٦١٧) هذا الرواية، وقال: هذا حديث حسن غريب، وذكرها المزي في تهذيب الكمال (١٩/٣٩٤).

(٢) ذكره ابن الضياء في تاريخ مكة ص (٢٣٩) عن أبي هريرة ﵁.

(٣) في المخطوط يناله وهو خطأ نحوي والصواب ما أثبتناه.

ومعهـم خير الخلـق أكـرم رسله ومعهـم عيـسى آخـر الدهـر يقبر
فطـوبى لمـا حـازوه ثم لمـا حووا وطـوبى لهـم بـين النبـيين يحـشر
فمـن ذا الـذي ينكـر فضائلهم عمى إذا مـا هـم يـوما مـن الدهر يذكر
لقـد صـار لا دنـيا ولا دين خاسرا ومـن فاتـه الفـردوس فالـنار تسعر
ولـيس لعـبد في رجـاه توسـلا سـوى حـبهم فاحـبب كلاهم يحبر
وإني عـبد الله ممـن ذنـوبه تـزيد علـى مـر الـزمان وتكـبر
ولكـن حـبي في الجمـيع وسـيلتي وفي جـنب حـبي أرجـو ذنـبي يغفر
وحـسن ظـنوني في إلهـي جمـيلة وهـيهات بـين الحـب والظن أخسر

عيسى عليه السلام ابن مريم، ومريم بلغتهم العابدة، ومريم بنت حنة امرأة عمران.

وعمران هو ابن ماثان، وليس بعمران أبي موسى، وبينهما ألف وثمانمائة سنة، وعمران في نسبه يصل إلى سليمان بن داود.

نفخ جبريل عليه السلام في درع مريم بعد أن وضعته، فلما لبسته حملت.

وكان مقدار حملها تسعة أشهر، وقيل: ثمانية، وقيل: ستة ، وقيل: ثلاث ساعات، وقيل: ساعة.

وعمرها إذ ذاك عشر سنين، وقيل: ثلاث [١] عشرة، وقيل خمس [٢] عشرة، ولما ولد خرت الأصنام وولد ببيت لحم من أرض أورشليم لمضي [خمس وستين سنة من غلبة الإسكندر على أرض بابل، ولإحدى وخمسين سنة مضت من ملك الأشكانيين ولمضي اثنين وأربعين سنة من ملك أغوسطوس، وتكلم في المهد وهو ابن][٣] أربعين يوما، ولم يتكلم بعدها إلى أن بلغ مبلغ من يتكلم.

وجميع من تكلم في المهد ثلاثة عشر: شاهد يوسف عليه السلام، وابن ماشطة بنت فرعون، وعيسى عليه السلام، ويحيى عليه السلام، وشاهد جرجيس عليه السلام، وصاحب جريج الراهب، وصاحب الأخدود، وإسماعيل عليه السلام حكاه وهب قال لها: اسقني الماء، ونوح عليه السلام ولدته أمه في غار خوفا من ملكهم فلما أرادت أن

---

(١) في المخطوط (ثلاثة) وهو خطأ نحوي، والصواب ما أثبتناه.
(٢) في المخطوط (خمسة) وهو خطأ نحوي، والصواب ما أثبتناه.
(٣) زيادة من نسخة تركيا.

تنصرف فقالت: وانوحاه فقال: لا تخافي علي يا أمي فإن الذي خلقني يحفظني، وكان اسم ملكهم درميل، وتولى بعده ابنه تلومين وتولى بعد تلومين ابنه طغردوس، وبنت النمرود وذلك أن إبراهيم لما حاجه التفت إلى بنت نمرود وكانت ترضع فجعلت تقول للنمرود: ما تنتظر وهذا نبي الله فاتبعه وأنا أشهد به أن لا إله إلا الله قال: فأمر بها فقطعت قطعا [١].

وعن [معرض عن أبيه عن جده قال:][٢] رأيت من النبي ﷺ عجبا جيء بصبي يوم ولد فقال له رسول الله ﷺ: «**يا غلام من أنا**» فقال: أنت رسول الله ﷺ وهو حديث مبارك اليمامة [ويعرف بحديث شاصونة اسم راويه وفيه فقال له النبي ﷺ: «**صدقت بارك الله فيك**» ثم أن الغلام لم يتكلم بعدها حتى شب، فكان يسمى مبارك اليمامة][٣] وكانت هذه القصة في مكة في حجة الوداع [٤].

وعنه ﷺ أن امرأة كانت ترضع ابنا لها من بني إسرائيل، فمر بها رجل راكب ذو شارة فقالت: اللهم اجعل ابني مثله، فترك ثديها وأقبل على الراكب وقال:اللهم لا تجعلني مثله، ثم أقبل على ثديها يمصه، قال أبو هريرة رضي الله عنه: كأني أنظر إلى النبي ﷺ يمص أصبعه ثم مر بأمة يضربونها ويقولون لها: زنيت سرقت، وهي تقول: حسبي الله ونعم الوكيل، فقالت: اللهم لا تجعل ابني مثل هذه، فترك ثديها وقال: اللهم اجعلني مثلها، فقالت لم ذلك؟ فقال: الراكب جبار من الجبابرة، وهذه الأمة يقولون سرقت زنت ولم تفعل [٥].

وبعد اثنتي عشرة سنة من مولد عيسى مات هيرودس الملك، وأوحى الله تعالى إلى عيسى على رأس ثلاثين سنة، ورفعه من بيت المقدس ليلة القدر من رمضان وعمره ثلاثة وثلاثون سنة، وذلك قبل قتل يحيى بثلاث سنين.

وقتل يحيى وهو ابن ثلاثين سنة، وكان أكبر من عيسى عليهما الصلاة والسلام حكاه مكي وهو أول من آمن بعيسى أمه أشياع بنت حنة امرأة عمران.

وجميع ما في القرآن من امرأة منسوبة إلى بعلها فهي بالتاء المجرورة في مرسوم الخط،

---

(١) انظر القرطبي الجامع (٩١/٤) ابن كثير البداية (٤٦/٢) بهجة المحافل: (٢٢٧/٢).

(٢) زيادة للضرورة

(٣) زيادة من النسخة التركية.

(٤) ذكره القاضي عياض في الشفا (٢١١/١) البيهقي في الدلائل (٥٩/٦) ابن كثير في البداية (٦/ ١٥٩).

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه (٣٤٣٦)، وأحمد (٣٠٧/٢) عن أبي هريرة ﷺ.

وما لم تنسب فهي بالهاء كامرأة مؤمنة.

والمرأة في القرآن على اثني عشر وجها حنه: ﴿ إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ ﴾ [آل عمران: ٣٥] وخولة ﴿ وَإِنِ ٱمْرَأَةٌ خَافَتْ ﴾ [النساء: ١٢٨] وسارة ﴿ وَٱمْرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٌ ﴾ [هود: ٧١] وزليخا: ﴿ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ ﴾ [يوسف: ٥١] وصافورا وعابورا بنتا شعيب: ﴿ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ ﴾ [سورة القصص: ٢٣] وبلقيس ﴿ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ ﴾ [النمل: ٢٣] وأم شريك ﴿ وَٱمْرَأَةً مُّؤْمِنَةً ﴾ [الأحزاب: ٥٠] والهة امرأة نوح والعة امرأة لوط ﴿ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَٰلِحَيْنِ ﴾ [التحريم: ١٠] وآسية، ﴿ ٱمْرَأَتُ فِرْعَوْنَ ﴾ [القصص: ٩] وأم جميل أخت أبي سفيان ﴿ وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ﴾ [المسد: ٤].

ومولد يحيى في الرابع والعشرين من حزيران، وهو أطول يوم في السنة. وكان يوم قتل زكريا ابن ثلاثة أشهر، وهو زكريا بن برخيا، وقيل: مات ولم يقتل.

وفي زكريا ثلاث لغات: المد والقصر، وأهل نجد يقولون: زكري فيقولون الألف كان السبب في ندائه.

وقيل: هو ابن أدي من سبط يهوذا بن يعقوب بن إسحاق، وقيل يعقوب هذا ليس بيعقوب بن إسحاق، بل يعقوب بن ماثان، وقيل: من نسل سليمان.

ومن عهد أرميا وتخريب بيت المقدس إلى مولد يحيى عليه السلام أربعمائة سنة وإحدى وستون سنة، وذلك أنهم يعدون من لدن تخريب بختنصر بيت المقدس إلى حين عمرانه في عهد كيرش بن أخشويرش أصبهبذ بابل من قبل بهمن بن أسفنديار بن بشتاسب سبعين سنة، ثم من بعد عمرانه إلى ظهور الإسكندر على بيت المقدس ثمانية وثمانين سنة، ثم من بعد مملكة الإسكندر إلى مولد يحيى ثلاثمائة سنة وثلاث سنين. وآخر من بعث فيهم زكريا ويحيى، فقتلوا زكريا، فبعث الله عليهم ملك بابل، وكان يقال له: خردوس، فذبح منهم سبعة آلاف وسبعمائة وسبعين من رؤسائهم، وسبيهم وأزواجهم فما سكن دم يحيى.

عن كعب قال: يبعث الله عيسى عليه السلام على الأعور الدجال، فيقتله ثم يعيش بعد ذلك أربعا وعشرين سنة.

فائدة:

وقع الخلاف بين العلماء في نبوة مريم على قولين، لقوله تعالى: ﴿ فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا ﴾ [مريم: ١٧]. والجمهور على أن مريم ولقمان ليسا بنبيين، وقد نقل إمام الحرمين من إجماع العلماء على أن مريم ليست نبية، وقد شذ من قال: نبيان ولا

التفات إليه ولا تعريج عليه.

وذكر القرطبي: أن في التوراة والإنجيل عيسى ابن مريم عبد الله ورسوله، وأنه يمر بالروحاء حاجا أو معتمرا أو يجمع الله له ذلك، فيجعل الله تعالى حواريه أصحاب الكهف والرقيم فيمرون حجاجا، فإنهم لم يحجوا ولم يموتوا، وكذلك فتى موسى عليه السلام يوشع بن نون، وهو ابن أخت موسى، وقيل: إنهم ماتوا، وقيل: إنهم يموتون قبيل الساعة، وقيل: إنه عليه السلام يحج في سبعين ألفا منهم أصحاب الكهف.

وحواري عيسى عليه السلام: شمعون الصفا وشمعون القتال، ويعقوب بن زيدي، ويعقوب بن خلفي، وتولوس مارقوش، وأندراوس، وبرثلا ويوحنا ولوقا، وثوما، ومتا. وسموا حواري المسيح لصفاء قلوبهم، وقيل: الحواريون الأنصار.

وأصحاب الكهف: فتية من الروم دخلوا الكهف قبل المسيح فضرب الله على آذانهم، ثم بعثهم الله تعالى بعد المسيح في الفترة وهم: مكسلمينا ويمليخا، ومرطونس، وبينيوس، وشاريوس، وذو نواس واسم جبلهم بنجلوس، واسم الكهف الوصيد، وقيل: جيروم، والرقيم الكتاب، وقيل: واد بين غضبان وأيلة دون فلسطين، وقيل: هو قريتهم واسم كلبهم قمطير كلب المرفوق القبطي ودون الكردي، وقيل: اسمه حمران، وقيل: تنواو، وقيل: منطور وقيل: بسيط وقيل: صهبا، وقيل: بقي وقيل: قطمون، وقيل: قطيفير.

قال الشيخ مكين الدين الأسمر، قرأت سورة الكهف، فلما بلغت قصتهم خرج إلي شاب أسمر رقيق شعر العارضين، وهو يقول: هكذا والله كانت قصتنا من أخبركم بقصتنا انتهى.

عن هارون بن موسى الفروي قال: سمعت جدي أبا علقمة يسأل كيف كان الناس يسلمون على النبي ﷺ قبل أن يدخل البيت في المسجد؟ فقال: كان يقف الناس عند باب البيت ويسلمون عليه، وكان الباب ليس عليه غلق، حتى هلكت عائشة رضي الله عنها. وقيل: كان الناس يأخذون من تراب قبر النبي ﷺ فأمرت عائشة رضي الله عنها، بجدار فضرب عليهم.

ويروى أن امرأة قالت لعائشة: اكشفي لي عن قبر رسول الله ﷺ فكشفته لها، فبكت حتى ماتت.

وأنشد بعضهم يقول:

ثلاثـــة بـــرزوا بـــسبقهم بهـــم ... يطـــيب الحـــديث والخـــبرُ

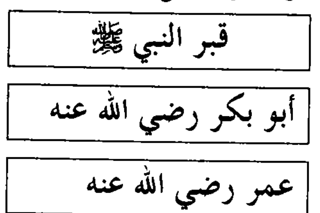
محمـــد المـــصطفى وصـــاحبه الصديق ... والـــثالث الرضـــا عمـــرُ

عاشـوا بـلا فـرقة حـياتهم وأجمعـوا في الممـات إذ قـبروا
هـم هـداة الـورى وقـاداتهم وفـضلهم زيـنت بـه الـسور
ولـيس مـن مـسلم لـه بصر ينكر مـن فـضلهم إذا ذكـروا

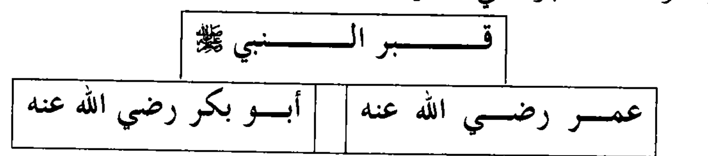
الفصل الثاني عشر
ما جاء في صفة وضع القبور المقدسة

وسبب الاختلاف شدة هيبة تلحق الناظر، فتزيل منه كيفية التمييز، كما سئل بعض من نزل الحجرة المقدسة في هذا القدر لسبب يأتي، فقال: لا أدري ما رأيت.

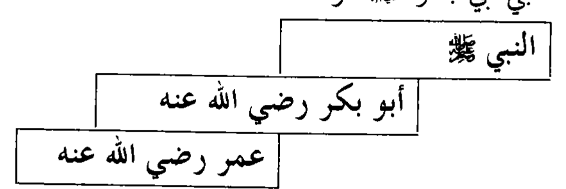
عن عثيم بن نسطاس قال: رأيت قبر النبي ﷺ لما هدم عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه البيت، مرتفعا نحوا من أربع أصابع، عليه حصباء إلى الحمرة مائلة، ورأيت قبر أبي بكر وراء قبر النبي ﷺ ورأيت قبر عمر أسفل منه وصوره هكذا:



وعن عائشة رضي الله عنها قالت: رأس النبي ﷺ مما يلي المغرب، ورأس أبي بكر عند رجلي النبي ﷺ وعمر خلف ظهر النبي ﷺ وهذه صفته:

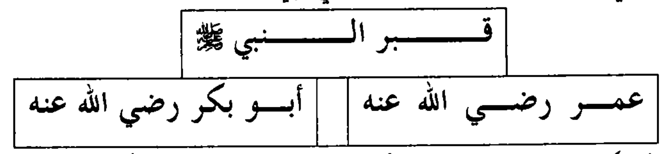


وعن نافع بن أبي نعيم: أن صفة قبر النبي ﷺ وقبر أبي بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما: قبر النبي ﷺ أمامهما إلى القبلة مقدما، ثم قبر أبي بكر حذاء منكبي رسول الله ﷺ وقبر عمر حذاء منكبي أبي بكر رضي الله عنهما، وهذه صفته:



وعن القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق رضي الله عنهما قال دخلت على عائشة رضي الله عنها فقلت:

يا أمه أريني قبر النبي ﷺ وصاحبيه، ﵄، فكشفت لي عن قبورهم، فإذا هي لا مرتفعة ولا لاطية مبطوحة ببطحاء حمراء من بطحاء العرصة، وإذا قبر النبي ﷺ أمامهما، ورجلا أبي بكر عند رأس النبي ﷺ ورأس عمر عند رجلي أبي بكر وهذه صفته:

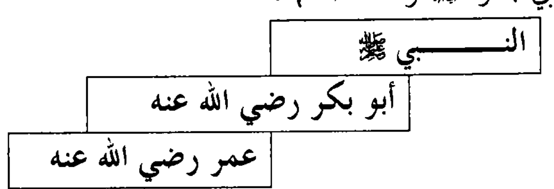


وروى المنكدر بن محمد، عن أبيه قال: قبر رسول الله ﷺ هكذا وقبر أبي بكر خلفه، وقبر عمر عند رجلي النبي ﷺ وهذه صفته.

قـــبر الـــنبي ﷺ

عمـــر رضـــي الله عنه | أبـــو بكر رضي الله عنه

وعن عبد الله بن محمد بن عقيل، قال: خرجت في ليلة ممطرة إلى المسجد حتى إذا كنت عند دار المغيرة بن شعبة لقيتني رائحة، لا والله ما وجدت مثلها قط، فجئت المسجد، فبدأت بقبر النبي ﷺ فإذا جداره قد انهدم، فدخلت فسلمت على النبي ﷺ ومكثت فيه مليا، ورأيت القبور فإذا قبر رسول الله ﷺ وقبر أبي بكر عند رجليه، وقبر عمر عند رجلي أبي بكر ﵄ وهذه صفتها.



وعلى هذه الصفة المذكورة روي عن عبد الله بن الزبير أيضا.

وقد اختلفت الرواية في قبره ﷺ هل هو مسنم أو مسطوح، فروي الوصفان جميعا، والمسنم المرتفع.

وروى أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة، عن سنين بن زياد، قال: ورأيت قبر النبي ﷺ وصاحبيه فرأيت قبورهم مسنمة.

وعن سفيان التمار أنه رأى قبر النبي ﷺ مسنما.

وعن جعفر بن محمد الصادق، عن أبيه أن النبي ﷺ رش على قبره وجعل عليه حصباء حمراء من حصباء العرصة، ورفع قدر شبر من الأرض.

وسئل الشيخ عز الدين ابن عبد السلام: أيما أولى تسطيح القبر أو التسنيم؟ فقال: السنة تسطيح القبر.

قال الحافظ محب الدين، وسقط جدار حجرة النبي ﷺ الذي يلي موضع الجنائز في

زمان عمر بن عبد العزيز، فظهرت القبور، فأمر عمر بن عبد العزيز بقباطي فخيطت ثم ستر الموضع، وأمر ابن ورد أن يكشف عن الأساس فبينما هو يكشفه إذ رفع يده وتنحى، فقام عمر بن عبد العزيز فزعا، فرأى قدمين وراء الأساس وعليهما الشعر، فقال له عبد الله بن عبيد بن عبد الله بن عمر رضي الله عنه -وكان حاضرا-: أيها الأمير لا يروعنك فهما قدما جدي عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ضاق البيت عنه فحفر له في الأساس، فقال له: يا ابن ورد: أن غط ما رأيت، ففعل.

وعن هشام بن عروة، عن أبيه قال: لما سقط الحائط في زمن الوليد بن عبد الملك أخذوا في بنيانه فبدت لهم قدم، ففزعوا وظنوا أنها قدم النبي ﷺ، فما وجدوا أحدا يعلم ذلك حتى قال لهم عروة: لا والله ما هي قدم النبي ﷺ ما هي إلا قدم عمر، وأمر عمر بن عبد العزيز أبا حفصة، مولى عائشة ﵂، وناسا معه، فبنوا الجدار وجعلوا فيه كوة، فلما فرغوا منه ورفعوه دخل مزاحم مولى عمر، فضم ما سقط على القبر من التراب والطين ونزع القباطي.

وقال الحافظ محب الدين: وبنى عمر بن عبد العزيز على حجرة النبي ﷺ حائطا ولم يوصله إلى السقف بل دونه بمقدار أربعة أذرع وأدار عليه شباكا من خشب.

قال الشيخ جمال الدين وبعد احتراق المسجد أعيد الشباك كما كان أولا، وهو يظهر اليوم لمن تأمله من تحت الكسوة وأدخل عمر بن عبد العزيز بعض بيت فاطمة رضوان الله عليها من جهة الشمال في الحائط الذي بناه محرفا وعلى الحجرة الشريفة يلتقي على ركن واحد كما سنبينه فصار لها ركن خامس، لئلا تكون الحجرة الشريفة مربعة كالكعبة، فيتصور الجهال العامة أن الصلاة إليها كالصلاة إلى الكعبة، وبقي بقية من البيت من جهة الشمال، وفيه اليوم صندوق مربع من خشب، وفيه أسطوان وخلفه محراب.

قال الحافظ محب الدين، ولما ولي المتوكل الخلافة أمر إسحاق بن سلمة وكان على عمارة الحرمين من قبله، بأن يأزر الحجرة المقدسة بالرخام من حولها، ففعل ولم يزل إلى سنة ثمان وأربعين وخمسمائة من خلافة المقتفي فجدد تأزيرها جمال الدين الأصبهاني وزير بني زنكي وجعل الرخام حولها قامة وبسطة، وهو الذي عمل الشباك الدائر بالحجرة المقدسة اللاصق بالسقف، وهو الذي احترق وكان من خشب الصندل والأبنوس مكتوبا على أقطاع الخشب الأروانك سورة الإخلاص صنعة بديعة، ولم تزل الحجرة على ذلك حتى عمل لها الحسين بن أبي الهيجا صهر الملك الصالح ستارة وعليها الطرز والجامات المرقومة بالأبريسم، وأدار عليها زنارا من الأبريسم مكتوبا فيه سورة يس، فعلقها نحو العامين، ثم جاءت من الخليفة ستارة فنفذت تلك المتقدمة إلى مشهد علي بالكوفة

وعلقت هذه عوضا، فلما ولي الإمام الناصر لدين الله، أنفذ ستارة أخرى فعلقت فوق تلك المذكورة، فلما حجت الجهمة أم الخليفة، وعادت للعراق عملت ستارة فعلقت على الستارتين.

قال ابن النجار: ففي يومنا هذا عليها ثلاث ستائر، ثم قال رحمه الله: واليوم في سقف المسجد الذي بين الحجرة والقبلة نيف وأربعون قنديلا كبارا وصغارا من الفضة المنقوشة والساذجة، وفيها اثنان بلور وواحد ذهب، وفيها قمطر فضة مغموس في الذهب نفذتها الملوك وأرباب الأموال.

قلت: وهي باقية إلى الآن.

قال المطري: ولم يكن على الحجرة الشريفة قبة، بل كان ما حول حجرة النبي ﷺ حظيرا في السطح مبنيا بالآجر مقدار نصف قامة يميز الحجرة عن السطح إلى سنة ثمان وسبعين وستمائة في دولة السلطان الملك المنصور سيف الدين قلاوون عمل هذه القبة وهي أخشاب أقيمت، وسمر عليها ألواح خشب ثم ألواح رصاص، وعمل مكان الحظير شباكا من خشب، وتحته بين السقفين أيضا شباكا من خشب كحلية، وفي سقف الحجرة الشريفة بين السقفين ألواح خشب سمر بعضها إلى بعض، وسمر عليه ثوب مشمع، وهناك طابق مقفل إذا فتح كان النزول منه إلى ما بين حائط بيت النبي ﷺ وبين الحاجز الذي بناه عمر بن عبد العزيز.

قال: ولما حج السلطان الملك الظاهر في سنة سبع وستين وستمائة اقتضى رأيه على أن يدير على الحجرة الشريفة درابزينا، فقاس ما حولها بيده وعمل الدرابزين الموجودة اليوم، وأرسله في سنة ثمان وستين، وأداره عليها، وفيه ثلاثة أبواب، قبلي وشرقي وغربي،ونصبه ما بين الأساطين التي تلي الحجرة الشريفة إلا من ناحية الشمال، فإنه زاد فيه إلى متهجد النبي ﷺ وظن أن في ذلك زيادة حرمة الحجرة المقدسة، فحجز طائفة من الروضة مما يلي بيت النبي ﷺ فلو كان عكس ما حجزه وجعله من الناحية الشرقية [وألصق الداربزين بالحجرة مما يلي الروضة، لكان أخف، إذ الناحية الشرقية][1] ليست من الروضة، ولا من المسجد القديم، بل مما زيد في أيام الوليد.

ثم قال: ولم يبلغني أن أحدا من أهل العلم والصلاح ممن حضر ذلك ولا ممن رآه بعد تحجيزه أنكر ذلك، ولا ألقي إليه بالا، وهذا من أهم ما ينظر فيه، وكان الدرابزين الذي عمله الملك الظاهر نحو القامتين، فلما كان في تاريخ سنة أربع وتسعين وستمائة زاد

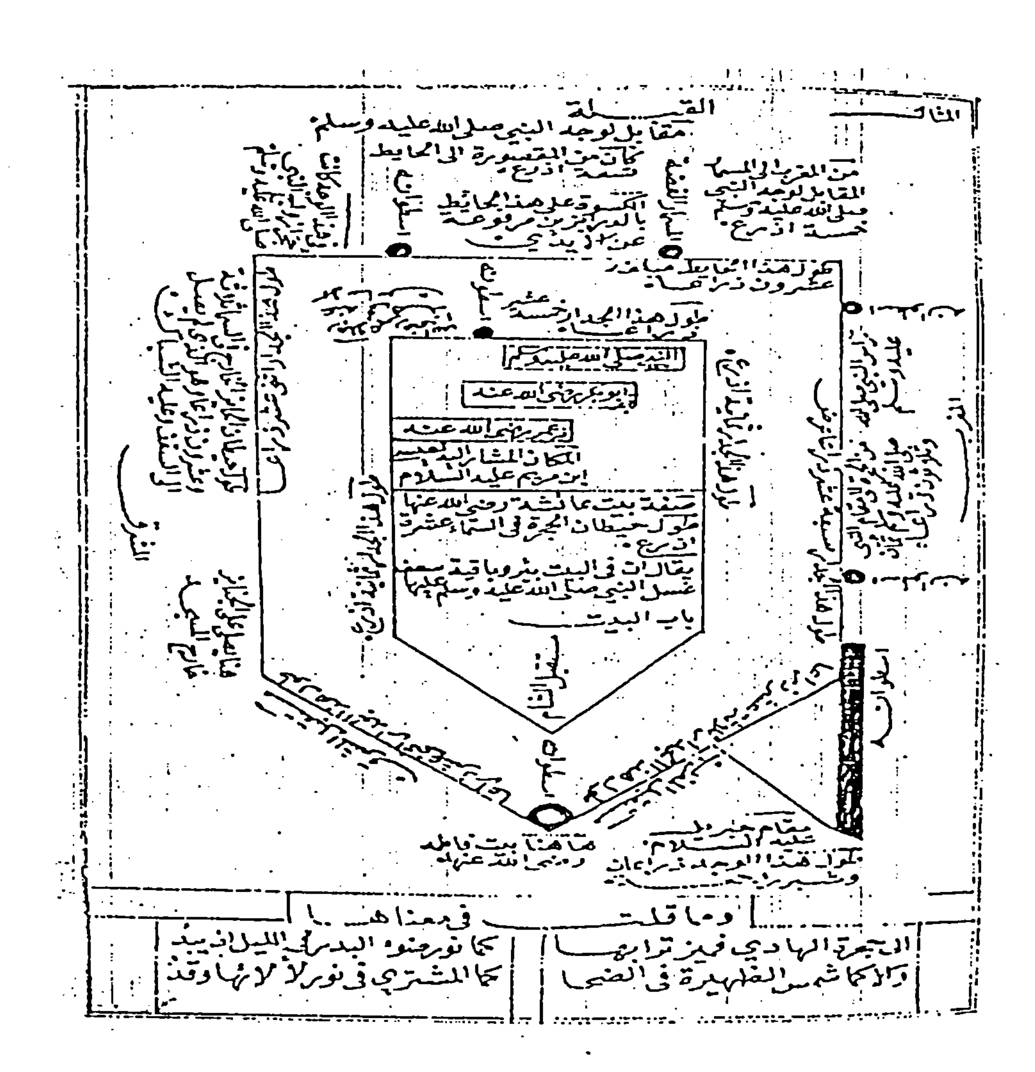
---

(١) زيادة من نسخة تركيا.

عليه الملك العادل زين الدين كتبغا شباكا دائرا عليه، ورفعه حتى أوصله السقف.

قال رحمه الله: ومما أحدث في صحن المسجد الشريف قبة كبيرة عمرها الإمام الناصر، لدين الله في سنة ست وسبعين وخمسمائة لحفظ حواصل الحرم وذخائره مثل المصحف العثماني، ولما احترق المسجد سلم ما فيها ببركة المصحفل الكريم، ولكونها في وسط المسجد، ومما أحدث أيضا في الصحن من جهة القبلة، رواقان، أمر بإنشائهما السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون في سنة تسع وعشرين وسبعمائة، فاتسع ظل السقف القبلي بهما وعم نفعهما وهما المقوس أعلاما، وأزيلت المقصورة التي كانت تظل الحجرة الشريفة للاستغناء عنها بهما، وكان المتسبب في إزالتها إمام المدينة الشريفة، شرف الدين أبو الفتح محمد بن محمد بن أحمد الأميوطي، وذلك أنها كان يجتمع فيها أهل البدع، وكانت لهم كالمتهجد، فاجتهد في إزالتها وهدمها ليلا، وأدخلها في الحجرة الشريفة، فتربعت الحجرة الشريفة، وذلك في أواخر سنة ثمان وعشرين وسبعمائة، وتوفي رحمه الله يوم الرابع والعشرين من صفر سنة خمس وأربعين وسبعمائة.

وهذه صفة مثال الحاجز الذي بناه عمر بن عبد العزيز رضي الله تعالى عنه، وحجرة النبي ﷺ في وسطه، وجميع ذلك أثبته مصورا على مثال ما صوره الحافظ محب الدين بن النجار في تأريخ المدينة، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.



ومما قلت في معناها:

إلى حجـــرة الهـــادي فميـــز تـــرابها   كمـــا نـــور ضوء البدر في الليل إذا يبد

وإلا كمـــا شمـــس الظهيرة في الضحى   كمـــا المـــشترى في نـــور لألائه وقد

قال الحافظ محب الدين: واعلم أن في سنة ثمان وأربعين وخمسمائة سمعوا صوت هدة في الحجرة المقدسة، وكان الأمير يومئذ: قاسم بن مهنا الحسيني، فأخبروه بالحال، فقال: ينبغي أن ينزل شخص لينظر ما هذه الهدة، فلم يجدوا أمثل حالا من الشيخ عمر النسائي، شيخ الشيوخ الصوفية بالموصل، وكان مجاورا بالمدينة، فاعتذر لمرض كان به يحتاج إلى الوضوء في غالب الأوقاف، فألزموه فامتنع من الأكل والشرب مدة، وسأل النبي ﷺ إمساك المرض عنه بقدر ما يبصر ويخرج، ونزل بحبال من بين السقفين، ومعه شمعة، ودخل إلى الحجرة فرأى شيئا من طين السقف قد وقع على القبور المقدسة، فأزاله وكنس التراب بلحيته، وأمسك الله عنه الداء بقدر ما خرج وعاد إليه، توفي الشيخ عمر بمكة بعد نزوله بتسع سنين، في سنة ست وخمسين وخمسمائة.

وكذلك أيضا في سنة أربع وخمسين وخمسمائة في أيام قاسم المذكور وجد من الحجرة رائحة منكرة، فذكروه للأمير،فأمرهم بالنزول فأنزل الطواشي ونزل معه الصفي الموصلي متولي عمارة المسجد وهارون الشاوي الصوفي بعد أن بذل جملة من المال للأمير في ذلك، فلما نزلوا وجدوا هرا قد هبط من الشباك الذي في أعلى الحاجز ومات وجاف فأخرجوه وكان في الحاجز بين الحجرة والمسجد، وطيبوا مكانه وكان نزولهم يوم السبت الحادي عشر من ربيع الآخر.

الباب التاسع/في حكم زيارة النبي ﷺ وفضلها وكيفيتها

وحكم الصلاة والسلام عليه ﷺ وفرض ذلك وفضيلته وكيفيته والتوسل به إلى الله عز وجل، وإثبات حياته ﷺ وحرمته وذكر ما شوهد في حرمه وحجرته من العجائب أو رئي بها من الغرائب

وفيه عشرة فصول

الفصل الأول
في حكم زيارة النبي ﷺ

قال القاضي أبو الفضل عياض بن موسى رحمه الله وزيارة قبره ﷺ سنة من [سنن][1] المسلمين مجمع عليها وفضيلة مرغب فيها.

وقال الرافعي: تستحب الزيارة بعد الحج، وقال في الروضة: واستحبه الغزالي في الإحياء وقال: إذا نذر أنه يزور قبر النبي ﷺ فعندي أنه لا يلزمه الوفاء وجها واحدا، ولو نذر أن يزور قبر غيره ففيه وجهان، وقد علم أنه لا يلزم بالنذر إلا العبادات، ولو نذر إتيان مسجد المدينة، وقلنا: إنه يلزمه إتيانه على الأصح، يلزمه أن يضم إليه قربة على أرجح الوجهين.

قال البغوي: يلزمه إذا حضر أن يصلي ركعتين، أو يعتكف ساعة أو يزور قبر النبي حتى يكون قربة.

وقد صرح الشيخ موفق الدين من الحنابلة باستحباب زيارة قبر النبي ﷺ وصرح باستحبابها أبو الفرج بن الجوزي وأبو الخطاب.

وقال صاحب المختار من الحنفية: بأن الزيارة من أفضل المندوبات والمستحبات ثم قال: بل تقرب من درجة والوجوب لما ورد فيه من الفضل العظيم.

قال الحليمي: ومن تعظيمه ﷺ زيارته ﷺ ومن تعظيمه تعظيم حرمه، وهو المدينة وإكرام أهله، ومنه قطع الكلام إذ جرى ذكره، أو روي بعض ما جاء عنه عليه أفضل الصلاة والسلام، وصرف السمع والقلب إليه ثم الإذعان له والنزول عليه والتوقي من معارضته وضرب الأمثال له ومنه ألا ترفع الأصوات عند قبره ﷺ.

قال الشيخ جمال الدين محمود بن محمد بن إبراهيم بن جملة، ظاهر هذا الكلام وجوب الزيارة، هذا هو المفهوم منه ويؤيد ذلك أنه قال بعده: ومن تعظيمه ﷺ الصلاة والتسليم عليه كلما جرى ذكره وهو للوجوب بل هذا أولى فإنه أول ما ابتدئ به.

---

(١) زيادة من نسخة تركيا.

الفصل الثاني
في فضل زيارته ﷺ

عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**من زار قبري وجبت له شفاعتي**»[1] صححه عبد الحق.

وعنه أيضا قال: قال رسول الله ﷺ: «**من حج فزار قبري بعد موتي كان كمن زارني في حياتي وصحبني**»[2]

وقال ﷺ: «**من جاءني زائرا لا تعمله حاجة إلا زيارتي كان علي حقا أن أكون له شفيعا يوم القيامة**»[3].

وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**من زارني ميتا فكأنما زارني حيا، ومن زار قبري وجبت له شفاعتي يوم القيامة، وما من أحد من أمتي له سعة ثم لم يزرني [فليس له عذر**»[4].

وعن علي رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ «**من لم يزرني فقد جفاني**»[5]][6]

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**من زارني في المدينة محتسبا كان في جواري وكنت له شفيعا يوم القيامة**»[7].

ويروى عنه ﷺ أنه قال: «**من زارني وزار قبر إبراهيم في عام واحد ضمنت له الجنة**»[8] وقال القاضي عز الدين في منسكه: هذا الحديث لا أصل له.

وأجمع العلماء على استحباب زيارة المسجد الأقصى والصلاة فيه.

---

(١) أخرجه الدارقطني (٢/٢٧٨)، والبيهقي في السنن الكبرى (٥/٢٤٦)، وابن عدي في الكامل (٦/ ٢٣٥٠).

(٢) أخرجه الدارقطني في السنن (٢/٢٧٨)، والبيهقي في السنن الكبرى (٥/٢٤٦)، والطبراني في الكبير (١٢/٣١٠).

(٣) أخرجه الطبراني في الكبير (١٢/٢٩١) عن ابن عمر ﷺ، وابن النجار في الدر الثمينة (٢/٣٩٧)، وابن الجوزي في الموضوعات (٢/٢١٧).

(٤) أخرجه الدارقطني في السنن (٢/٢٧٨) عن ابن عمر ﷺ، وذكره عياض في الشفا (٢/٦٨).

(٥) أخرجه ابن النجار في الدر الثمينة (٢/٣٩٧) عن علي بن أبي طالب ﷺ، وذكره السمهودي في وفاء الوفا ص (١٣٤٧) ذكره السيوطي في الدر المنثور (١/٥٦٩).

(٦) زيادة من نسخة تركيا.

(٧) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى (٥/٢٤٥) عن أنس بن مالك ﷺ، وذكره عياض في الشفا (٢/ ٦٨) والسيوطي في الدر المنثور (١/٥٦٩).

(٨) وضعفه الألباني رحمه الله في السلسلة الضعيفة (١/١٢٠).

وعن النبي ﷺ: «**إن الصلاة فيه كألف صلاة**» وزيارته عبادة مستقلة لا تعلق لها بالحج.

الفصل الثالث

في كيفية زيارته ﷺ

ذكر الشيخ تقي الدين ابن الصلاح، والشيخ محيي الدين: إنه ينبغي لمن أراد الزيارة أن يكثر من الصلاة والسلام على النبي ﷺ، فإذا وقع بصره على أشجار المدينة المشرفة فليقل: اللهم افتح لي أبواب رحمتك، وارزقني في زيارة نبيك ما رزقته أولياءك، وأهل طاعتك واغفر لي وارحمني يا خير مسؤول، ويغتسل قبل الدخول ويلبس أنظف ثيابه، قاله الشيخ تقي الدين.

وقال الشيخ محيي الدين: وأما استحباب الغسل فيمكن أن يقال فيه من ذهب من العلماء إلى تفضيل المدينة على مكة، فاستحباب الغسل عنده واضح وذلك أنه يستحب لدخول مكة فللمدينة أولى، ومن ذهب إلى تفضيل مكة على المدينة، فيجعل الاستحباب عنده على سبيل القياس على مكة، وعلى هذا يستحب الغسل لزيارة بيت المقدس،ويشعر نفسه وتيقنه أنه مسلم على حي عالم به يرد عليه، فقد حرم الله على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء [1].

ويدخل المدينة قائلا ﴿ رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَٱجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلْطَٰنًا نَّصِيرًا ﴾ [الإسراء: ٨٠] ويحضر قلبه رأفته ﷺ بأمته ولتكن زيارته زيارة المحب المعظم ، ليقدم رجله اليمنى في دخوله المسجد الشريف قائلا: اللهم افتح لي أبواب رحمتك، واليسرى في خروجه قائلا: اللهم افتح لي أبواب فضلك.

واستحب العلماء أن يقصد أول دخوله الروضة المقدسة، فيصلي في مصلى رسول الله ﷺ أو غيره من الروضة تحية المسجد النبوي ركعتين ثم يشكر الله تعالى على ما أنعم، ويسأله تمام المقصد، ثم ينهض إلى القبر الشريف قبالة وجهه ﷺ وهو أن يستدبر القبلة ويستقبل المسمار الفضة الذي بالجدار على نحو أربع أذرع من السارية التي هي غربي رأس القبر الشريف في زاوية جداره.

وقال الشيخ عز الدين ابن عبد السلام: يكون بينه وبين الجدار نحو من ثلاثة أذرع ويجعل القنديل الكبير على رأسه.

---

(١) أخرجه أبو داود (١/٣٢٠)، وابن ماجه (١/٣٤٥)، والحاكم في المستدرك (٤/٥٦٠) عن شداد بن أوس ﷺ.

وحكى البيهقي عن الشافعي رحمه الله قال: حدثنا الثقات من أصحابنا أن قبر النبي ﷺ عن يمين الداخل من البيت اللاصق بالجدار الذي اللحد تحته قبلة البيت، وأن لحده ﷺ تحت الجدار، واستدبار القبلة هو المستحب عند الشافعية والحنابلة ومالك، والذي صححه الحنفية أن يستقبل القبلة عند السلام على رسول الله ﷺ والدعاء.

ومن الآداب: أن لا يدنو من القبر، ولا يرفع صوته بالتسليم، ولا يمس القبر بيده،وإذا أردت الصلاة فلا تجعل الحجرة وراء ظهرك ولا بين يديك، ولا يقف عند القبر طويلا، وليقف عند السلام عليه ﷺ ناظرا إلى الأرض، غاض الطرف في مقام الهيبة والتعظيم والإجلال، فارغ القلب من علائق الدنيا، مستحضرا في قلبه جلالة موقفه ومنزلة من هو بحضرته وعلمه ﷺ بحضوره وقيامه وسلامه.

وكان الناس إذا وقفوا للسلام على رسول الله ﷺ في الروضة الشريفة قبل أن يدخل الحجرات في المسجد يستقبلون السارية التي فيها الصندوق الخشب وثم قائم من خشب مجدد، وهي لاصقة بحائط الحجرة الغربي الذي بناه عمر بن عبد العزيز ويستدبرون حول بيت النبي ﷺ ويستدبرون الروضة وأسطوانة التوبة، ويسلمون على النبي ﷺ وعلى صاحبيه رضي الله عنهما، وروي ذلك عن زين العابدين علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضوان الله عليهم، أنه كان إذا جاء يسلم على رسول الله ﷺ وقف عند الأسطوانة التي تلي الروضة، ويستقبل السارية التي تلي الصندوق اليوم، فيسلم على رسول الله ﷺ وعلى أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، ويقول: ههنا رأس رسول الله ﷺ، فلما أدخلت الحجرات في المسجد وقف الناس حيث موقفهم اليوم.

وقال مالك في رواية ابن وهب: إذا سلم على النبي ﷺ ودعا يقف ووجهه إلى القبر لا إلى القبلة، ويدنو ويسلم، ولا يمس القبر بيده، وقال في المبسوط: لا أرى أن يقف عند قبر النبي ﷺ يدعو، ولكن يسلم ويمضي.

وأتى أنس بن مالك قبر النبي ﷺ، فوقف فرفع يديه حتى ظن أنه افتتح الصلاة، فسلم على النبي ﷺ ثم انصرف.

وقال مالك في كتاب محمد: ويسلم على النبي ﷺ إذا دخل أو خرج -يعني: المدينة- وفيما بين ذلك، قال محمد: وإذا خرج جعل آخر عهده الوقوف بالقبر، وكذا من خرج مسافرا.

وقال مالك في المبسوط: وليس يلزم من دخل المسجد وخرج منه من أهل المدينة الوقوف بالقبر، وإنما ذلك للغرباء.

قال الحافظ محب الدين: وعلامة الوقوف تجاه الوجه الكريم مسمار فضة مضرب

في رخامة حمراء إذا قابله الإنسان ناظرا إلى أسفل ما يبصر من الحائط -يعني: عند حد القائم المبسوط، كان القنديل على رأسه، فيقابل وجه النبي ﷺ ثم ينتقل عن يمينه قدر ذراع فيسلم على أبي بكر رضي الله عنه، ثم ينتقل قدر ذراع فيسلم على عمر رضي الله عنه، ثم يعود ويجعل الحجرة على يساره ويدعو الله بما أحب.

وجميع التواريخ المتقدمة يذكرون العلامة بالمسمار،ويصفونه بأنه صفر ولعله غير.

وأما الدلالة بالقنديل: فقال الشيخ جمال الدين: الآن هناك عدة قناديل جددت بعد احتراق المسجد، ثم قال: وموقف الناس اليوم للسلام على رسول الله ﷺ عرصة بيت أم المؤمنين حفصة رضي الله عنها بنت عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

وذكر لي بعض المتبصرين: أنه إذا أتى للسلام على النبي ﷺ يرى في الحجر الأسود الذي تحت الرخامة الحمراء التي فيها المسمار الفضة صورة شخص له شعر طويل مرة يفرقه ومرة يتركه وهو ينظر إلى من يأتي للسلام على رسول الله ﷺ، فمرة يبتسم في وجه المسلم عليه، ومرة لا ينظر إلى أحد، وأكثر قعوده طاويا إحدى رجليه نصف تربيعة، وركبته الأخرى قائمة، ومن جانبه الأيمن، مما يلي الروضة شخص آخر، ومن جانبه الأيسر شخصان آخران، قال الرائي: فعدمت الخشوع في ذلك المحل الشريف بسبب رؤيتي لهما، وشغل خاطري بهما إشارة إلى إثبات الوقار والحرمة المحركة خواطر الاعتبار.

سمعت والدي رحمه الله يقول: صلينا يوم الظهر بحرم المدينة، وأقبل طائر عظيم طويل الساقين، أتى من جهة باب السلام ، وهو يطير مع جدار القبلة وقد ملأت جناحاه ما بين الحائط القبلي والسواري، فلما حاذى المحراب وقف ومشى قليلا قليلا إلى أن وصل إلى الشباك موقف المسلمين على رسول الله ﷺ فاستقبل النبي ﷺ ووقف وجعل يضع منقاره على الأرض ويرفعه مرارا، إلى أن فرغ الناس من صلاتهم واجتمعوا عليه ينظرونه ثم مشي، حتى خرج إلى صحن المسجد، إلى نحو الحجارة، التي يذكر أنها حد المسجد القديم، ثم فتح أجنحته وطار مرتفعا في الجو، غير مائل يمينا ولا يسارا، حتى غاب عن أعيننا.

الفصل الرابع
في حكم الصلاة والسلام عليه ﷺ

قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٥٦].

قال ابن عباس: معناه إن الله وملائكته يباركون على النبي، فعلى هذا يكون المباركة عليه هي الصلاة عليه، ويكون عطفها عليه من باب التأكيد، وقيل: الله يترحم

على النبي وملائكته يدعون له بالرحمة، وهو عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما حكاه الواحدي.

وقال المبرد: أصل الصلاة الترحم، فهي من الله ورحمة، ومن الملائكة رقية واستدعاء للرحمة من الله.

وقال الجوهري: الصلاة الدعاء، وقد ورد صفة صلاة الملائكة على من جلس ينتظر الصلاة: اللهم اغفر له اللهم ارحمه فهذا دعاء.

وقال بكر القشيري: الصلاة من الله تعالى لمن دون النبي رحمة وللنبي ﷺ تشريف وزيادة تكرمة.

وقال أبو العالية: صلاة الله تعالى ثناؤه عليه عند الملائكة وصلاة الملائكة الدعاء.

وقال القاضي عياض: وقد فرق النبي ﷺ في حديث تعليم الصلاة عليه بين لفظ الصلاة ولفظ البركة فدل أنها بمعنيين.

وقال الحليمي: الصلاة في اللغة التعظيم، وقال ابن جبير: صلاة الله على نبيه المغفرة، وصلاة الملائكة الاستغفار حكاه الماوردي.

وقال الترمذي: صلاة الرب الرحمة، وصلاة الملائكة الاستغفار.

وقال ابن العربي: هي من الله رحمة ومن المخلوق الجن والإنس والملائكة: الركوع والسجود والدعاء والتسبيح، ومن الطير الهوام: التسبيح ومنه قوله تعالى: ﴿ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسْبِيحَهُۥ ﴾ [النور: ٤١] فالصلاة لها معان بالتدريج أصلها الدعاء، ثم صارت للرحمة، لأن الداعي مترحم ثم صارت للمغفرة [لأن الترحم يوجب المغفرة،][1] وفسرها ابن عباس رضي الله تعالى عنهما بالمغفرة في قوله تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ﴾ [البقرة: ١٥٧].

قال ابن كيسان: وجمع الصلوات لأنه عنى بها رحمة بعد رحمة، وإنما ذكر الرحمة، ومعنى الصلاة الرحمة للإشباع.

وقيل: الصلاة من الله تعالى إشاعة الذكر الجميل له في عباده، حكاه البغوي.

وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: صلاة الملائكة عليه تنزيلهم عليه.

وقيل: الصلاة من الله في أظهر الوجوه الرحمة، ومن الملائكة الاستغفار ومن المؤمنين الدعاء، قاله الماوردي.

وقيل: الصلاة من الله تعالى على العبد رفع الدرجة له.

---

(١) زيادة من نسخة تركيا.

قلت: وقد جمعت ما قيل في معنى الصلاة من الله تعالى، فقلت:

وقد قيل إن صلاة الله رحمته أو الثناء وتعظيم وتشريف

وقيل مغفرة معها يبارك ضف إشاعة ذكر في الوجود وتشريف

والصلاة في القرآن على عشرة أوجه:

الصلاة الشرعية: ﴿ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ [المائدة: ٥٥] وصلاة العصر: ﴿ تَحْبِسُونَهُمَا مِنۢ بَعْدِ ٱلصَّلَوٰةِ ﴾ [المائدة: ١٠٦] وصلاة الجنازة: ﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا ﴾ [التوبة: ٨٤] والدعاء: ﴿ وَصَلِّ عَلَيْهِمْ ﴾ [التوبة: ١٠٣] والعبادة ﴿ أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ ﴾ [هود: ٨٧] والقراءة: ﴿ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ ﴾ [الإسراء: ١١٠] وموضع الصلاة: ﴿ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ ﴾ [الحج: ٤٠] والمغفرة: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ ﴾ [الأحزاب: ٥٦] والاستغفار، وهو معنى صلاة الملائكة،وصلاة الجمعة: ﴿ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ ﴾ [الجمعة: ٩].

وأما تسليم الذي أمر الله تعالى به عباده:

قال القاضي أبو بكر بن بكير: لما نزلت الآية، أمر الله تعالى أصحابه أن يسلموا عليه وكذلك من بعدهم أمروا أن يسلموا على النبي ﷺ عند حضورهم قبره وعند ذكره وفي معنى السلام عليه ثلاثة وجوه: أحدها السلامة لك ومعك، الثاني: أي السلام على حفظك ورعايتك متول له وكفيل به، ويكون هنا السلام اسم الله، الثالث: بمعنى المسالمة له والانقياد.

قال الماوردي قوله: ﴿ وَسَلِّمُوا۟ ﴾ أي سلموا الأمر بالطاعة له تسليما، وهو الذي ذهب إليه ابن المسيب، وقيل: سلموا عليه بالدعاء تسليما أي سلاما، وفي هذه الآية ثلاث فوائد:

الأولى: قال أبو بكر بن أبي الدنيا في كتاب زيارة القبور له في باب زيارة قبر النبي ﷺ: حدثني سعيد بن عثمان حدثنا ابن أبي فديك، قال: سمعت بعض من أدركه يقول: بلغنا أن من وقف عند قبر النبي ﷺ فتلى هذه الآية: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٥٦] ثم قال: صلى الله عليك يا محمد،حتى يقولها سبعين مرة ناداه ملك: صلى الله عليك يا فلان لم تسقط لك حاجة [1].

---

(١) أخرجه ابن النجار في الدرة الثمينة (٢/٢٩٩) عن محمد بن إسماعيل بن أبي فديك ﷺ، والمطري في التعريف (٢٨)، وابن الضياء في تاريخ مكة ص (٢٦٣).

الثانية: في ذكر عقوبة من حرف هذه الآية، روى ابن بشكوال وعن أحمد بن محمد بن عمر بن يونس اليماني، قال: كنت بصنعاء فرأيت رجلا والناس مجتمعون عليه، فقلت: من هذا؟ قالوا: هذا رجل كان يؤم بنا في شهر رمضان، فلما بلغ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٥٦] قال: إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما، فخرس وتجذم وبرص وعمي وأقعد.

الثالثة: روى ابن بشكوال، عن أبي جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل النحوي، قال: سمعت عبدوس بن ديرويه يصف لإنسان قليل نومه إذا أراد أن ينام يقرأ الآية المذكورة وقرأها البصري: يا أيها الذين آمنوا فصلوا، بزيادة فاء.

قال ابن عطية في قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ ﴾ [الأحزاب: ٤٣]: روت فرقة أن رسول الله ﷺ قيل له: كيف صلاة الله على عباده؟ قال: «**سبوح قدوس رب الملائكة والروح رحمتي سبقت غضبي**» قيل: إن هذا القول كله من كلام الله، وهي صلاته على عباده، وقيل: صلاة الله على عباده رحمتي سبقت غضبي، والأول كلام النبي ﷺ تقدمه من كلام الله تعالى.

تنبيه:

التشريف الذي شرف به نبينا ﷺ في هذه الآية أتم وأبلغ من تشريف آدم بأمر الملائكة بالسجود له، لأنه لا يجوز أن يكون الله سبحانه وتعالى مع الملائكة في ذلك التشريف.

الفصل الخامس
في ذكر فرض الصلاة والسلام على النبي ﷺ

الصلاة على النبي ﷺ فرض على الجملة غير محدود بوقت لأمر الله تعالى بالصلاة عليه، وحمل الأئمة والعلماء له على الوجوب وأجمعوا عليه.

وحكى أبو جعفر الطبري: أن يحمل عنده على الندب، وادعى فيه الإجماع ولعله فيما زاد على مرة، والواجب [منه][1] الذي يسقط به الحرج [ومأثم ترك الفرض][2] مرة كالشهادة له بالنبوة وما عدا ذلك فمندوب، مرغب فيه، من سنن الإسلام، وشعار أهله.

وقال ابن القصار: المشهور عن أصحابنا أن ذلك واجب في الجملة على الإنسان،

(١) زيادة من نسخة تركيا.
(٢) زيادة من نسخة تركيا.

وفرض عليه أن يأتي بها مرة من دهره مع القدرةعلى ذلك.

وقال أبو بكر بن بكير: الواجب أن يكثر الشخص من ذلك ولا يغفل.

وقال أبو محمد بن نصر: هي واجبة في الجملة، وأن من صلى عليه ﷺ مرة واحدة من عمره سقط عنه الفرض.

وقال أصحاب الشافعي: الفرض منها الذي أمر الله تعالى به رسوله ﷺ هو في الصلاة، وقالوا: وأما في غيرها فلا خلاف أنها غير واجبة وأما في الصلاة فحكى الإمامان أبو جعفر الطبري والطحاوي إجماع جميع المتقدمين والمتأخرين من علماء الأمة على أن الصلاة على النبي ﷺ في التشهد غير واجبة.

ولا تجب الصلاة على آل النبي ﷺ على الأصح ولكن تستحب.

وحكى ابن القصار: أن ابن المواز يراها فريضة كما يراها الشافعي رحمه الله تعالى.

وهي واجبة عند الحنابلة في المذهب الصحيح، قاله صاحب المغني، وذهب مالك وأبو حنيفة وابن حزم إلى عدم وجوبها في الصلاة مطلقا.

المواطن التي يستحب فيها الصلاة والسلام على النبي ﷺ:

من مواطن الصلاة على النبي ﷺ في تشهد الصلاة وذلك بعد التشهد، وقبل الدعاء، وعند ذكره ﷺ، وعند كتابة اسمه ﷺ، ويوم الجمعة وعند دخول المسجد، وفي صلاة الجنازة، وفي كتابة الرسائل.

فإذا وردت معطوفة على كلام عطفت بحرف العطف، وإن وردت معطوفة على البسملة فالتخيير في حرف العطف، والأحسن إثباته.

وكره سحنون الصلاة على النبي ﷺ عند التعجب.

ومن مواطن السلام التشهد فقوله: السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين نصيب كل عبد صالح في السماء والأرض.

واستحب العلماء أن ينوي الإنسان حين سلامه على كل عبد صالح في السماء والأرض من الملائكة وبني آدم والجن.

فائدة:

الجن من العالم الناطق المميز يأكلون ويتناكحون ويموتون وأشخاصهم محجوبة وإنما عرفهم الإنس من الكتب الإلهية.

وفي الجان وجهان: أحدهما: إبليس والثاني: أنه أبو الجن، فآدم أبو البشر، والجان أبو الجن، وإبليس أبو الشياطين.

ومن الجن مؤمن وكافر، وقيل: الشياطين كفار الجن، وهم أيضا يتناسلون ويموتون.

قلت: والدليل على ذلك إنظار إبليس، ولو أنهم لم يموتوا إلى يوم القيامة لما سأل إبليس ذلك إذا كان عالما بإنه لا يموت إلى يوم القيامة.

وقيل: الشياطين كإبليس لا يموتون إلا معه، وأن تناسلهم انقطع بإنظار إبليس.

وقيل: إن اليوم المعلوم يوم بدر، وأن الملائكة قتلت إبليس في ذلك اليوم، حكاه وهب، وقيل: الوقت المعلوم النفخة الأولى، وقيل: أولاد إبليس لم يؤمن منهم أحد.

وحكى القاضي عياض، أن شيخا أقبل وبيده عصا، فسلم على النبي ﷺ وقال: أنا هامة بن الهيم بن لامس بن إبليس،وذكر أنه لقي نوحا ومن بعده وقال: كنت غلاما حين قتل قابيل وهابيل، ثم أسلم، وقيل: إن مؤمنيهم يقال لهم: كونوا ترابا كالبهائم، حكاه سفيان عن ليث.

وقيل: يدخلون الجنة، واستدلوا بقوله: ﴿ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ﴾ [الرحمن: ٥٦].

قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن صَلْصَـٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ۝ وَٱلْجَآنَّ خَلَقْنَـٰهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ ﴾ [الحجر: ٢٦-٢٧] الصلصال : الطين النابت وقيل: الذي لم تمسه النار و﴿ نَّارِ ٱلسَّمُومِ ﴾ أي من نار الشمس، وقيل: من نار الصواعق.

وقال وهب: نار السموم، نار لا حر لها ولا دخان، فخلق منها الجان وسماه مارجا ثم خلق منها زوجة سماها: مرجة فولدوا ولدا سماه: الجن فمنه تفرعت قبائل الجن، وكانوا يلدون توأمين، ذكرا وأنثى، وتزوج إبليس امرأة من الجان يقال لها: الهنا بنت روحان بن سلسابيل بن الجان، وأسكن الله الجن في سماء الدنيا، والجان في الهواء، ثم أهبطهم إلى الأرض، أعني سكان الهواء فعصوا قبل آدم،وبعث لهم ثمانمائة نبي في ثمانمائة سنة فقتلوهم فبعث الله إليهم الجن سكان السماء والمؤمر عليهم إبليس، فقتلوا جان الأرض، ثم صعد إبليس إلى أن أهبط مع آدم عليه السلام.

ويقال للروحانيين: جن فكل ملائكة جن وليس كل جن ملائكة، وهو قول أبي صالح.

والطاغوت الأصنام، والطاغوت من الجن والجنة هم الجن، والجنة الملائكة أيضا، والجنة الترس، والجنة البستان.

ووفد الجن إلى رسول الله ﷺ وبايعوه في مسجد البيعة بطريق منى حكاه ابن الجوزي وبه خط الخط لابن مسعود.

وقيل: كان ذلك بالحجون عند شعب أبي ذر، وكانوا اثنا عشرا ألفا من جن زوبعة ساكن اليمن، وملوكهم سبعة: المذهب والأبيض، والأحمر وبرمان وشمهورش، وزوبعة

وميمون، وقيل: كانوا تسعة من جن نصيبين وقيل: من بني الشيطان، وقيل: من جن حران ونصيبين قرية من الموصل [1]، ثم رآهم عليه السلام بنخلة، وكانوا من جن نينوى ونينوى من أرض موصل وهي أرض قوم يونس عليه السلام.

الفصل السادس

ما جاء في فضل الصلاة والسلام عليه وإبلاغه صلاة من صلى عليه ﷺ

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**من صلى علي واحدة صلى الله عليه عشرا**» رواه مسلم [2].

وعن عبد الله بن عامر بن ربيعة، عن أبيه قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «**من صلى علي صلاة صلت عليه الملائكة ما دام يصلي علي، فليقلل عند ذلك أو ليكثر**»[3].

وعن عبد الله بن عمر: «**ومن صلى على رسول الله ﷺ صلاة صلى الله عليه وملائكته بها سبعين صلاة، فليقلل من ذلك أو ليكثر**» [4].

وعن ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**أولى الناس بي يوم القيامة أكثرهم علي صلاة**» رواه الترمذي [5].

وعن محمد بن أبي سليمان، رأيت أبي في المنام، فقلت: يا أبه ما فعل الله بك؟ قال: غفر لي، فقلت بماذا؟ فقال: بكتابتي الصلاة على النبي ﷺ في كل حديث.

وعن أبي القاسم عبد الله المروزي يقول: كنت أنا وأبي نقابل بالدليل الحديث فرئي في الموضع الذي كنا نقابل فيه عمود نور فبلغ عنان السماء فقيل: ما هذا النور؟ فقيل: صلاتهما على النبي ﷺ إذا تقابلا هذان الحديثان رويناهما من كتاب شرف أصحاب الحديث.

وعن أبي بكر الصديق رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من صلى علي كنت شفيعه يوم القيامة**» [6].

---

(١) في الأصل «نصيبين قرية من اليمن» والصواب ما أثبتناه.

(٢) أخرجه مسلم (٧٠) ٣٠٦/١ ، والترمذي (٢/ ٣٥٥)، والنسائي (٥٠/٣)، وأبو داود (١٥٣٠)، وأحمد ٣٧٢/٢ كلهم عن أبي هريرة ﷺ.

(٣) أخرجه أحمد في المسند (٤٤٥/٣) عن عامر بن ربيعة ﷺ.

(٤) ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (١٦٣/١٠) من حديث ابن عمر ﷺ، وعزاه لأحمد عن عبد الله بن عمرو ﷺ، وإسناده حسن.

(٥) أخرجه الترمذي (٣٥٤/٢)، من حديث ابن مسعود ﷺ.

(٦) أخرجه السيوطي في جمع الجوامع (١٠٦٣/١).

وعن الطفيل: عن أبيه قال: كان رسول الله ﷺ يخرج في ثلث الليل فيقول: «**جاءت الراجفة تتبعها الرادفة جاء الموت بما فيه**» فقال أبي: يا رسول الله إني أصلي من الليل، أفأجعل لك ثلث صلاتي؟ قال رسول الله ﷺ «**الشطر**» قال: فأجعل لك شطر صلاتي؟ قال رسول الله ﷺ «**الثلثان أكثر**» قال:فأجعل لك صلاتي كلها؟ قال: «**إذا يغفر الله لك ذنبك كله**» (١).

الراجفة: هي النفخة الأولى المميتة، والرادفة النفخة الثانية وبينهما أربعون سنة،وهي التي تحيي كل شيء وقوله أجعل لك من صلاتي معناه من دعائي، أي إن لي دعاء أدعو به لنفسي.

وعن البراء بن عازب رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**من صلى علي صلاة كتب الله عز وجل له بها عشر حسنات ومحى بها عنه عشر سيئات ورفع بها عشر درجات وكن له عدل عشر رقاب**» (٢) قال الشيخ أبو المكارم بن جملة كذا وجدته.

وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «**من صلى علي صلاة تعظيما لحقي جعل الله تعالى له من تلك الكلمة ملكا جناح له في المشرق، وجناح له في المغرب، ورجلاه في تخوم الأرض، وعنقه ملوي تحت العرش، يقول الله عز وجل: صل على عبدي كما صلى على نبي فيصلي عليه إلى يوم القيامة**».

وعن وهب بن منبه قال: الصلاة على النبي ﷺ عبادة.

وعن سعيد بن المسيب أظنه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «**الصلاة علي نور على الصراط، فمن صلى علي يوم جمعة ثمانين مرة غفرت له ذنوبه ثمانين عاما**» (٣).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «**إذا كان يوم الخميس بعث الله ملائكة معهم صحف من فضة وأقلام من ذهب يكتبون يوم الخميس وليلة الجمعة أكثر الناس صلاة على النبي ﷺ**».

وقال أبو سليمان الداراني: «**من أراد أن يسأل الله تعالى حاجته فليبدأ بالصلاة**

---

(١) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (١/٣٩٤)، والحاكم في المستدرك (٢/٥١٣) من حديث الطفيل.

(٢) ذكره القرطبي في الجامع (١٤/٢٣٧)، والهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/١٦١)، وأخرجه البزار في كشف الأستار (٤/٤٦).

(٣) ذكره المتقي في الكنز (٢١٤٩) عن أبي هريرة ﷺ.

على النبي ﷺ ثم يسأل حاجته ثم يختم بالصلاة على النبي ﷺ فإن الله تعالى يقبل ما بين الصلاتين، وهو أكرم من أن يدع ما بينهما» [١] وداريا قرية من قرى دمشق.

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**من صلى علي في يوم ألف مرة لم يمت حتى يرى مقعده من الجنة**» [٢] وفي رواية من صلاها يوم الجمعة.

وعن علي رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**قال لي جبريل يا محمد إن الله تعالى يقول: من صلى عليك عشر مرات استوجب الأمان من سخط الله**».

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «**من صلى علي صلاة واحدة صلى الله عليه عشرا، ومن صلى علي عشرا صلى الله عليه مائة، ومن صلى علي مائة كتب الله له بين عينيه براءة من النفاق،وبراءة من النار، وأسكنه يوم القيامة مع الشهداء**» [٣] رواه الطبراني.

وعن حذيفة رضي الله عنه أنه قال: «الصلاة على النبي ﷺ تدرك الرجل وولده وولد ولده».

وعن عبد الله بن أبي طلحة، عن أبيه أن رسول الله ﷺ جاء ذات يوم والبشر في وجهه، فقلنا: إنا لنرى البشر في وجهك؟ فقال: «**إنه أتاني ملك فقال: يا محمد إن ربك يقول: أما يرضيك أنه لا يصلي عليك أحد إلا صليت عليه عشرا، ولا يسلم عليك إلا سلمت عليه عشرا**» [٤].

روى ابن الجوزي في كتابه المسمى «بالوفا في شرف المصطفى ﷺ» عن ما رواه كعب الأحبار: أن الله تعالى أوحى إلى موسى: «يا موسى أتحب أن لا ينالك من عطش يوم القيامة قال: إلهي نعم قال: فأكثر الصلاة على محمد ﷺ.

ويروى أن خلاد بن كثير بن قتيبة بن مسلم كان في النزع فوجد تحت رأسه رقعة مكتوب فيها: هذا براءة من النار لخلاد بن كثير، فسألوه أهله ماكان عمله؟ فقال أهله: كان يصلي على النبي ﷺ كل جمعة ألف مرة اللهم صل على محمد النبي الأمي.

---

(١) انظر القرطبي الجامع (١٤/٢٣٥)، وذكره المتقي في الكنـــز برقم (٢١٧٧)، وعزاه لابن عساكر.

(٢) ذكره المنذري في الترغيب والترهيب (٢/٢٢٢) عن أنس بن مالك ﷺ.

(٣) أخـــرجه الطبراني في المعجم الكبير (٥/١٠٣)، وذكره ابن الجوزي في الوفا (٢/٨٠٣)، والهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/١٦٣) عن أنس بن مالك ﷺ.

(٤) أخرجه أحمد (٤/٣٠)، والنسائي (٣/٤٤)، والقاضي عياض في الشفا (٢/٦٠).

وعن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه قال: الصلاة على النبي ﷺ أمحق للذنوب من الماء للنار، والسلام على النبي ﷺ أفضل من عتق الرقاب وحب رسول الله ﷺ أفضل من ضرب السيف في سبيل الله.

وأنشد أبو سعيد محمد بن الهيثم بن محمد السلمي لنفسه بأصبهان:

أما الصلاة على النبي فسيرة ... مرضية تمحى بها الآثام

وبها ينال المرء عنه شفاعة ... ينشأ بها الإعزاز والأكرام

كن للصلاة على النبي ملازما ... فصلاته لك جنة وسلام

وأنشد عمر بن عثمان بن بزال الشيباني لنفسه بمكة:

أيا من أتى ذنبا وقارف زلة ... ومن يرتجي الرحما من الله والقربا

تعاهد صلاة الله في كل ساعة ... على خير مبعوث وأكرم من نبا

فيكفيك هما أي هم تخافه ... ويكفيك ذنبا جئت أعظم به ذنبا

وإن لم يكن يفعل فإن دعاءه ... يجب قبل أن يرقا إلى ربه الحجبا

عليه صلاة الله ما لاح بارق ... وما طاف بالبيت الحجيج وما لبا

وللحافظ رشيد الدين:

ألا أيها الراجي المثوبة والأجرا ... وتكفير ذنب سالف أنقض الظهرا

عليك بإكثار الصلاة مواظبا ... على أحمد الهادي شفيع الورا طرا

وأفضل خلق الله من نسل آدم ... وأزكاهم فرعا وأشرفهم بحرا

قد صح أن الله جل جلاله ... يصلي على من قالها مرة عشرا

ما جاء في تخصيصه ﷺ

بتبليغ صلاة من صلى عليه أو سلم من الأنام ﷺ

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**من صلى علي عند قبري سمعته ومن صلى علي نائيا أبلغته**» [(١)].

---

(١) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٢/٢١٨) وذكره عياض في الشفا (٢/٦٣)، وابن الجوزي في الموضوعات (١/٣٠٣) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

عن عبد الله رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: **«إن لله عز وجل ملائكة سياحين يبلغوني عن أمتي السلام»** (١).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ أنه قال: **«ما من أحد يسلم علي إلا رد الله علي روحي حتى أرد عليه السلام»** (٢).

وعن الحسن رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«أكثروا علي من الصلاة يوم الجمعة فإنها تعرض علي»** (٣).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«لا تجعلوا قبري عيدا فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم»** (٤).

وعن عمران بن حميري: قال: قال لي عمار بن ياسر: يا عمران ألا أحدثك حديثا حدثنيه نبي الله ﷺ قال النبي ﷺ: **«يا عمار بن ياسر: إن الله أعطى ملكا من الملائكة أسماع الخلائق وهو قائم على قبري إلى أن تقوم الساعة ليس أحد من أمتي يصلي علي صلاة إلا قال: يا أحمد فلان ابن فلان باسمه واسم أبيه صلى عليك كذا وضمن الرب عز وجل أن من صلى علي صلاة صلى الله عليه عشرا، وإن زاده زاده الله»** (٥).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«ما من مسلم يسلم علي في شرق ولا غرب إلا أنا وملائكة ربي نرد عليه السلام»** فقال له قائل: يا رسول الله فما بال أهل المدينة؟ فقال له: **«وما يقال لكريم في جيرته وجيرانه مما أمر به في حفظ الجوار وحفظ الجيران»** (٦).

وعن معاذ بن جبل قال: قال رسول الله ﷺ: **«إن الله عز وجل أعطاني ما لم يعط غيري من الأنبياء: فضلني عليهم، وجعل لأمتي في الصلاة علي أفضل الدرجات،**

---

(١) أخرجه أحمد (١/٣٨٧)، والنسائي (٣/٤٣)، والطبراني في المعجم الكبير (١٠/٢٧١) عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

(٢) أخرجه أبو داود (٢/٢١٨)، وابن النجار في الدر الثمينة (٢/٣٩٨)، وذكره عياض في الشفا (٢/ ٦٣) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) ذكره عياض في الشفا (٢/٦٤) والمتقي في الكنز برقم (٢١٧٩) (٢٣٣٥) عن الحسن رضي الله عنه.

(٤) أخرجه أبو داود (٢/٢١٨)، والنسائي (٣/٩١)، وذكره القاضي عياض في الشفا (٢/٥٢، ٦٤) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٥) أخرجه البزار في كشف الأستار (٤/٤٧)، والهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/١٦٤)، السيوطي في الخصائص: (٣/٤٠٣) عن عمار بن ياسر رضي الله عنه.

(٦) ذكره القاضي عياض في الشفا (٢/٦٣)، وأبو نعيم في الحلية (٦/٣٤٩) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

ووكل بقبري ملكا يقال له: منطروس رأسه تحت العرش ورجلاه في تخوم الأرضين السابعة السفلى، وله ثمانون ألف جناح في كل جناح ألف ريشة، تحت كل ريشة ثمانون ألف زغبة، تحت كل زغبة لسان يسبح الله عز وجل، ويحمده ويستغفر لمن يصلي علي من أمتي من لدن رأسه إلى بطن قدميه أفواه وألسن وريش وزغب ليس فيه موضع شبر إلا وفيه لسان يسبح الله ويستغفر لمن يصلي حتى يموت» .

وعن كعب الأحبار قال: «ما من فجر يطلع إلا نزل سبعون ألفا من الملائكة حتى يحفوا بالقبر يضربون بأجنحتهم ويصلون على النبي ﷺ حتى إذا أمسوا عرجوا وهبط مثلهم وصنعوا مثل ذلك، حتى إذا انشقت الأرض خرج في سبعين ألفا من الملائكة يوقرونه» وفي رواية: «يزفونه».

واعلم أن حضرة الرسول ﷺ معمورة بثلاثة عمار: أحدها: وجوده ﷺ الثانية بهذه السبعين ألف من الملائكة، الثالثة: بالرجال، فإنه لا يخلو نفس من الأنفاس إلا والرجال هناك بأبدانهم.

وكان عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه يبرد بالبريد من الشام يقول: سلم لي على رسول الله ﷺ .

وروى ابن بشكوال أن سفيان الثوري وجد شابا لا يرفع قدما ولا يضع أخرى إلا وهو يقول: اللهم صلى على محمد وعلى آل محمد، فسأله عن ذلك قال: كنت حاجا ومعي والدتي فأدخلتها البيت، فوقعت وتورم بطنها واسود وجهها، فجلست عندها حزينا،فإذا برجل عليه ثياب بيض، فدخل البيت فأمر بيده على وجهها فابيض وعلى بطنها فسكن الورم، فتعلقت بثوبه، فقلت: من أنت؟ قال: «**أنا نبيك محمد ﷺ**» قلت: يا رسول الله فأوصني: قال: «**لا ترفع قدما ولا تضع قدما إلا وتقول: اللهم صلى على محمد وعلى آل محمد**»[1].

وبإسناده أيضا إلى عبد الواحد بن زيد قال: صحبني رجل في الحج فكان لا يتحرك إلا صلى على النبي ﷺ قال: فسألته فقال: خرجت منذ سنيات إلى مكة المشرفة ومعي أبي فبينما أنا نائم أتاني آت فقال لي: قم فقد مات أبوك واسود وجهه، فقمت فكشفت الثوب عن وجهه، فإذا هو ميت مسود الوجه، فاغتممت وغلبتني عيناي، وإذا بأربعة سودان معهم أعمدة من حديد، إذ أقبل رجل يمشي حسن الوجه بين ثوبين أخضرين، فقال لهم: تنحو فرفع الثوب عن وجهه، فمسح وجهه بيديه، ثم أتاني فقال: «قم قد بيض

---

(١) ذكره القاضي في الشفا (٢/ ٧٠).

الله وجه أبيك»، فقلت: من أنت بأبي أنت وأمي؟ فقال: «أنا محمد ﷺ» فكشفت الثوب عن وجهه، فإذا هو أبيض الوجه فدفنته، وفي رواية فقال: «إن والدك كان مسرفا على نفسه، ولكن كان يكثر الصلاة علي».

وروي أيضا عن محمد بن سعيد بن مطرف الخياط قال: كنت جعلت على نفسي كل ليلة عند النوم عددا معلوما أصلي على النبي ﷺ فرأيت النبي ﷺ في بعض الليالي وقال: «**هات هذا الفم الذي يكثر الصلاة علي أقبله**» فكنت أستحي أن أقبله في فيه فاستدرت بوجهي فقبل في خدي فانتبهت فزعا من فوري وأنبهت صاحبتي، وإذا بالبيت يفوح مسكا، وبقيت رائحة المسك من قبلته في خدي نحو الثمانية أيام.

وحكي عن الشبلي قال: مات رجل من جيراني، فرأيته في المنام فسألته عن حاله فقال: ارتج علي عند السؤال، فقلت في نفسي من أين أتى علي ألم أمت على الإسلام؟ فنوديت هذه عقوبة إهمالك لسانك، فلما هم بي الملكان جاء رجل جميل الشخص فذكرني حجتي، فذكرتها فقلت: من أنت يرحمك الله؟ فقال: أنا شخص خلقت بكثرة صلاتك على محمد ﷺ وأمرت أن أنصرك في كل كرب.

ورئي أبو العباس أحمد بن منصور بعد موته في حالة حسنة فقيل له: بما أوتيت هذا؟ قال: بكثرة صلاتي على النبي ﷺ.

ورئي الحسن بن رشيق بعد موته في المنام في حالة حسنة فقيل له: ما أتيت هذا؟ قال: بكثرة صلاتي على النبي ﷺ.

وأوحى الله تعالى إلى موسى: «أتريد أن أكون أقرب من كلامك إلى لسانك، ومن وسواس قلبك إلى قلبك، ومن روحك إلى بدنك، ومن نور بصرك إلى عينيك؟ قال: نعم: يا رب، قال: فأكثر الصلاة على محمد ﷺ».

وكان أبو سعيد الخياط الزاهد لا يختلط بالناس، فداوم على حضور مجلس ابن رشيق فسئل عن ذلك فقال: رأيت النبي ﷺ في المنام فقال: «احضر مجلسه فإنه يكثر فيه الصلاة علي».

الفصل السابع

في كيفية الصلاة والسلام على النبي ﷺ

عن أبي حميد الساعدي أنهم قالوا: يا رسول الله كيف نصلي عليك؟ فقال: «قولوا **اللهم صل على محمد وأزواجه وذريته كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم**

وبارك على محمد وأزواجه وذريته كما باركت على إبراهيم إنك حميد مجيد» (١).

وعن علي رضي الله عنه قال: عدهن في يدي رسول الله ﷺ وقال: «عدهن في يدي جبريل، وقال: هكذا أنزلت من عند رب العزة: اللهم صلى على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم، وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد، اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد، اللهم وترحم على محمد وعلى آل محمد كما ترحمت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد، اللهم وتحنن على محمد وعلى آل محمد كما تحننت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد ، اللهم وسلم على محمد وعلى آل محمد كما سلمت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد» (٢).

وأما السلام:

فهو ما جاء في التشهد: «السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته» (٣) وجاء في التشهد، «اللهم اغفر لمحمد» (٤).

وذهب ابن عبد البر وغيره: أنه لا يدعى للنبي ﷺ بالرحمة وإنما يدعى له بالصلاة والبركة التي تختص به، ويدعى لغيره بالرحمة والمغفرة (٥).

ما جاء في ذم من لم يصل على النبي ﷺ:

قال ﷺ: **«البخيل الذي إذا ذكرت عنده فلم يصل علي ﷺ»** (٦).

وعن جعفر بن محمد، عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: **«من ذكرت عنده فلم يصل علي أخطئ به طريق الجنة»** (٧).

وفي رواية: **«من نسي الصلاة علي نسي طريق الجنة»** (٨).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ **«رغم أنف رجل ذكرت**

---

(١) أخرجه البخاري (٦٣٦٠)، ومسلم (٦٩) (٣٠٦/١) عن أبي حميد الساعدي رضي الله عنه.

(٢) أخـــرجه الحاكم في معرفة علوم الحديث ص (٣٢، ٣٣)، والبيهقي في شعب الإيمان (٢٢١/٢، ٢٢٣)، وذكره عياض في الشفا (٥٥/٢) عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

(٣) أورده عند عياض في الشفا (٥٨/٢)، وأبو داود (٢٥٤/١) والترمذي (٨١/٢).

(٤) ذكره القاضي عياض في الشفا (٥٨/٢) .

(٥) ذكره القاضي عياض في الشفا (٥٨/٢-٥٩).

(٦) أخرجه أحمد في المسند (٢٠١/١)، وأبو يعلى في المسند (١٤٧/٢)، والحاكم في المستدرك (١/ ٤٥٩).

(٧) ذكره عياض في الشفا (٦٢/٢) والهيثمي في مجمع الزوائد (١٦٤/١).

(٨) ذكرها عياض في الشفا (٦٣/٢).

عنده فلم يصل علي» [1] الإرغام والترغيم : الإذلال.

قال القاضي عياض: أهل الفقه متفقون على جواز الصلاة على غير النبي ﷺ، وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنه لا تجوز الصلاة على غير النبي ﷺ وقال: لا تنبغي الصلاة على أحد إلا النبيين وقال سفيان: يكره أن يصلى إلا على النبي.

قال القاضي أبو الفضل: ووجدت بخط بعض شيوخي، مذهب مالك لا يجوز أن يصلى على أحد من الأنبياء سوى محمد ﷺ قال: وهذا غير معروف من مذهبه، وقال مالك في «المبسوط»: أكره الصلاة على غير الأنبياء وما ينبغي لنا أن نتعدى غير ما أمرنا به قال يحبى بن يحيى: لست آخذ بقوله ولا بأس بالصلاة على الأنبياء كلهم وعلى غيرهم واحتج بحديث ابن عمر ﷺ وبما جاء في حديث تعليم النبي ﷺ الصلاة عليه وفيه: «وعلى أزواجه وعلى آله» وقد وجدت معلقا عن أبي عمران الفاسي روي عن ابن عباس ﷺ كراهة الصلاة على غير النبي ﷺ.

قال أبو عمران الفاسي: وبه نقول، ولم يكن يستعمل فيما مضى، وقد روى عبد الرزاق، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**صلوا على أنبياء الله ورسله فإن الله بعثهم كما بعثني**» [2] وقال: ﷺ «**اللهم صل على آل أبي أوفى**» [3] وذهب قوم إلى هذا وقال آخرون هو منسوخ بقوله تعالى ﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنۡهُم ﴾ وكان إذا أتاه قوم بصدقتهم قال: «**اللهم صلى على آل فلان**» وفي حديث الصلاة: «اللهم صل على محمد وعلى أزواجه وذريته»، وفي آخر: «وعلى آل محمد» وآله، قيل: أتباعه، وقيل: أمته، وقيل: آل بيته، وقيل: الأتباع والرهط والعشيرة، وقيل: آل الرجل ولده، وقيل: قومه وقيل أهله الذين حرمت عليهم الصدقة، وفي رواية أنس: سئل النبي ﷺ من آل محمد؟ قال: «**كل تقي**» ويجيء على مذهب الحسن أن المراد بآل محمد: محمد نفسه، فإنه كان يقول في صلاته على النبي ﷺ: اللهم اجعل صلواتك وبركاتك على آل محمد يريد نفسه، وقيل: آله وأولاد علي والعباس وعقيل وحمزة وهم الذين تحرم عليهم الصدقة.

وعنه عليه الصلاة والسلام: «**معرفة آل محمد براءة من النار وحب آل محمد جواز على الصراط والولاية لآل محمد أمان من العذاب**» [4].

---

(١) ذكره القاضي عياض في الشفا (٢/٦٢) عن أبي هريرة ﷺ.

(٢) ذكره عياض في الشفا (٢/٦٥).

(٣) ذكره عياض في الشفا (٢/٦٦)، وأخرج البخاري جزءًا منه برقم (٦٢٣٢)، وأحمد (٤/ ٣٥٣).

(٤) ذكره القاضي عياض في الشفا (٢/٣٧)، والديلمي في الفردوس (١٦٩٢).

وقيل: في قوله عليه الصلاة والسلام: «**أنشدكم الله وأهل بيتي**»قيل لزيد من أهل بيته؟ قال: آل علي، وآل جعفر، وآل عقيل، وآل العباس [(١)].

والآل: ميل الأكثرين إلى أن أصله أهل، قلبت الهاء ألفا.

والآل في القرآن على أربعة أوجه

أحدها أهل دين الرجل: ﴿ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ ﴾ [البقرة : ٥٠]. الثاني أهل ملته ﴿ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَـٰرُونَ ﴾ [البقرة: ٢٤٨]. والثالث ذرية الرجل ﴿ وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ ﴾ [آل عمران: ٣٣]. الرابع أهل بيت الرجل المكتنفين بنسبه ﴿ فَلَمَّا جَآءَ ءَالَ لُوطٍ ﴾ [الحجر: ٦١].

والصحيح أنه لا يصلى على غير الأنبياء ويذكر غيرهم بالغفران والرضا وإنما ذكر الصلاة على الآل والأزواج مع النبي ﷺ بحكم التبع والإضافة إليه لا على التخصيص وصلاة النبي ﷺ على من صلى عليه مجراها مجرى الدعاء، وهذا اختيار الاسفراييني وأبو عمرو عبد الله، والسلام هو في معنى الصلاة لا يفرد به غير الأنبياء، فلا يقال: علي عليه السلام، ومن قال: الترضي مخصوص بالصحابة فليس كما قال.

ما جاء في كيفية السلام على النبي ﷺ حال الزيارة:

قال الشيخ جمال الدين: حدثني أبو محمد عبد الله بن عمران البسكري: أن الشيخ الإمام أبا الحسن بن عبد الله بن عبد الجبار الشاذلي كان عند وقوفه تجاه الحجرة الشريفة للسلام على سيدنا رسول الله ﷺ كما أخبره بعض الفقراء ممن كان معه يقول: السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته ، صلى الله عليك يا رسول الله أفضل وأزكى وأنمى وأعلى صلاة صلاها على أحد أنبيائه وأصفيائه، أشهد يا رسول الله أنك بلغت ما أرسلت به، ونصحت أمتك،وعبدت ربك حتى أتاك اليقين، وكنت كما نعتك الله في كتابه بقوله تعالى ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [التوبة: ١٢٨] فصلوات الله وملائكته وأنبيائه ورسله وجميع خلقه، من أهل سمواته وأرضه عليك يا رسول الله، السلام عليكما يا صاحبي رسول الله يا أبا بكر، ويا عمر ورحمة الله وبركاته، فجزاكما الله عن الإسلام وعن أهله أفضل ما جزى به وزيري نبي في حياته، وعلى حسن خلافته في أمته بعد وفاته، فلقد كنتما لرسول الله ﷺ وزيري صدق في حياته، وخلفتماه بالعدل والإحسان بعد وفاته، فجزاكما الله عن ذلك مرافقته في جنته وإيانا معكما برحمته أنه أرحم الراحمين، اللهم إني أشهدك وأشهد رسولك، وأبا بكر

---

(١) ذكره عياض في الشفا (٢/٣٧، والمتقي في الكنز (٣٧٦١٩).

وعمر، وأشهد الملائكة النازلين على هذه الروضة الكريمة والعاكفين عليها، أني أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدا عبده ورسوله، وأشهد أن كل ما جاء به من أمر أو نهي وخبر عما كان ويكون، فهو حق لا كذب فيه ولا افتراء، وإني مقر إليك يا إلهي بجنايتي ومعصيتي في الخطرة والفكرة والإرادة والغفلة، وما استأثرت به عني مما إذا شئت أخذت به، وإذا شئت عفوت عنه مما هو متضمن للكفر والنفاق، أو البدعة، أو الضلالة أو المعصية، أو سوء الأدب معك ومع رسولك ومع أنبيائك وأوليائك من الملائكة والجن والإنس وما خصصت من شيء في ملكك فقد ظلمت نفسي بجمع ذلك. فاغفر لي وامنن علي بما مننت به على أوليائك فإنك أنت المنان الغفور الرحيم.

وقال نافع: كان ابن عمر رضي الله عنهما يسلم على القبر رأيته مائة مرة وأكثر يجيء إلى القبر فيقول: السلام على النبي السلام على أبي بكر، السلام على أبي حفص ثم ينصرف [١].

وينبغي أنه إذا سلم على عمر رضي الله عنه [أن][٢] يرجع إلى موقفه الأول، فيحمد الله تعالى ويشكره ويمجده ثم يصلي على رسول الله ﷺ ويدعو بما أحب، ثم يختم بالصلاة على النبي ﷺ ثم ينصرف.

قال أبو المكارم: والذي يظهر بالمدينة ترجيح السلام على الصلاة، والتحرز مما يفعله بعض الجهلة من الطواف بقبره ﷺ وأكل التمر الصيحاني في الروضة، وإلقاء النوى بها،وقطع الشعر وإلقاؤه في القنديل الكبير.

وكان السلف الصالح يحبون لمن أتى المساجد الثلاثة أن يختم فيها القرآن

الفصل الثامن

ما جاء في التوسل به إلى الله عز وجل

حكى مكي والسمرقندي وغيرهما: أن آدم عليه السلام عند معصيته قال: اللهم بحق محمد اغفر لي خطيئتي ويروى: وتقبل توبتي فقال: الله تعالى له: من أين عرفت محمدا؟ قال: رأيت في كل موضع من الجنة مكتوبا: لا إله إلا الله محمد رسول الله، ويروى: محمد عبدي ورسولي، فعلمت أنه أكرم خلقك عليك، فتاب الله عليه وغفر له قبل وجوده فكيف الآن [٣].

عن [أبي][٤] أمامة بن سهل بن حنيف [عن عمه عثمان بن حنيفة][٥] أن رجلا كان يختلف إلى عثمان رضي الله عنه، في حاجته فكان عثمان لا يلتفت إليه ولا ينظر في

(١) أورده القاضي عياض في الشفا (٢/ ٧٠). (٢) سقط من الأصل والزيادة من نسخة تركيا.
(٣) أورده عند القاضي عياض في الشفا (١/ ١٠٤). (٢) سقط من الأصل والزيادة من نسخة تركيا.
(٥) سقط من الأصل والزيادة من نسخة تركيا.

حاجته، فلقي عثمان بن حنيف، فشكى ذلك إليه فقال له عثمان بن حنيف: ائت الميضأة، فتوضأ ثم ائت المسجد فصلي ركعتين ثم قل: اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد ﷺ، نبي الرحمة يا محمد، إني أتوجه بك إلى ربي فتقضي لي حاجتي، وتذكر حاجتك، فانطلق الرجل فسنع ذلك، ثم أتى باب عثمان بن عفان، فجاء البواب فأخذ بيده فأدخله على عثمان، فأجلسه معه على الطنفسية، فقال له: ما حاجتك؟ فذكر له حاجته، فقضاها، ثم قال له: ما فهمت حاجتك حتى كانت الساعة انظر ما كانت لك من حاجة فاذكرها، ثم إن الرجل خرج من عنده فلقي عثمان بن حنيف فقال له: جزاك الله خيرا، ما كان ينظر في حاجتي ولا يلتفت إلي حتى كلمته، فقال عثمان بن حنيف ما كلمته ولكني سمعت رسول الله ﷺ وجاءه ضرير فشكى إليه ذهاب بصره، فقال له رسول الله ﷺ: «**أوتصبر**»، فقال: يا رسول الله إنه ليس لي قائد، وقد شق علي، فقال له النبي ﷺ: **ائت الميضاة فتوضأ، ثم صلي ركعتين، ثم قل: اللهم إني أتوسل وأتوجه إليك بنبيك محمد ﷺ** -نبي الرحمة- **يا محمد إني أتوجه بك إلى أبي فتجل لي بصري، اللهم شفعه في وشفعني في نفسي**»، فقال عثمان بن حنيف: والله ما تفرقنا وطال بنا الحديث، حتى دخل علي الرجل كأن لم يكن به ضرر قط رواه أبو داود والترمذي، وصححه الحاكم في المستدرك [1].

وروى البيهقي أن رسول الله ﷺ قال: «**على ساق العرش مكتوب أربعة أسطر: من دعاني أجبته، ومن سألني أعطيته، ومن لم يسألني لم أنسه، ومن سألني بحق محمد أجبته وغفرت له ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر**».

وكذلك عقبة بن عامر الصحابي رضي الله تعالى عنه شهد فتوح الشام، وكان البريد إلى عمر بفتح دمشق، ووصل المدينة في سبعة أيام، ورجع منها إلى الشام في يومين ونصف، بدعائه عند قبر رسول الله ﷺ وتشفعه به في تقريب طريقه، وهذا مقصور على رسول الله ﷺ لأنه سيد ولد آدم ولا يقسم على الله تعالى بغيره من الأنبياء والملائكة والأولياء، لأنهم ليسوا في درجته.

التفضيل العالي بين أهل الرتب العوالي:

المشهور من مذهب أهل السنة تفضيل الأنبياء على الملائكة، ولم يشمل الخلاف

---

(١) أخـــرجه الترمذي (٥٧٨) وقال: هذا حديث صحيح غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه، والحاكم في المـــستدرك (٣١٣/١) وقـــال: هذا حديث حسن صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، والبيهقي في الدلائل (١٦٦/٦) عن عثمان بن حنيف ﷺ.

فيه إلا عن القاضي أبي بكر، وأبي عبد الله الحليمي، وقال البيهقي: ذهب ذاهبون إلى أن الرسل من النبيين أفضل من الرسل من الملائكة، والأولياء من البشر أفضل من الأولياء من الملائكة وذهب آخرون إلى أن الملأ الأعلى مفضلون على سكان الأرض، واختار الحليمي تفضيل الملائكة والأكثرون على القول الأول.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن الله تعالى فضل محمدا ﷺ على أهل السماء وعلى سائر الأنبياء فهو ﷺ أفضل من الملائكة وأفضل خلق الله تعالى.

وكره مالك أن يقال: زرنا قبر النبي ﷺ واختلف في ذلك فقيل كراهة الاسم لقوله عليه الصلاة والسلام: «**لعن الله زوارات القبور**» (١) وهذا يرده قوله عليه الصلاة والسلام «**نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها**»(٢)، وقوله عليه الصلاة والسلام «**من زار قبري وجبت له شفاعتي**» (٣) فقد أطلق اسم الزيارة وقيل ذلك لما قيل: إن الزائر أفضل من المزور، وهذا أيضا ليس بشيء لأنه ليس على العموم.

وقال أبو عمران: إنما كره مالك أن يقال: طواف الزيارة وزرنا قبر النبي ﷺ لاستعمال الناس ذلك بينهم فكره تسوية النبي ﷺ مع الناس بها اللفظ وأحب أن يخص بأن يقال: سلمنا على النبي ﷺ وأيضا فإن الزيارة مباحة بين الناس، وواجب شد المطي إلى قبره ﷺ يريد بالوجوب هنا وجوب ندب وترغيب.

والأولى أن كراهته له لإضافته إلى القبر، ولو أنه قال: زرنا النبي ﷺ لم يكره لقوله عليه الصلاة والسلام: «**اللهم لا تجعل قبري وثنا يعبد بعدي**» (٤).

ويستحب للزائر إذا قضى زيارته أن يقصد الآثار والمساجد التي صلى فيها النبي ﷺ وعلى فعل هذا واستحبابه أجمع المسلمون.

قال القاضي عياض: من إعظام النبي ﷺ وإكباره إعظام جميع أسبابه وإكرام مشاهده وأمكنته من مكة والمدينة ومعاهده وما لمسه عليه الصلاة والسلام، أو عرف به وذكر الآثار في ذلك، ثم قال: وحدثت أن أبا الفضل الجوهري لما ورد المدينة وقرب من بيوتها، ترجل ومشى باكيا منشدا:

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه (١٠٥٦) عن أبي هريرة رضي الله عنه، وقال: هذا حديث حسن صحيح، وأخرجه أبو داود في سننه (٣٢٣٥) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه (٦٧٢/٢).

(٣) ذكره عياض في الشفا (٦٨/٢)، والهيثمي في مجمع الزوائد (٢/٤).

(٤) أورده القاضي عياض في الشفا (٦٨/٢، ٦٩).

ولما رأينا رسم من لم يدع لنا فؤادا لعرفا الرسوم ولا لبا
نزلنا عن الأكوار نمشي كرامة لمن بان عنه أن نلم به ركبا

قال: وحكي عن بعض المريدين لما أشرف على مدينة الرسول ﷺ جعل يقول متمثلا:

رفع الحجاب لنا فلاح لناظري قمر تقطع دونه الأوهام
وإذا المطي بنا بلغن محمدا فظهورهن على الرجال حرام
قربننا من خير من وطئ الثرى فلها علينا حرمة وذمام

وقال القاضي أبو الفضل رحمه الله: وجدير لمواطن عمرت بالوحي والتنزيل وتردد بها جبريل وميكائيل وعرجت منها الملائكة والروح، وضجت عرصاته بالتسبيح والتقديس، واشتملت تربتها على جسد سيد البشر، وانتشر عنها من دين الله وسنة رسوله ما انتشر، مدارس آيات ومساجد وصلوات ومشاهد الفضائل، والخيرات ومعاهد البراهين والمعجزات، ومناسك الدين ومشاعر المسلمين ومواقف سيد المرسلين، ومتبوأ خاتم النبيين حيث انفجرت النبوة وحيث فاض عبابها، ومواطن مهبط الرسالة، وأول أرض مس جلد المصطفى ترابها أن تعظم عرصاتها وتتنسم نفحاتها وتقبل ربوعها وجدرانها وأنشد يقول

يا دار خير المرسلين ومن به هدي الأنام وخص بالآيات
عندي لأجلك لوعة وصبابة وتشوق متوقد الجمرات
وعلي عهد إن ملأت محاجري من تلكم الجدرات والعرصات
لأعفرن مصون شيبي بينها من كثرة التقبيل والرشفات
لولا العوادي والأعادي زرتها أبداً ولو سحبا على الوجنات
لكن شاهدي من حفيل تحيتي لقطين تلك الدار والحجرات
أزكى من المسك المفتق نفحة تغشاه بالآصال والبكرات
وتخصه بزواكي الصلوات بل ونوامي التسليم والبركات

وقال أبو محمد بن عبد الله بن عمران البسكري رحمه الله تعالى [منشدا يقول](1):

دار الحبيب أحق أن تهواها ... وتحن من طرب إلى ذكراها

وعلى الجفون متى هممت بزورة ... يا بن الكرام عليك أن تغشاها

فلأنت أنت إذا حللت بطيبة ... وظللت ترتع في ظلال رباها

مغنى الجمال منى الخواطر والتي ... سلبت عقول العاشقين حلاها

لا تحسب المسك الذكي كتربها ... هيهات أين المسك من رياها

طابت فإن تبغ التطيب يا فتى ... فأدم على الساعات لثم ثراها

وابشر ففي الخبر الصحيح مقرراً ... إن الإله بطابة سماها

واختصها بالطيبين لطيبها ... واختارها ودعا إلى سكناها

لا كالمدينة منزل وكفى بها ... شرفاً حلول محمد بفناها

حظيت بهجرة خير من وطئ الثرى ... وأجلهم قدراً فكيف تراها

كل البلاد إذا ذكرن فأحرف ... في اسم المدينة لا خلت معناها

حاشا مسمى القدس فهي قريبة ... منها ومكة إنها إياها

لا فرق إلا أن ثم لطيفة ... مهما بدت يجلو الظلام سناها

جزم الجميع بأن خير الأرض ما ... قد حاط ذات المصطفى وحواها

ونعم لقد صدقوا بساكنها علت ... كالنفس حين زكت زكا مأواها

وبهذه ظهرت مزية طيبة ... فغدت وكل الفضل في مغناها

حتى لقد خصت بروضة جنة ... الله شرفها بها وحباها

ما بين قبر للنبي ومنبر ... حيا الإله رسوله وسقاها

هذي محاسنها فهل من عاشق ... كلفا شحيح باخل بنواها

---

(١) سقط من الأصل والزيادة من نسخة تركيا.

إني لأرهب من توقع بينها ... فيظل قلبي موجعا أواها

ولقل ما أبصرت حال مودع ... إلا رثت نفسي له وشجاها

فلكم أراكم قافلين جماعة ... في إثر أخرى طالبين سواها

قسما لقد أذكى فؤادي بينكم ... ناراً وفجر مقلتي مياها

إن كان يزعجكم طلاب فضيلة ... فالخير أجمعه لدى مثواها

أو خفتم ضرأها فتأملوا ... بركات بلغتها فما أزكاها

أف لمن يبغي الكثير لشهوة ... ورفاهة لم يدر ما عقباها

والعيش ما يكفي وليس هو الذي ... يطغي النفوس ولا خسيس مناها

يا رب أسأل منك فضل قناعة ... بيسيرها وتحصنا بحماها

ورضاك عني دائماً ولزومها ... حتى توافي مهجتي أخراها

فإن الذي أعطيت نفسي سؤلها ... وقبلت دعوتها فيا بشراها

بجوار أوفى العالمين بذمة ... وأعز من بالقرب منه يباها

من جاء بالآيات والنور التي ... داوى القلوب من العمى فشفاها

أولى الأنام بخطة الشرف الذي ... تدعى الوسيلة خير من يعطاها

إنسان عين الكون سر وجوده ... يس إكسير المحامد طه

حسبي فلست أفي بذكر صفاته ... ولو أن لي عدد الحصى أفواها

كثرت محاسنه فأعجز حصرها ... وغدت ما يلقى لها أشباها

إني هديت من الكتابة بآية ... فعلمت أن علاه ليس يضاهى

ورأيت فضل العالمين محدداً ... وفضائل المختار لا تتناهى

كيف السبيل إلى تقصي مدح ... من قال الإله له وحسبك جاها

إن الذين يبايعونك إنما ... فيما يقول: يبايعون الله

هذا الفخار فهل سمعت بمثله ... واها لنشأته الكريمة واها

صلوا عليه وسلموا فبذالكم تهدى النفوس لرشدها وعناها
صلى الإله عليه غير مقيد وعليه من بركاته أنماها
وعلى الأكابر آله سرج الهدى أحبب بعترته ومن والاها
وكذا السلام عليه ثم عليهم وعلى عصابته التي زكاها
أعني الكرام أولي النهى أصحابه فئة التقى ومن اهتدى بهداها
والحمد لله الكريم وهذه نجزت وفي ظني أنه يرضاها

الفصل التاسع
في إثبات حياته وبقاء حرمته ﷺ بعد وفاته

اعلم أن النبي ﷺ حي بعد موته، عالم بمن يجيء إليه، سامع بصلاة من يصلي عليه، أحياه الله تعالى بعد موته حياة تامة مستمرة إلى يوم القيامة، وجميع الأنبياء صلوات وسلامه عليهم كذلك، وكذلك الشهداء ردت إليهم أرواحهم بعد قبضها، فهم أحياء عند ربهم.

عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**الأنبياء أحياء في قبورهم يصلون**»[1].

وعنه أيضا أن رسول الله ﷺ قال: «**أتيت على موسى ليلة أسري بي وهو قائم يصلي في قبره**» [2] فوصفه بالصلاة وذكر أنه قائم ومثل هذا لا توصف به الروح فقط وإنما توصف به مع الجسد.

وعنه ﷺ: «**أن الله تعالى حرم علي الأرض أجساد الأنبياء**» [3] فنبي الله ﷺ حي يرزق.

وعن أبي العالية: أن أجساد الأنبياء لا تبليها الأرض ولا تأكلها السباع.

وقال القشيري: عقدنا أن النبي ﷺ حي في قبره لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًا﴾ [آل عمران: ١٦٩] فأخبر سبحانه وتعالى أن الشهداء أحياء والأنبياء أولى بذلك، لأن الشهادة ثالثة درج النبوة، قال تعالى: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم

---

(١) أخرجه أبو يعلى (١٤٧/٦)، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٢١٤/٨) عن أنس ﷺ.
(٢) أخرجه مسلم في صحيحه (١٦٤) ٤/ ١٨٤٥، وأحمد (٣/ ١٤٨) عن أنس ﷺ.
(٣) أخرجه أبو داود (٢٧٥/١)، وأحمد (٨/٤)، وابن ماجه (٣٤٥/١) عن أوس بن أوس .

مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ ﴾ [النساء: ٦٩].

قال أبو المكارم: ولا يمتنع أن يحمل [صلاة][١] موسى على الصلاة ذات الركوع والسجود، وقد قيل: إنما حرم نكاح زوجاته ﷺ من بعده لكونه حيًّا، وذكر صاحب الدر المنظم أن النبي ﷺ لما مات ترك في أمته الرحمة لهم.

روي عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال: «**ما من نبي دفن إلا وقد رفع بعد ثلاث غيري، فإني سألت الله عز وجل أن أكون بينكم إلى يوم القيامة**». يؤيد ذلك بيان ما هو مشهور في كتب الرقائق، في مناقب ثابت البناني رحمه الله تعالى أن الله تعالى أكرمه بالصلاة في قبره، وكان يقول: اللهم إن كنت أعطيت أحدا من خلقك أن يصلي لك في قبره فأعطني ذلك.

روى الحافظ عبد الغني، عن سنان بن جسر، عن أبيه قال: كنت فيمن أدخل ثابت البناني في قبره، فرفعت لبنة أصلحها، فإذا أنا بالقبر وفيه ثابت قائما يصلي، فأطبقت اللبنة، ثم سألت أهله، فقلت أخبروني ما كان ثابت يسأل به عز وجل؟ قالت: كان يقول: اللهم إن كنت أعطيت أحدا الصلاة في قبره فأعطني ذلك [٢].

وعن إبراهيم بن الصمة المهلبي قال: حدثني الذين كانوا يمرون بالحصن بالأسحار، قالوا: كنا إذا مررنا بجنبات قبر ثابت سمعنا قراءة القرآن، ومات ثابت سنة ثلاث وعشرين ومائة.

فحرمة النبي ﷺ واحدة حيا وميتا.

وكان أيوب السختياني إذا ذكر النبي ﷺ بكى، قال مالك: فكان يبكي حتى أرحمه.

وكان مالك إذا ذكر النبي ﷺ يتغير لونه وينحني حتى يصعب ذلك على جلسائه، فقيل له في ذلك، فقال: «لو رأيتم ما رأيت لما أنكرتم ولقد رأيت محمد بن المنكدر لا تكاد تسأله عن حديث أبدا إلا بكى حتى ترحمه، ولقد كنت أرى جعفر بن محمد، وكان كثير الدعابة والتبسم، فإذا ذكر النبي ﷺ اصفر، وما رأيته يحدث عن رسول الله ﷺ إلا على طهارة، وكان عبد الرحمن بن القاسم يذكر النبي ﷺ فينظر إلى لونه كأنه نزف منه الدم وقد جف لسانه في فمه ولقد كنت آتي عامر بن عبد الله بن الزبير، فإذا ذكر عنده النبي ﷺ بكى حتى لا يبقى في عينه دموع، ولقد رأيت الزهري فإذا ذكر عنده النبي ﷺ فكأنه ما عرفك ولا عرفته، ولقد كنت آتي صفوان بن سليم، وكان من المتعبدين، فإذا

---

(١) زيادة من نسخة تركيا.

(٢) أخرجه أبو النعيم حلية الأولياء (٢/٣١٩).

ذكر عنده ﷺ فلا يزال يبكي حتى تقوم الناس عنه ويتركوه، وكان قتادة إذا سمع الحديث أخذه العويل والزويل» (١).

وقال عبد الله بن المبارك: كنت عند مالك وهو يحدثنا، فلدغته عقرب ست عشرة مرة، وهو يتغير لونه ويصفر، ولا يقطع حديث رسول الله ﷺ، فلما فرغ من المجلس وتفرق الناس، قلت له: يا أبا عبد الله لقد رأيت منك اليوم عجبا، قال: نعم، إنما صبرت إجلالا لحديث رسول الله ﷺ (٢).

تنبيه:

قوله تعالى: ﴿ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ﴾ [الزمر: ٦٨] اختلف في هذا الاستثناء، فقيل: موسى عليه السلام لأنه حوسب بصعقة يوم الطور، وقيل: الشهداء، وقيل: جبريل وميكائيل وإسرافيل، وعزرائيل، وحملة العرش الثمانية،وقيل: إن هؤلاء ليسوا من سكان السماء، ولا من سكان الأرض، فلم يدخلوا في الآية وقيل: من في الجنة من الحور والولدان، ذكره ابن شاقلا، وقيل: المؤمنون وقيل: لم يرد في تعيينهم خبر صحيح، وقيل: الأنبياء يصعقون فيمن صعق ثم لا يكون ذلك موتا في جميع معانيه، إلا في ذهاب الاستشعار، فإن كان موسى فيمن استثنى الله تعالى، فإنه لا يذهب استشعاره في تلك الحالة، وقيل: يكون الصعق في حق الأنبياء كالغشي، ثم يقومون في النفخة الثانية.

وجاء في الحديث: فأكون أول من يفيق، فيكون المراد بصعقة موسى التي لم يدر بها النبي ﷺ صعقته فيمن صعق في تلك النفخة الأولى، لا في من مات الموت الأول، فيحمل حينئذ على صعقة النفخة، ولا يحتمل إلا أن يكون صعق فيها إلا أن يكون حيا في ذلك الوقت، أما لو كان ميتا فلا يقال فيه صعق، وتلك الصعقة التي هي الغشي أنسب للمحاسبة بصعقة الطور، فإذا تأمل ذلك جزم بأن المراد به الصعقة في النفخة الأولى.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «**لا تفضلوا بين الأنبياء فإنه ينفخ في الصور، فيصعب من في السموات ومن في الأرض، إلا من شاء الله، ثم ينفخ فيه أخرى، فأكون أول من يبعث، فإذا موسى آخذ بالعرش، فلا أدري أحوسب بصعقة يوم الطور، أم بعث قبلي**» (٣).

---

(١) أورده القاضي عياض في الشفا (٣٣/٢) عن مصعب رضي الله عنه.

(٢) أورده القاضي عياض في الشفا (٣٦/٢).

(٣) أخرجه البخاري (٣٤١٤)، ومسلم (١٥٩) (١٨٤٤/٤) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

والصعق الموت، وإذا تأمل المعنى، فهم منه أن نبينا صلوات الله وسلامه حي حياة تامة،إذ هو أعلى رتبة من جميع الخلائق،وممن تقدم، فلا تحصل للشهداء من أمته مرتبة ليس له.

الفصل العاشر

في ذكر ما رئي في الحجرة الشريفة من العجائب وشوهد فيها من الغرائب دلالات على فضل النبي الحاشر العاقب وعلى فضل أصحابه الأصفياء ذو المناقب، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الرؤساء المزن الساكب

عن إبراهيم بن أبي شيبان قال: حجبت وأتيت المدينة، فتقدمت إلى قبر النبي ﷺ، فسلمت، فسمعت من داخل الحجرة: وعليك السلام.

سمعت والدي رحمه الله يقول: سمعت الحريري، شيخ خدام الحجرة الشريفة يقول: بينا أنا ذات ليلة عند الحجرة المقدسة، إذ سمعت من داخل الحجرة وعليكم السلام، وعليكم السلام، إلى أن عددت عشر مرات، فلما أصبحت ترصدت من يدخل المدينة، فإذا جماعة من الزيالعة داخلين من باب البقيع، أتوا للزيارة فعددتهم فإذا هم تسعة، قال: فسألتهم، فقالوا: أتينا مكة ونحن عشرة،ولكن رفيق لنا ضعيف تركناه بمسجد قباء، وقد وصلنا من البارحة قال: فقلت لهم: ما صنعتم حين وصلتم؟ قالوا: صعدنا منارة مسجد قباء، وسلمنا على النبي ﷺ السلام عليك يا رسول الله السلام عليك يا رسول الله، فأخبرتهم بأن النبي ﷺ رد عليهم السلام وأكرمتهم بعد ذلك.

ولما كانت سنة إحدى وخمسين وسبعمائة، زرت مع والدي ووالدتي، فلما ودعنا النبي ﷺ خرجت بالجمال خارج المدينة ورجع والدي يودع، فغاب زمانا وأتانا ووجهه متغير، فظننا أن به ضعف فسألته والدتي بعد ذلك ما كان سبب غيابه، فقال: دخلت لوداع النبي ﷺ، فقلت: السلام عليك يا رسول الله فسمعت رد السلام علي، فغشي علي فلما أفقت أتيت، وكان آخر زياراته، وهي السابعة من الطريق السلطاني،والثانية والخمسون لما زار من طريق الماشي.

وبلغني أنه اعتمر في شهر رمضان ثلاث عمر من المدينة.

وقد ذكر سيدنا عبد الله اليافعي أن النبي ﷺ يرد السلام على المسلم عليه، قال: قد سمع ذلك كثير من الصالحين في اليقظة، بل رأوه ﷺ [يخرج][1] للقاء الزوار، كما روينا ذلك عن غير واحد بعضهم رأى ذلك في اليقظة، وبعضهم في النوم، أخبرتني والدتي أيدها

---

(١) زيادة من النسخة التركية.

الله تعالى أنها سمعت أمها تقول، سمعت الضياء المالكي يقول: كان على باب إبراهيم بالحرم الشريف المكي فقيرة مقعدة، تسمى موفقة، قال بينما نحن جلوس ذات يوم إذا أتتنا تمشي كأن لم يكن بها شيء، قالت: قمت سحر، وقلت من يعطيني قليل ماء أتوضأ به، فأتى النبي ﷺ وأخذ بيدي قال: قومي يا موفقة، فقمت وأرتني قبرها بالمعلاة في أول شعب دكام وعليها حجر مكتوب فيه: هذا قبر الفقيرة إلى الله عتيقة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، من الزمن، الموفقة كلثم ابنة خليل بن إبراهيم الأنصاري، توفيت ليلة التاسع عشر من رمضان سنة ثلاث وأربعين وستمائة، وقبر الضياء المالكي جانب قبرها من جهة القبلة.

وعن عمر بن محمد لما كانت أيام الحرة، ترك الأذان بمسجد رسول الله تعالى عليه وسلم ثلاثة أيام وخرج الناس إلى الحرة وجلس سعيد بن المسيب في المسجد قال: فاستوحشت فدنوت من قبر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، فلما حضرت الصلاة سمعت الأذان في قبر رسول الله ﷺ فصليت ركعتين ثم سمعت الإقامة فصليت الظهر ثم جلست حتى صليت العصر، فسمعت الأذان في قبر رسول الله ﷺ ثم سمعت الإقامة ثم لم أزل أسمع الأذان والإقامة في قبره ﷺ حتى مضت الثلاث، وقفل القوم وعاد المؤذنون فتسمعت الأذان فلم أجده.

وكانت وقعة الحرة لاثنتين بقيتا من ذي الحجة من سنة ثلاث وستين، قتل فيها من المهاجرين والأنصار سبعمائة،ومن سائر الناس عشرة الآف.

وقال ابن الجلاء: دخلت المدينة وبي فاقة ، فتقدمت إلى القبر المقدس، وقلت: أنا ضيفك فغفوت فرأيت النبي ﷺ وقد أعطاني رغيفا فأكلت نصفه فانتبهت وبيدي النصف الآخر.

وعن أبي الخير الأقطع قال: دخلت المدينة وأنا بفاقة، فبقيت خمسة أيام ما ذقت ذواقا، فتقدمت إلى القبر الشريف، وسلمت على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم، وعلي أبي بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما وقلت: أنا ضيفك الليلة يا رسول الله، وتنحيت فنمت خلف المنبر، فرأيت النبي ﷺ، وأبا بكر عن يمينه، وعمر عن شماله، وعلي بن أبي طالب بين يديه، فحركني علي رضي الله عنه وقال لي: قم قد جاء رسول الله ﷺ فقمت إليه وقبلت بين عينيه فدفع إلي رغيفا فأكلت نصفه وانتبهت وإذا بيدي نصف رغيفا.

وعن أبي بكر المنقري قال: كنت أنا والطبراني، وأبو الشيخ في حرم رسول الله ﷺ وكنا على حالة، فأثر فينا الجوع، فواصلنا ذلك اليوم، فلما كان وقت العشاء حضرت قبر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، وقلت: يا رسول الله، الجوع الجوع، وانصرفت

فنمت وأبو الشيخ والطبراني جالس، فحضر بالباب علوي، فدق الباب، ففتحت فإذا معه غلامان مع كل واحد منهما زنبيل فيه شيء كثير، فأكلنا وظننا أن الباقي يأخذه الغلام، فلما فرغنا، ولى الغلام وترك الباقي، وقال العلوي: أشكوتم إلى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، فإني رأيت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، فأمرني بحمل شيء إليكم.

وعن مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير قال: بت ليلة بالمسجد بعدما خرج الناس، فإذا برجل قد جاء إلى بيت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم، ثم أسند ظهره إلى الجدار، ثم قال: اللهم إنك تعلم أني كنت أمس صائما ولم أفطر على شيء اللهم وأني أمسيت أشتهي الثريد فأطعمنيه من عندك، قال: فنظرت إلى وصيف دخل من خوخة المنارة ليس في خلقة وصفاء الناس، معه قصعة، فوضعها بين يديه وجلس الرجل يأكل وحصبني وقال: هلم فجئته وظننت أنها من الجنة، فجئت وأكلت منها لقمة، فأكلت طعاما لا يشبه طعام أهل الدنيا ثم احتشمت فقمت ورحت إلى مجلسي، فلما فرغ أخذ الوصيف القصعة، ورجع من حيث جاء وقام الرجل منصرفا فاتبعته لكي أعرفه، فلم أدر أين سلك فظننته الخضر.

وكان مصعب يصوم الدهر ويصلي في اليوم والليلة ألف ركعة.

وقال عبد الله محمد بن ماتك: حكى لي بمكة شخص [1] في سنة ثمان وأربعين وثلاثمائة قال: خرجت من صنعاء حاجا، فقال لي رجل من الأصحاب: إذا زرت النبي ﷺ فأقرئه مني السلام وعلى صاحبيه فنسيت ما استودعني فخرجنا إلى الصحراء بعد الزيارة فلما أردت الإحرام تذكرت، فرجعت إلى المدينة، فسلمت على النبي ﷺ وعلى صاحبيه، فأدركني الليل، وسألت رجلا عن الرفقة، فقال: رحلوا فرجعت إلى المسجد، وقلت نقيم ههنا حتى تأتي رفقة آخرى، فنمت فلما كان آخر الليل، رأيت النبي ﷺ وأبو بكر وعمر رضي الله عنهما، فقال أبو بكر: يا رسول الله هذا هو الرجل، فقال: نعم، والتفت إلي وقال لي: يا أبا الوفاء، فقلت يا رسول الله كنيتي أبو العباس، فقال لي: أنت أبو الوفاء، فأخذ بيدي فوضعني بالمسجد الحرام، فأقمت ثمانية أيام حتى وردت القافلة التي كنت معها.

وسمعت والدي رحمه الله تعالى يقول: كان بالمدينة شخص يماني، مداحا فأخذه بعض الرافضة ليعطيه شيئا فلما دخل به بيته قطع لسانه، فأخذ لسانه في يديه، وأتى الحجرة المقدسة، وقال: يا رسول الله هكذا يفعل بمن يمدحك؟ فأخذته سنة نوم، فرأى

---

(١) في الأصل «شخصًا» وهو خطأ نحوي، والصواب ما أثبتناه.

النبي ﷺ وتناول لسانه منه، وقال له: افتح فاك، فرده كما كان، فانتبه الرجل كأن لم يكن به شيء، فلما كان بعد ذلك جعل يمدح على عادته، فأتاه أولاد ذلك الرافضي وقالوا له: تعال لتأكل شيئا فسار وقال: عسى أن يفعل بي كما فعل أبوهم لعلي أرى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم، فدخلوا به الدار المعروفة، فأكرموه ثم فتحوا خزانة فيها خنزير في حلقه سلسلة فقالوا: هذا هو الذي قطع لسانك فاذبحه بيدك، قال: فذبحته لهم، فدفنوه في القبة التي على يسار السالك إلى قبة سيدنا عثمان رضي الله عنه.

قال والدي رحمه الله، قال لي أبو الحسن الخراز الأندلسي وكان من الصالحين رأيت أثر للصاق دائرا بلسان اليماني كالخيط، ولم أزل أرى خنزيرا جالسا على باب تلك القبة التي دفن فيها ذلك الشخص كلما رزت البقيع، فإذا رآني غطس في قبره.

توفي أبو الحسن سنة خمس عشرة وسبعمائة، وقبره قبر البسكري وقبر الجزولي في بقعة واحدة رضي الله عنهم.

قال والدي رحمه الله: خرجت أنا وأبو الحسن الخراز وجماعة إلى بئر علي التي في ذي الحليفة لنحفر فيها، فنزل أبو الحسن المذكور وربط صخرة كبيرة وجبدناها، فلما وصلت رأس البئر وقعت عليه وهو يحفر، فنظرنا فإذا هي على رأسه ورأسه مغروزة في التراب وهو لا يتحرك وكان أخوه معنا ومعه مقدار مائة درهم،فرقها على الفقراء في ذلك الحين ونزلنا فرفعناها عنه، فقام سويا لم يخدش فيه شيء.

وسمعته رحمه الله يقول: سمعت والدي أبا محمد المرجاني يقول: سمعت خادم الحجرة الشريفة يقول: قال والدي وسمعتها أيضا من الخادم بعد ذلك قال: جاءنا من العراق بجملة من المال إلى سلطان المدينة، على أن يأخذوا أبا [1] بكر وعمر، فأنعم بذلك، ونادى شيخ الخدام قال: فقال لي: إذا أتاك هذا النفر فدعهم يفعلون ما يريدون، قال: فلما خرج الناس بعد العشاء وغلقت أبواب المسجد، دقوا على باب السلام، ففتحت فدخل خمسة عشر أو قال: وعشرون رجلا، بالمساحي والقفف فما مشوا غير خطوة أو خطوتين وابتلعتهم الأرض، قال الخادم: فوقفت داهشا، فإذا بأمير المدينة بعد ساعة يضرب الباب ففتحت فقال: ما فعلوا؟ فقلت: دخلوا من هنا وغرقوا هناك، فقال: اكتم أمرهم، فلم يتحدث به إلا بعد موت الأمير المذكور.

وسمعته أيضا رحمه الله يقول: جاءت حداءة فوقفت على شباك الحجرة، فقام لها سعيد الهندي بعض خدام الحجرة الشريفة فضربها بالخطاف ومسكها، فقيل له: مستجيرة

---

(١) في الأصل «أبي» وهو خطأ، والصواب ما أثبتناه.

لا تذبحها فذبحها على باب جبريل وخرج إلى بيته، فما دخل المسجد بعد ذلك، ومرض أياما وتوفي.

وسمعته أيضا يقول: دخل العرب بناقة للبيع، فاشتراها منه شخص من الجزارين بمائتي درهم، وكانت نفورة، فربطوها بالبلاط خارج باب الرحمة فلما كان المغرب قطعت الحبال ودخلت من خوخة باب الرحمة، وجرت مع جدار القبلة إلى الشباك، ثم بركت، فضربوها فلم تقم، فقال بعض الخدام: هذه مستجيرة أنا أدفع قيمتها ودعوها، فوعدهم بالقيمة إلى الصباح، فقامت حينئذ وخرجوا بها، فبلغ ذلك فقيه الرافضة، فقال: دعوا كلام هؤلاء واذبحوها فنحروها فلم يتم شهر حتى مات الجزارون ونساؤهم وعيالهم والفقيه وعياله وأولاده، وهذا الفقيه هو الذي كان يفتح قبة العباس رضي الله عنه في ذلك الوقت.

وعن محمد بن حرب الهلالي قال: دخلت المدينة، فأتيت قبر رسول الله تعالى عليه وسلم، فجاء أعرابي فزاره، ثم قال: يا خير المرسلين إن الله عز وجل أنزل عليك كتابا صادقا قال فيه: ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴾ [النساء: ٦٤] وإني جئتك مستغفرا إلى ربي مستشفعا بك، ثم بكى وأنشد يقول:

يا خير من دفنت في بالقاع أعظمه ... فطاب من طيبهن القاع والأكم
نفسي الفداء لقبر أنت ساكنه ... فيه العفاف وفيه الجود والكرم

ثم استغفر وانصرف، فرقدت، فرأيت النبي ﷺ وهو يقول: الحق الرجل فبشره أن الله عز وجل قد غفر له بشفاعتي.

وقد خمس هذين البيتين الشيخ محمد بن أحمد بن أمين الأقشهري رحمه الله تعالى، فقال:

خير المزار لدينا ثم أعظمه ... وخير من سر عرش الرب مقدمه
ناديته بمقول وهو أقومه ... يا خير من دفنت بالقاع أعظمه
فطاب من طيبهن القاع والأكم

طوبى لجاركم طابت مساكنه ... جار يجاور جار الربع آمنه
قول إذا قلت تشفيني محاسنه ... نفسي الفداء لقبر أنت ساكنه
فيه العفاف وفيه الجود والكرم

الباب العاشر/في ذكر بقيع الغرقد، وفضله وكيفية زيارته
والحض على زيارة القبور مطلقا وذكر من يعرف به من أهل البيت والصحابة وغيرهم رضوان الله تعالى عليهم أجمعين

وفيه خمسة فصول

الفصل الأول
في أصله وفضله

أصل البقيع في اللغة: المكان المتسع، وقال قوم لا يكون بقيعا، إلا وفيه شجر، وبقيع الغرقد، كان ذا شجر، فذهب الشجر، وبقي الاسم وهو مقبرة المدينة من شرقيها، وتسمى المقبرة بلدا لكونها موطنا للأموات، وكذلك المفازة لكونها موطنا للوحش.

عن محمد بن كعب القرظي، أن النبي ﷺ قال: «**من دفناه في مقبرتنا هذه شفعنا له- أو شهدنا له**» [1].

وعن حكام بن عبد الله الشامي، عن أبي عبد الملك، أنه حدثه حديثا يرفعه إلى رسول الله ﷺ أنه قال: «**مقبرتان تضيئان لأهل السماء كما يضيء الشمس والقمر لأهل الدنيا** » مقبرتنا بالبقيع بقيع المدينة،ومقبرة بعسقلان [2].

وعن كعب الأحبار قال: نجدها في التوراة كفتة محفوفة بالنخيل وموكل بها ملائكة كما امتلأت أخذوا بأطرافها فكفؤها في الجنة.

وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن رسول الله تعالى عليه وسلم قال: «**أنا أول من تنشق عنه الأرض، فأكون أول من يبعث فأخرج أنا وأبو بكر وعمر إلى أهل البقيع، فيبعثون، ثم يبعث أهل مكة، فاحشر بين الحرمين**» [3].

[وعن سالم بن عبد الله ، عن أبيه، قال: قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم: «**أنا أول من تنشق عنه الأرض، ثم أبو بكر، ثم عمر رضي الله تعالى عنهما، فنحشر أونبعث فنذهب إلى البقيع فيحشرون معي، ثم أنتظر أهل مكة فيحشرون معي فنبعث بين الحرمين**»[4].][5]

---

(١) أخرجه ابن شبة في تاريخ المدينة (٩٧/١).

(٢) أخرجه ابن النجار في الدر الثمينة (٤٠٢/٢) عن حكام بن عبد الله ﷺ.

(٣) أخرجه ابن النجار في الدر الثمينة (٤٠١/٢).

(٤) أخرجه أحمد في فضائل الصحابة (٣٥١/١)، والحاكم في المستدرك (٤٦٥/٢) عن سالم بن عبد الله ﷺ.

(٥) زيادة من نسخة تركيا.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، عنه ﷺ: «**أنا سيد ولد آدم يوم القيامة،وأول من ينشق عنه القبر، وأول شافع وأول مشفع**» [(١)].

وذكر الشيخ عبد الجليل في شعب الإيمان قال: ووجدنا بالخط القديم أن الناس يحشرون على هذه الصفة [في شعب][(٢)] صورة شكل محمد ﷺ «محمد». وقيل: أول من تنشق عنه الأرض بعد النبي ﷺنوح عليه السلام وهو أول من يسأل من الرسل، وأول من يساق للحساب إسرافيل، ثم جبريل ثم الرسل.

وعن يحيى بن سعيد قال: كان رسول الله ﷺ جالسا وقبر يحفر بالمدينة فاطلع رجل في القبر، وقال: بئس مضجع المؤمن، فقال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم: «**بئس ما قلت**» فقال: إني لم أرد هذا يا رسول الله، إنما أردت القتل في سبيل الله، فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم: «**لا مثل – أو لا شبه– للقتل في سبيل الله ما على الأرض بقعة هي أحب إلي أن يكون قبري منها**» ثلاث مرات [(٣)].

وفي معنى ذلك يقول أبو عبدالله بن أبي الخصال في أثناء قصيدته والتخميس لابن حبيش:

لقد فاز من أمضى القضاء اعتزامه ... فطنب في دار الرسول خيامه

وطيب محياه بها وحمامه ... وإن امرء وارى البقيع عظامه

لفي زمرة تلقا سهل ومرحب ... أجل بلاد الله مبدا ومحضرا

بها اختار للمختار قبراً ومنبراً ... فمن مات بها بالشهادة بشرا

وفي ذمة من خير من وطئ الثرا ... ومن يعلقه حبله لا يعذب

وعن داود بن خالد عن المقبري أنه سمعه يقول: قدم مصعب بن الزبير حاجا أو معتمرا ومعه ابن رأس الجالوت فدخل المدينة من نحو البقيع، فلما مر بالمقبرة قال ابن رأس الجالوت: إنها لهي، قال مصعب: وما هي؟ قال: إنا نجد في كتاب الله صفة مقبرة شرقيها نخل، وغربيها بيوت يبعث منها سبعون ألفا كلهم على صورة القمر ليلة البدر، فطفت مقابر الأرض فلم أر تلك الصفة، حتى رأيت هذه المقبرة.

وعن عبد الحميد بن جعفر، عن أبيه قال: أقبل ابن رأس الجالوت فلما أشرف على

---

(١) أخرجه مسلم (٣) (١٧٨٢/٤)، وأبو داود (٢١٨/٤)، وأحمد (٥٤٠/٢).

(٢) زيادة من نسخة تركيا.

(٣) أخرجه مالك في الموطأ (٤٦٢/٢) عن يحيى بن سعد ﷺ.

البقيع قال:هذه التي نجدها في كتاب الله كفتة لا أطؤها قال: فانصرف عنها إجلالا لها.

وعن سعد بن زياد أبو عاصم قال: زعم مولاي قال: حدثتني أم قيس بنت محصن قالت: لو رأيتني ورسول الله ﷺ آخذ بيدي في سكة المدينة حتى أتى إلى البقيع بقيع الغرقد، فقال: يا أم قيس، فقلت: لبيك يا رسول الله وسعديك، قال: ترين هذه المقبرة؟ قلت: نعم يا رسول الله قال: **«يبعث الله منها يوم القيامة سبعين ألفا على صورة القمر ليلة البدر يدخلون الجنة بغير حساب»** (١).

تنبيه:

يظهر أن سبعين ألفا تكون جملة من البقيع منذ بعث عليه الصلاة والسلام إلى آخر القرن الثامن، وذلك أن من الهجرة النبوية إلى آخر الثمانمائة بحساب التدقيق والتحقيق بعد الانتداب إلى تصحيح خمسة وعشرون عاما أسا للحساب بما يتخللها من زيادة الشهور ونقصها، فكان ثمانية آلاف يوم وثمانمائة وتسعة وخمسين يوما، فتكون الثمانمائة عام مائتي ألف وثلاثة وثمانون ألف يوم وأربعمائة يوم وثمانية وثمانون يوما، ربعها سبعون ألفا وثمانمائة واثنان وسبعون يوما، فهذا مقدار مناسب يؤيده، بقي من لم يكن على السنة وإبراز الشهداء هذه الطائفتان لا تدخل في هذا المعنى، والله تعالى أعلم.

نقل الشهرستاني: أن مدة الدنيا من ابتداء خلق العالم إلى انقضائه وفنائه سبعة آلاف سنة، على ما جاءت به توراة موسى، وذكره أنبياء بني إسرائيل ووافق عليه من قال بتيسير الكواكب السبعة، مسيرة كل كوكب منها ألف سنة.

وقد روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: **«الدنيا سبعة آلاف سنة أنا في آخرها ألفا»**(٢).

وقال: **«بعثت أنا والساعة كهاتين»** (٣) وجمع بين إصبعيه الوسطى والسبابة يعني الباقي منها كزيادة الوسطى على السبابة.

قال الشيخ ناصر الدين: فإذا تقرر ذلك وأن الدنيا مقدرة بسبعة آلاف سنة، كان الماضي منها إلى ابتداء الهجرة محمولا على ما قدمناه من اختلاف أهل التوراة، فيكون على القول الأول مأخوذ عن الأحبار الناقلين لها إلى اليونانية ستة آلاف سنة ومائتين

---

(١) أخرجه ابن شبة في تاريخ المدينة (١/٩١)، والحاكم في المستدرك (٤/٦٨) وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٤/١٦)، وعزاه للطبراني في الكبير، وقال: وفيه من لم أعرفه، وفيه ألفاظ منكرة.

(٢) رواه الطبري في تاريخه (١/١٠، ٥٧) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٣) أخرجه البخاري عن أنس بن مالك (٦٥٠٤)، ومسلم (١٣٣، ١٣٥) (٤/٢٢٦٨) عن أنس بن مالك رضي الله عنه.

وست عشرة سنة، والباقي من عمر الدنيا على قولهم بعد الهجرة سبعمائة وأربعة وثمانون سنة، ويكون الماضي منها على القول الثاني المأخوذ عن التوراة العبرانية أربعة آلاف وثمانمائة وإحدى وأربعون سنة، والباقي على هذا القول بعد الهجرة ألفان ومائة وتسعة وخمسون سنة، وقيل: قالوا ذلك ليكون رسول الله ﷺ في خامسها ألفًا، فيدفعون بنقصان التاريخ عن صفته في التوراة أنه مبعوث آخر الزمان، ويكون الماضي منها على القول الثالث في توراة السامرة خمسة آلاف ومائة [وسبعا](١) وثلاثين سنة، والباقي منها على هذا القول بعد الهجرة ألفا وثمانمائة [وثلاثا](٢) وثلاثون سنة، ليكون رسول الله ﷺ في سادسها ألفا لما قيل من سنيه.

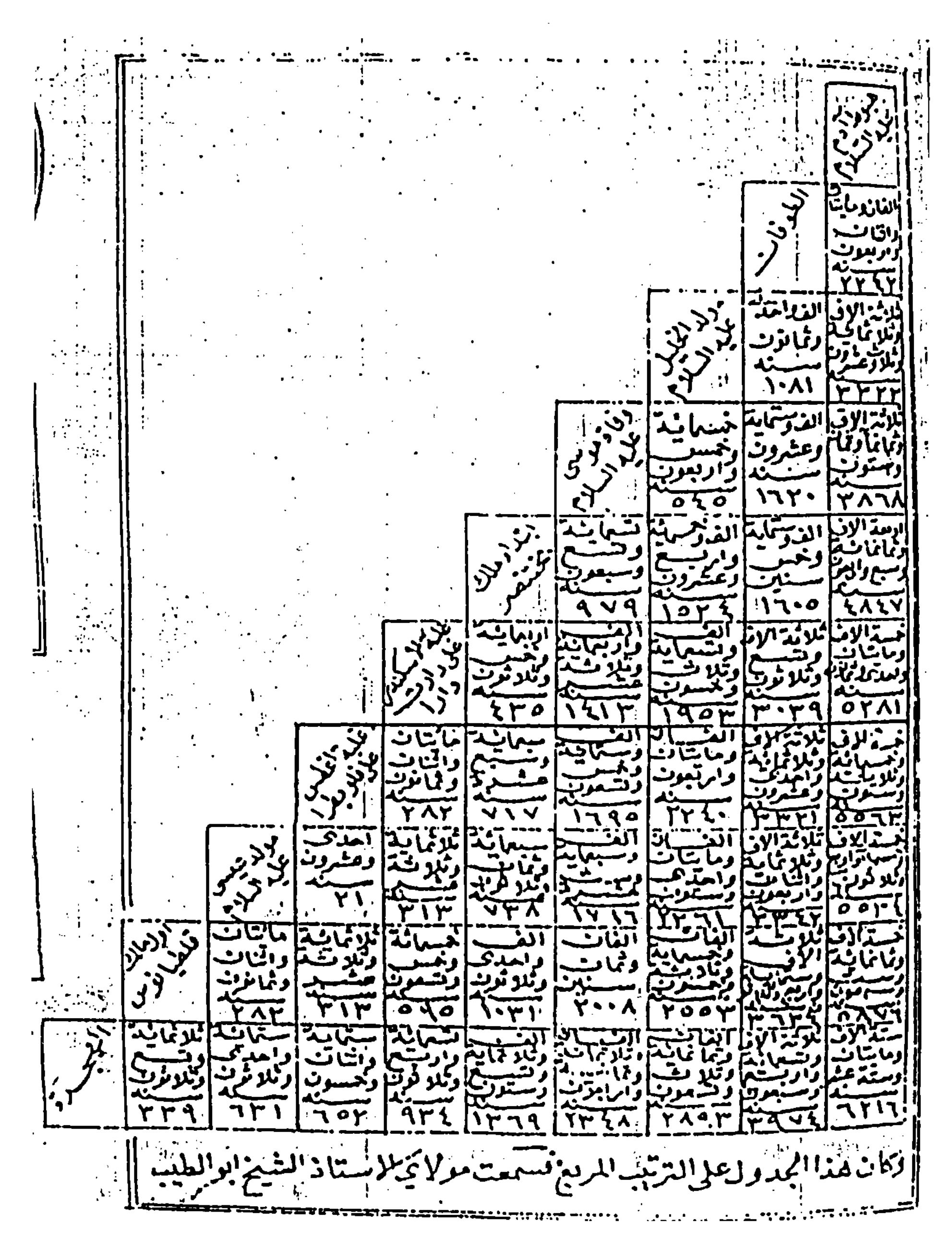
السامرة: قوم من بلاد المشرق سموا بذلك، لأن تفسيره بالعربية الحفظة، وهم لا يقبلون من كتب الأنبياء إلا التوراة وحدها، والقول الأول أشبه من غيره.

تفصيل الماضي من عمر الدنيا:

---

(١) زيادة تقتضيها الضرورة من أعلام النبوة للماوردي.

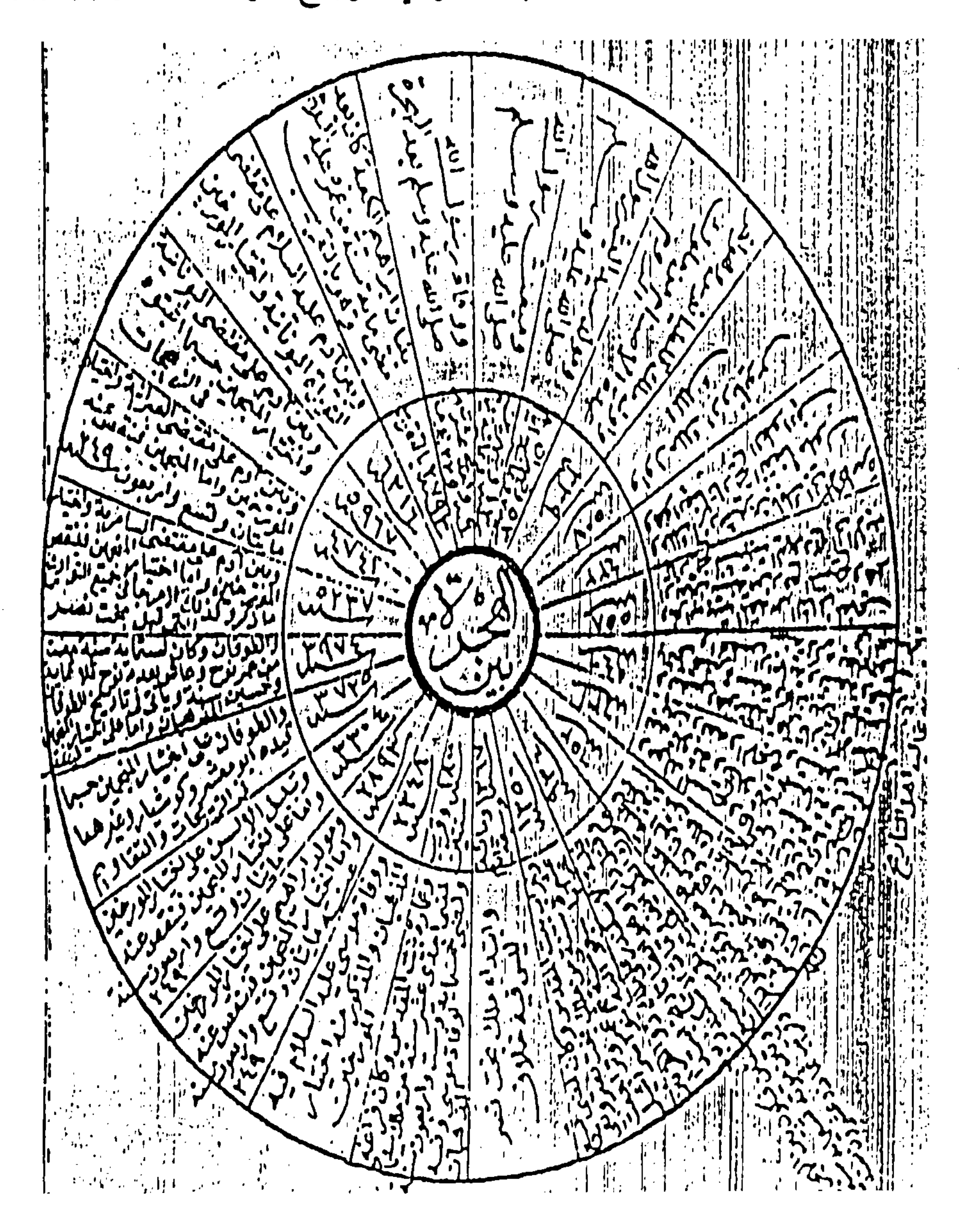
(٢) زيادة تقتضيها الضرورة من أعلام النبوة للماوردي.



[illegible] عليه السلام	الطوفان	مولد الخليل عليه السلام	وفاة موسى عليه السلام	بختنصر	الإسكندر	[illegible]	مولد عيسى عليه السلام	دقليانوس	الهجرة
٢٢٤٢									
٣٣٢٢	١٠٨١								
٣٨٦٨	١٦٢٠	٥٤٥							
٤٨٤٧	١٦٠٥	١٥٢٤	٩٧٩						
٥٢٨١	٣٠٣٩	١٩٥٣	١٤١٣	٤٣٥					
٥٥٦٣	٣٣٢١	٢٢٤٠	١٦٩٥	٧١٧	٢٨٢				
٥٥١٠	٣٣٤٢	٢٢٦١	١٧١٦	٧٣٨	٣١٣	٢١			
٥٨٧٦	٣٦٣٤	٢٥٥٢	٢٠٠٨	١٠٣١	٥٩٥	٣١٣	٢٨٢		
٦٢١٦	٣٩٧٤	٢٨٩٣	٢٣٤٨	١٣٦٩	٩٣٤	٦٥٢	٦٣١	٣٣٩	

وكان هذا الجدول على الترتيب المربع فسمعت مولاي الأستاذ الشيخ أبو الطيب

وكان هذا الجدول على التربيع عن مولاي الأستاذ الشيخ أبو الطيب رحمه الله يقول: لو وجدت من له فطنة حتى يختصره فاختصرته في هذا الكرسي، وإنما هو في تاريخ صاحب حماة مربع، وليس هو على هذا الترتيب، لكن هذا نصف جدوله الذي أقترحه، والجدول الثاني الذي هذه صفته.



قلت: وقد تقدم في كتابنا هذا ما ذكره الشهرستاني من التاريخ، وهذان الجدولان على ما صححهما إسماعيل بن علي بن محمود بن عمر بن شاهان شاه ابن أيوب، صاحب حماة عماد الدين في تاريخه.

وأول من خوطب في الإسلام بشاه شاه، بويه بن تمام الحسن بن كوسي.

قال النووي: ويحرم تحريما غليظا أن يقال للسلطان، وغيره من الخلق: شاه شاه، لأن معناه ملك الملوك، ولا يوصف بذلك غير الله سبحانه وتعالى.

وقال ابن عيينة: ملك الأملاك مثل شاهان شاه.

وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه، عن النبي ﷺ أنه قال: «**إن أخنع اسم عند الله تعالى رجل تسمى: ملك الأملاك**» وفي رواية: أخنى بدل أخنع[1]، ومعناهما: أوضع وأذل وأرذل.

عن حذيفة بن أسيد الغفاري، قال: أشرف علينا رسول الله ﷺ من علية ونحن نتذاكر أمر الله، فقال: ما كنتم تتذاكرون؟ قلنا: قيام الساعة، قال: إن الساعة لن تقوم حتى يكون قبلها عشر آيات، قال: لا ندري بأيهن بدأ طلوع الشمس من مغربها، والدجال، ودابة الأرض، ونزول عيسى ابن مريم وخروج يأجوج ومأجوج، وثلاثة خسوف: خسف بالمشرق وخسف بالمغرب، وخسف بجزيرة العرب، وآخر ذلك نار تخرج من قبل اليمن أو من عدن، تطرد الناس إلى محشرهم.

جزيرة العرب:

قال أبو عبيدة معمر بن المثنى: هي ما بين حفر أبي موسى الأشعري إلى أقصى اليمن طولا، وفي رواية عنه: ما بين حفر أبي موسى إلى أطراف الشام إلى أقصى تهامة في الطول، وأما في العرض فما بين رمل بكر يبرين إلى منقطع السماوة، والسماوة بادية في طريق الشام إلى ما وراء مكة، وما كان دون ذلك إلى أرض العراق فهو نجد بفتح النون وتسكين الجيم، والعرب تقول: نجد بضم النون والجيم، ونجد البلد المرتفعة، وتهامة المنخفضة، وتهامة اسم واقع على جزيرة العرب.

وقال الأصمعي: هي إلى أقصى عدن، إلى أطراف اليمن، حتى تبلغ إلى أطراف بوادي الشام، وهذا قريب مما ذكر الخليل بن أحمد، فإنه قال: جزيرة العرب معدنها ومسكنها، يعني العرب، ولعلها سميت جزيرة لانقطاعها عن معظم البر، وقد اكتنفتها البحار والأنهار من أكثر الجهات، كبحر البصرة، وعمان إلى بركة بني إسرائيل حيث أهلك الله فرعون، وبحر الشام، والنيل، والفرات، ودجلة، والقدر الذي يتصل بالبحر فقد انقطع بالقفار والرمال عن العمران.

وقال مالك: جزيرة العرب مكة،والمدينة، واليمن، وهذا القول لا يخالف ما ذكرناه.

وقال ابن الأعرابي: هي من حفر أبي موسى من خمس مراحل من البصرة ببطن خليج أبي العنبر، إلى حضرموت، إلى العذيب، ومن جدة وسواحل البحر عرضا إلى

---

(١) أخرجه البخاري (٦٢٠٥)، مسلم (٢٠) (١٦٨٨/٣) عن أبي هريرة ﷺ.

أطراف الشام.

قال الأصمعي أيضا: هي من أقصى عدن أبين، فهي من حد أبين إلى ريف العراق طولا، وأما في العرض فمن جدة وما والاها من ساحل البحر إلى أطراف الشام.

وقيل: في كلام أبي عبيدة نظر، لأن اليهود كانوا قارين في اليمن غير مجلين في أيام عمر رضي الله عنه ولو كان كما قال ما أجلاهم عن اليمن .

وقال صاحب كتاب ذخر المستفيد: جزيرة العرب ما بين العذيب إلى حضرموت -ومكة من تهامة- وتهامة إلى عزل اليمن، إلى أسياف البحر إلى الجحفة وذات عرق، ونجد المدينة إلى الطائف، إلى العذيب إلى السماوة سماوة كلب، والحجاز ما حجز فيما بين نجد واليمن، وبين تهامة والعرض.

والعرض أرض اليمامة، إلى البحرين وسميت سراة لارتفاعها، وأرض العراق والطور والجزيرة والعبر ما بين الفرات إلى أرض العرب.

والعرب:

جيل من الناس وهم أهل الأمصار والأعراب، منهم سكان البادية، وليس الأعراب جميعا للعرب وإنما العرب اسم جنس.

والعرب العاربة هم الخلص منهم، والعرب المستعربة هم الذين ليسوا بخلص.

والعرب العرب واحد، والعربي إذا قيل له: يا أعرابي غضب، والمهاجرون والأنصار عرب لا أعراب.

وقال محمد بن السائب: العرب العاربة: عاد وعبيد ابنا عوص بن رام بن سام بن نوح،وثمود وجديس ابنا عاثان بن آدم، وطسم وعمليق وجاسم، وأميم بنو بلغم بن عابر بن أسليخا بن لوذ بن سام بن نوح.

وحضرموت والسلف، وأنموذ بنو يقظان بن عابر بن شالخ بن أرفخشد بن سام بن نوح، وجرهم بن سبأ بن يقظان بن عابر.

والعرب كلهم بنو إسماعيل بن الخليل إلا أربع قبائل: السلف، والأرواع، وحضرموت وثقيف.

وقال العزيزي يقال: رجل أعرابي: إذا كان بدويا، وإن لم يكن من العرب ورجل: عربي منسوب إلى العرب، وإن لم يكن بدويا، ويقال رجل أعجم وأعجمي: إذا كانت في لسانه عجمة، وإن كان من العرب، ورجل عجمي: منسوب إلى العجم، وإن كان فصيحا.

وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم

«يخرج الدحال في الثمانين، فإن لم يخرج ففي ثمانين ومائتين، فإن لم يخرج ففي ثلاثمائة وثمانين، فإن لم يخرج ففي أربعمائة وثمانين» [١].

وقد خرج الشيخ علاء الدين أبو الحسن الباجي في شرائط الساعة حديثا يرفعه إلى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال: **«أمتي سبع طبقات إلى سبعمائة ، الطبقة الأولى أنا ومن معي أهل علم وعمل والطبقة الثانية: أهل تواضع وتراحم، والطبقة الثالثة: أهل هرج ومرج، والطبقة الرابعة: أهل تقاطع وتدابر، والطبقة الخامسة: أهل بدع وترك سنة، والطبقة السادسة: أهل تكاثر وتفاخر، والطبقة السابعة: أهل بغي وحسد فإذا تمت السبعمائة سنة يكون في العشر الأول خسف وقذف ويموت العلماء حتى لا يبقى في العشرة الأول أحد، وفي العشرين يكثر دواب البحر حتى لا يقدر أحد يركبه وينقطع نبات الأرض في أكثر البلاد، وفي الثلاثين يكثر الربا في الأسواق، وفي الأربعين يكون النساء كالبغال الدهم حتى لا يكفي المرأة الرجل الواحد، وفي الخمسين تتأخر الشمس عن مطلعها مقدار ثلاث ساعات ويموت من الإنس والجن خلق كثير وتمطر السماء الحجارة كأمثال البيض ويهلك فيها المواشي والزروع والخلق ما شاء الله، وفي السبعين يرتفع القرآن وتطلع الشمس من مغربها، ويغلق باب التوبة حتى لا يقبل لأحد توبة لقوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِيٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا﴾ [الأنعام: ١٥٨] وفي الثمانين يخرج الدجال والدابة من الأرض فيقسم الناس مؤمنا وكافرا، وينزل عيسى عليه السلام ويملك الأرض بعد ذلك ويقضي الله ما شاء وهو على كل شيء قدير»** [٢].

قال للقرطبي: وللدابة ثلاث خرجات، آخرهن من بين الركن والمقام. وذكره البغوي عن ابن عمر أنها تخرج من صدع من الكعبة بحجري الفرس ثلاثة أيام لا يخرج ثلثها -وحكاه القرطبي- وفي الركن العراقي من البيت صدع مستطيل فلعله المشار إليه واختلف من أي بقعة تخرج فقيل: من تهامة أو جبل الصفا، أو من الطواف، أو من مسجد الكوفة من حيث فار تنور نوح عليه السلام أو من الطائف، وهي في السحاب وقوائمها في الأرض أو تخرج من جياد أو من بين الركنين، أو من بعض أودية تهامة، أو من صخرة في شعب جياد أو من عين سدوم، فيها أجناس الدواب، الثور والخنزير والفيل، وإيل، وأسد، ونمر، وهر، وكبش، وبعير، بين كل مفصل منها اثنا عشر ذراعا بذراع آدم

(١) ذكره الماوردي في أعلام النبوة ص (٥١) وابن كثير في النهاية (١/٦٢) عن أبي هريرة ﷺ.

(٢) أخرجه ابن ماجه (٤٠٥٨) عن أنس بن مالك ﷺ مرفوعًا.

عليه السلام، قيل: هي فصيل ناقة صالح عليه السلام، وقيل: هي الحية التي كانت مشرفة على جدار الكعبة التي اقتلعها العقاب حين أرادت قريش عمارة البيت،وقيل: لها ذنب وقيل: لها وبر وريش، وقيل: هي على خلقة الآدميين معها عصا موسى وخاتم سليمان عليهما السلام.

وذكر ابن الجوزي: أن أول الآيات طلوع الشمس من مغربها.

وقوله يغلق باب التوبة: يعني على المكلفين خاصة، وأما غيرهم من الولدان الغير مكلفين في ذلك الوقت فعملهم مقبول يجازوا عليه،وباب التوبة مفتوح في حقهم، وقد جرت بيننا مباحثات في ذلك سنة تسع وأربعين وسبعمائة، وطلعت في ذلك إلى سيدي الشيخ الإمام محمد بن عبد الرحمن المالكي، إمام المالكية بالحرم الشريف المكي، فوافقني على ذلك وأجاب بمثل ما ذكرت وأنكر علي المنكر، فبحثوا عن ذلك فلم يجدوا نص المسألة إلا في تفسير الطبرسي رحمه الله تعالى، وحصلت الموافقة من المنصفين. والمنجمون عن آخرهم ينكرون طلوع الشمس من مغربها، ويقولون غير كائن.

ذكر القرطبي في تفسير قوله تعالى: ﴿ مَّآ أَشۡهَدتُّهُمۡ خَلۡقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَا خَلۡقَ أَنفُسِهِمۡ ﴾ [الكهف: ٥١] فقوله: ﴿ مَّآ أَشۡهَدتُّهُمۡ خَلۡقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾ [الكهف: ٥١] ردا على المنجمين إذ قالوا إن الأفلاك تحدث في الأرض وبعضها في بعض الأرض ردا على أصحاب الهندسة، حيث قالوا إن الأرض أكرية والأفلاك تجري تحتها والناس ملصقون عليها وتحتها ﴿ وَلَا خَلۡقَ أَنفُسِهِمۡ ﴾ [الكهف: ٥١] ردا على الطائعين حيث زعموا أن الطبائع هي الفاعلة في النفوس.

وعن الشيخ ناصر الدين محمد بن محمد بن علي الكناني، شيخ الكنانية ورئيسهم بالحرم النبوي، أنه رأى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في المنام، وهو يقول: أنا أول من تشق عنه الأرض في سنة ستين وثمانمائة أكون مصليا للمصلين ومستغفرا للمستغفرين.

وقد قدمنا أن الإسكندر كتب على باب السد [يفتح][1] في سنة أربع وستين وثمانمائة. وقال الثعلبي: خلق الله ألف أمة، ستمائة في البحر، وأربعمائة في البر، أول ما يهلك منها الجراد، ثم تتابع مثل النظام إذا قطع سلكه.

قال الأوزاعي: كان ببيروت رجل رأى رجلا راكبا على جرادة عليه خف طويل، فبلغنا أن ذلك ملك الجراد، في صدر الجرادة مكتوب: جند الله الأعظم.

---

(١) زيادة من نسخة تركيا.

وقال قتادة: على جناحيه اسم الله الأعظم، وقال ابن المسيب، بقي من طينة آدم بقية، فخلق منها الجراد.

وعن مكحول قال:كنا بالطائف على مائدة لابن عباس رضي الله عنهما، فوقعت جرادة فأخذها عكرمة، فقال ابن عباس: ابصر جناحها، فإذا فيه سواد فقال ابن عباس لمحمد ابن الحنفية: يا أخي حدثني أبي، عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**هذه النقط السود بالسريانية فيها: أنا الله لا إله إلا الله أنا قاهر الجبابرة خلقت الجراد وجعلته جندا من جنودي أهلك به من أشاء من عبادي**» [1].

وقال مجاهد: الجراد على سبعة أجناس، جنس منها في كبر العقاب والنسور، وقد وكل الله بها من يعرف أجناسها.

وقال جعفر بن محمد: إن لله جرادا في كبار الوحش، لم يرهم إلا سليمان بن داود عليهما السلام، ولقد أرسله الله على فرعون وقومه ساعة، فأكل أربعين فرسخا، [ولقد][2] حبس إلى سليمان سبعين ألف جنس من أصفر وأخضر وأحمر وجميع الألوان يسبحون الله تعالى ويقدسونه.

وقال كعب الأحبار: وهو من صيد البحر، نثره حوت، ينثره في كل عام مرتين.

وقال عليه الصلاة والسلام: «**أحل لنا الدمان والميتتان فالميتتان: الحوت والجراد، والدمان: الطحال والكبد**»[3] ولم يأكلهم صلى الله عليه وسلم.

والدم من بني آدم حياة الأنفس، وهو النفس السائلة والسلطان القاهر، وأصل الروح والحياة ، وأصل الموت إذا هاج.

وجاء في الحديث: «**عليكم بالحجامة، لا يتبيغ بأحدكم الدم فيقتله**»[4] أي لا يهيج. وقال عليه الصلاة والسلام: «**الشفاء في ثلاث: شربة عسل، وشرطة محجم، وكية بنار**» [5] ونهى عن الكي بالنار.

ومما اتفق بالأندلس أن بعض الفلاحين سرق له رأس بقر، فأتى بعض المشايخ فشكى إليه، فأمره أن يحتجم، فخرج إلى دكان للحجام، فدخل الدكان، فإذا برأس بقره فأخذه ورجع، فقيل للشيخ أي سبب في قولك احتجم؟ فقال قوله عليه الصلاة والسلام:

---

(١) ذكره المتقي في كنز العمال برقم (٣٨٣٦) عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

(٢) زيادة من نسخة تركيا.

(٣) أخرجه ابن ماجه (٣٢١٨)، وأحمد (٢/٩٧)، عن ابن عمر رضي الله عنهما.

(٤) أخرجه ابن ماجه (٣٤٨٦) عن أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٥) أخرجه ابن ماجه (٣٤٩١)، وأحمد (١/٢٤٦) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

«شفاء أمتي في ثلاث» فأخذت الحديث على عمومه.

وكان ابن عباس رضي الله تعالى عنهما إذا رمد اكتحل بالعسل .

وكان ابن عمر رضي الله تعالى عنهما إذا طلع فيه نبت طلاه بالعسل للآية والحديث. والجمهور على أن العسل يخرج من أفواه النحل، وقيل: من دبرها، وقد صنع أرسطاليس بيتا من زجاج لينظر كيفية ما يصنع، فأبت أن تعمل حتى لطخت باطنه بالطين، حكاه القرطبي عن الغزنوي.

وقيل: كل ذباب يجعله الله تعالى عذابا لأهل النار، إلا النحل ذكره الحكيم الترمذي.

قيل: وعمر الذباب أربعين يوما، والنحل والنمل لهم من الذكاء في الأفعال ما يعجز عن الوصف.

قال دغفل: والنمل ثلاثة أبطن: ذر وهو النمل الصغار الصفر، وفارز وهي التي رأسها أكبر من مؤخرها، وعقفان وهي الطوال القوائم.

الفصل الثاني
في كيفية زيارة البقيع

عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ كلما كانت ليلتي منه يخرج من آخر الليل إلى البقيع فيقول: **«السلام عليكم دار قوم مؤمنين وأتاكم ما توعدون وإنا إن شاء الله بكم لاحقون اللهم اغفر لأهل بقيع الغرقد»** [١].

وعنها رضي الله عنها قالت: قام رسول الله ﷺ ذات ليلة فلبس ثيابه ثم خرج فأمرت جاريتي بريرة تتبعه فتبعته حتى جاء البقيع فوقف ما شاء الله أن يقف، ثم انصرف فسبقته بريرة فأخبرتني فلم أذكر له شيئا حتى أصبحت فذكرت له ذلك، فقال: إني بعثت إلى أهل البقيع لأصلي عليهم[٢].

وفي كتاب ابن السني، عن عائشة رضي الله عنها، أن النبي ﷺ أتى البقيع، فقال: **«السلام عليكم دار قوم مؤمنين، أنتم لنا فرط، وإنا بكم لاحقون اللهم لا تحرمنا أجرهم ولا تضلنا بعدهم»**[٣].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: لما كانت ليلتي التي فيها رسول الله ﷺ عندي، انقلب

---

(١) أخرجه مسلم (١٠٤) (٢/٦٦٩)، وأحمد في المسند (٦/١١١) عن عائشة رضي الله عنها.

(٢) أخرجه النسائي (٤/٩٣)، ومالك (١/٢٤٢)، والحاكم في المستدرك (١/٤٨٨) عن عائشة رضي الله عنها.

(٣) أخرجه ابن السني في عمل اليوم (ص ٢٢١)، وابن ماجه (١٥٤٦)، وابن سعد في الطبقات (٢/٢٠٣) عن عائشة رضي الله عنها.

فوضع رداءه وخلع نعليه، فوضعهما، عند رجليه، وبسط طرف إزاره على فراشه واضطجع، فلم يلبث إلا بقدر ما ظن أنني قد رقدت، فأخذ رداءه رويدا وانتقل رويدا، فخرج ثم أجافه رويدا وجعلت درعي في رأسي، واختمرت وتقنعت إزاري، ثم انطلقت على أثرله حتى جاء البقيع، فقام فأطال القيام، ثم رفع يديه ثلاث مرات، ثم انصرف فانصرفت فأسرع فأسرعت فهرول فهرولت فأحضر فأحضرت، فسبقته فدخلت فليس إلا أن اضطجعت، فدخل فقال: «**مالك يا عائشة حشيا رابية**» قالت: قلت: لا شيء، قال: «**لتخبريني أو ليخبرني اللطيف الخبير**» فأخبرته، فقال: «**أنت السواد الذي رأيت أمامي؟**» قلت: نعم، فلهزني لهزة في صدري أوجعتني، ثم قال: «**أظننت أن يحيف الله عليك ورسوله؟**» قالت: قلت: مهما يكتم الناس يعلمه الله عز وجل، قال: «**إن جبريل أتاني حين رأيت فناداني فأخفاه منك أجبته: فأخفيته منك، ولم يكن يدخل عليك وقد وضعت ثيابك وظننت أن قد رقدت، وكرهت أن أوقظك،وخشيت أن تستوحشي**» فقال: «**إن ربك يأمرك أن تأتي أهل البقيع فتستغفر لهم**» قالت: قلت كيف أقول يا رسول الله ؟ قال: «**قولي السلام على أهل الديار المؤمنين والمسلمين ويرحم الله المستقدمين والمستأخرين، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون**»[1].

وعن عوسجة قال: كنت أدعو ليلة إلى زاوية دار عقيل بن أبي طالب التي تلي باب الدار، فمر بي جعفر بن محمد، فقال لي: أعن أثر وقفت ههنا؟ قلت: لا، قال: هذا موقف النبي ﷺ بالليل إذا جاء يستغفر لأهل البقيع.

قال الحافظ محب الدين: «ودار عقيل الموضع الذي دفن فيه -يعني: عقيل، ويستحب للزائر الإكثار من قراءة القرآن والذكر والدعاء لأهل تلك المقبرة وسائر الموتى والمسلمين أجمعين.

ويستحب الإكثار من الزيارة وأن يقف عند قبور أهل الخير.

ومن فعل طاعة لله تعالى، ثم أهدى ثوابها إلى حي أو ميت لم ينتقل ثوابها إليه، فإن شرع في الطاعة ناويا أن يقع عن الميت لم يقع عنه، إلا فيما استثناه الشرع كالصدقة والحج والصوم، قاله عز الدين بن عبد السلام.

وقال النووي: أجمع العلماء على أن الدعاء للأموات ينفعهم ويصلهم ثوابه، واحتجوا بقوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ

---

(١) أخرجه مسلم (١٠٣) (٢/٦٦٩) عن عائشة ﵂.

سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ﴾ [الحشر: ١٠] وبقوله ﷺ: «**اللهم اغفر لأهل بقيع الغرقد**»(١).

واختلف في وصول ثواب قراءة القرآن، فالمشهور من مذهب الشافعي رحمه الله تعالى أنه لا يصل، وذهب ابن حنبل وجماعة من العلماء (٢) وجماعة من أصحاب الشافعي أنه يصل.

سمعت والدي رحمه الله يقول: سمعت أبا عبد الله الدلاصي يقول سمعت الشيخ أبا عبد الله الدبسي يقول: كشف لي عن أهل المعلاة، فقلت لهم: أتجدون نفعا بما يهدى إليكم من قراءة ونحوها؟ قالوا: ليس نحن محتاجين إلى ذلك، فقلت لهم: ما منكم أحد واقف للحال؟ فقالوا: ما يقف حال أحد في هذا المكان، وقبر الدبسي رحمه الله بالقرب من باب المعلاة عليه حجر فيه مكتوب: هذا قبر أبي عبدالله محمد بن [عمر](٣) الدبسي توفي في يوم تاسع عشر من جماد الأول سنة خمس وستمائة وقبر الدلاصي بالقرب من الجبل.

الفصل الثالث

في ذكر من يعرف بالبقيع من أهل البيت والصحابة وغيرهم رضوان الله عليهم

وأكثر الصحابة مدفون بالبقيع، وكذلك سادات أهل البيت، وأزواج النبي ﷺ غير خديجة وميمونة، رضوان الله عليهم.

فمنها قبر: أبي الفضل العباس:

عم النبي ﷺ ملبن بساج في قبة عالية، بناها الخليفة الناصر أبو (٤) العباس أحمد بن المستضيء ومعه في القبة الحسن بن علي، رضي الله عنهما، وعليه أيضا ملبن بساج، ومع الحسن في القبر ابن أخيه، علي بن الحسين زين العابدين، ومعه أيضا ابن أخيه: محمد بن علي الباقر، وابنه جعفر بن محمد الصادق،.

فأما أبو (٥) محمد الحسن:

فأمه فاطمة الزهراء بنت النبي ﷺ.

ولد بالمدينة في النصف من رمضان سنة ثلاث من الهجرة وقيل من السنة الرابعة.

---

(١) أخرجه مسلم (١٠٣) (٢/٦٦٩)، والنسائي (٤/٩٤)، وابن ماجه (١٥٤٦)، وأحمد (٦/١١١) عن عائشة رضي الله عنها.

(٢) زيادة من المخطوط.

(٣) زيادة من نسخة تركيا.

(٤) خطأ في الأصل، والصواب ما أثبتناه.

(٥) زيادة تقتضيها الضرورة.

قاله علي رضي الله عنه: لما ولد [الحسن][1] جاء رسول الله ﷺ، فقال: **«أروني ابني ما سميتموه»** قلت: حربا، قال : **«بل هو حسن»** فلما ولد الحسين قال: **«أروني ابني ما سميتموه؟»** قلت: حربا قال: **«بل هو حسين»** فلما ولد الثالث، جاء النبي ﷺ، فقال: **«أروني ابني، ما سميتموه؟»** قلت: حربا، قال: **«بل هو محسن»** وقال: **«إني سميتهم بأسماء أبناء هارون، بشر، وبشير، ومبشر»** [2].

توفي الحسن رضي الله تعالى عنه بالمدينة سنة تسع وأربعين وقيل: سنة خمسين.

قيل: إن زوجته جعدة بنت الأشعث سمته ودفن إلى جنب أمه فاطمة ﷺ.

أولاده تسعة عشر: زيد ، والحسن، وعمرو، والقاسم، والقاسم ، وعبدالله، وعبد الله، وعبد الله، وعبد الرحمن، وأبو بكر، والحسين وهو الأقوم، وطلحة ، وأبو بكر، وأم الحسن، وأم الحسين، وأم سلمة، وفاطمة وفاطمة ورقية من أمهات شتى وليس في الصحابة حسن غيره.

وروي عن عبيد الله بن علي: أن الحسن حين أحس بالموت، قال: ادفنوني إلى جنب أمي فاطمة، فيكون قبره عند قبرها في بيتها الذي أدخله عمر بن عبد العزيز في المسجد.

وقال سعيد بن جبير: رأيت قبر الحسن عند فم الزقاق الذي بين دار نبيه بن وهب، وبين دار عقيل بن أبي طالب، وقيل لي: دفن عند قبر أمه وسيأتي بيان ذلك، وكان نقش خاتمه: إن الله بالغ أمره.

ومولد أبي عبد الله الحسين:

لخمس خلون من شعبان سنة أربع، وقتل يوم الجمعة لعشر خلون من المحرم يوم عاشوراء سنة إحدى وستين -وقيل: يوم السبت- بكربلاء من أرض العراق ويعرف المكان بالطف من شط الفرات.

وكان النبي ﷺ قال: **«إن الحسين يقتل بالطف بكربلاء حين يعلوه القدير»** [3] يعني الشيب.

وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: رأيت النبي ﷺ فيما يرى النائم وهو

---

(١) زيادة تقتضيها الضرورة.

(٢) أخـــرجه أحمد في فضائل الصحابة (٧٧٣/٢)، وابن عبد البر في الاستيعاب (٣٨٤/١) الحاكم في المستدرك (١٦٥/٣) عن علي ﷺ.

(٣) أخرجه البيهقي في دلائل النبوة (٤٦٨/٦-٤٧٠) عن عائشة ﷺ.

قائم أشعث أغبر، بيده قارورة فيها دم، فقلت: بأبي أنت وأمي يا رسول الله، ما هذا؟ قال: «**دم الحسين لم أزل ألتقطه منذ اليوم**» فوجد قد قتل في ذلك اليوم[١].

وعن أبي الأسود قال: لقيت رأس الجالوت، فقال: «**إن بيني وبين آل داود سبعين أبا ، وإن اليهود إذا رأوني عظموني وعرفوا حقي، وأنتم ليس بينكم وبين نبيكم إلا أب واحد قتلتم ابنه**».

وقتل مع الحسين سبعة عشر رجلا من ولد فاطمة، وقتل معه من ولده وإخوته وأهل بيته ثلاثة وعشرين رجلا.

وعن الزهري أنه قال: إن في صبيحة الليلة التي قتل فيها الحسين بن علي بن أبي طالب، لم يرفع حجر ببيت المقدس إلا وجد تحته دم عبيط [٢].

وفي الحديث: إن الله تعالى أوحى إلى النبي ﷺ إني قتلت بيحيى بن زكريا سبعين ألفا، وإني قاتل بابن ابنتك الحسين سبعين ألفا وسبعين ألفا [٣].

أولاده من أمهات شتى: علي [الأكبر][٤] وعلي [الأصغر][٥]، وجعفر وعبد الله وفاطمة وسكينة، وقبر سكينة بمكة من طريق العمرة، وفاتها يوم الخميس لخمس من ربيع الأول سنة سبع عشرة ومائة، تزوجها مصعب بن الزبير، وأمهرها ألف ألف درهم، وحملها إليه أخوها علي بن الحسين، فأعطاه أربعين ألف دينار، [فولدت له الرباب،][٦] وكان يلبسها اللؤلؤ ويقول: ما ألبسها إياه إلا لأفضحه .

وأما علي بن الحسين زين العابدين: فهو أبو محمد أمه أم ولد، توفي بالمدينة سنة أربع وتسعين.

وأما محمد بن علي بن الحسين: فهو أبو جعفر الباقر، أمه أم عبد الله بنت الحسن بن علي بن أبي طالب، توفي سنة أربع عشرة، وقيل: سبع عشرة وقيل: ثمان عشرة ومائة.

وأما جعفر الصادق: فهو ابن محمد بن علي بن الحسين يكنى أبا عبد الله، توفي سنة ثمان وأربعين ومائة في النصف من رجب، ودفن مع أبيه، وجده وعميه.

---

(١) أخرجه أحمد (٢٨٣/١) والبيهقي في الدلائل (٤٧١/٦) (٧، ٤٨) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) أخرجه البيهقي في الدلائل (٤٤١/٦).

(٣) أخرجه الخطيب في تاريخ بغداد (١٤٢/١) وذكره السيوطي في الخصائص (٤٥٢/٢).

(٤) زيادة من نسخة تركيا.

(٥) زيادة من نسخة تركيا.

(٦) زيادة من نسخة تركيا.

وجميع من في الصحابة جعفر أربعة، بلغت أسماء الرواة عنه أربعة آلاف رجل، كان نقش خاتمه: الله ولي عصمتي من خلقه.

ما جاء في معرفة المكان الذي دفنت فيه فاطمة ﵂:

عن جعفر بن محمد كان يقول: قبر فاطمة في بيتها الذي أدخله عمر بن عبد العزيز في المسجد.

وذكر الشيخ محب الدين الطبري في «نظائر العقبى في فضائل القربى» قال: أخبرني أخ لي في الله، أن الشيخ أبا العباس المرسي رضي الله عنه، كان إذا زار البقيع وقف أمام قبة العباس وسلم على فاطمة ﵂.

وروى فائد مولى عبادل قال: حدثني منقذ الحفار أنه حفر لإنسان، فوجد قبرا على سبعة أذرع من خوخة بيته مشرفا عليه مكتوب هذا قبر فاطمة بنت رسول الله.

قال الحافظ محب الدين: فعلى هذا هي مع الحسن في القبة فينبغي أن يسلم عليها هنالك.

وكانت فاطمة ﵂ أصغر بنات رسول الله ﷺ وقيل: أصغرهن أم كلثوم.

[ذكر أولاده:](١)

أولاده ﷺ كلهم من خديجة إلا إبراهيم.

قيل: ولدت خديجة ﵂ للنبي ﷺ عبد مناف في الجاهلية قبل البعث، وفي الإسلام: القاسم وبه كان يكنى ﷺ، وعبد الله وكان يسمى الطيب، والطاهر -وقيل: الطيب غير الطاهر- وزينب ورقية وأم كلثوم وفاطمة.

وقال ابن إسحاق: ولدوا كلهم قبل الإسلام، وهلك البنون قبل الإسلام وهم يرضعون، وقيل: مات القاسم وهو ابن سنتين، وقيل: بلغ إلى أن يركب الدابة ويسير على النجيبة، وأما البنات: فأدركن الإسلام، وآمن به وهاجرن معه، وقيل: ولدوا كلهم في الجاهلية إلا عبد الله، وأكبر بنيه القاسم ثم الطيب، ثم الطاهر، وأكبر بناته زينب، ثم رقية، ثم فاطمة، ثم أم كلثوم، وولدوا كلهم بمكة،وولد له ﷺ بالمدينة إبراهيم من مارية القبطية،ومات أولاده ﷺ كلهم في حياته، إلا فاطمة ﵂.

فأما فاطمة ﵂:

تزوجها علي بن أبي طالب رضي الله عنه، في صفر من السنة الثانية من الهجرة وقيل: بعد وقعة أحد، وقيل: بعد أن بنى رسول الله ﷺ بعائشة بتسعة أشهر، وأمهرها

---

(١) زيادة للتوضيح والتبويب.

درعه، فولدت له: الحسن والحسين، ومحسن، فهلك محسن صغيرا،ورقية وزينب وأم كلثوم فهلكت رقية ولم تبلغ.

وتزوج زينب بنت فاطمة: عبد الله بن جعفر، فماتت عنده.

وتزوج أم كلثوم: عمر بن الخطاب ثم خلف عليها بعده عون بن جعفر، ثم بعده محمد بن جعفر، ثم بعده عبيد الله بن جعفر فماتت عنده، وقيل: توفي عنها.

وعاشت فاطمة بنت النبي ﷺ بعده ستة أشهر، وقيل: ثمانية،وقيل: ثلاثة وقيل: سبعون يوما،وكذلك لثلاث خلون من رمضان سنة إحدى عشرة من الهجرة.

روت ثمانية عشر حديثا، أخرج لها منها في الصحيحين حديث واحد، ولم يرو أحد من بناته ﷺ غيرها ومولدها بمكة معروف.

وأما زينب:

بنت رسول الله ﷺ فتزوجها أبو العاص بن الربيع وهو ابن خالتها أمه هالة بنت خويلد، وذلك قبل الإسلام.

ثم ردها النبي ﷺ بمهر جديد ونكاح جديد عليه وأسلم أبو العاص بعدما أسر ببدر.

ثم تزوجا علي رضي الله عنه بعد موت فاطمة رضي الله تعالى عنها، ثم خلف عليها المغيرة بن نوفل، وقيل: المغيرة بن يزيد، فماتت عنده بعد الهجرة بسبع سنين وشهرين، وعلى هذا التاريخ لا يمكن أن يكون عليا تزوجها، ونزل ﷺ قبرها.

وأما رقية:

بنت رسول الله ﷺ فتزوجها عثمان بن عفان رضي الله عنه، وكانت قبله عند عتبة بن أبي لهب ولم يبن بها.

وقيل: نكاح عثمان كان في الجاهلية، وهاجر بها عثمان إلى الحبشة، توفيت في السنة الثانية من الهجرة.

وأما أم كلثوم:

بنت رسول الله ﷺ فتزوجها عثمان بعد موت رقية، وكانت قبله عند عتيبة بن أبي لهب، أخي عتبة بن أبي لهب، توفيت في شعبان ستة تسع، وجلس رسول الله ﷺ على قبرها.

وأما إبراهيم:

ابن رسول الله ﷺ ولد في ذي الحجة، سنة ثمان من الهجرة، وتوفي في بني مازن عند أم بردة مرضعته وعمره ثمانية عشر شهرا، وقيل: سنة عشر، وقيل: ابن سبعين ليلة، وقيل: ابن سبعة أشهر، وقيل: مات [في السنة العاشرة.

وقال ﷺ: «**لو عاش إبراهيم لأعتقت أخواله، ولوضعت الجزية]**[1] **عن كل قبطي**»[2].

ورش قبره، وأعلم فيه بعلامة، فهو أول قبر رش عليه، ودفن إلى جنب عثمان بن مظعون، وقبره حذو زاوية دار عقيل.

وقال جعفر بن محمد الصادق ﷺ: قبر إبراهيم وجاه دار سعيد بن عثمان التي يقال لها الزوراء بالبقيع مرتفعا عن الطريق.

وعن عائشة بنت قدامة قالت: كان القائم يقوم عند قبر عثمان بن مظعون فيرى بيت النبي ﷺ ليس دونه حجاب.

والآن على قبر سيدنا إبراهيم رضي الله عنه قبة فيها شباك من جهة القبلة.

وعثمان بن مظعون:

هو ابن حبيب بن وهب أخو السائب لأبيه وأمه، وليس له ولا للسائب عقب، توفي في شعبان سنة ثلاث، وقيل: في السنة الثانية.

امرأته خولة بنت حكيم، وهي التي وهبت نفسها للنبي ﷺ وفي الصحابيات أربعة عشر خولة.

وعبد الرحمن بن عوف:

مدفون إلى جانب عثمان بن مظعون، وعثمان أول من دفن بالبقيع من المهاجرين وغيرهم.

وأسعد بن زرارة:

أول من دفن به من الأنصار، وقيل: دفن به أسعد قبل عثمان؛ لأنه توفي على رأس ستة أشهر من الهجرة.

وآخر من دفن بالبقيع من الصحابة **سهل بن سعد الساعدي** وفي الصحابة ثمانية عشر سهلا.

ثم قبر: صفية بنت عبد المطلب:

عمة النبي ﷺ في تربة أول البقيع على يسار الخارج من باب المدينة، وقيل: إنها دفنت عند دار المغيرة بن شعبة.

---

(١) زيادة من نسخة تركيا.

(٢) أخرجه ابن سعد في الطبقات (١/١٤٤) وابن عبد البر في الاستيعاب (١/٥٩) والمتقي في الكنز (٣٢٢٠٦).

قال الشيخ جمال الدين: وعليها بناء من حجارة أرادوا أن يعقدوا عليها قبة، فلم يتفق لقربها من السور والباب.

ثم قبر عقيل بن أبي طالب:

أخو علي رضي الله عنهما، أمه فاطمة بنت أسد، توفي في خلافة معاوية رضي الله تعالى عنه، وهو في قبة في أول البقيع، ومعه في القبر ابن أخيه.

عبد الله بن جعفر الطيار بن أبي طالب:

أمه أسماء بنت عميس ولدته بالحبشة، توفي سنة ثمانين، وقيل: خمس وثمانين وهو من أجواد العرب.

وأجواد العرب في الإسلام عشرة، بالحجاز: عبد الله بن جعفر وعبيد الله بن العباس، وسعيد بن العاص، وبالكوفة: عتاب بن ورقاء، وأسماء بن خارجة، وعكرمة بن ربعي الفياض، وبالبصرة: عمرو بن عبيد الله بن معمر، وطلحة بن عبد الله بن خلف الخزاعي، وهو طلحة الطلحات، وعبيد الله بن أبي بكرة، وبالشام: خالد بن عبيد الله بن خالد.

قال الشيخ جمال الدين: «والمنقول أن قبر عقيل في داره وفي قبلة قبة عقيل رضي الله عنه حظير مبني بالحجارة، يقال: إن فيه قبور أزواج رسول الله ﷺ وهي أربعة قبور ولا يتحقق من فيها منهن».

أول من تزوج ﷺ:

خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب:

وأصدقها ﷺ اثنتي عشرة أوقية ذهب.

وكان قد تزوجها قبل رسول الله ﷺ رجلان: أولهما عتيق بن عائذ ثم أبو هالة مالك بن النباش.

وكان اسمها في الجاهلية الطاهرة: أمها فاطمة بنت زائدة بن جندب.

ولم ترو إلا حديثا واحدا وفي الصحابة خمسمائة وستين نفسا، بين رجل وامرأة لا يروي أحدهم سوى حديث واحد.

ولم يتزوج ﷺ عليها أحدا من نسائه حتى ماتت قبل مهاجرته بثلاث سنين، وعمرها خمس وستين سنة، وقبرها بمكة غير معروف إلا أن بعض الصالحين رآه في المنام، أو كشف له بالقرب من طرف الشعب عند قبر الفضيل بن عياض وقد جدد عليها حجر مكتوب في سنة تسع وأربعين وسبعمائة جدده أحد الأشراف يعرف بـ قاسم بن محمد بن إدريس الحسيني ولا كان ينبغي تعيينه على الأمر المجهول.

الثانية: من أزواجه ﷺ سودة بنت زمعة:

ابن قيس بن عبد شمس بن عبد ود بن نضر بن مالك بن حسل بن عامر بن لؤي.

تزوجها ﷺ بمكة بعد وفاة خديجة رضي الله تعالى عنهما.

وكانت قبله عند السكران بن عمرو أخي سهيل بن عمرو وأراد طلاقها ﷺ فوهبت نوبتها لعائشة ﵂ فأمسكها ﷺ وصار يقسم لبقية نسائه دونها.

وفي الصحابيات سودة أخرى، وقيل: هي سوادة.

الثالثة: عائشة بنت أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنهما:

تزوجها ﷺ بمكة قبل الهجرة بسنتين، وقيل: بثلاث، وهي ابنة ست وقيل: سبع سنين، وقيل تزوجها ﷺ قبل سودة.

ولا خلاف أنه ﷺ بنى بسودة قبل عائشة، وبنى بعائشة في المدينة وهي ابنة تسع على رأس سبعة أشهر من الهجرة وقيل: ثمانية عشر شهرا.

ولم يتزوج ﷺ بكرا غيرها ومات ﷺ عنها وهي ابنة ثماني عشرة سنة.

تكنى أم عبد الله، قيل: أنها أسقطت من النبي ﷺ سقطا ولم يثبت.

جميع ما روت ألفا حديث ومائتا حديث وعشرة أحاديث، أخرج لها منها في الصحيحين مائتان وسبعة وتسعون حديثا، المتفق عليه مائة وأربعة وسبعون، وانفرد البخاري بأربعة وخمسين، ومسلم بتسعة وستين.

قسمت سبعين ألفا ودرعها مرقوع وكشف عن بصرها فرأت جبريل.

وقال مالك: «من سب أبا بكر جلد، ومن سب عائشة ﵂ قتل، فقيل له: لم؟ فقال: من رماها فقد خالف القرآن، وقال ابن شعبان: لقوله تعالى ﴿ يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُواْ لِمِثْلِهِۦٓ أَبَدًا ﴾ [النور: ١٧] ومن عاد لمثله فقد كفر».

وحكى أبو الحسن الصقلي: أن القاضي أبا بكر بن الطيب قال: إن الله تعالى إذا ذكر في القرآن ما نسبه إليه المشركين سبح نفسه لنفسه لقوله تعالى: ﴿ وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَلَدٗاۗ سُبۡحَٰنَهُۥ ﴾ [الأنبياء: ٢٦] في أي كثيرة، وذكره تعالى ما نسبه المنافقون إلى عائشة رضي الله تعالى عنها فقال تعالى: ﴿ وَلَوۡلَآ إِذۡ سَمِعۡتُمُوهُ قُلۡتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبۡحَٰنَكَ هَٰذَا بُهۡتَٰنٌ عَظِيمٞ ﴾ [النور: ١٦] سبح نفسه بتنزيهها من السوء .

وفي كتاب ابن شعبان: من سب غير عائشة من أزواج النبي ﷺ ففيه قولان: أحدها إنه يقتل لأنه سب النبي ﷺ بسب حليلته والآخر أنها كسائر الصحابة يجلد حد المفتري قال: وبالأول أقول.

توفيت عائشة رضي الله عنها بالمدينة سنة ثمان وخمسين، وقيل: سبع وخمسين حكاه الطبري في الليلة السابعة عشرة من رمضان، وعمرها ست وستين سنة وصلى عليها أبو هريرة.

وقد روى البخاري في الصحيح: أن عائشة رضي الله عنها أوصت إلى عبد الله بن الزبير لا تدفني معهم يعني النبي ﷺ وصاحبيه وادفني مع صواحبي بالبقيع.

وعن فائد مولى عبادل قال: قال لي منقذ الحفار: في المقبرة قبران مطابقان بالحجارة قبر الحسن بن علي، وقبر عائشة زوج النبي ﷺ فنحن لا نحركهما ولم يكن في المقبرة قبران مطابقان بالحجارة غيرهما.

الرابعة: حفصة بنت عمر بن الخطاب رضي الله عنهما:

تزوجها ﷺ في سنة ثلاث، وقيل: في سنة اثنين من الهجرة.

وكانت قبله ﷺ تحت خنيس بن حذافة السهمي، وكان صحابيا بدريا توفي بالمدينة.

ثم طلقها ﷺ فأتاه جبريل عليه السلام فقال: إن الله تعالى يأمرك أن تراجع حفصة فإنها صوامة قوامة وأنها زوجتك في الجنة، جملة ما روت ستين حديثا.

توفيت عام سبع وعشرين وقيل: ثمان وعشرين، عام إفريقية وقيل: في سنة إحدى وأربعين وقيل: خمس وأربعين.

الخامسة: أم حبيبة رملة بنت أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف.

تزوجها ﷺ وهي بالحبشة وأصدقها عند النجاشي أربعمائة دينار، وقيل: أربعة آلاف في السنة السادسة، وقيل: في السابعة من الهجرة وكانت قبله تحت عبيد الله بن جحش ، وهاجرت معه إلى الحبشة، فتنصر بها، وبعث رسول الله ﷺ عمرو بن أمية الضمري، فيها إلى الحبشة وولي نكاحها عثمان بن عفان، وقيل: خالد بن سعيد بن العاص، وكان أبوها يومئذ مشركا.

جملة ما روت خمسة وستين حديثا، وفاتها سنة أربع وأربعين.

عن الحسن بن علي بن عبد الله بن محمد بن عمر بن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه أنه هدم منزله في دار علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: فأخرجنا حجرا عليه مكتوب: هذا قبر رملة بنت صخر، فسألنا عنه فائد مولى عبادل فقال: هذا قبر أم حبيبة ابنة أبي سفيان [١].

---

(١) أخرجه ابن شبة في تاريخ المدينة (١/ ١٢٠) وابن عبد البر في الاستيعاب (٤/ ١٨٤٦) وابن النجار =

السادسة: أم سلمة هند ابنة أبي أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم بن نقطة بن مرة بن كعب بن لؤي:

كانت قبل النبي ﷺ تحت أبي سلمة عبد الله بن عبد الأسد، أخ لرسول الله ﷺ من الرضاعة، ثم تزوجها ﷺ سنة ثلاث، وقيل: سنة أربع بعد موت أبي سلمة(١).

توفيت بالمدينة سنة اثنتين وستين في شوال، وقيل: سنة تسع وخمسين وكانت آخر أزواج النبي ﷺ موتا، وقيل: آخرهن موتا ميمونة ﵂ وصلى عليها أبو هريرة رضي الله عنه وقيل: سعيد بن زيد (٢).

جملة ما روت ثلاثمائة حديث وثمانية وسبعين حديثا.

عن إبراهيم بن علي الرافعي أنه قال: حفروا لسالم البابلي مولى محمد بن علي قال: فأخرجوا حجرا طويلا وفيه مكتوب: هذا قبر أم سلمة زوج النبي ﷺ وهو مقابل خوخة آل نبيه بن وهب، قال: فأهيل عليه التراب، وحفر لسالم في موضع آخر (٣).

السابعة: زينب بنت جحش بن رئاب بن يعمر بن صبرة بن مرة بن كثير بن غنم بن داودان بن أسد بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر:

وهي ابنة عمته ﷺ أميمة بنت عبد المطلب، وكانت قبله عند مولاه زيد بن حارثة، فطلقها فزوجه الله تعالى إياها من السماء ولم يعقد عليها(٤). قال الله تعالى: ﴿ **فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَـٰكَهَا** ﴾ [الأحزاب: ٣٧] تزوجها ﷺ سنة خمس من الهجرة وقيل: سنة ثلاث بعد أم سلمة (٥).

ولم تكن تحت عبد الرحمن بن عوف، والتي كانت تحت عبد الرحمن بن عوف أم حبيبة بنت جحش أخت زينب بنت جحش، وأخت حمنة بنت جحش، والمذكور في

في الدرة الثمينة (٢/٤٠٣).

(١) انظر ابن عبد البر في الاستيعاب (٤/١٩٢١، ١٩٣٩)، ومحب الدين الطبري في خلاصة سير ص (١١٧).

(٢) انظر ابن سعد في الطبقات (٨/١٣٢، ١٤٠) وابن عبد البر في الاستيعاب (٤/١٩١٨، ١٩٢١) ومحب الدين الطبري في خلاصة سير ص (١١٨).

(٣) أخرجه ابن النجار في الدرة الثمينة (٢/٤٠٣) .

(٤) ذكره البيهقي في دلائل النبوة (٧/٢٨٥)، وابن عبد البر في الاستيعاب (٤/١٨٤٩).

(٥) ذكره ابن سعد في طبقاته (٨/٢١٨) الطبري في تاريخه (٢/٥٦٢) ابن عبد البر في الاستيعاب (٤/١٨٤٩).

الموطأ جاء في المستحاضة خطأ، وأمر ابن وضاح بإسقاط زينب من هذا الحديث[١].

وكان اسمها: برة فسماها النبي ﷺ زينب[٢].

وفي الصحابة عشرة زيانب: وهذا دليل على استحباب تغيير الاسم إلى أحسن منه.

وغير ﷺ جملة أسماء منها أيضا: جويرية كان اسمها برة وعاصية فسماها جميلة، وأصرم سماه زرعة، والعاصي، وعزيز وعتلة وشيطان، والحكم، وغراب، وحباب، وشهاب فسماه هشاما، وحرب سماه سلما، والمضطجع سماه المنبعث، وأرضا يقال لها عفراء سماها خضرة وشعب الضلالة سماه شعب الهدى، وبنو الزنية سماهم بنو الرشدة[٣].

ونهى النبي ﷺ عن تسمية يسار ونجاح، ورباح، وأفلج ،وبركة لأنك تقول: أثم هو؟ فيقال: لا [٤].

وجاء جد سعيد بن المسيب إلى النبي ﷺ قال: «**ما اسمك؟**» فقال حزن، فقال: «**أنت سهل**» فقال: لا أغير اسما سمانيه أبي، وقال: «**السهل يوطأ ويمتهن**»[٥] قال سعيد بن المسيب فما زالت الحزونة فينا بعده.

والحزونة غلظ الوجه وشيء من القساوة، والحزن قبائل منغسان.

وقال عليه الصلاة والسلام: «**لكل امرئ من اسمه نصيب**».

توفيت زينب بالمدينة سنة عشرين، وقيل: إحدى وعشرين، وقيل تسع عشرة، وهي أول من مات من أزواجه ﷺ بعده وأول من حمل على نعش.

الثامنة: جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار بن الحارث بن عائذ بن مالك بن المصطلق الخزاعية:

أصابها يوم المريسيع فأعتقها وتزوجها ﷺ بعد زينب وكانت قبله عند ابن عم لها يقال له ذي الشفر.

تزوجها ﷺ في سنة ست من الهجرة وقيل: سنة خمس فلما سمع الناس بذلك أرسلوا ما في أيديهم من سبايا بني المصطلق، فأعتق بتزويجها مائة أهل بيت من بني المصطلق.

توفيت بالمدينة في ربيع الأول سنة خمسين.

---

(١) أخرجه مالك في الموطأ (١/ ٦٢).

(٢) أخرجه البخاري (٦١٩٢)، ومسلم (١٧) ٣/ ١٦٨٧، وأبو داود (٤/ ٢٨٨) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) أخرجه مسلم (١٤، ١٥) ٣/ ١٦٨٧، وأبو داود (٤٩٥٦) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) أخرجه مسلم (١٢) (١٦٨٥/٣)، والترمذي (١٢٢/٥)، وأبو داود (٤/ ٢٩٠) عن سمرة رضي الله عنه.

(٥) أخرجه أبو داود (٢٨٩/٤) عن سعيد بن المسيب عن أبيه عن جده.

التاسعة: صفية بنت حيي بن أخطب بن أبي يحيى بن كعب بن الخزرج النضيرية:

من ولد هارون بن عمران، أخ موسى عليهما السلام، كانت تحت سلام بن مشكم، ثم تحت كنانة بن أبي الحقيق، قتله ﷺ.

سبيت من خيبر سنة سبع من الهجرة فاصطفاها ﷺ لنفسه وأعتقها وجعل عتقها صداقها، وحجبها وقسم لها، وقيل: كانت صفة مما أفاء الله على رسوله وتزوجها.

وقيل: إنها صارت لدحية، فاشتراها ﷺ بسبعة أرؤس وتزوجها بعد جويرية.

جملة ما روت ستة أحاديث، اتفق الأئمة سوى الترمذي في حديثها.

وفي الصحابيات خمس اسمهن صفية، توفيت سنة ست وثلاثين وقيل: خمس وثلاثين، وقيل: إنها آخر أمهات المؤمنين موتا، ودفنت بالبقيع.

العاشرة: ميمونة بنت الحارث بن حزن بن بجير بن الهرم بن رويبة بن عبد مناف بن هلال بن عامر بن صعصعة:

وهي خالة خالد بن الوليد وعبد الله بن عباس، وعبد الله بن جعفر.

تزوجها ﷺ بسرف -بفتح السين المهملة وكسر الراء- يروى مصروفا وغير مصروف وهو على ستة أميال من مكة، وقيل: تسعة وقيل: عشرة، وبهذا الموضع مات أبي بن خلف بضربة النبي ﷺ يوم أحد.

وبنى ﷺ بها بسرف وماتت فيه، ودفنت فيه.

وهي آخر من تزوج ﷺ من أمهات المؤمنين وآخر من توفي منهن حكاه المنذري.

وتزوجها ﷺ في عمرة القضاء بعد أن خرج من مكة قبل العمرة، وهو محرم وبنى بها وهو حلال في السنة السابعة من الهجرة.

وكانت قبله تحت أبي سبرة العامري توفيت سنة ثلاث وستين.

وقبرها هو المحقق من بين قبور أزواج النبي ﷺ وعليها الآن مسجد كبير، جملة ما روت ستة وسبعون حديثا.

سمعت والدي رحمه الله تعالى يقول: وصلت قبر ميمونة رضي الله تعالى عنها وأنا جاء من طريق الماشي إلى مكة،وكان بي عطش عظيم، وأنا ضعيف جدًّا، فوجدت عند القبر بطيخة خضراء كبيرة، فأكلت نصفها، فرويت وزال ما بي من الجوع، فعلمت أن ذلك من بركة ستنا أم المؤمنين [ميمونة][1] وأكلت النصف الآخر بالعمرة.

وحدثني محمد المستوفي قال: أتيت من المدينة فوصلت قبر ميمونة غروب الشمس

(١) سقط من الأصل، والإضافة من تركيا.

ليلة الجمعة، وكان مقدصي الصلاة في مكة، فصليت المغرب عند القبر الشريف، وقمت لأخذ نعالي، فلم أجد إلا واحدة، ففتشت في الظلام فلم أجد شيئًا، فتركتها ومشيت إلى قريب البئر المعروفة بالنوارية، وإذا بالنعل قد وضعت على المزود خلف ظهري، فالتمستها وأخذتها، ولم أر أحدًا، فعلمت أن ذلك من بركات ستنا ميمونة ﵂.

الحادية عشرة: زينب بنت خزيمة بن الحارث بن عبد الله بن عمرو بن عبد مناف بن هلال:

وكانت تسمى أم المساكين لكثرة إطعامها المساكين، وكانت قبل النبي ﷺ ، تحت الطفيل بن الحارث، وتزوجها ﷺ سنة ثلاث من الهجرة، ولم تلبث إلا يسيرًا شهرين أو ثلاثة، وماتت عنده.

يروى أنه ﷺ أعطي قوة ثلاثين رجلا، وروي أربعين.

وتزوج ﷺ فاطمة بنت الضحاك، بعد وفاة ابنته زينب، وخيرها حين نزلت آية التخيير فاخترات الدنيا، ففارقها، فكانت بعد ذلك تلقط البعر.

وتزوج ﷺ أساف أخت دحية الكلبي.

وخولة بنت الهذيل، وقيل: خولة بنت حكيم، وهي التي وهبت نفسها للنبي ﷺ، وقيل الواهبة نفسها: أم شريك.

وتزوج ﷺ أسماء بنت كعب الجونية، وعمرة بنت يزيد إحدى نساء بني كلاب، ثم من بني الوحيد، وطلقهما قبل أن يدخل بهما.

وتزوج ﷺ امرأة من غفار، فرأى بها بياضًا فقال: ألحقي بأهلك.

وتزوج ﷺ، امرأة تميمية، فلما دخل عليها قالت: أعوذ بالله منك، فقال: منع الله عائذه، ألحقي بأهلك، ويقال أن بعض نسائه ﷺ علمنها ذلك.

قلت: حاشا أمهات المؤمنين من ذلك، ولا يخفى عليه ﷺ إبرام ذلك.

وتزوج ﷺ عالية ابنة ظبيان، وطلقها حين أدخلت عليه.

وتزوج ﷺ سنا بنت أسماء بن الصلت، وماتت قبل أن يدخل عليها.

وتزوج ﷺ مليكة الليثية فلما دخل عليها قال: هبي لي نفسك، فقالت: وهل تهب الملكة نفسها للسوقة؟ فسرحها.

وخطب ﷺ امرأة من أبيها، فوصفها له، ثم قال: وأزيدك أنها لم تمرض قط، فقال: ما لهذه عند الله من خير، فتركها، وقيل: إنه تزوجها، فلما قال أبوها ذلك طلقها ولم يبن بها.

وذكر أبو سعيد في شرف النبوة أن جملة أزواج النبي ﷺ إحدى وعشرين امرأة طلق

منهن ستا، ومات عنده خمس، وتوفي عن عشر، واحدة منهن لم يدخل بها، وكان ﷺ يقسم للتسع، وكان صداقه لنسائه ﷺ خمسمائة درهم لكل واحدة، وقيل: أربعمائة وثمانين درهما إلا صفية، فإنه جعل عتقها صداقها، وأم حبيبة أصدقها عنه النجاشي.

وسأل أبو سلمة عائشة عن ذلك، فقالت: كان صداقه لأزواجه اثنتي عشرة أوقية ونشا، ثم قالت: أتدري ما النش؟ قال: لا، قالت: نصف أوقية، فتلك خمسمائة درهم، يعني جملة الصداق(١).

وأقل الصداق عند مالك ربع دينار من ذهب، أو ثلاثة دراهم من الورق وكان ﷺ ينفق على نسائه كل سنة عشرين وسقا من شعير وثمانين وسقا من تمر، وفي رواية: إن هذا العدد لكل واحدة منهن في العام، والأول أصح.

وعن الحسن رضي الله عنه أنه قال: خرج النبي ﷺ على أصحابه، فقال: **«ألا ترفؤون؟»** قالوا: بالرفاء والبنين يا رسول الله، قال: **«زوجني الليلة ربي عز جل آسية بنت مزاحم، ومريم ابنة عمران عليهما السلام»** (٢).

الوسق: يجوز فيه الفتح والكسر، وهو ستون صاعا بصاع النبي ﷺ، فخمسة أمراء مثل خمسة أوسق سواء ، وقيل: هو حمل بعير، وقيل: هو الحمل عامة، وفي الوسق من الأرطال على ما تقرر أن في كل صاع خمسة أرطال وثلث على ما قدمنا ثلاثمائة رطل وعشرون رطلاً، وذلك مائة وستون منا، لأن المن مقداره عندهم: رطلان، جمعه أمناء بالمد، والواحد مقصور، ويقال: من بالتشديد، والجمع المنان، ذكروا أنها لغة بني تميم.

والقنطار اسم لجملة المال، وجمعه قناطير، واختلف فيه، فقيل: هو مائة رطل، أو ملء مسك ثور ذهبا، أو ثمانون ألفا، أو ألف ومائتا أوقية، أو ألف دينار، أو سبعون ألف دينار، أو ثمانية آلاف مثقال ذهب، وهو بلسان إفريقية والأندلس، أو ألف مثقال، أو ألف ومائتا دينار، [أو اثنا عشر ألف درهم،](٣) أو ثمانون ألف درهم، أو اثنا عشر ألف أوقية، أو مقدار الدية، أو سبعون ألف درهم، أو مائة رطل ذهبا، أو أربعون أوقية ذهب، أو فضة، أو هو ألف ألف مثقال، أومائة ألف ومائة من ومائة رطل ومائة مثقال ومائة درهم، أو ما بين السماء والأرض من مال، أو أربعون ألف مثقال، أو اثنا عشر ألف درهم، أو ألف دينار، أو هو المال العظيم، أو هو وزن لا يحد.

---

(١) أخرجه ابن سعد في الطبقات (١٦١/٣) عن أبي سلمة عن عائشة ﷺ.

(٢) ذكره ابن كثير في البداية (٥٧/٢، ٥٨).

(٣) زيادة من نسخة تركيا.

والبهار -بضم الباء- ثلاثمائة رطل لغة قبطية عربتها العرب، وقيل: هو ما يحمل على البعير بلغة أهل الشام.

والكر -بالضم- ستون قفيزا بالعراقي، وأربعون إردبا بالمصري، والإردب ست ويبات، والقفيز ثمانية مكاكي، والمكوك صاع ونصف، وهو ثلاث كيلجات، فيكون الكر اثنا عشر وسقا.

والفرق -بفتح الراء وسكونها والفتح أفصح من سكونها- وهو اثنا عشر مدا، وقيل: هو ستة عشر رطلا التي هي ستة أقساط، لأن القسط رطلان وثلثان، وذلك نصف صاع، والصاع ثلث الفرق، والويبة أربعة وعشرون مدا والمكوك نصفها.

والأوقية -وقد تقدم ذكرها- وهي سبعة مثاقيل، وقيل: سبعة ونصف، وكانت الأوقية فيما مضى أربعون درهماً على ما في الحديث، والأوقية عند الأطباء عشرون درهما وخمسة أسباع درهم، وهو أستار وثلثا أستار.

وقال أبو عبيدة: الأوقية اسم لوزن مبلغه أربعون درهما كيلا، والنش نصفها، والنواة زنة خمسة دراهم كيلا، وهو موافق لقول عائشة ﵂.

وقال أحمد: النواة ثلاثة دراهم وثلث درهم، وقيل: المراد بها وزن نواة التمر من ذهب.

وعلى قدر هذه الأوقية اعتبر صداق أزواج النبي ﷺ ولا يصح أن يكون الأوقية والدرهم مجهولة في زمان النبي ﷺ.

وقول من قال: إنها لم تعلم إلى زمان عبد الملك بن مروان وهم، ومعناه: أنه لم يكن منها شيء من ضرب الإسلام، وإنما كانت من ضرب فارس والروم، فرأوا ردها إلى ضرب الإسلام، فضربوها على وزنهم.

قال ابن جماعة: كانت الدراهم نوعان، نوع منها عليه نقش الروم، كل درهم ثمانية دوانق، ونوع يقال له: العتق والطبرية، كل درهم أربعة دوانق، فجمع عبد الملك بن مروان بين درهم من ثمانية دوانق، ودرهم من أربعة دوانق، فكان ذلك اثني عشر دانقا، ثم قسمها بنصفين، وضرب الدرهم من ستة دوانق، فوافق ذلك على ما اجتمع عليه الناس من أمر الدينار الذي هو أربعة وعشرون قيراطا انتهى.

[وقوله تعالى: ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ﴾ [الأحزاب: ٦] قال أهل التفسير، أولى بالمؤمنين من أنفسهم أي ما أنفذه فيهم من أمر فهو ماض عليهم

كما يمضي حكم السيد على عبده، وقيل: اتباع أمره من اتباع رأي النفس][1]، وقال تعالى: ﴿ وَأَزْوَاجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ ﴾ [الأحزاب: ٦] أي في الحرمة كالأمهات حرم نكاحهن عليه بعده ﷺ تكرمة له وخصوصية، ولأنهن أزواج له في الآخرة، ولأنه ﷺ حي بعد موته، وقد قرئ وهو أب لهم ولا يقرأ به الآن لمخالفة المصحف، حكاه القاضي عياض.

وحكى النقاش: أن النبي ﷺ لما نزلت: ﴿ **وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا۟ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن** تَنكِحُوٓا۟ أَزْوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦٓ أَبَدًا ﴾ [الأحزاب: ٥٣] الآية، قام خطيبا فقال: يا معشر أهل الإيمان، إن الله فضلني عليكم تفضيلا، وفضل نسائي على نسائكم تفضيلا.. الحديث .

وقيل لابن عباس رضي الله تعالى عنهما: ماتت فلانة بعض أزواج النبي ﷺ، فسجد فقيل له: أتسجد هذه الساعة؟ فقال: أليس قد قال رسول الله ﷺ: «**إذا رأيتم آية فاسجدوا**» وأي آية أعظم من ذهاب أزواج النبي ﷺ [2].

ثم يزار بالبقيع قبر أم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه:

فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف:

وهي أول هاشمية ولدت هاشميا، وفاتها بالمدينة، نزل في قبرها رسول الله ﷺ واضطجع فيه، وألبسها قميصه، وأداخلها رسول الله ﷺ اللحد هو والعباس وأبو بكر الصديق رضي الله عنهم.

وقال ﷺ: «**ما عفي أحد من ضغطة القبر، إلا فاطمة بنت أسد**» قيل: يا رسول الله: ولا القاسم ابنك؟ قال: «**ولا إبراهيم**» [3].

وهي اليوم عليها قبة صغيرة في آخر البقيع شمال قبة عثمان رضي الله عنه، في موضع يعرف بالحمام.

وروى عيسى بن عبد الله بن محمد، عن أبيه، عن جده قال: دفن رسول الله ﷺ فاطمة بنت أسد بالروحاء مقابل حمام أبي قطيفة، قال الحافظ محب الدين: واليوم مقابلها نخل يعرف بالحمام.

ثم قبر أمير المؤمنين ذي النورين.

أبو عبد الله وأبو عمرو عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف، القرشي الأموي:

---

(١) زيادة من نسخة تركيا.

(٢) أخرجه الترمذي (٣٨٩١)، وقال: هذا حديث حسن غريب.

(٣) أخرجه ابن شبة في تاريخ المدينة (١/١٢٤).

مولده في السنة السادسة بعد الفيل، زوجه ﷺ ابنتيه: رقية ثم أم كلثوم فلذلك قيل له: ذي النوري، وقال النبي له: «**لوكانت عندي ثالثة لزوجتكها**»[(١)].

ولما كان الرابع من يوم الشورى، من مقتل عمر رضي الله عنه، بويع بالخلافة أول المحرم سنة أربع وعشرين، وقيل لثمان عشرة المحرم.

أمه أروى ابنة كريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس، وأمها: البيضاء بنت عبد المطلب، عمة رسول الله .

وجميع من في الصحابيات اسمها أروى خمس: أروى بنت ربيعة، أروى بنت عبد المطلب، أروى بنت كريز، أروى بنت مالك، ثلاث منهن بايعن: بنت عبد المطلب، وبنت كريز، وبنت مالك، وواحدة من الخمس روت عن رسول الله ﷺ وهي التي لم تنتسب.

وصلت أم عثمان القبلتين، وقتلت يوم اليرموك بعد أن قتلت سبعة من الروم بعامود فسطاط.

وكان لها مولى يقال له: طويس واسمه عيسى بن عبد الله، يضرب به المثل في الشؤم لأنه ولد في اليوم الذي مات فيه رسول الله ﷺ، وفطم في اليوم الذي مات فيه أبو بكر، وختن يوم قتل عمر رضي الله عنه، وتزوج يوم قتل عثمان،وولد له مولود يوم قتل علي رضي الله عنه، وتوفي سنة اثنتين وتسعين من الهجرة.

ويروى أن النبي ﷺ قال: «**إن لله سيفا مغمودا في غمده ما دام عثمان حيا، فإذا قتل عثمان جرد ذلك السيف فلا يغمد إلى يوم القيامة**»[(٢)].

قتل رضي الله عنه بالمدينة الشريفة، في الثامن عشر لذي الحجة سنة خمس وثلاثين، وكان صائما، وقيل: قتل يوم الجمعة لثمان ليال خلون من ذي الحجة وقيل: عند منصرف الحجاج من سنة خمس وثلاثين، وقيل: في وسط أيام التشريق، وقيل: في آخرها، وقيل: يوم التروية، ولا خلاف أنه قتل في ذي الحجة، وعمره تسعين سنة، أو ثمان وثمانين، أو ست وثمانين، أو اثنين وثمانين، أو ثمانين أو خمس وسبعين.

مدة خلافته إحدى عشرة سنة وأحد عشر شهرا، وقيل: وأياما، وقيل: اثني عشر عاما إلا عشرة أيام، وقيل: إلا اثني عشر يوما.

---

(١) أخرجه ابن سعد (٥٦/٣)، وابن عبد البر في الاستيعاب (٣/ ١٠٣٩).

(٢) أخرجه ابن عدي في الكامل (١٧٩٧/٥) عن أنس بن مالك مرفوعًا، وقال: (والحديث بهذا اللفظ لا أعرفه إلا من عمرو بن فائد، وله مناكير).

عن عائشة رضي الله عنها قالت: رأيت رسول الله ﷺ يسار عثمان ولون عثمان يتغير، فلما حصر قيل له: ألا تقاتل؟ قال: لا، إن رسول الله ﷺ عهد إلي عهدا، فأنا صابر نفسي عليه[1].

وقال حسان رضي الله عنه:

فكف يديه ثم أغلق بابه ... وأيقن أن الله ليس بغافل

وقال لأهل الدار لا تقتلوهم ... عفا الله عن ذنب امرئ لم يقاتل

فكيف رأيت الله ألقى عليهم الـ ... عداوة والبغضاء بعد التواصل

وكيف رأيت الخير أدبر بعده ... عن الناس إدبار السحاب الحوافل

وقيل: هذه الأبيات للوليد بن عقبة، وقيل: لكعب بن مالك.

وقال أيمن بن خزيمة في ذلك:

ضحوا بعثمان في الشهر الحرام ضحى ... فأي ذبح حرام ويلهم ذبحوا

وأي سنة كفر سن أولهم ... وباب شر على سلطانهم فتحوا

ماذا أرادوا أضل الله سعيهم ... بسفك ذاك الدم الزاكي الذي سفحوا

قتله رومان بن سرحان، وقيل: محمد بن أبي بكر رضي الله عنه، وقيل: سودان بن حمران، وقيل: رومان اليماني، وقيل: رومان بني أسد، وقيل: جبلة بن الأيهم، واشترك في قتله جماعة من الكوفيين والمصريين.

روت عمرة بنت أرطاة قالت: «خرجت مع عائشة سنة قتل عثمان إلى مكة، فمررنا بالمدينة، ورأينا المصحف الذي قتل وهو في حجره،وكانت أول قطرة منه على هذه الآية ﴿ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ [البقرة: ١٣٧] قالت عمرة: ما مات رجل منهم سويا.

قال أبو العباس بن محمد الضبي: سألني الرشيد: كم اسم في ﴿ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ﴾ فقلت: ثلاثة أسماء: أولها اسم الله، والثاني: اسم النبي ﷺ، والثالث: اسم الكفرة، فالياء والكاف المتصلان بالسين لله عز وجل.

والياء والكاف المتصلان بالهاء للنبي ﷺ، والهاء والميم للكفرة، قال: كذا أخبرنا الشيخ وأشار بيده إلى الكسائي، وكان باركا بين يديه يطارح محمدا والمأمون معاني

(١) ذكر ابن عبد البر في الاستيعاب (١٠٤٣/٣) جزءًا منه عن عائشة رضي الله عنها.

القرآن.

وكان معه في الدار ممن يريد الدفع عنه: عبدالله بن عمر، وعبد الله بن سلام، وعبد الله بن الزبير، والحسن بن علي، وأبو هريرة، ومحمد بن حاطب، وزيد بن ثابت، ومروان بن الحكم في طائفة من الناس منهم: المغيرة بن الأخنس، وقيل أيضا: زياد بن نعيم الفهري، وعبد الله بن أبي ميسرة بن عوف.

وألقي رضي الله عنه على المزبلة ثلاثة أيام، فلما كان الليل أتاه اثنا عشر رجلا، فيهم: حويطب بن عبد العزى، وحكيم بن حزام، وعبد الله بن الزبير، وجد مالك بن أنس واحتملوه إلى حش كوكب[1]، فاحتفروا له ودفنوه، قال مالك: وكان عثمان رضي الله عنه يمر بحش كوكب يقول: إنه ليدفن هنا رجل صالح.

الحش: بضم الحاء المهملة وفتحها، وسمي حشا، لأنهم كانوا يقضون حوائجهم في البساتين، فسمي البستان حشا، وهو الذي أدخله معاوية في البقيع، وكان ذلك الحش لرجل من الأنصار يسمى كوكب.

ولم يصل عليه، وقيل: صلى عليه ابنه عمرو، وقيل: جبير بن مطعم، وقيل: حكيم بن حزام.

ونزل قبره نيار، وأبوجهم،وجبير بن مطعم، وكان حكيم بن حزام وزوجتاه يدلوه، فلما دفنوه غيبوا قبره.

وعن حبيب بن أبي يزيد قال: بلغني أن عامة النفر الذين ساروا إلى عثمان رضي الله عنه جنوا.

وعن أبي قلابة قال: كنت بفندق بالشام، فسمعت مناديا : يا ويله النار النار، فقمت فإذا برجل مقطوع اليدين من المنكبين، مقطوع الرجلين من الحقوين، أعمى منكب الوجه، فقلت: ما لك؟ قال: كنت ممن دخل على عثمان يوم الدار، فلما دنوت منه صاحت امرأته، فلطمتها، فقال عثمان: قطع الله أو سلب الله يديك ورجليك وأعمى بصرك وأدخلك جهنم، قال: فأخذتني والله رعدة لا والله ما أحدثك شيئا غير هذا وخرجت إلى موضعي هذا، فأتاني آت، لا أدري إنسي أم جني، ففعل بي ما ترى، فوالله إن بقي إلا النار، قال أبو قلابة: فهممت أن أطأه برجلي فأقتله، ثم قلت: بعدا وسحقا.

وفي أيامه رضي الله عنه: فتحت إفريقية وقتل كسرى.

وكان عامله على مكة: عبد الله بن الحضرمي، وعلى الطائف: القاسم بن ربيعة،

---

(١) زيادة من المخطوط.

وعلى صنعاء يعلى بن أمية، وعلى البصرة: عبد الله بن عامر، وعلي الكوفة: أبو موسى الأشعري، وعلى المدائن: حذيفة بن اليمان، وعلى مصر وإفريقية: عبد الله بن سعد، وعلى الشام: معاوية.

وكاتبه مروان بن الحكم، وحاجبه حمران مولاه، وصاحب شرطته عبد الله بن قنعد، وهو أول من اتخذ صاحب شرطة.

أولاده رضي الله عنه:

عبد الله، وعبد الله أيضا ، وعمرو، وأبان، وخالد، وسعيد،والوليد، والمغيرة، وعبد الملك، وأم عمرو، وعائشة، وأم سعيد.

وخلف لورثته ألف دينار، وألف ألف درهم، وقيمة ضياعه مائتا ألف دينار.

وجملة ما روى مائة حديث وستة وأربعون حديثا.

وجميع من في الصحابة اسمه عثمان ثلاثة عشر، وقيل: عشرة وليس فيهم ابن عفان غيره.

وليس في الحديث عثمان بن عفان، سوى اثنين هو أحدهما والثاني سجزي روى عن معتمر بن سليمان.

وعليه رضي الله عنه قبة عالية شرقي البقيع، بناها أسامة بن سنان الصالحي، أحد أمراء صلاح الدين يوسف بن أيوب، سنة إحدى وستمائة.

نبذة من بعض فضائله:

هو الذي جهز جيش العسرة تسعمائة وخمسين بعيرا، وأتم الألف بخمسين فرسا، ففرح النبي ﷺ وقال : **«غفر الله لك يا عثمان ما قدمت وما أخرت، وما أعلنت وما أخفيت وما أبديت، وما هو كائن إلى يوم القيامة»** (١).

قال ﷺ: **«دخلت فناولني جبريل تفاحة، فانفلقت في يدي فخرجت منها جارية، كأن أشفار عينيها مقاديم أجنحة النسور، فقلت: لمن أنت؟ فقالت للخليفة المقتول ظلما، عثمان بن عفان»** (٢).

وقال ﷺ: **«لكل نبي خليل، وخليلي من هذه الأمة عثمان بن عفان رضي الله عنه»** (٣).

---

(١) أخرجه ابن عدي في الكامل (٢٢٥٣/٦) عن حسان بن عطية مرسلاً.

(٢) ذكره الطبري في الرياض النضرة (١٣٨/٢) عن عقبة بن عامر مرفوعًا.

(٣) ذكره ابن كثير في البداية (٣٠٤/٦)، والمتقي في كنز العمال (٣٢٨٠٧).

وقال ﷺ: «إنا نشبه عثمان بأبينا إبراهيم ﷺ»[(١)].

وقال ﷺ: «إني لأستحي ممن تستحي منه الملائكة والرب عز وجل عثمان بن عفان»[(٢)].

وقال عليه الصلاة والسلام قال الله تعالى: «أنا خصيم عثمان يوم القيامة إني القائم بحقه»[(٣)].

وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: «لو اجتمع الناس على قتل عثمان لرموا بالحجارة كما رمي قوم لوط».

وعن علي بن زيد بن جدعان قال: قال لي سعيد بن المسيب: انظر إلى وجه هذا الرجل، فنظرت فإذا هو مسنود الوجه، فقال: سله عن أمره، فقلت: حسبي أنت، حدثني، فقال: إن هذا كان يسب عليا وعثمان وكنت أنهاه فلا ينتهي، فقلت: اللهم إن هذا يسب رجلين قد سبق لهما ما تعلم، اللهم أرني إن كان يسخطك ما سيقول فيهما، فأرني به آية، فاسود وجهه كما ترى[(٤)].

وبالبقيع قبر الإمام أبي عبد الله مالك بن أنس:

ابن مالك بن عامر بن عمر بن الحارث بن غيمان بن جثيل بن عمرو بن الحارث - وهو ذو أصبح - بن حمير بن سبأ، وقيل: هو من ولد تيم بن مرة يلقى رسول الله ﷺ عند مرة بن كعب، إمام دار الهجرة من أتباع التابعين من الطبقة الثالثة.

قال يحيى بن بكير: سمعت مالك بن أنس يقول: ولدت سنة ثلاث وتسعين، قال يحيى: ومات في ربيع الأول سنة تسع وسبعين ومائة.

وقيل: ولد سنة خمس وتسعين، وقيل: إحدى وتسعين، وقيل: أربع وتسعين، وقيل: سبع وتسعين.

وتوفي عن ثلاثة وسبعين تصنيفا، ودفن [بالبقيع][(٥)] بالقرب من قبر إبراهيم ابن رسول الله ﷺ وعليه قبة لطيفة، وليس فيها غير قبره، وهي في أول البقيع على الطريق إذا خرج الإنسان من باب المدينة، كان مواجها لها من جهة الشرق.

قال ابن كنانة: أخذ مالك في الاغتسال قريبا مني، فغلبت نظرة مني إليه، فرأيت

---

(١) ذكره الديلمي في الفردوس المفقود (١/٥٥)، والطبري في الرياض النضرة (٢/١٤٢).

(٢) أخرجه مسلم (٢٦) (٤/١٨٦٦) عن عائشة رضي الله عنها.

(٣) ذكره الديلمي في الفردوس (١/٥٢) عن عبد الله بن سلام رضي الله عنه.

(٤) ذكره ابن عبد البر في الاستيعاب (٣/١٠٥٢)، والطبري في الرياض النضرة (٢/١٤٨).

(٥) زيادة من نسخة تركيا.

مكتوبا على فخذه مالك حجة الله على خلقه، فكبرت، فقال لي: يا ابن أخي أرأيت شيئا؟ فوالله ما كتبت شيئا.

وبالبقيع قبر إسماعيل بن جعفر الصادق رضي الله تعالى عنهما:

في مشهد [كبير مبيض][1] غربي قبة العباس رضي الله عنه، وهو بركن سور المدينة من جهة القبلة والشرق، وبابه من داخل المدينة، بناه بعض ملوك مصر العبيدين، ويقال: إن هذه العرصة التي فيها هذا المشهد، وما حولها من جهة الشمال إلى الباب، هي كانت دار زين العابدين علي بن الحسين رضي الله عنهم أجمعين وبين الباب الأول وباب المشهد بئر منسوبة إلى زين العابدين، وكذلك بجانب المشهد الغربي مسجد صغير مهجور، يقال: إنه مسجد زين العابدين رضي الله عنه.

قال الشيخ جمال الدين: وليس بالبقيع قبر معروف للسلف الصالح غير ما ذكر، وفي شمال المدينة على طريق الحجاج الشاميين من خارج سور المدينة قبر.

النفس الزكية محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي رضي الله عنهم:

المقتول في أيام المنصور، يعرف بالنفس الزكية، ادعى الإمامة، وخرج بالمدينة، وبايعه أهل الحجاز واليمن، فوجه إليه المنصور ابن أخيه عيسى بن موسى، وحميد بن قحطبة في أربعة آلاف، فقتل بالمدينة سنة خمس وأربعين ومائة، وقبره معروف الآن يزار، شرقي جبل سلع، وعليه بناء أرادوا أن يعقدوا عليه قبة فلم يتفق، وهو داخل مسجد كبير محجور، وفي قبلة المسجد مصرف عين الأزرق الخارجة من المدينة على بناء مدرج بدرج من جهة الشرق والغرب، والعين في وسطه تجري إلى مغيضها من البركة.

وكان أخوه إبراهيم بن عبد الله ظهر بدعوته بالبصرة، وقد غلب على الأهواز، وواسط، وكسكر، فوجه إليه أبو جعفر المنصور عيسى بن موسى، فالتقيا بباب جمري، موضع على ستة عشر فرسخا من الكوفة، فأصاب إبراهيم سهم غرب، فقتله سنة خمس وأربعين ومائة.

أبو جعفر المنصور هو: عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس:

ولد يوم مات الحجاج بالسراة في ذي الحجة سنة خمس وتسعين، بويع له بالخلافة سنة ست وثلاثين ومائة بطريق مكة، بمكان يقال له: صفينة.

وهو أول خليفة أوقع الفرقة بين بني العباس وبين بني أبي طالب، وهو أول من قرب المنجمين، وفي أيامه وضع ابن إسحاق كتاب المغازي والسير، وترجمت له الكتب

---

(١) زيادة من نسخة تركيا.

من اللغات العجمية إلى العربية من اليونانية والرومية، والفهلوية، والفارسية، والسريانية.

أولاده: المهدي واسمه محمد، وجعفر، وصالح، وسليمان، وعيسى، ويعقوب، وجعفر أيضا، والقاسم، وعبد العزيز، والعباس.

توفي أبو جعفر سنة ثمان وخمسين ومائة بمكة قبل التروية بيوم، وهو محرم ودفن بالحجون.

وخلف في بيت المال تسعمائة ألف ألف دينار وستون ألف دينار.

وهو الذي بنى مدينة بغداد، وسماها مدينة السلام.

سمعت والدي رحمه الله يقول: بالبقيع قبة لطيفة، فيها قبر واحد، كنت أنظر من طاقة في القبر، فأرى فيه أربعة موتى صحاحا لم يتغيروا.

وروى أصحاب التواريخ، عن عيسى بن عبد الله، عن أبيه قال: ابتاع عمر بن عبد العزيز من زيد بن علي وأخته خديجة دارهما بالبقيع بألف وخمسمائة دينار، ونقضها وزادها، في البقيع، فهي مقبرة آل عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

وعن أبي روق قال: حمل الحسن بن علي بدن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، فدفنه بالبقيع بالمدينة، ذكره ابن النجار في تاريخه.

علي رضي الله عنه بن أبي طالب بن عبد المطلب القرشي:

يكنى أبا الحسنين وأبا السبطين، وأبا تراب أمه فاطمة بنت أسد وكان علي أصغر من جعفر بعشر سنين، وجعفر أصغر من عقيل بعشر سنين، وعقيل في بعض الروايات أصغر من طالب بعشر سنين، وهذا من العجائب يقال: أربعة إخوة بين كل اثنين منهم عشرة سنين، وهم أولاد أبي طالب.

ولا يعلم ويعرف أخوان تباعدا في السن مثل: موسى بن عبيدة الربذي وأخيه عبد الله بن عبيدة، فإن عبد الله أسن من موسى بثمانين سنة.

ومن العجائب: أن ثلاثة إخوة ولدوا في سنة واحدة، وقتلوا في سنة واحدة، وكانت أعمارهم ثمانيا وأربعين سنة: يزيد، وزياد، ومدركة بنو المهلب بن أبي صفرة.

مولد علي رضي الله عنه بمكة معروف، قريب من مولد رسول الله ﷺ في شعب أبي طالب، وقيل: ولد في جوف الكعبة.

يروى عن علي بن الحسن رضي الله تعالى عنه، بويع له يوم قتل عثمان سنة خمس وثلاثين.

قتله عبد الرحمن بن ملجم ليلة الجمعة لثلاث عشرة أو لإحدى عشرة ليلة خلت، وقيل: بقيت من رمضان، وقيل: لسبع عشرة ليلة خلت من رمضان سنة أربعين، وهو ابن

ثلاث وستين سنة، وقيل: ثمان وخمسين، ضربه ابن ملجم بسيف مسموم في مسجد الكوفة عند صلاة الصبح، وبقي بعد الضربة ثلاثة أيام، ومسك ابن ملجم المغيرة بن نوفل، رمى عليه بقطيفة وحبس، فلما مات علي قتل، واستخلف على جعدة بن هبيرة فصلى بالناس.

وصلى على علي ابنه الحسن ﷺ، ودفن في قصر الإمارة بالكوفة، وقيل: غيب مكان قبره بوصية منه، وكان مخفيا في زمن إمارة بني أمية وصدرا من خلافة آل العباس حتى دل عليه جعفر الصادق.

عن صهيب أن رسول الله ﷺ قال لعلي: «**من أشقى الأولين**» قال: عاقر الناقة، قال: «**صدقت، فمن أشقى الآخرين؟**» قال: لا أدري، قال: «**الذي يضربك على هذا** -يعني: يافوخة- **فتختضب هذه**؛ يعني: لحيته» [(١)].

وكاتبه: عبد الله بن أبي رافع، وقاضيه، شريح بن الحارث، وصاحب شرطته: معقل بن قيس، وحاجبه: قنبر مولاه.

وعامله على مكة: قثم بن العباس، وعلي اليمن: عبيد الله بن العباس، وعلى البصرة: عبد الله بن العباس، وعلى خراسان: جليدة بن قرة.

أولاده أربعة عشر ذكرا وتسع عشرة أنثى: الحسن، والحسين، وزينب الكبرى، وأم كلثوم الكبرى أمهم فاطمة الزهراء، ومحمد ابن الحنفية واسم أمه خولة بنت جعفر، وعبيد الله قتله المختار، وأبو بكر قتل مع الحسين أمهما ليلى بنت مسعود، والعباس الأكبر، وعثمان، وجعفر وعبد الله قتلوا مع الحسين، ويحيى وعون أمهما أسماء بنت عميس، وعمر الأكبر، ورقية أمهما الصهباء، ومحمد الأوسط أمه أمامة بنت أبي العاص، وأم الحسن، ورملة الكبرى أمهما أم سعيد بنت عروة، وأم هانئ وميمونة وأم كلثوم [الصغرى وزينب][(٢)] الصغرى، ورملة الصغرة، وفاطمة، وأمامة، وخديجة، وأم الكرام، وأم سلمة، وأم جعفر، وجمانة، ونفيسة لأمهات شتى، وأخرى لم يذكر اسمها ماتت صغيرة.

جملة ما روى خمسمائة وثلاثون حديثا، أخرج له منها في الصحيحين أربعة وأربعون، المتفق عليه منها عشرون، وانفرد البخاري بتسعة ومسلم بخمسة عشر.

---

(١) ذكره ابن عبد البر في الاستيعاب (١١٢٥/٣)، والطبري في تاريخه (٤٠٨/٢)، والخطيب في تاريخ بغداد (١٣٥/١).

(٢) زيادة من نسخة تركيا.

وجميع من في الصحابة اسمه علي: ثمانية عشر ليس فيها ابن أبي طالب غيره.

وجملة من في الحديث اسمه علي بن أبي طالب ثمانية: هو أحدهم، الثاني: بصري روى عن حماد بن سلمة، الثالث: الدهان روى عن الهيصم، الرابع: جرجاني روى عنه أبو سهل، الخامس: استراباذي روى عنه الإسماعيلي، السادس: تنوخي روى عن أبي بكر بن مجاهد، السابع: البكر أباذي روى عن [أبي أحمد][1] بن عدي، الثامن: ابن بيان، قال ابن الجوزي: حدثنا عنه شيوخنا.

نبذة من بعض فضائله رضي الله تعالى عنه:

أسلم وهو ابن تسع سنين، وسأل أبو جعفر المنصور الأعمش، كم حديث تروي في فضائل علي رضي الله عنه؟ فقال: أربعة آلاف حديث.

وقال النبي ﷺ لعلي: «**أنت مني بمنزلة هارون من موسى، إلا أنه لا نبي بعدي**»[2].

وقال له عليه الصلاة والسلام: «**أنت ولي كل مؤمن بعدي**»[3].

وآخي النبي ﷺ بينه وبين نفسه، إذ آخى بين المؤمنين، وكان يقول: «أنا عبد الله وأخو رسول الله لا يقولها أحد غيري إلا كذاب»[4].

وقال عليه الصلاة والسلام يوم غدير خم: «**من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه**»[5].

الغدير معروف الآن بمكة يخرج إليه من كداء باب اليمن، بينه وبين مكة ساعة من نهار.

وقال ﷺ: «**يا علي لا يحبك إلا مؤمن، ولا يبغضك إلا منافق**» رضي الله عنه[6].

وعن أبي هريرة [قال: قال رسول الله ﷺ][7]: «**مكتوب على ساق العرش: لا إله إلا الله وحده لا شريك له محمد رسولي أيدته بعلي**» وذلك قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الأنفال: ٦٢] يعني علي رضي الله عنه.

---

(١) زيادة من نسخة تركيا.

(٢) أخرجه البخاري (٤٤١٦)، ومسلم (٣٠، ٣١) ٤/١٨٧٠ عن سعد بن أبي وقاص.

(٣) أخرجه الترمذي (٥/٥٩٠، ٥٩١)، وقال: هذا حديث حسن غريب.

(٤) أورده ابن عبد البر في الاستيعاب (٣/ ١٠٩٨).

(٥) أخرجه الترمذي في سننه (٥/٥٩١) عن ابن عباس ﷺ، وقال: هذا حديث حسن صحيح.

(٦) أخرجه مسلم (١٣١) والترمذي (٣٧٣٦)، وابن ماجه (١/٤٢) عن ذر ﷺ.

(٧) زيادة من نسخة تركيا.

وقال عليه الصلاة والسلام: **«رأيت على باب الجنة مكتوب لا إله إلا الله محمد رسول الله، علي أخو رسول الله»**(١)

وقال عليه الصلاة والسلام: **«الصديقون ثلاثة: حبيب النجار مؤمن آل يس، وحزقيل مؤمن آل فرعون، وعلي بن أبي طالب الثالث، وهو أفضلهم»**(٢).

وقال عليه الصلاة والسلام: **«كنت أنا وعلي نورا بين يدي الله تعالى مطبقا يسبح الله تعالى ذلك النور ويقدسه قبل أن يخلق آدم بأربعة عشر ألف عام، فلما خلق آدم ركب ذلك النور في صلبه، فلم يزل في شيء واحد، حتى افترقا في صلب عبد المطلب [جزأين فجزء أنا وجزء علي»** (٣).

وقال عليه الصلاة والسلام: **«لكل نبي وصي ووارث وأنا وصي ووارثي علي بن أبي طالب»** (٤).](٥)

وقال عليه الصلاة والسلام: **«النظر إلى وجه علي عبادة»** (٦).

وقال عليه الصلاة والسلام: **«على العرش مكتوب لا إله إلا الله محمد رسول الله أيدته بعلي، وما مات مسروق حتى تاب إلى الله من تخلفه عن القتال مع علي»** (٧)رضي الله عنه.

وعن حويقدة بن أشراس قال: «رأيت يزيد بن هارون في المنام، فقلت: ما فعل الله بك يا أبا خالد؟ فقال: أتاني منكر ونكير، فسألاني فقلت: أتسألان وأنا يزيد بن هارون؟ فقال: صدقت ثم نومة العروس ما وجدنا عليك من شيء، إلا أنك تحدث عن حريز بن عثمان، وكان يبغض عليا أبغضه الله (٨).

وعن زر قال: جلس رجلان يتغذيان، مع أحدهما خمسة أرغفة ومع الآخر ثلاثة، فلما وضعا الغذاء، مر رجل آخر فسلم، فقالا: اجلس فأكل معهما، فلما قام طرح لهما ثمانية دراهم، فقال صاحب الخمسة الأرغفة: لي خمسة دراهم، ولك ثلاث، فقال صاحب

---

(١) أخرجه ابن عدي في الكامل (٦/٢١٠٣) من حديث جابر بن عبد الله ﷺ.

(٢) أخرجه أحمد في فضائل الصحابة (٢/٦٢٨) عن أبي ليلى عن أبيه.

(٣) أخرجه أحمد في فضائل الصحابة (٢/٦٦٢) عن سلمان ﷺ.

(٤) أخرجه ابن عدي في الكامل (٤/١٣٣٠) عن بريدة ﷺ.

(٥) زيادة من نسخة تركيا.

(٦) أخرجه ابن الجوزي في الموضوعات (١/٣٥٨-٣٦٢).

(٧) ذكره القاضي عياض في الشفا (١/١٠٤) والمتقي في الكنز (١١/٦٢٤).

(٨) ذكره الخطيب في تاريخ بغداد (١٤/٣٤٧)، وابن الجوزي في المنتظم (٨/٢٦٧)

الثلاثة الأرغفة: لا أرضى إلا أن تكون الدراهم بيننا نصفين، وارتفعا إلى علي رضي الله عنه فقال لصاحب الثلاثة: خذ الثلاثة فقال لا أرضى إلا بالحق، فقال له: ليس لك في مر الحق إلا درهم واحد وله سبعة، فقال الرجل: عرفني حتى أقبل، فقال علي رضي الله تعالى عنه: أليس الثمانية الأرغفة أربعة وعشرون ثلثا أكلتموها وأنتم ثلاثة، وكل أكلكم على السواء، فأكلت أنت ثمانية أثلاث وإنما لك تسعة أثلاث، وأكل صاحبك ثمانية أثلاث وله خمسة عشر ثلثا، أكل منها ثمانية ويبقى له سبعة فأكل لك ثلثا واحدا من تسعة فلك واحد بواحدك وله سبعة بسبعته فقال له الرجل: رضيت الآن.

الفصل الرابع
في ذكر نبذة من بعض فضائل الخلفاء الأربعة رضي الله تعالى عنهم

قال عليه الصلاة والسلام: « **أنا مدينة العلم، وأبو بكر أساسها، وعمر حيطانها، وعثمان سقفها وعلي بابها** » [١].

وقال عليه الصلاة والسلام: «**إن الله عز وجل فرض عليكم حب أبي بكر وعمر، وعثمان وعلي كما فرض عليكم الصلاة والصدقة والحج والزكاة، فمن أبغض واحدا منهم، فلا صلاة ولا صدقة له ولا صيام له ولا حج له ولا زكاة له، ويحشر يوم القيامة إلى النار**» [٢].

وقال عليه الصلاة والسلام: «**أبو بكر وزيري يقوم مقامي، وعمر ينطق بلساني، وأنا من عثمان وعثمان مني، وعلي ابن عمي وأخي وحامل رايتي**» [٣].

وقال عليه الصلاة والسلام: «**أبو بكر أرق أمتي وأرحمها، وعمر بن الخطاب أحنى أمتي وأعدلها، وعثمان بن عفان أحيا أمتي وأكرمها، وعلي بن أبي طالب ألب أمتي وأسماها**» [٤].

وقال عليه الصلاة والسلام :«**حب أبي بكر يوجب الغفران، وحب عمر يمحو العصيان، وحب عثمان يقوي الإيمان، وحب علي يدخل الجنان**»[٥].

وقال عليه الصلاة والسلام: «**إن علي حوضي أربعة أركان، فأول ركن في يد أبي بكر، والركن الثاني في يد عمر، والركن الثالث في يد عثمان، والركن الرابع في يد**

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك (٣/ ١٦٢) عن ابن عباس رضي الله عنهما.
(٢) ذكره الديلمي في الفردوس (١/ ١٧٣) عن أنس بن مالك رضي الله عنه.
(٣) ذكره الديلمي في الفردوس (١/ ٤٣٧) عن أنس بن مالك رضي الله عنه.
(٤) ذكره الديلمي في الفردوس (١/٤٣٨) عن شداد بن أوس رضي الله عنه.
(٥) ذكره الديلمي في الفردوس (١٤٢/٢) عن أنس بن مالك رضي الله عنه.

علي، فمن أحب أبا بكر وأبغض عمر لم يسقه أبو بكر، ومن أحب عمر وأبغض أبا بكر لم يسقه عمر، ومن أحب عثمان وأبغض عليا لم يسقه عثمان، ومن أحب عليا وأبغض عثمان لم يسقه علي، ومن أحسن القول في أبي بكر فقد أقام الدين، ومن أحسن القول في عمر فقد أوضح السبيل، ومن أحسن القول في عثمان فقد تنور بنور الله، ومن أحسن القول في علي فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها، ومن أحسن القول في أصحابي فهو مؤمن »(١). رواه صاحب الغيلانيات.

تحذير لمن أبغض أحدا من أصحابه رضوان الله عليهم أجمعين:

قال عليه الصلاة والسلام: «كل الناس يرجون النجاة إلا من سب أصحابي، فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا »(٢).

وقال مالك: من أغاظ أصحاب محمد ﷺ، فهو كافر، قال الله تعالى: ﴿ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ﴾. [الفتح: ٢٩].

وروى الترمذي وغيره عن علي رضي الله عنه قال: قال لي رسول الله ﷺ: «يا علي، قلت لبيك يا رسول الله، فقال: هذان المقبلان سيدا كهول أهل الجنة من الأولين والآخرين، إلا النبيين والمرسلين، لا تخبرهما يا علي - يعني: أبا بكر وعمر رضي الله عنهما»(٣).

وقال ﷺ : «أنا الأول، وأبو بكر الثاني، وعمر الثالث، والناس بعدنا علي سباق الأول فالأول»(٤).

وقال ﷺ: «إني لأرجو لأمتي بحب أبي بكر وعمر، كما أرجو لهم بقول لا إله إلا الله»(٥).

وقال ﷺ: «أطيعوا أبا بكر الصديق، ثم عمر تهتدوا، واقتدوا بهما ترشدوا»(٦).

وعن حذيفة قال: قال رسول الله ﷺ: «اقتدوا باللذين بمن بعدي أبا بكر وعمر»(٧).

---

(١) ذكره الطبري في الرياض النضرة (١/ ٤٦) عن أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٢) ذكره القاضي عياض في الشفا (٢/ ٢٦٦).

(٣) أخرجه الترمذي (٣٦٦٤، ٣٣٦٥)، وقال: هذا حديث غريب من هذا الوجه.

(٤) أخرجه ابن عدي في الكامل (١/ ٣٩٥).

(٥) ذكره الديلمي في الفردوس (١/ ٥٩) عن أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٦) ذكره الديلمي في الفردوس (١١/ ٧٠).

(٧) أخرجه الترمذي (٣٦٦٢)، وأحمد (٥/ ٣٨٢)، والحاكم في المستدرك (٣/ ٧٥، ٧٦).

وقال ﷺ: « لكل نبي خاصة، وخاصتي أبو بكر وعمر»(١).

وقال ﷺ: «اللهم إنك باركت لأمتي في صحابتي، فلا تسلبهم البركة وباركت لأصحابي في أبي بكر وعمر، فلا تسلبهم البركة، اللهم أعن عمر بن الخطاب، وصبر عثمان بن عفان، ووفق عليا، واغفر لطلحة، وثبت الزبير، وسلم سعدا، ووقر عبد الرحمن بن عوف، وألحق بي السابقين الأول من المهاجرين والأنصار والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين»(٢).

وقال ﷺ: «الخليفة من بعدي أبو بكر ثم عمر»(٣).

وقال ﷺ: «سألت جبريل، فقلت: يا جبريل أخبرني عن فضل عمر، فقال: والذي بعثك بالحق نبيا لو قعدت معك ما لبث نوح في قومه ألف سنة إلا خمسين عاما، ما فرغت من فضائل عمر، وما عمر إلا حسنة من حسنات أبي بكر »(٤).

وقال عليه الصلاة والسلام: « مكتوب على العرش لا إله إلا الله محمد رسول الله، أبو بكر الصديق، وعمر الفاروق، وعثمان الشهيد»(٥).

وقال عليه الصلاة والسلام: «مثل أبي بكر الصديق وعمر مثل نوح وإبراهيم في الأنبياء عليهم السلام، أحدهما الصديق أشد في الله تعالى من الحجارة وهو مصيب، والآخر ألين في الله من اللبن وهو مصيب »(٦).

وقال ﷺ: «مثل أبي بكر الصديق اللبن في الصفاء، ومثل عمر كمثل الزلال المنزل من السماء، ومثل عثمان كمثل العسل، ومثل علي كمثل الخمر لذة للشاربين، وهذه أربعة أنهار في الجنة»(٧).

وقال ﷺ: «وزيراي من أهل السماء: جبريل وميكائيل، ووزيراي من أهل الأرض: أبو بكر وعمر»(٨).

---

(١) أخرجه الطبري في الكبير (١٠/ ٩٤).

(٢) أخرجه الخطيب في تاريخ بغداد (٥/ ٤٧٠).

(٣) ذكره الديلمي في الفردوس (٢/ ٢٠٦) عن الزبير بن العوام رضي الله عنهما.

(٤) ذكره السيوطي في تاريخ الخلفاء (ص ٥١) عن عمار بن ياسر رضي الله عنه.

(٥) ذكره الديلمي في الفردوس (٤/ ١٢٣)، عن البراء بن عازب رضي الله عنه.

(٦) ذكره الديلمي في الفردوس (٤/ ١٣٤) عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما.

(٧) ذكره الديلمي في الفردوس (٤/ ١٣٣، ١٣٤).

(٨) أخـــرجه الحاكم في المستدرك (٢/ ٢٦٤) عن أبي سعيد الخدري ، وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه».

وقال عليه الصلاة والسلام: «**وضعت في كفة الميزان، ووضعت الأمة في الكفة الأخرى فرجحت بهم، ثم وضع أبو بكر في مكاني فرجح بهم** – هذه رواية صاحب الفردوس في الصحيح – **ثم عثمان فرجح بهم، ثم رفع الميزان** »(١).

وقال أبو حيان التيمي، عن أبيه، عن علي رضي الله عنه قال: رأيت النبي ﷺ كما رأيتموني وسمعته كما سمعتموني وهو يقول: «**إذا قال العبد من أمتي لا إله إلا الله محمد رسول الله صلى الله على محمد الحبيب، وعلى أبي بكر الشقيق، وعلى عمر القرن الحديد، وعلى عثمان بن عفان المظلوم الشهيد، وعلى علي بن أبي طالب ذي البأس الشديد، هؤلاء أصحاب محمد خير العبيد، قال: يقول الله تعالى: يا عبدي إن كنت صليت عليهم مخافة النار فقد أمنتك بها، وإن كنت صليت عليهم فرقا من خصمائك فقد أبراك كلهم وأرضيتهم عنك، وإن كنت صليت عليهم طلبا لمغفرتي فقد غفرت لك وما كان منك ولا أبالي كرامة لمحمد ﷺ، ثم قال رسول الله ﷺ: إذا قال العبد من أمتي هذا في كل يوم قال الله تعالى: بالغ عبدي في رضاي وأنا مبلغ عبدي رضاه في جنة عالية وانقطع العلم أن يوصف حاله عند الله من الكرامات في الجنة**» ذكره الشيخ مخلص الدين أبو الفضل يونس بن محمد بن بندار .

وعنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**أرحم أمتي أبو بكر، وأشدهم في دين الله عمر، وأصدقهم حياء عثمان، وأعلمهم علي، وأقرأهم أُبي بن كعب، وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل، وإن لكل أمة أمينا وإن أمين هذه الأمة أبو عبيدة** »(٢).

وعن أبي بكر الكناني قال: رأيت النبي ﷺ ثلاثمائة وأربعة وثلاثين مرة، فرأيته ليلة وعنده أبو بكر وعمر، إذ أقبل علي بن أبي طالب، فقلت في نفسي: أسأل عما شجر بينهم، فأقبل النبي ﷺ وقال: «**يا أبا بكر لا تدخل بين أصحابي وخلفائي**»(٣).

وعن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه قال: سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن عرش رب العزة [فقال: «**سألت جبريل عن عرش رب العزة**](٤) **قال: سألت ميكائيل عن عرش رب العزة قال: سألت إسرافيل عن عرش رب العزة قال: سألت الروح عن عرش رب العزة قال: سألت اللوح عن عرش رب العزة قال: سألت القلم**

---

(١) ذكره المتقي الهندي في كنزل العملا (٣٦١١١).

(٢) أخرجه الترمذي (٣٧٩٠)، وأحمد (٣/ ١٨٤)، وقال الترمذي : «هذا حديث حسن غريب».

(٣) لم أقف عليه.

(٤) زيادة من نسخة تركيا.

عن عرش رب العزة قال: إن للعرش ثلاثمائة وستين ألف قائمة، كل قائمة من قوائمه كأطباق الدنيا ستين ألف مرة، تحت كل قائمة ستون ألف مدينة في كل مدينة ستون ألف صحراء، في كل صحراء ستون ألف عالم، كل عالم مثل الثقلين الإنس والجن ستون ألف مرة لا يعلمون أن الله خلق آدم ولا إبليس ألهمهم الله أن يستغفروا لأبي بكر وعمر وعثمان وعلي رضوان الله عليهم أجمعين »(١).

تحذير لمن نقص بأحد منهم أو سبه:

قال مالك: من شتم أحدا من أصحاب النبي ﷺ من الخلفاء، أو معاوية، أو عمرو بن العاص، فإن قال: كلهم كانوا على ضلال وكفر قتل، وإن سبهم بغيره من مشاتمة الناس نكل نكالا شديدا.

وقال ابن حبيب: من غلا من الشيعة إلى بغض عثمان والبراءة منه أدب أدبا شديدا، ومن زاد إلى بغض أبي بكر وعمر فالعقوبة عليه أشد، ويكرر ضربه ويطال سجنه حتى يموت ولا يبلغ به القتل إلا لمن سب النبي ﷺ .

وحكى [أبو محمد بن أبي](٢) زيد، عن سحنون فيمن قال في أبي بكر وعمر وعثمان وعلي من قال: إنهم كانوا على ضلال وكفر قتل، ومن شتم غيرهم من الصحابة بمثل هذا نكل نكالا شديدا .

وعن مالك بن أنس : أن [من سب](٣) أبا بكر جلد، ومن سب عائشة رضي الله عنها قتل.

وعنه ﷺ: **«كل الناس يرجون النجاة إلا من سب أصحابي، فإن أهل الموقف تلعنهم»**(٤).

وقال ﷺ: **«من سب أصحابي فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل منه لا صرفا ولا عدلا»**(٥).

وقال مالك: من غاظ أصحاب محمد ﷺ كفر، قال الله تعالى: ﴿ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ﴾ [الفتح: ٢٩] .

وعنه ﷺ أيضا: **«من أبغض أصحابي وسبهم فليس له في فيء المسلمين من**

---

(١) لم أقف عليه.

(٢) زيادة من نسخة تركيا.

(٣) زيادة من نسخة تركيا.

(٤) ذكره المتقي في كنز العمال (٣٢٥٣٩)، وعزاه للحاكم عن ابن عمر رضي الله عنهما.

(٥) ذكره القاضي عياض في الشفا (٢/ ٤٢، ٢٦٦) عن أنس رضي الله عنه.

حق»[١].

وقال مالك: خصلتان من كانتا فيه نجا: الصدق، وحب أصحاب محمد ﷺ.

وقال ﷺ: **«من حفظني في أصحابي كنت له حافظا يوم القيامة»**[٢].

وقال عليه الصلاة والسلام: **«من حفظني في أصحابي ورد علي الحوض، ومن لم يحفظني في أصحابي لم يرد علي الحوض، ولم يرني إلا من بعيد»**[٣].

وروي عن كعب أنه قال: ليس أحد من أصحاب النبي ﷺ، إلا له شفاعة يوم القيامة وطلب كعب من المغيرة بن نوفل أن يشفع له يوم القيامة.

وعنه ﷺ: **«لا تسبوا أصحابي، فلو أنفق أحدكم مثل أحد ذهبا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه»**[٤] أي نصفه، والعرب تسمي النصف: النصيف، كما قالوا في العشر: العشير، والخمس: خميس، وكذلك في التسع والثمن، واختلفوا في السبع والسدس والربع، فمنهم من قاله، ومنهم من لا قاله، قال أبو عبيد: ولم أسمع في الثلث شيئا، والنصيف أيضا كما روي في الحديث، والنصيف إحداهن.

وقال أبو العباس أحمد بن أبي بكر بن إسحاق بن مسمار قال: كان لي جار مسرف على نفسه، فتوفي، فلما كان بعض الليالي، إذ طرق علي الباب، ففتحت فرأيت شخصا بهما، أرفع رأسي لم أرى وجهه، فقال: امش معي، فمشيت فبلغ المَقبرة، فحفر قبرا ورفعنا اللبن، فرأيت روضة واسعة، وسريرا في وسطها وعليه فرش، ورأيت جاري نائما على السرير، فقال لي : أتعرف هذا؟ فقلت: نعم، بما بلغ هذا؟ قال: كان من دعائه أن يقول خلف كل صلاة: اللهم ارحم أبا بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم أجمعين.

وعن بشر بن الحارث قال: ما أنا بشيء أوثق مني بحب أصحاب محمد ﷺ .

وعن عثمان الصابوني، عن أبي جعفر الخالدي قال: سرت في قافلة من الروافض، ثم لقي من تفضيل ساداتنا أصحاب رسول الله ﷺ ورضي الله تعالى عنهم، نصف صفحة لقيتها مقطعة فاقتصرت عن شيء أكتبه ولم أتفهمه فأسير مخالفا ما في نسخة سيدي ورضوان الله عليهم أجمعين.

---

(١) ذكره القاضي عياض في الشفا (٢/ ٤٢).

(٢) أخرجه أحمد في فضائل الصحابة (١/ ٥٤)، و(٢/٩٠٨) عن عطاء مرسلاً.

(٣) أخرجه ابن عدي في الكامل (٦/٢١٠٣) عن ابن عمر ﭬ.

(٤) أخرجه البخاري (٣٦٨٣)، ومسلم (٢٢٢) ٤/١٩٦٧ عن أبي سعيد الخدري ﭬ.

الفصل الخامس

في ذكر من استوطن المدينة الشريفة من الصحابة رضي الله تعالى عنهم أجمعين وغيرهم من التابعين

فالمذكورون من الصحابة مائة وأربعة وثلاثون، ومن غيرهم ستة وثلاثون، وبهذا الفصل يتم المقصود والله الموفق:

أبي بن كعب، وأسيد بن حضير، وأسيد من ظهير، وأسلم، والبراء، وبلال بن رباح، وبلال بن الحارث، وبشر بن سحيم، وبشر بن سعد، وثابت بن رديعة، وعبد الله بن عتبة، وجبير بن مطعم، وجرهد، وأبو ذر واسمه جندب، وأبو قتادة واسمه الحارث، وحكيم بن حزام، وحمل بن مالك، وحنظلة ، وخالد بن الوليد، وخلاد بن السائب، وخفاف، وخوات وذؤيب، ورافع بن خديج، ورافع بن مكيث، وربيعة بن كعب، ورفاعة بن رافع، ورفاعة أبو لبابة، ورفاعة بن عرابة، وركانة، ورويفع، والزبير، وزيد بن ثابت، وزيد بن حارثة، وزيد بن الخطاب، وزيد بن خالد، وزيد بن سهل، وزيد بن الصامت، والسائب بن خلاد، وسبرة، وسراقة، وسعد بن عبادة، وسعيد بن زيد، وسفيان بن أبي العرجاء، وسعد بن أبي وقاص، وأبو سعيد الخدري واسمه سعد، وسفينة، وسلمة بن الأكوع، وسلمة بن صخر، وسويد بن النعمان، وسهل بن أبي حثمة، وسهل بن سعد، وشبل بن معبد، وصخر بن حرب، والصعب بن جثامة، وصهيب، والضحاك بن سفيان، وطلحة بن عبيد الله، وعامر بن ربيعة، وأبو عبيدة بن الجراح واسمه عامر، والعباس بن عبد المطلب، وعبد الله بن أنيس، وعبد الله بن أرقم، وعبد الله بن جعفر، وعبد الله بن حذافة، وعبد الله بن زيد، وعبد الله بن زمعة، وعبد الله بن عبد الأسد، وعبد الله بن عتيك، وعبد الله بن عثمان، وأبو بكر الصديق مات بالمدينة وعبد الله بن عمرو، وعبد الله بن كعب، وعبد الله بن مسعود، وعبد الرحمن [بن أزهر أبو جبير، وعبد الرحمن بن سعد أبو حميد الساعدي،][1] وعبد الرحمن بن عثمان، وعبد الرحمن بن عوف، وأبو هريرة، وعتبان، وعثمان بن حنيف، وعثمان بن عفان، وعقيل بن أبي طالب، والعلاء بن الحضرمي، وعمار، وعمار بن معاذ، وعمر بن الخطاب، وعمر بن أبي سلمة القرشي، وعمرو بن أمية، وعمير مولى أبي اللحم، وعويمر أبي الدرداء، وقتادة بن النعمان، وكعب بن عجرة، وكعب بن عمرو، وكعب بن مالك، ومالك بن التيهان، ومالك بن ربيعة، ومالك بن صعصعة، ومالك بن ضمرة، ومجمع بن

---

(١) زيادة من نسخة تركيا.

جارية، ومحمد بن عبد الله بن جحش، ومحمد بن مسلمة، ومحمود بن الربيع، ومحجن، ومعمر بن عبد الله، ومعاوية بن الحكم السلمي، والمقداد، وناجية، ونوفل بن معاوية، وهزال، وهشام بن الحكيم، ويزيد بن ثابت، ويزيد بن السائب.

وممن لا يعرف اسمه:

[أبو][1] بشير الأنصاري، وأبو خيرة، وأبو زيد الأنصاري، وأبو مربع.

ومن كبار التابعين وممن بعدهم:

أبو سعيد المقبري، ومحمد ابن الحنفية، وسعيد بن المسيب، وأبو سلمة بن عبد الرحمن، وعطاء بن يسار، وسليمان بن يسار، وعروة بن الزبير، وخارجة بن زيد، والمقسم، وسالم، وعبد الله بن عبد الله، وأبو بكر بن عبد الرحمن، وعلي بن الحسين، وعكرمة، وكريب مولى ابن عباس، ومقسم مولى ابن عباس، وعلي بن عبد الله بن عباس، ونافع، وعمر بن عبد العزيز، وأبو بكر بن حزم، والزهري، ومحمد بن المنكدر، وزيد بن أسلم، وأبو الزناد، وربيعة الرأي، وصفوان بن سليم، وأبو حازم الأعرج، ويحيى بن سعيد القطان، وإبراهيم بن عقبة، ومحمد بن عقبة، وموسى بن عقبة، وابن إسحاق، ومالك بن أنس، ويوسف الماجشون، والدراوردي، والواقدي، والسلام.

وصلى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم تسليما، والحمد لله رب العالمين.

تم آخر نهار يوم الجمعة ١٦ من شوال سنة ٧٥١ هـ.

تم بحمد الله تعالى وتوفيقه تحقيق الكتاب

في بلد الله الحرام : مكة المكرمة

غرة رمضان المبارك ١٤١٨ هـ

يناير ١٩٩٨م

---

(١) زيادة من نسخة تركيا.

فهرس المحتويات